ميشيل عفلق

# في سبيل البعث

## الكتابات السياسية الكاملة

الجزء الرابع

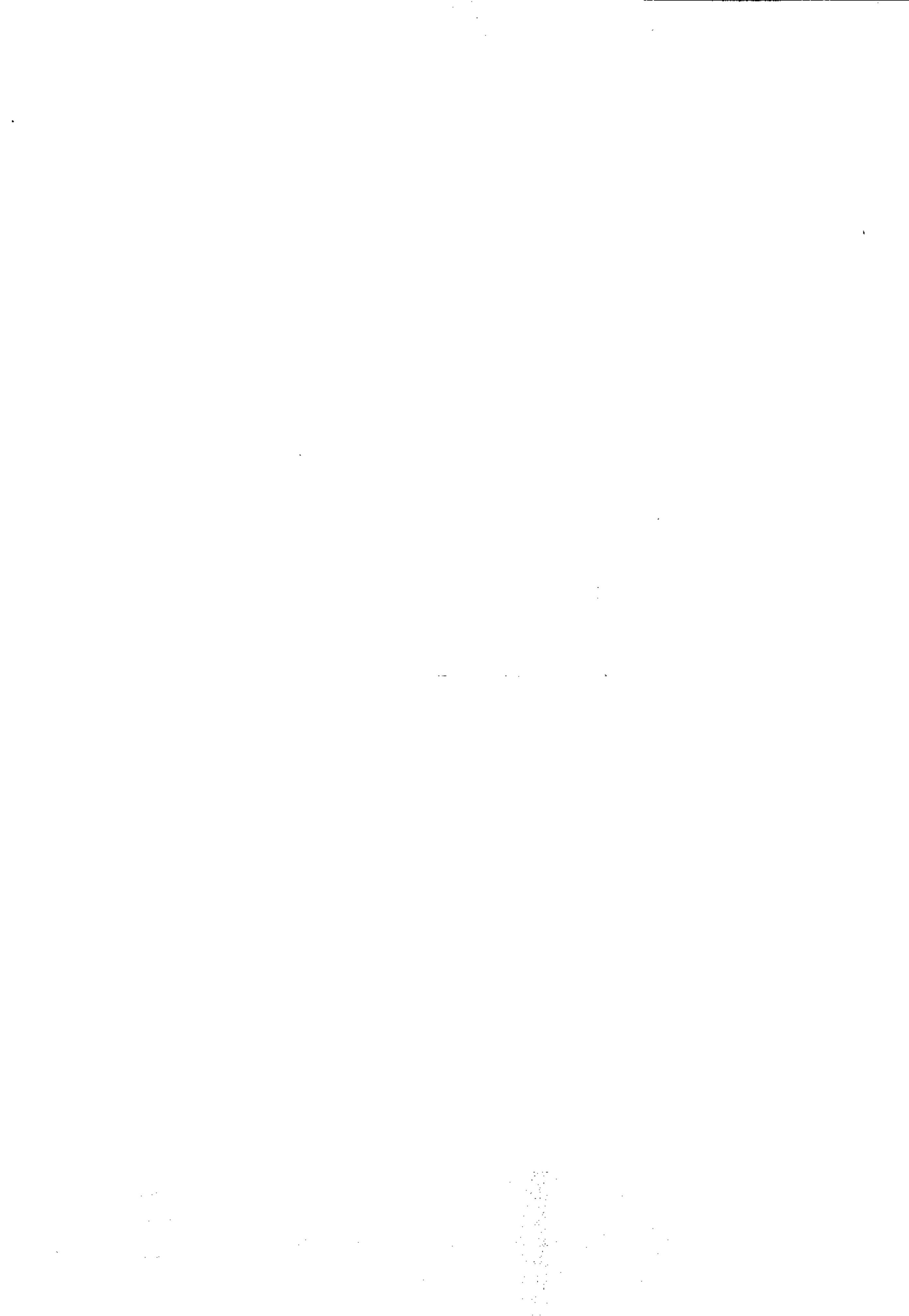
البعث والقطر السوري

# الكتابات السياسية الكاملة

## الجزء الرابع



# الفهرست



## الباب الثاني

## في السلوك الحزبي



## الباب الثالث

## الشعب العربي في معركة التحرر

## الباب الرابع
## الشعب العربي والفئة الحاكمة

## الباب الخامس

## النضال ضد تشويه حركة الثورة العربية

# الباب الاول

# رسالة البعث



# البعث والمعركة الانتخابية الاولى

**أيها الشعب الكريم**[1]

ندخل الانتخابات، لاباسم طائفة، ولا مدينة، ولا مصالح قريبة أو ظروف سياسية عاجلة، بل باسم فلسفة قومية نريد أن تكون افصاحاً صادقاً عن الحياة العربية في حقيقتها الخالدة.

نمثل الروح العربية ضد الشيوعية المادية.

نمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع.

نمثل القومية التامة المعبرة عن حاصل الشخصية ضد القومية اللفظية التي لاتتعدى اللسان ويناقضها مجموع السلوك.

نمثل رسالة العروبة ضد حرفة السياسة.

نمثل الجيل العربي الجديد.

أمتنا اليوم تستيقظ بعد هجوع طويل، وتنهض بعد أنحطاط قرون. كل خطة نضعها وكل أسلوب ننهجه يستهدف أمرين لهما نفس الاهمية: تقدمنا نحو غايتنا، وبناء كل مرحلة من مراحل سيرنا على أساس وطيد حتى نأمن التراجع. لذلك نوفي

---

(١) في انتخابات اعلن عنها في ربيع ١٩٤٣ على اثر اتفاق حصل بين الانكليز والافرنسيين من جهة والكتلة الوطنية من جهة - والشائع في ذلك الحين ان الاتفاق كان بين الانكليز والكتلة الذين ضغطوا على الافرنسيين للتفاهم مع الوطنيين، لتسليم رجال الكتلة الصلاحيات التي كان الافرنسيون يمارسونها. وكان الحل يشترط البدء بأجراء أنتخابات نيابية لينشأ عنها مجلس وحكومة شرعية يحق لها التفاوض بأسم الشعب.

بالنسبة لسوريا كان هذا حدثاً هاماً، ذا وجهين: الوجه الاول محاولة انتزاع السيادة والاستقلال من السلطات المستعمرة، والوجه الثاني الهيئة او الرجال الذين تمّ التفاهم بين الحلفاء على تسليمهم أدوات الحكم وأعتبارهم ممثلي البلاد والشعب.

الاسلوب حقه ولا نقول: ان الغاية تبرر الواسطة. كل خطوة من خطانا نريدها قدوة، ولهذا لانتأخر عن التضحية بالفرص العارضة والنجاح السريع في سبيل المستقبل المضمون.

نحن في دور الممهدين: مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لاتعبيدها، رفع الاشواك لا زرع الرياحين، غرس البذور الخالدة لاقطف الثمار اليانعة، لذلك لن ندخل الحكم عاجلا، وفي صف النضال سنبقى طويلا.

نحن في دور النهضة القومية والبعث العربي وتفتح العقل العربي. نعرف ان العروبة لفظة على اللسان، ونريد ان ندخلها الى أعماق الوجدان. نعرف ان الثقة قد فقدت ونريد أسترجاعها قوية كالجبال. نعرف ان الايمان بقضية الامة العربية تضاءل

---

وكان رجال الكتلة الوطنية قد أستلموا الحكم في عام ١٩٣٦ وظلوا فيه أكثر من سنتين وعقدوا معاهدة مع فرنسا وطبقوا أول تجربة للحكم الوطني أتت فاشلة وملأى بالاخطاء والتخبط، مما ساعد الافرنسيين على نقض عهودهم وألغاء المعاهدة ومظاهر الحكم الوطني الاستقلالي. ففي سنة ١٩٤٣ تذكرّ الشعب والشباب الواعي تجربة ١٩٣٦ ومآسيها، لان نفس الاشخاص عادوا. ولما قرر الحزب، وكان لايزال عبارة عن نواة صغيرة، خوض المعركة للتبشير بالمبادىء كانت مهمته صعبة اذ كان عليه أن يشجع الروح النضالية التحررية عند الشعب ضد الاحتلال الاجنبي ومن أجل أنتزاع حرية البلاد وأستقلالها، ومن جهة اخرى كان عليه أن ينبه الشعب الى الاحتمالات الخطرة التي كان يخبئها له المستقبل ـ أي ان يحذر الشعب من أخطار تكرار تجربة ١٩٣٦ الفاشلة، لان الفريقين، الفريق الوطني والفريق الاجنبي، لم يتبدلا (أي فرنسا وهي لاتزال على عقليتها كما هي، ورجال الكتلة الذين لم يعتبروا بالتجربة)، فكان يلح على النقاط الهامة الاساسية، ويتغاضى عن الاخطاء العادية لرجال الكتلة. اما النقاط التي ألح عليها الحزب وحذر الشعب لئلا تتكرر فهي: أتهام كل معارض بالخيانة، وأخفاء الحقائق عن الشعب أثناء معركة أنتزاع الصلاحيات ومظاهر السيادة من الاجنبي.

هذه هي بعض الاخطاء التي وقعت عام ١٩٣٦ التي لم يوجد في سوريا غير الحزب ليجرؤ على أعلانها على الشعب في المعركة الانتخابية وطرحها كمطالب وشعارات شعبية، كل ذلك دون أن يطعن الحزب في وطنية الكتلة لكي لايضعف موقفها أمام الاجنبي، وفي الوقت نفسه أستغل الحزب مناسبة الانتخابات ليعلن عن مبادئه الاساسية وليتوجه الى الشباب الثوري المتحرر ويهيىء أفكاره لدخول نضال ثوري عربي على أسس جديدة وعلى نطاق أوسع مما كان مألوفا. وفي هذا البيان ذكر للمبادىء البعثية التالية:

١ ـ طرح قضية الامة العربية والقومية العربية وجعل قضية سوريا جزءاً متفرعاً عنها.

٢ ـ تعيين موضع هذه القضية الكبرى سواء من الحركات الاجتماعية العالمية او من القوى الداخلية المؤلفة للمجتمع العربي، والاعلان عن اخلاقية القضية القومية وارتباطها بالسلوك وأعتبار العمل لها رسالة لاحرفة، ووضعها في يد الجيل العربي الجديد، وربط الغاية بالاسلوب، وطرح قضية الثقافة والمذاهب الاجتماعية المستوردة، وقضية الطائفية، وأهم من ذلك قضية الحرية والتعبير الحر عن الرأي. ثم قضية لاتقل عنها أهمية، وهي مشاركة الشعب في العمل القومي والاعتماد عليه. في هذا البيان، ولاول مرة، يذكر شعار الحزب: أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة. كان المرشح الوحيد الاستاذ ميشيل عفلق، وكانت الانتخابات على درجتين.

وضعف، ونريد بعثه حاراً مثيراً يصهر النفوس والعقول والجسوم في قالب شخصية عربية جديدة تحتل مكانتها الضرورية من القيادة العالمية.

ان الفلسفات والثقافات تأتي من الغرب وتغزو عقل العربي وتختلس ولاءه، قبل ان تغتصب أرضه وسماءه. فنريد تعليماً قومياً موحد البرامج يستمد أصوله من خصائص الامة العربية ومن روح ماضيها وحاجات مستقبلها، ويحفظ ولاء النشء للوطن العربي والقضية العربية فلا يشرك بهما وطنا آخر او قضية اخرى.

ونريد ايضا الا تبقى الثقافة غاية في نفسها، بل وسيلة لتقويم الاخلاق وتنشئة مناضلين في سبيل البعث العربي.

ان الفروق الطائفية أبعدت قسماً هاماً من العرب عن روح بلادهم وتقاليدها وجعلتهم شبه غرباء في وطنهم وأضعفت بالنتيجة مساهمتهم في الحركة القومية. فنريد ان تستيقظ في المسيحيين العرب قوميتهم يقظتها التامة فيروا في الاسلام ثقافة قومية لهم، يجب ان يتشبعوا بها ويحبوها، لانه متصل بطبعهم وتاريخهم ولانه الميدان الذي برهن العرب فيه على كفاءتهم في تسامي الروح وخصب الفكر وقوة الاخلاق.

وقبل كل ذلك نعرف ان لابعث للامة العربية ولانهضة لها ولا ارتقاء اذا لم تدب روح الحرية في كل شخص، وتدخل كل عمل. لهذا كانت الحرية غالية علينا بمثابة الحياة، ضرورية لحياتنا ضرورة الغذاء. ان الشعب بحاجة ماسة الى التربية السياسية، اذ هي الكفيلة بأيصاله الى الاستقلال الفعلي، والى المحافظة على هذا الاستقلال. وهي لاتنمو ولا تتأصل في النفوس الا في جو يضمن الحريات العامة. لقد أتخذت الحكومات المفروضة من ظروف الحرب ذريعة، فقيدّت حرية الفكر والنشر والقول أيما تقييد. فعلينا اليوم ان نستردها ونحافظ عليها، حتى يتمثلها الشعب ويعدها أقدس شيء جاء في الدستور.

اننا نهيب بالمنتخِب الثانوي ان يتذكر قبل أدائه واجب الانتخاب، الى أية أمة ينتسب. فالحرية جوهر العروبة، واستقلال الرأي من ابرز صفاتها، والقضية قضية الوطن ومستقبل الاجيال العربية. وهي أجلّ وأخطر من ان تعالج تحت ضغط الهياج والرهبة والمسايرة. اذا كنا نحرص على وحدة صفوف الامة، فاننا نعتبر الوحدة الحقيقة

في وحدة العقول والقلوب والارادات، ونفرق بين الطاعة الواعية والاستسلام، ونريد ان يكون كل شخص مسؤولا عن كل عمل. فالامة الحرة لاتتألف الا من أفراد احرار.

ان استفحال الامراض التي تفتك بالامة، وعمق الآلام التي تحز في جسمها لم تعد تنجع فيهما حيلة السياسيين، مهما كانوا اذكياء بارعين، ولا بد لها من مناضلين مؤمنين يستمدون روح نضالهم وأسلوبه من روح أمتهم وأخلاقها.

أما السياسة التي سادت حتى اليوم فانها، بأنحراف خططها وضعف عقيدتها وخطأ تفكيرها وسطحية تنظيمها، كفيلة بهدم دولة قوية، فكيف بأمة محكومة ما تزال في بدء استيقاظها. فنحن بتمردنا على هذه السياسة نعرف اننا نفصح عن ألم أكثرية الشعب، **وبدعوتنا الى اسلوب جديد يقوم على الايمان العميق والفكر الواضح والتنظيم الحي، نعرف اننا نلبي أمنية مجموع الشعب ونحقق ارادته العميقة.**

عملنا عمل نضالي طويل يستهدف المستقبل البعيد، لذلك نعنى بالحاضر أشد العناية، تمهيداً لذلك المستقبل. فالمسائل السياسية التي تعرض اليوم من خارجية وداخلية، **وخاصة ما يتعلق بتحقيق الوحدة بين الاقطار العربية،** كل هذا نهتم به ونقدر خطورته، ونقيسه بمقياس فكرتنا الاساسية: **امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة.**

**أيها الشعب الكريم**

**أيها المنتخب الثانوي**[1]

اليوم يتقدم اليك واحد من ابنائك يطلب منك الثقة لامكافأة على اعماله الماضية بل لتكون مساعداً له على متابعة عمله وإكمال خدمته في ميدان العمل العام. انه منك، من ارضك وروحك وتقاليدك. أسأل عنه أولادك وأصحابك وجيرانك، وقارن بين الذين يطمئنون اليه ويؤيدونه والذين يحذرونه ويحاربونه، من أخلاق مؤيديه تعرف أخلاقه ومن سيرة أعدائه ومبادئهم تعرف ايضا سيرته ومبادئه.

يتقدم اليك اليوم واحد من ابنائك الذين عاشوا عيشك وتألموا ألمك فدفعهم الالم الى الامل والعمل، ورفعهم فوق فساد الحاضر ليكونوا بناة المستقبل.

---

(١) كانت الانتخابات كما أشرنا على درجتين. و(المنتخب الثانوي) يعني منتخب المرحلة الثانية.

انه يدخل معركة الانتخابات ضد منافسين أغنياء ووزراء وسياسيين دهاة، تدعمهم ثروات طائلة ونفوذ مكتسب وعصبية طائفية ومصالح متعددة عاجلة وآجلة. وبالرغم من كل ذلك لم يعدم مناصرين متحمسين، وأصدقاء أوفياء، أعرضوا عن كل مغريات الطرف الآخر، لانهم عرفوه وأرتاحوا اليه ووجدوا فيه مفصحا عن آلامهم ومحققا لبعض آمال أمتهم.

ان له انصاراً اوفياء، ولكن له ايضا اعداء الدّاء، لان الفكرة القوية الصحيحة من شأنها خلق العداء، ولكن حتى الاعداء أنفسهم لايستطيعون ان يتهموه بأنه مدّ في يوم الى الاجنبي يداً او ساير ارباب الحكم والظلم، او سكت عن الحق، او سعى وراء النفع، او فتر في حبه لأمته، او داخله الشك في نبلها ومؤهلاتها.

**أيها الشعب الكريم**

**أيها المنتخب الثانوي**

ان المنطق السليم لم ينعدم كله. وان ميول الخير وأرادة الحق لم تنضب كلها من النفوس، وأن الضمير العربي ما زال حيا يستيقظ في الساعة الحاسمة. **فكر وأنصف.**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ٢٤ تموز ١٩٤٣**

# حَزب البَعث العَربي

## يطلب الترخيص له رسميًا بممارسة نشاطه السياسي

كان الحزب سنة ١٩٤٥ قد انطلق، ولم يعد أحد يشك في وجوده وفي تقبل الشعب له، وان كانت الاكثرية الساحقة من اعضائه لاتزال من الطلاب الثانويين او الجامعيين. وكانت المناسبات التي وقعت في سنة ١٩٤٥ متلاحقة (توقيف صلاح البيطار ومحاكمته ونفيه وما كان يتخلل ذلك من اصدار بيانات والقيام بمظاهرات ضخمة، ثم التصدي للشيوعيين ولاساءاتهم وتحديهم لمهرجان العامل العربي، واخيرا تشكيل فرق للجهاد الوطني وقيام هذه الفرق مع قيادة الحزب بزيارة الاحياء الشعبية في ايام الخطر والتوتر)، بشكل ان الحزب تغلغل في الوسط الشعبي واصبح معروفا ومواقفه معروفة ومحترمة. صحيح ان معظم قوته وعدده في ذلك الوقت كان لايزال في دمشق، ولكن الفروع كانت ايضا آخذة بالتشكل في المدن والمناطق كحمص واللاذقية وحلب. (اصبح عدد اعضاء الحزب في هذا الوقت يقدر بالمئات).

كانت القيادة العليا في ذلك الوقت تتألف في اول الامر من الاستاذ ميشيل عفلق والاستاذ صلاح البيطار، ثم ادخل اليها الدكتور مدحة البيطار، وبعد هذا التاريخ بقليل ادخل ايضا جلال السيد.

وبضوء تنامي حجم الحزب التنظيمي وتصاعد دوره النضالي، قدم الحزب كتاباً الى وزارة الداخلية في العاشر من تموز عام ١٩٤٥ يطلب فيه الترخيص له بالعمل.. وقد رفضت الوزارة هذا الطلب.

وفي عام ١٩٤٦ آي بعد سنة تقريباً من تاريخ تقديم طلب الترخيص الاول،

اعلنت الحكومة انها تسمح بتأليف الاحزاب، فتقدم الحزب بطلب آخر للترخيص له بممارسة نشاطه السياسي، ولكن الحكومة لم تجبه بشيء. وفي الثاني من حزيران ١٩٤٧ أعاد الحزب تقديم طلب آخر لوزارة الداخلية لنفس الغرض.

وفيما يلي نص الطلبين اللذين تقدم بهما الحزب الى وزارة الداخلية في ١٠/٧/١٩٤٥ و٢/٦/١٩٤٧.

* * *

الى وزارة الداخلية:

ان ما حاق بسوريا من شرور وآثام منذ الحرب العالمية وطيلة ربع قرن، وما حل بعرب سوريا من تنكيل واضطهاد على يد مستعمر باغ هدف منذ يوم احتلاله الى إبادة العرب، وقتل الروح العربية وإذلال الامة العربية، قد بعث من بين الآلام والشجون، وفي كل بقعة من سوريا، رجالا صادقين في عروبتهم، مؤمنين بقدر امتهم حاملين لرسالتها فرحين بما يتحملون من مشقة وعناء في سبيل رفع شأنها واعلاء كلمتها.

ولقد اتاحت ظروف مختلفة لتلاقي بعض هؤلاء الرجال وتآلف قلوبهم على حب أمتهم وتوحيد كلمتهم وجهودهم في سبيل بعثها والنهوض بها. وكان من نتيجة تمثلهم لروح أمتهم ووعيهم لحاجاتها العميقة، ومن نتيجة مساهمتهم في العمل القومي خلال اكثر من عشر سنوات، ما جعلهم يمشون في طريق شقوها بأيديهم وعقولهم بعيدة كل البعد عن الطرق السياسية السهلة التي مشت فيها الحركات الوطنية في بلادنا.

هكذا نشأت حركة البعث العربي منذ عدة سنوات، ومضت دون كلل تبشر بفكرتها وتدعو الشباب في جميع الاقطار العربية الى اعتناقها وتنفيذ تعاليمها. وقد وصلت اليوم الى نقطة تستطيع معها ان تخطو بقوة واطمئنان الخطوة الانشائية التنظيمية، وتنقلب حزبا قويا يصب فيه كل عربي مؤمن ما عنده من خير وعروبة في سبيل بعث أمته، وبصورة تأتي معها النتائج متناسبة مع ما يصرف في سبيلها من مجهود.

ونحن اذ نتقدم الى الحكومة ونعلمها بتأليف حزبنا القائم على مبادىء قومية وافراد تتمثل فيهم هذه المبادىء، لانجهل وجود نزعة سائدة عند بعض رجال الحكم لاعاقة

قيام الهيئات والاحزاب السياسية التي لايقوم من دونها حكم دستوري صحيح ، ولكننا نأمل ان تسيطر الروح الدستورية على النزعة الشخصية في مثل هذه الشؤون القومية، وان يقابل طلبنا هذا بما يستحق من تقدير وترحيب وبعد نظر، فيرخص لحزبنا بأداء مهمته في جميع المناطق السورية وفي مختلف نواحي نشاطه.

وعملا بأحكام المادة السادسة من قانون الجمعيات نرفع هذا البيان مع نسختين من مبادىء الحزب ونظامه مع اسماء هيئته التنفيذية وعنوان مقره الموقت.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

**الهيئة المركزية التنفيذية**

**ميشيل عفلق، صلاح الدين البيطار، مدحة البيطار**

**دمشق في ١٠ تموز ١٩٤٥**

الى وزير الداخلية المحترم:

منذ سنين ونحن نلاحظ خطأ الاسلوب المتبع وانحرافه في معالجة مشاكل المجتمع العربي: فمن جهة يلاحظ ابتعاد الحركة القومية عن الشعب مما ادى الى فتور النضال وضعفه ودخول الاستغلال والانتهازية فيه، ومن جهة ثانية شاهدنا خلو الحركة القومية من كل ما هو ايجابي يقويها وينظمها من ناحية الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والفكرية. ومن جهة ثالثة لاحظنا تفكك الحركة القومية وترديها في نطاق العمل الاقليمي الضيق.

كل هذا اشعرنا بان على العرب ان يوقفوا هذا التدهور بنتيجة تحول عنيف واستجماع للارادة ووعي لامكانياتهم الكامنة فيسيروا في طريق جديد صاعد يستمد قيمه واحكامه وغايته من الخلق العربي الأصيل ومبادىء الرسالة العربية المتعالية على الواقع ونسبية احكامه، وبالتالي كل هذا اشعرنا بالحاجة الماسة الى عمل عربي جديد تكون مميزاته:

١ ـ الصفة الشعبية الحرة في القيادة والتنظيم.

٢ ـ النظرة القومية الايجابية الشاملة لجميع نواحي الحياة العربية يكون أبرز ما فيها الاشتراكية في الناحية الاقتصادية.

٣ ـ الفكرة العربية الواحدة التي ينتج عنها عمل عربي واحد.

ولما كان هذا العمل يقتضي بالضرورة وجود منظمة سياسية تعمل على تحقيق هذه الاهداف، فقد أسسنا عام ١٩٤٠ نواة حزب البعث العربي. وباشرنا التنظيم العلني الواسع عام ١٩٤٣.

ان حزب البعث العربي جاد منذ نشوئه في ابراز الفكرة العربية وتحديدها وتوضيحها وبيان الاهداف والغايات التي تقوم عليها نهضة العرب الجديدة. وقد كان لمواقفه العملية المتكررة أثر لا ينكر في محاربة الاستعمار وتثبيت دعائم الحرية والتمسك بالنظام الجمهوري وتقويته لانه النظام الاصلح لممارسة الشعب حقوقه،

وتكوين رأي عام عربي قائم على تقديس الفكر ومحاربة الخرافة والجهل والتدجيل والطغيان والاستثمار وهو يواصل نضاله في سبيل بناء مستقبل خليق بماضي العرب المجيد وبحاضر الامم الراقية.

وكنا تقدمنا في مناسبتين مختلفتين الى الحكومات السابقة طالبين اعطاء حزبنا ترخيصاً يسمح له بممارسة نشاطه الحزبي فلم نحظ بجواب. الا ان هذه السياسة التعسفية التي انتهجتها الحكومات السابقة باعتدائها على الحريات العامة لم تمنعنا من المضي في تنظيمنا الحزبي واداء رسالتنا القومية.

ولما كان حق تأليف الاحزاب حقاً طبيعياً كفله الدستور وليس لاي سلطة ان تنتقصه وتضع العوائق في وجهه وتمنع الافراد من ممارسته.

وكان ليس من الحكمة ان تكون الاحزاب قائمة وموجودة بالفعل وتمتنع الحكومة عن الاعتراف بها بشكل رسمي، وكان استمرار هذا الوضع مما يضر بالمصلحة العامة.

وحيث ان الحكومة الحالية اعلنت استعدادها بالترخيص للاحزاب. لذلك فقد تقدمنا بطلبنا هذا، مرفقاً بدستور الحزب، ونظامه الداخلي مجددين طلبنا السابق.

وأقبلوا فائق احترامنا

**عميد حزب «البعث العربي»**
**ميشيل عفلق**
**دمشق في ٢ حزيران ١٩٤٧**

# الدافع التاريخي لتأسيس البعث

القى مندوب «النضال» الخاص على الاستاذ ميشيل عفلق الاسئلة التالية:[1]

١ ـ ما الذي دفعكم لتأسيس حزب البعث العربي؟

٢ ـ ما هي الخطوط الاساسية في برنامج الحزب ومبادئه؟

٣ ـ الى اي مدى استطاع الحزب تحقيق بعض هذه المبادىء؟

٤ ـ ما رأي الحزب في الموقف الحاضر، وما موقفه من الاحزاب؟

فأجاب عليها بما يلي:

١ ـ الدافع هو شعورنا بالضرورة التاريخية، فالمجتمع العربي يقف اليوم على مفترق الطرق. وهو اما ان يستمر في الطريق الذي يسيّره فيه قادة السياسة الحاضرة، الذين يرضون بالواقع الفاسد فيستكثرون على البلاد هذا التقدم الضئيل وهذه النتائج الطفيفة التي أنتهت اليها سياستهم في أربعين سنة، ويحكمون هكذا على الامة بأن تبقى متأخرة مهملة الوزن في العالم، واما ان يوقف العرب هذا التدهور بنتيجة تحول عنيف، وأستجماع للارادة، ووعي الامكانيات الحقيقية الكامنة، فيسيروا في طريق جديد صاعد، يستمد قيمه وأحكامه وغايته من خصال العربي الاصيل، ومبادىء الرسالة العربية المتعالية على الواقع ونسبية أحكامه.

هذا الطريق الجديد يقتضي ظهور قيادة جديدة تمثل جوهر الشعب لا ظاهره، ومستقبله لا حاضره.

---

(١) تصريح لجريدة «النضال» الدمشقية في ١٦ أيلول ١٩٤٥ حول مبادىء الحزب وبرنامجه ومواقفه.

اننا نؤمن بنبل شعبنا وطيب عنصره وغنى مؤهلاته، وبأنه قادر على تحقيق نهضة عربية جديدة تكون مثالا في الخلق الكريم والحيوية الدافقة والتقدم السليم اذا تولت امره قيادة صالحة تكسب ثقته وحبه وأحترامه، وتبعث فيه حماسته الدفينة ومواهبه الراقدة. ونحن لذلك نحمّل تبعات الفساد الحاضر للفئات التي كانت للشعب أسوأ قدوة، ولايمانه ومواهبه وأخلاقه عامل إضعاف وتهديم.

وبهذا المعنى يكون حزبنا حزب الجيل العربي الجديد، الزاخر بالامل والنشاط، والمتطلع الى مستقبل خليق بماضي أمته المجيد، وبحاضر الامم القوية الراقية، والذي يريد ان تكون السياسة العربية رسالة لا حرفة.

٢ ـ لقد أخرجنا الفكرة العربية من التجريد ووضعناها في إطارها الحي، لذلك سمينا حزبنا «البعث العربي»، لا البعث القومي.

وهكذا ضمنا لهذه الفكرة تطوراً وتجدداً لاحد لهما. ولكن وقيناها من ان تكون مقراً لتباين النظريات ومتناقض الاتجاهات وكل ما هو مصطنع مستعار، فالشخصية العربية أساس البعث العربي، والايمان برسالة خالدة للعرب هو الدافع العميق لكل بعث.

أما التعبير الاجتماعي لهذا الاتجاه فقد كتبنا، قديما، «نمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع».

وأما التعبير الاقتصادي، فهو كما جاء في المبادىء «الاشتراكية العربية تستمد من روح الامة العربية وحاجاتها العميقة وأخلاقها الاصيلة، وتزود أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب العربي بكل الوسائل والفرص ليستطيعوا تحقيق عروبتهم على أكمل صورة».

والتعبير السياسي «قادة الشعب العربي هم الذين تتمثل فيهم عبقريته وفضائله ويخرجون من صفوفه، لا من الطبقة المستغِلة التي اختلطت بالاجانب وطغت عليها المصلحة الشخصية».

والتعبير العملي «تحقيق انقلاب شامل للحياة العربية الحديثة في الروح والفكر والخلق والاوضاع الاجتماعية، وذلك بتنظيم صف نضالي يلتزم خطة المعارضة للواقع

الفاسد» .

ومما يميز نظرية البعث العربي انها لم تفرق بين الفكرة والاسلوب ، او بين الغاية والوسيلة . فالفكر والغايات عامة مشاعة ، يستطيع اي فرد او اي حزب ان يدّعيها ، ولكن الضامن الوحيد لهذا الادعاء هو ان تكون الوسائل والاساليب مشتقة من صلب الفكرة مع الغاية . فأشتراطنا ان تكون القيادة القومية من طبقة الشعب ومن غير الدخلاء والشعوبيين ، وان تكون الحركة القومية شعبية أشتراكية ، تفرض على العاملين فيها المساهمة بقدر معلوم من المال متناسب مع ثروتهم وأيرادهم ، وان يبرهن العاملون في هذه الحركة على صدق أعتناقهم لفكرة الانقلاب بألتزام خطة المعارضة والابتعاد عن الحكم زمنا طويلا . كل ذلك ينقذ الحركة القومية من ان تتلاعب بها مختلف الايدي ويتبناها أقل الناس تلاؤما معها وأخلاصا لها ، فتحدد هكذا تحديداً يبعد عنها الدخلاء والمستغلين والضعفاء والعجولين ، ويحصرها بأهلها والذين هيئوا بحكم تربيتهم وشروطهم الاجتماعية والاقتصادية للنضال ، وبلغوا من الوعي درجة تؤهلهم لفهم ضرورة الانقلاب ، والعمل الصادق المستمر في سبيله .

٣ ـ نعتقد اننا نجحنا الى حد بعيد في ابراز الفكرة العربية وتحديدها وتوضيحها حتى اصبحت ايمانا عميقا في نفوس الكثيرين من شباب الجيل الجديد . كما ان لنشرات الحزب ومواقفه العملية المتكررة اثراً لاينكر في تكوين رأي عام عربي قائم على تقديس الفكر ومحاربة السحر والجهل والتدجيل والطغيان . وحزبنا العصامي الناشىء لانرضى له نمواً سريعا مصطنعا بل نمواً حياً طبيعياً ليستطيع الصمود أمام مختلف الظروف .

٤ ـ لقد أعلنا رأينا في الوقت الحاضر في بياننا الاخير الذي صادرته الحكومة ، وقد قلنا ان الحل الوحيد هو تطبيق الحكم الدستوري الصحيح ، مع العلم بأن هذا المطلب ليس امراً سهلا يتحقق بمجرد الرغبة والوعود بل يقتضي من الشعب مقاومة أيجابية منظمة تجبر الفئة الحاكمة على الاذعان للدستور .

أما موقفنا من الاحزاب . فنحن لا نرفض فكرة التعاون معها ، ولكننا نقيدها

بجملة تحفظات وشروط تجعل مجال تطبيقها محصوراً في نطاق بعض الاحزاب دون البعضْ الآخر، ومقتصراً على بعض الحالات العامة التي يكون فيها التعاون ضرورة قومية. وتفصيل ذلك اننا نخرج من نطاق التعاون الاحزاب التي تقوم في أساس تشكيلها على أرتباط أجنبي وعلى فكرة مخالفة للقومية العربية.

اما الاحزاب الاخرى فاننا نحكم عليها بمقياس حكمنا على الدور الحاضر. فمن المعروف اننا معارضون لهذا الدور منذ ابتدائه. اذن فلا نقبل بالتعاون مع الاحزاب التي تماثل المجموعة القائمة على هذا الدور او تفوقها في التهاون بالمبادىء والاهداف الوطنية، وفي سياسة الانتفاع. ونحن نرمي من وراء هذا الموقف الى غايتين: الاولى هي الارتفاع بالتربية القومية بالترفع عن سياسة الاحقاد الشخصية والتنافس على الجاه والمنافع الذي يبلغ حد التضحية بالمصلحة القومية والاستعانة بالاجنبي على الخصوم من ابناء الوطن، والثانية هي أيجاد الوسيلة الصحيحة لانقاذ البلاد من محترفي السياسة الذين يتلاعبون بمصالح الوطن. وفي اعتقادنا ان الكذب لايحارب بالكذب، والنفعية بنفعية مثلها، والوطنية الضعيفة بالخيانة او ما يشبهها، ويؤسفنا ان نرى كثيرين لايزالون يتجاهلون هذه الحقيقة او يقصرون عن ادراكها.

١٦ ايلول ١٩٤٥

# بذور البعث

لقد حيل بين «البعث العربي» وبين حقه في اصدار صحيفة تنطق بأسمه، مدة ثلاث سنوات كاملة. وهاهو اليوم يصدر صحيفة «البعث» بعد أن اصرت الحكومة على ان لاتسمى «البعث العربي»[1].

وقد يتوقع اكثر الناس من هذه الصحيفة ان تبهرهم منذ العدد الاول. ولكن الحركة التي تريد «البعث» ان تكون لسانها، ما فتئت منذ نشأتها تحارب عند الناس ميلهم الى التأثرات الآنية وسرعة تصديقهم للسحرة وصانعي المعجزات. وان يكن لحركة «البعث العربي» صفة مميزة تحرص عليها، فهي انها لاتطمئن الى المفاجآت، ولا تثق بالنجاح السهل، وانها تريد ـ وهذه هي غاية الصحيفة ايضاً ـ ان تكون حركة حية تمد في الارض جذوراً عميقة راسخة تكفل لها البقاء والثبات والنمو الطبيعي.

اذن فلن نأتي الناس بمعجزة، لاننا كنا عارفين، منذ بدء عملنا، ان المعجزة في مثل وضع الامة العربية، هي ان تنشأ بين العديد من الحركات المصطنعة حركة طبيعية، تنقلب عملاً صادقاً للصمود في وجه شتى الاعمال البرّاقة الزائفة.

لابد ان يقتنع الناس اخيراً بأن بعث الامة هو امر اكثر جدية مما يظن، وانه لاغنى له عن جميع الشروط التي تقتضيها قوانين الحياة لنجاح حركة أصيلة. فلا بد من زمن كاف لنشدان الفكرة التي يقوم عليها البعث نشداناً دؤوباً عميقاً صبوراً، اذ انها

(١) ظهر تحت اسم الجريدة «البعث» شعار الحزب «امة عربية واحدة ـ ذات رسالة خالدة». وكان المدير المسؤول صلاح الدين البيطار والمدير السياسي ميشيل عفلق. كما ذكر في صفحة داخلية انها جريدة يومية سياسية، وانها لسان حركة البعث العربي.

بالضرورة فكرة جديدة غير مألوفة، غامضة تحتاج الى التوضيح، بعيدة لاتُنال بيسر وسهولة. ولا بد من وقت كاف يحصل فيه الالتقاء والارتباط بين الفكرة واشخاصها، يهتدي فيه هؤلاء اليها من خلال التجارب والآلام والوعي المتزايد لارادتهم الصميمة، ويكون هذا الاهتداء الذي هو أرتقاء بسيط عسير، مميزاً وضامناً لصدق الفكرة وصلاح اشخاصها لها.

لو كان اصلاح حالنا سهل التحقيق لما كنا بحاجة الى اصلاح، ولو كانت كثرة الناس قابلة لأن تفهم الحق بسهولة وتعمل به، لما كانت بحاجة الى من يدعوها اليه، ولو كان الاشخاص المستسلمون للواقع، السعداء به، المنتفعون منه، صالحين لحمل لواء الثورة عليه، لما حصل في تاريخ البشر ثورات، ولما كان للبشر تاريخ.

فخير لنا وللقراء اذن، في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعوات والادعاءآت، ان نتجنب كل ما هو باهر مفاجىء، وان نأخذهم بما اخذنا به انفسنا من إعراض عن الزخرف وابتعاد عن التكلف، فنقول لهم كلمتنا قولاً طبيعياً بسيطاً. نعلم ان الناس قد ملوّا الكلام، ومن حقهم ان يملوّه. ولكنهم غير محقين اذ يحسبون اننا لم نعد بحاجة الى الكلام على كل انواعه، وان الاعمال ممكنة ومجدية دون كلام يسبقها ويخلقها، فالواقع ان الامة ما زالت تنتظر الذين يخاطبونها بصدق وبساطة، وثقة ومحبة. وما نحسب الذين يصانعونها ويخادعونها، مستكثرين عليها قول الحقيقة، الا انهم في آخر الامرلايخدعون^الا^ انفسهم. فالامة في ظمأ شديد، وبها استعداد عميق لتقبل الكلمة الصادقة، مهما كلفها ذلك من جهد لفهمها، وألم لتحملها. انها بحاجة الى الكلمة التي تصدر عن الحب، فترتفع فوق الجُبن والطمع، والمسايرة والاستهتار، الكلمة التي لايزيدها الزمن الا نماء وقوة، والنور الا نصوعاً وحقيقة، لا التي تعيش بفضل الجهل والظلام والعزلة عن العالم، الكلمة الطيبة التي هي كالشجرة الطيبة، اصلها ثابت وفرعها في السماء.

والكلمة الطيبة لا ترضي كل الناس، بل مهمتها ان تقسم الناس الى شطرين تفصل بينهما حدود حاسمة. ولئن كان في مخاصمة قسم من الناس خسارة ظاهرة، وصعوبات ومتاعب، فما ذلك الا الثمن العادل لكسب الانصار الحقيقيين، الذين

يقفون حياتهم على خدمة الفكرة، لأنهم يرون فيها معنى حياتهم.

اما الكلمات الخبيثة، اعني الحركات المجتثة الجذور، او ذات الجذور الميتة، فلا تريد ان تغضب احداً، انها تعجز عن فهم قوة الروح، فلا يهمها الا العدد وتفقد الشعور بالقدر الاصيل، والمهمة الجدية، فهي ابداً سجينة للحاضر الزائل، والربح العاجل، تبدل كل يوم زياً. ولكن ماذا يفيد الانسان ان يربح العالم اذا خسر نفسه.

اننا نحن ايضاً نريد ان نربح كل الناس، وان تعم فكرتنا جميع افراد امتنا. ولكننا نعرف ان ذلك لن يكون الآن، ولن يتم بغير مشقة. اننا نتطلع الى المستقبل ونعمل له، ومن اجل ذلك نضحي بالحاضر ونظفر عليه. نهمل رأي الناس لكي نكوّن لهم رأياً، ولا نبالي اليوم كم عددهم، لكي يتحول هذا العدد اللفظي في غد الى حقيقة. اننا نتحمل عزلة الشتاء في سبيل فرحة الربيع. ومن اجل ان تأتي الغلال وافرة غنية، قبلنا بأن نكون بذرة في بطن الارض منسية. همنا الآن ان نُجعل أصل الشجرة ثابتاً.

ميشيل عفلق

٣ تموز ١٩٤٦

# مبرر نشوء البعث

اذا كانت البرامج [1] هي أهم ما يصف الاحزاب ويعرّفها، فثمة شيء آخر قلما يعيره الناس أهتماما مع انه لايقل عن البرامج قيمة وأهمية هو: الحالة النفسية التي يصدر عنها الحزب.

لقد نشأ حزب «البعث العربي» في وقت وظروف كانت فيها ثقة الامة بأفرادها وقادتها قد تزعزعت وأوشكت ان تنهار، فالقيادة القديمة التي أولاها الشعب ثقته في بدء مرحلة النضال السلبي عجزت عن مجاراة الشعب في نضاله وأخذت تساوم الاجنبي على أنهاء هذا النضال وأفتتحت عهد السياسة الايجابية قبل الاوان واستطاعت ان تقيم الدليل بأقصر مدة ممكنة على نفعيتها وأنتهازيتها وضعف كفاءتها.

لقد خيبت القيادة القديمة أمل الشعب فيها في نواح رئيسية ثلاث: فهي تراجعت عن أمنية الشعب العربي في الوحدة العربية الكبرى وكادت تنحصر في نطاق العمل القطري، وهي قد نفضت يدها من العمل الشعبي النضالي واستسلمت لوعود الاجنبي ومغريات الحكم، وهي أخيراً قد أظهرت في حكمها من ضروب الفوضى والفساد ومن أساليب الاستئثار والاستثمار ما هوى بالحركة العربية من سماء الرسالة الى حضيض الحرفة والتجارة.

تلك هي الحالة النفسية التي كانت تسود الشعب والتي أستدعت ظهور تصحيح لها فكان حزب «البعث العربي». ونعتقد ان عكس هذه الحالة هو الذي كان سائداً عند ظهور الحركة الوطنية القديمة وتشكل حزب الكتلة.

---

(١) كلمة الاستاذ ميشيل عفلق في حفلة البعث الانتخابية. نشرت في جريدة «البعث»، العدد ٢٠٠ و٢٠١.

كانت الامة اذ ذاك ضعيفة الثقة بنفسها لذلك منحت ثقتها سهلة رخيصة لأي فرد كان يتقدم لخدمتها ويدّعي تمثيل ارادتها والقدرة على تحقيق هذه الارادة. كان أهم شيء في نظر الشعب في تلك الاوقات هو ان يصمد لوطأة الاستعمار ويبقي على حياته ووجوده، غير مبال بالشكل الذي يمكن ان تتخذه تلك الحياة، وبالمعنى الذي يتضمنه ذلك الوجود، لقد كانت المسألة مسألة بقاء او فناء.

ولكن بعد أن قطع الشعب العربي أشواطا في الجهاد والنضال أعادت له شعوره بعِظم أهدافه ومراميه وحقيقة وجوده العربي الاصيل، فلم تعد المشكلة بالنسبة اليه مجرد البقاء والحياة، بل الحياة العربية البناءة الصادقة.

هكذا أدت به المقارنة بين آماله الواسعة وأمكانياته الغنيّة وبين عجز القيادة القديمة وتقصيرها الى نزع الثقة من كل من يتصدى للقيادة، والى التشكيك في مقاصد كل من ينبري للعمل العام.

في تلك المرحلة الجديدة من تاريخنا الحديث، كاد عجز القيادة الوطنية ان يسلم افراد الامة لليأس وما يجره اليأس من جمود او انحراف. لقد وجدت الدعوات الضارة والحركات الشعوبية مرتعاً خصيباً لعملها وافسادها، وأوجدت عذراً وذريعة لكل من أغراهم اليأس بالفرار من تحمل مسؤولية امتهم فراحوا يلوذون بأحلام عقيمة مستحيلة تخرجهم من دائرة قوميتهم وشخصية أمتهم وتاريخها، او يؤثرون التقلص والانكماش في نطاق قوميات صغيرة مصطنعة، كل ذلك بدافع الفرار من مجابهة الواقع وواجب معالجته المعالجة الصحيحة الناجعة.

وقد كان الواجب ان توجد الفكرة التي ترتفع الى مستوى استعداد الشعب العربي للنضال، وتتسع لكل ما يتمخض عنه هذا الشعب من قوى الانشاء والابداع.

سيذكر الشعب العربي «للبعث العربي» انه وجد في الوقت المناسب والظرف العصيب ليرجع بأسلوبه النضالي المثالي الى الامة ثقتها بنفسها وبأفرادها، وليتسع بفكرته الانقلابية الايجابية الشاملة لكل ما يلبّي حاجاتها دون ما رجعة او انحراف، دون ما جمود او جحود.

ولكن «البعث العربي» ما برح يذكر وهو لن ينسى ابداً ان وجوده كله مستمد من

الشعب العربي وانه لافضل لرجاله وافراده في تكوين الفكرة وتنظيم الحركة، لانهم لم يكونوا سوى مفصحين عن حاجة عميقة في الشعب، وناقلين صادقين لرغبته التي لايفخرون بغير السبق الى تلمسها وتلبية ندائها.

**أيها الاخوان**

حدثكم الخطباء عن الانتخابات وهي حديث هذه الايام وقالوا ان الشعب ينتظر ان تكون نتيجة الانتخابات انهاء لفلسفة عقيمة مشؤومة، انهاء لعهد اسود، انهاء لصورة كاذبة اراد القائمون على الحكم في سوريا وفي باقي الاقطار العربية ان يظهروها كأنها الصورة الحقيقية لأمتنا الكريمة الابية.

والواقع هو ان في البلاد العربية اليوم اتجاهين يحمل كل منهما عن المجتمع العربي صورة جد مختلفة عن الصورة الاخرى، وعلى الشعب اليوم عندما يقوم بممارسة حقه في الانتخاب ان يختار بينهما: مجتمع سادة وعبيد، يحكم فيه الشعب بالضغط والخوف والتلاعب والكذب في سبيل حصر الجاه والثروة بين ايدي عدد قليل من محتكري النفوذ ومحترفي السياسة ويكون فيه طريق العمل والتقدم مفتوحا ومعبدا امام المواطنين بقدر ما يظهرونه من خضوع وممالأة للحاكمين ومن استخذاء امام جورهم وسكوت على مؤامراتهم وفضائحهم وتسابق في خدمتهم وتنفيذ اغراضهم. تلك هي الصورة التي تسعى الفئة الحاكمة الى فرضها وتحقيقها.

اما الصورة الثانية فهي التي تنبعث عن ارادة الشعب وتتجاوب مع اعمق حاجاته ومشاعره وخصائصه والتي تجد اقوى واصدق تعبير لها في افكار الجيل العربي الجديد وحركاته، فهي صورة مجتمع يكون الشعب فيه مالكاً لمقدراته ممثلا برجال ينبثقون من اعماقه ويتحسسون بآماله وآلامه، ويدركون ادراكاً عفوياً فقره وجهله ومرضه، ويشعرون بمسؤوليتهم الخطيرة حياله ويمثلون عبقريته الكامنة ونبوغه المكبوت.

مجتمع ينافس ماضيه ويطمح الى استباقه، وينقلب على حاضره، ويحشد كل قواه وامكانياته في سبيل مستقبله. مجتمع تعلو فيه ارادة الشعب على كل ارادة او سلطة او حكومة او زعامة.

هذا ما يريده الجيل العربي الجديد، وذاك ما تريده الفئة الحاكمة، من اقطاعيي

البلاد ومحترفي السياسة فيها.

ومن هنا تظهر الخطورة الكبرى التي تحملها ـ في نظرنا ونظر الشعب ـ مرحلة الانتخابات القائمة حاليا، لان على نتائجها سيترتب انتصار احدى الارادتين: ارادة الفئة الحاكمة او ارادة الجيل العربي الجديد.

فالشعب العربي وفي طليعته الجيل العربي الجديد يدرك تماما الآن ان سوريا التي سبقت غيرها من الاقطار العربية في التحرر النهائي من الاجنبي تتحمل اليوم مسؤوليتين خطيرتين تجاه نفسها وتجاه الامة العربية كلها. فهي مسؤولة اولا عن تقديم البرهان القاطع على ان الاستقلال انما يعني الجدارة والكفاءة لفهم الحرية المنسجمة مع الواجبات القومية، وفهم الحكم الدستوري الاستقلالي وتحقيق الانقلاب على كل ما خلفته عهود الاستعمار والظلام من فساد الانظمة الاجتماعية، وتقييد لقوى الشعب المبدعة، وتشويه لقيم العروبة الرفيعة التي كانت دوما مؤتلفة ومترادفة مع فكرة الحق والحرية والعدالة.

والمسؤولية الثانية التي تترتب على سوريا في العهد الاستقلالي العتيد هي مسؤولياتها تجاه الاقطار العربية وواجبها في العمل على تحريرها من كل نفوذ اجنبي والسير بها نحو الوحدة المنشودة والعمل على بناء العروبة الحرة الموحدة، ودفع الاخطار عنها، تلك الاخطار المعنوية التي تهدد اخلاقها وكيانها، والاخطار المادية التي تهدد ارضها وثرواتها.

وواضح جدا ان الاحداث التي تعاقبت على البلاد منذ الانتخاب الماضي حتى الآن، ومواقف الفئة الحاكمة حيال هذه الاحداث واساليبها في معالجة المشاكل الداخلية والخارجية قد برهنت تماما على ان هذه الفئة قد عجزت كل العجز عن القيام بأعباء مسؤوليات العهد الاستقلالي الضخمة، ذلك لانها اقامت حكما مهلهلا متداعيا لايستند الى ارادة الشعب ولا يسيره برنامج علمي واضح منبثق عن دراسة شاملة عميقة لمشاكل الوطن وأمانيه.

**أيها الاخوان**

تحتل دمشق في هذا الظرف مكانا بارزا في الركب العربي له اثره البالغ في تقرير

مصير سوريا ومصير البلاد العربية، فهي مفتاح السياسة السورية، والى حد كبير مفتاح السياسة العربية ايضا. ذلك لانها غدت بعد فوزها باستقلالها الناجز اليد الطليقة من الجسم العربي المكبل، والزاوية الحرة من الصرح العربي الذي تعبث فيه اهواء المستعمر وتسيطر عليه فئات من صنائعه ومرتزقيه.

ومما يعزز اهمية دمشق ايضا هو ان الحكم في سوريا يتأثر بالدرجة الاولى بجوها وتياراتها. والفئة الحاكمة، التي تدرك ذلك كله، تحرص كل الحرص على ان لايفلت الامر من يدها في هذه المدينة. فهي قد تتساهل وتنحني امام موجات المعارضة في المناطق الاخرى، ولكنها تبذل قواها كلها وتطلق كل ما لديها من اساليب المناورات والدس والسفرقة لكي تحطم المعارضة في دمشق، وتفرض رجالها نواباً عليها وتصبح سيدة الموقف فيها.

فدمشق مسؤولة اذن عن قيادة معركة الانتخابات نحو الظفر، وتغيير مجرى هذا الحكم بتأييد الرجال الاحرار الذين يدركون هذا الواقع الفاسد ويلمسون استياء الشعب ويرسمون البرامج العملية والعلمية الصحيحة للمستقبل.

ان الدلائل كلها تنذر بأن الشعب قد بلغ حداً كبيراً من الاستياء، وان التناقض بين حقيقة الشعب وواقعه، بين ارادته وبين السلطات الرسمية التي تدعّي تمثيله لهو تناقض فاضح مخيف.

لقد بلغ هذا الاستياء والتناقض حداً خطيراً لايزول الا بالنضال القوي العنيد والمعارضة الواعية الرافضة لهذا الحكم هي البناء والغيرة على الاستقلال بعينهما وهي نداء الضمير العربي الذي لايقيم على ضيم ولا يسكت عن ظلم ولا يصبر على اختلال ميزان الكفاءة والعدالة والمساواة.

**أيها الاخوان**

هذا ظرف للكلام والتبشير والدعاية في نظر غيرنا، وهو في نظرنا اهم وأسمى من الدعاية للاحزاب والاشخاص لاننا نعتبره ظرف التوجيه ومتابعة النضال القومي المجرد عن كل غاية حزبية او شخصية ضيقة، ونعتقد ان له اصدق مساس بالمصلحة القومية العليا. فلنترك الدعاية لغيرنا ولنبادر الى المسؤولية العامة الملقاة على عاتق كل منا، تلك

المسؤولية الضخمة التي ترمي الى تحويل الشعب عن السير في طريق الهاوية.

ان البعث العربي الذي تكلم وعمل في الاوقات التي كان الكلام فيها محرماً والعمل متعذراً أيام الاستعمار ووطأته الشديدة والطغيان الداخلي ليس بحاجة لان يتكلم اليوم كثيراً من اجل الدعاية لنفسه لانه مؤمن بأن عليه واجباً قومياً خطيراً هو ان يوجه ويذكر. وان الاساس الذي بني عليه الحزب من الثقة التي لاحد لها بالشعب العربي هو الذي يسمح له بان يتفاءل بالمستقبل كثيراً وان ينتظر من الشعب الذي خطا خطوتين جبارتين في معركة الملاكات ومعركة قانون الانتخاب الاستجابة الى دعوته الصادقة المخلصة لحل أزمة الحكم الفاسد والتطويح بهذه الطبقة النفعية المستأثرة والمستعبدَة لمصالحها الخاصة.

**أيها الاخون**

ان البعث العربي يعرف مكانه الحقيقي في موكب النضال، وهو اذ يقدم على تحمل مسؤولياته الجسيمة يدرك تماماً ان الشعب قد يتساهل مع المسيئين ولكنه لايتساهل مع المخلصين لانه ينتظر منهم أن يحققوا كل الآمال وهذا ما ينتظره في المستقبل القريب.

**٢٠ حزيران ١٩٤٧**

# مهمتنا النضال لانقاذ أهداف العرب من الايدي المأجورة

تمر على الشعب في هذه الآونة[1] حوادث سياسية تضطره الى ان يزداد واقعية ويزداد يقظة وحذراً من الاستسلام الى الاحلام المريحة. وهو يقترب يوماً بعد يوم نتيجة لهذه الحوادث التي تمر عليه من مجابهة الحقائق القاسية والتعرف على مشاكله وأدراك مدى صعوبتها وعمقها، وبالتالي يقترب من معرفة الحلول التي يمكن ان تنجح. وهذه الحلول لن تكون ناجحة شافية اذا لم تكن بدرجة عمق وأتساع وخطورة المشاكل نفسها.

**البعث العربي أمل الامة**

هذا بوجه عام، اما فيما يخص موقف حزب البعث العربي من هذه الحوادث والاضطرابات فمهما يكن رأيه واجتهاده وتحليله، والموقف الذي يتخذه منها، فهناك حقيقة لاغنى للحزب عن ان يدركها ويتمسك بها على انها الحقيقة القوية الثابتة التي هي مقياس كل الحقائق الاخرى والتي يجب ان تكون مرجعه في كل شيء. هذه الحقيقة هي ان حزب البعث العربي الصخرة المتينة الوحيدة في وسط هذا البحر الهائج او هذه الرمال الواهية المضطربة، وانه بقدر ما يحتفظ بمكانته وتماسكه وفعاليته وقدرته على ادراك الحوادث والتأثير فيها، يستطيع ان يضمن للبلاد املا حقيقيا بالتدرج نحو الخلاص. فكل شيء ما عدا هذا الحزب بفكرته وبأشخاصه العاملين حسب هذه الفكرة نستطيع ان نحكم عليه بالعقم والبطلان والكساد. فاذا كان في البلاد نقطة ارتكاز مهما تكن صغيرة، شريطة ان تكون حية متينة قابلة للنمو عندها لايبقى اي مبرر

(١) حديث القي على الطلبة الجامعيين، ونشر في جريدة «البعث»، العدد ٣٣٦.

لليأس والتخاذل. فاذا جاءت الاحداث على احسن ما يتوقع المخلصون ملائمة للمصلحة العامة وموافقة للرغبات، ولم تكن في البلاد قوة واعية مضمونة الاخلاص قد توفرت لها الشروط للعمل، ما قيمة هذه الاحداث اذا جاءت على هذا النحو ما دامت الفرص ستذهب سدى ولن يستفاد منها كقوة تستخدم لمصلحة البلاد وخيرها.

**واجبات أعضاء البعث العربي**

فاذا كانت هذه الحقيقة واضحة في اذهاننا راسخة في نفوسنا، وأيقنّا بعد شتى التجارب ان هذا الحزب هو الامل الوحيد وانه قد يكون مهدداً بالضياع اذا قصّر اعضاؤه في مهمتهم ولم يؤدوا الواجبات المترتبة عليهم ليكونوا في مستوى حزبهم، اذا أيقنّا ان الاحداث الخارجية لاقيمة لها الا اذا ضمنت القوة الداخلية لان هذه الاحداث منفعلة تنتظر قوة تسيّرها لمصلحة البلاد. اذا أيقنتم من كل هذا ومن انه لايوجد من يستطيع أيجاد هذه القوة غير هذا الحزب عندها تخرجون من عداد الاكثرية الساحقة التي تنظر الى الحوادث نظرة رعب وخوف وجهل، او تفاؤل في غير محله وتنشأ في نفوسكم هذه القوة الخارقة التي تضمن الاستقرار النفسي الذي تنطلقون منه للقيام بواجباتكم.

فلا مجال اذا للرعب والذعر والتساؤل المتلهف عن اسباب الاحداث المتعاقبة واسرارها وغوامضها. فعليكم ان تقوموا اولا بواجبكم وبعد ذلك تكون لاسئلتكم معنى وفائدة، اما اذا اهملتم هذا الواجب فان الاسئلة والتساؤلات والغيرة المذعورة على الحزب وعلى سلامة البلاد لاتعدو ان تكون نوعا من الهيجان المؤقت او ضربا من التلهي الفكري لمعرفة الاسباب والنتائج معرفة حيادية متفرجة لا دخل لها في العمل ولا اشتراك لها فيه.

الآن بعد ان بينت لكم بأن الاساس دائما في هذا الظرف وكل ظرف هو ان نقوم نحن بواجبنا ومهمتنا، وهي ان نحقق هذه الحركة التي صممنا على أيجادها والتي عرفنا انها تلبي الحاجات العميقة في امتنا. الآن نستطيع ان نلقي نظرة على ما يجري خارج الحزب ونقف الموقف المناسب ونكون مطمئنين الى ان تفكيرنا سيكون دائما مجديا نافعا للبلاد وان موقفنا سيكون صائبا.

## أهداف العرب في أيدٍ ماجورة

لقد اتضح في هذه الآونة اكثر من اي وقت مضى بأن الاهداف القومية المقدسة، اهداف العرب التي يجب ان تنبعث في صميم كل عربي وتكون مدار حياته ونقطة التجمع والتركز لجميع جهود العرب ـ لقد اتضح بأن هذه الاهداف قد تناولتها الايدي المأجورة المحترفة وشوهتها وجزأتها، وجعلتها ذرائع لغير المقاصد الحقيقية منها وشعارات لمصالح ليست غريبة عن البلاد فحسب بل معادية لها، ولم يعد النزاع اليوم بين العرب، كما كان قبل حين، بينهم وبين الاستعمار على حقهم في الحرية والسيادة وانما انتقل النزاع الى مرحلة اخطر، وارتدى ثوبا مموها فصار النزاع بينهم وبين بعضهم، اي ان قسما منهم او اقساما قد تبنوا المصالح الاستعمارية والبسوها باسماء قومية ـ وهكذا اصبح النزاع في الظاهر على الاهداف القومية التي تخفي وراءها مصالح ومآرب عدوانية.

كنا نحارب الافرنسيين لانهم احتلوا البلاد وكنا نعرف ان العرب يحاربون الانكليز للسبب نفسه، فالمعارك مستمرة بين طرف وطني وطرف اجنبي لا لبس فيها ولا خفاء.

اما الآن فالنزاع على الوحدة والاتحاد وعلى الجمهورية والديمقراطية وعلى الحرية والسيادة بين العرب انفسهم، او بكلمة اصح واكثر انصافا يجري النزاع على يدي فئات محترفة باعت نفوسها وضمائرها للاجنبي، وهناك من يريد تحقيق المصالح الاستعمارية عن طريق الدعوة للوحدة والجمهورية والحرية، وهناك حكومات عربية ملكية تناصر الجمهورية في سوريا واخرى تستسلم للاجنبي ولكنها تدعي انها تحمل لواء الوحدة والاتحاد. فعلينا ان نترفع عن هذه المنازعات التي لاتمت الى حقيقة القضية القومية بصلة، وان سميت بأسمها وأتخذت لها ألفاظا عربية وتسميات اشتقت من الاهداف القومية، ولكنها في الواقع اجنبية.

علينا ان ننظر الى هذه الامور من عل، وان ندرك ما فيها من خطأ وتضليل، وان نفهم حقيقة هذه المنازعات وان نفهمها للشعب حتى لايذهب ضحية منازعات لاتعبر عن مشاكله الحقيقية.

## هدفنا الوحدة والحرية والاشتراكية

لقد عمل البعث العربي منذ نشوئه على الدعوة والعمل للاهداف العربية

الصحيحة وكثيراً ما لخصها في ثلاثة: الوحدة والحرية والاشتراكية، وكثيراً ما دخل المعارك الانتخابية وشعاره فيها هو العمل لهذه الاهداف الثلاثة. والبعث العربي قد ادرك حقيقة الاهداف القومية عندما جمعها في هذه المبادىء وادرك انها تشكل وحدة تامة. فالعمل للوحدة امر ضروري طبيعي بالنسبة للعرب لضمان مستقبلهم، كذلك العمل في سبيل الحرية ايضا، اذ ما قيمة الوحدة اذا لم تكن تضم شعبا حراً واعياً لحقوقه قادراً على ممارستها. . . والمبدأ الثالث الاشتراكية وهو ان يكون في هذه الوحدة شعب حر منتج قادر على الحياة، وتكون لافراده فرص متكافئة فتظهر قواه وامكانياته دون عرقلة مصطنعة تفرضها طبقة على اخرى او استثمار داخلي. عندها يعطي العرب طاقتهم القصوى ويكون مجتمعهم قادرا على البقاء والدفاع عن نفسه.

**لاتعارض بين أهدافنا**

اننا عندما نتصور حاجة العرب المتساوية الى هذه الغايات الثلاث: الوحدة والحرية والاشتراكية، ندرك بأن هذه الاهداف تتعاون دون ان تتعارض، وتنسجم موحدة، كل منها يساعد الآخر ويمهد له. غير انها اصبحت مجزأة متناحرة على ايدي الفئات السياسية المشبوهة في اخلاصها وفي صلاتها. فالذين يدعون للوحدة يحاربون الحرية والاشتراكية، والعكس صحيح ايضا - فكيف يمكن ان يكون بين اهداف قومية واحدة متممة لبعضها مثل هذا الانقسام والتعارض؟ والاصح هو في ان نقول: ان التعارض هو في الفئات المأجورة لا في الاهداف القومية.

البعث العربي لايستطيع ان ينظر الى الامور نظرة سطحية تقليدية مقتبسة من عالم السياسة المملوء بالغش والاصطلاحات المصطنعة والارتجال، لانه يستمد احكامه من اخلاصه وتجاوبه مع مصير الامة، لذلك لن يكون له هذا الموقف السطحي الطائش المشوه الذي يقفه الآخرون الذين هم تارة يحاربون هدفا بحجة الانتصار لهدف آخر، وتارة يتذرعون بهدف ليحطموا آخر، وهكذا. . .

**موقفنا من الجامعة العربية**

تذكروا ان حزبنا وقف من الجامعة العربية موقفا سلبياً حذراً منذ تأسيسها فأصدرنا البيانات والمقالات نحذر فيها الشعب العربي من خديعة جامعة الدول التي شكلت

لتحول دون الجمع بين العرب ولتلهيهم بجمع كاذب عن حاجتهم الى الوحدة الحقيقية، ولكي تخدرهم وتبث بينهم الفوارق والتجزئة وتحول دون اي تعاون حقيقي تفرضه مصلحتهم وظروفهم القاهرة.

لقد كانت نظرتنا منذ البدء ان الجامعة العربية هي جامعة حكومات أقطاعية فهي تمثل خطرين كبيرين: خطر الاستعمار الخارجي وخطر الاقطاعية الداخلية، والعرب لايشكون الا من هذين الدائين.

فاذا وصلت البلاد الى هذه الحالة المؤلمة من تشتت اهداف العرب القومية تتناهبها الدول الاستعمارية فليس ثمة ما يدعو الى التشاؤم والهلع، بل يجب ان نرى في ذلك سبيلا الى تصفية الميدان السياسي من كثيرين من الخداعين الذين كانوا يموهون ويضللون، والى ان نكتشف حقيقة الاغراض التي كانت تحرك السياسيين لنحذرهم ونحذر الشعب منهم، فلا نكون اداة مسخرة لمنازعات مأجورة لخارج البلاد ولمآرب غير وطنية.

### المهمة الملقاة على عاتقنا

ان ما يجب ان يبقى في اذهانكم هو اولا: ان ما يجب ان يعول عليه ليس مشاهدة الحوادث او البحث في اسبابها ونتائجها، وانما المعول عليه ان توجد في البلاد حركة نقية واعية فعالة تستطيع ان تؤثر في الحوادث وان تحولها الى الطريق الذي يعود بالخير على البلاد. فمرجع كل شيء هو حزب البعث العربي، ومهما تعاقب على بلادنا من احداث وعواصف أشد من التي جرت فلا مجال للذعر لان هذه النواة ستنمو وتتغلب على الانواء.

اما الفكرة الثانية فهي ان ننظر دوما الى حقيقة اهدافنا ونستمد ذلك من تفكيرنا لا من الصحف والسياسيين المحترفين، فأهدافنا القومية موحدة منسجمة لا تناقض بينها، وعلينا ان نرسم الخطة القويمة لهذه الاهداف مهما كانت الصعوبات ـ انها الوحدة والحرية والاشتراكية. فالوحدة التي تتعارض مع الحرية هي وحدة كاذبة، والحرية التي تتعارض مع الاشتراكية والوحدة هي كاذبة ايضا، واذا كان هناك من

يستغل ذلك ليقدم طريقا مضللة كاذبة فمن واجبنا ان نحذر الشعب كيلا يسلك سبيل الخداع بل الطرق الصحيحة .

**ميشيل عفلق**
**٢٩ كانون الاول ١٩٤٩**

# الاشتراكية العربية
## تحدد بالنسبة الى اهداف النهضة العربية

ان عدة اسئلة تعرض بهذه المناسبة:[1] هل يصح ان تسمى المواد التي وضعت في الدستور اشتراكية؟ وهل في الاشتراكية اعتدال وتطرف، ام ان الاشتراكية واحدة ومجال الاعتدال والنظر هو في التطبيق وحده، فأما ان تتحقق دفعة واحدة، او تضطر الى تأجيل بعض اهدافها تبعا للظروف؟ وهل الاشتراكية التي يحتاجها العرب تحدد بالنسبة الى مصالح بعض الافراد من ذوي النفوذ والاقطاع؟

لئن سجل مشروع الدستور الجديد خطوة الى الامام من حيث النص على فكرة الاصلاح الاجتماعي فان هذه الخطوة ما تزال جد ضعيفة وهزيلة. حتى اذا قيست بما تتضمنه دساتير وتشريعات بعض الدول الرأسمالية في العالم، لذلك يكون الادعاء بأن مشروع الدستور اعتنق الاشتراكية «المعتدلة» من قبيل اللغو والمبالغة.

اما التذرع بصفة الاعتدال ففيه مغالطة وتمويه. فللاشتراكية مهما تنوعت صفاتها واختلفت فيها الاجتهادات حدود واحدة واضحة تفرقها عن النظام الرأسمالي. ان الاشتراكية تعني دوما تأميم المرافق العامة والصناعات الحيوية الكبرى. كما تعني التوزيع العادل للاراضي واشراف الدولة او وضع يدها على التجارتين الخارجية والداخلية.

---

(١) هذه المقالة كتبت بمناسبة مناقشة الجمعية التأسيسية في سوريا للمواد الاقتصادية في الدستور عندما قال نائب حزب البعث ان تلك المواد لاتحقق شيئا ذا غناء من الاشتراكية التي يتطلبها البعث العربي، ورد عليه مقرر لجنة الدستور وعضو حزب الشعب صاحب الاكثرية في الجمعية: انهم آثروا الاخذ بالاشتراكية المعتدلة. وقد نشرت في جريدة «البعث»، العدد ٤٦٢.

ولئن جاز التفريق بين اشتراكية متطرفة واخرى معتدلة فلا نجد ان ثمة ما ينطبق عليه صفة الاعتدال مثل اشتراكية حكومة العمال في بريطانيا. هذه اشتراكية معتدلة في بلاد عرفت دوما بالاعتدال والاتزان والتطور البطيء الذي يتجنب العنف والصدمات. ومع ذلك فأين من اصلاحات حكومة العمال البريطانية ما ورد في مشروع الدستور السوري؟ لقد حققت حكومة العمال الشيء الكثير من برنامجها الاشتراكي في مدة خمس سنوات، وما تزال ماضية في تطبيقه، ولما اضطرتها الاحداث الدولية وبعض المصاعب الداخلية الى تأجيل تنفيذ قسم من هذا البرنامج، لم تتنازل عن هذا القسم الذي اضطرت الى تأجيله، ولم تقل ان القسم الذي حققته هو كل اشتراكيتها، وهكذا يكون الاعتدال في مراحل التحقيق لا في اصل المبادىء والبرامج.

وما دمنا في صدد الاشتراكية الانكليزية، فلنتخذ منها مناسبة لتوضيح معالم اشتراكيتنا المستمدة من حاجات الشعب العربي في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة. ان الاعتدال الذي تتصف به الاشتراكية الانكليزية يظهر في المبدأ والاسلوب معا. فهي في مبدئها ليست جذرية تعيد النظر في جميع الاسس التي يقوم عليها النظام الاقتصادي والاجتماعي الانكليزي، لذلك لم تلجأ الى اعادة توزيع الثروة والاراضي كما حدث في بلاد اخرى، وهي في اسلوبها ليست انقلابية بل تطورية تحقق ما يمكن تحقيقه بالطرق السلمية. وتفسير ذلك في شيئين: رقي المجتمع الانكليزي ونضجه السياسي وانسجامه القومي، وامتلاك الدولة الانكليزية للمستعمرات.

فاذا قارنا بهذه الحالة حالة البلاد العربية ظهر لنا الفرق واضحا: فتأخر المجتمع العربي وضعف انتاجه والتفاوت المخيف بين طبقاته يجعل كل معالجة لا تتناول الاسس بالقلب والتبديل معالجة سطحية فاشلة. كما ان ضعف البلاد العربية كدول مجزأة منقوصة السيادة يحرمها من أستغلال أكثر قواها الذاتية. فضلا عن القوى الاضافية التي تستمتع بها دولة ذات امبراطورية كبريطانيا. ففي حين يشارك العامل الانكليزي. الى حد ما بصورة آلية، في الفوائد التي لدولته من مستعمراتها، فيكون بهذا المعنى، وضمن حدود معينة رأسمالياً، اي مستثمراً لجهود غيره نجد الرأسمالي العربي يفقد بعض ثمرات قدرته الاستثمارية لمصلحة الدول والشركات الاستعمارية

المتحكمة في بلاد العرب.

والآن اذا عرّفنا الاشتراكية تعريفاً واقعياً سلبياً، وقلنا انها ليست غاية في ذاتها بل وسيلة ضرورية لتضمن للمجتمع أعلى مستوى من الانتاج مع أبعد حد من الانسجام والتضامن بين المواطنين، نجد، على ضوء هذا التعريف، ان بلوغ المجتمع العربي في وضعه الراهن لهاتين الغايتين يتطلب نظاماً اشتراكياً يكون أعمق اسساً واشمل نطاقاً، وأعنف تحقيقاً من النظام الذي ارتضاه الانكليز وفق حاجاتهم التي هي دون حاجات الشعب العربي ارهاقاً والحاحاً.

اذن فليس الاعتدال والتطرف في المبادىء الاشتراكية امراً تابعاً لهوى الاشخاص واجتهادهم النظري، بل هو مرتبط بحاجات المجتمع. ومتى فهمت هذه الحاجات فهما صحيحا، فلا يعود ثمة مجال للاعتدال والتطرف. بل تتوجب تلبية هذه الحاجات الحياتية بأمانة وصدق عزيمة. اما اذا وضعت المبادىء والبرامج بمعزل عن حاجات المجتمع سواء أكانت رخوة سطحية كالتي يتبناها واضعو مشروع الدستور، او عنيفة مجردة مصطنعة كنظرية الشيوعيين، فانها، بابتعادها عن تلمس حاجات المجتمع الحقيقية، ستتسبب في استفحال المرض بدلا من تخفيفه وشفائه.

ان انكلترا التي يسير تاريخها منذ مئات السنين في اتجاه تقدمي صاعد، عندما بدأت تخسر بعض سيطرتها العالمية سارعت الى التعويض عن هذه الخسارة في القوة الخارجية باستغلال قوتها الداخلية على شكل أصح ونطاق أوسع مما كان في الماضي. وهكذا اخذت بالاشتراكية المعتدلة التي تنمي قدرة الشعب الانكليزي بتحسين حالة طبقته العاملة. أما الامة العربية التي يسير تاريخها منذ مئات السنين في هبوط وتدهور فليس لها اية قوة خارجية، بل على العكس هي موضع اعتداء المستعمرين الطامعين، وما ذلك الا لانعدام قوتها الداخلية.

فالاشتراكية التي توافقها وتلبي حاجاتها ليست للتعويض والاصلاح والترميم، بل للانقاذ من خطر الفناء وللخلق من جديد. لذلك لن تكون الاشتراكية العربية الا انقلابية في فكرتها، ثورية في اسلوبها، حتى تؤدي مهمتها.

المسألة الآن هي أحياء عشرات الملايين من أفراد الشعب العربي ولو اقتضى الامر

موت عشرات أو مئات من الاقطاعيين العرب.

ميشيل عفلق
١٢ آب ١٩٥٠

# البعثيون بناة حضارة جديدة

**أيها الاخوان**(١)

لا شك انكم بعد تهيئتكم هذا المخيم أدركتم حقيقة عميقة وهي أن التحقيق هو اقوى شيء في حياة الانسان، وان تحقيق عمل بسيط هو اقوى من اكبر فكرة تبقى في مجال الذهن والوهم. فهذا العمل وكثير من الاعمال التي سبق لحزبنا ان قام بها والاعمال الكثيرة الخطيرة التي تنتظره تعلمنا شيئا فشيئا هذه الحقيقة الانسانية: ان نعتق من عبودية الكلام واللغظ وكل ما هو خيالي باهت عقيم وان ننشد معنى حياتنا في العمل وحده، العمل النافع الخلاق. ان هذه البقعة الصغيرة التي تضم عددا صغيرا من مختلف فروع حزبنا انما هي رمز للنضال الذي ينتظرنا عندما يصبح هذا الرمز الماثل أمامنا الان حقيقة كبرى اي عندما يتسع ويعم أرجاء البلاد العربية ويفسح للاعضاء في كل مكان ان يجردوا كفاءآتهم ليقتلعوا جذور الاوضاع الفاسدة كما اقتلعوا الصخور والحجارة من أرض هذا المخيم. ان هذا التكامل الفني يسير البعث العربي اليه فيجمع الى قوة الوعي قوة الساعد بالعمل الرياضي الذي يمت بأوثق صلة الى النضال القومي الشعبي انما يكمل الشخصية البعثية ويضعها في صميم الحياة العملية الجدية، وينقذها من حقارة الاعتبارات الانانية والنفعية التي تشغل جميع الذين يستسلمون لهذا الواقع الفاسد وعقليته الانحطاطية. ان هذا المخيم الذي افتتحه الحزب هذا العام لم يقصد به ان يدخل الحياة الرياضية على الحزب فحسب وانما قصد بصورة خاصة ان يقذف بأعضائه الى القرى العربية الى الاوساط الشعبية الحقة ليلتقي

---

(١) حديث في أفتتاح المخيم الاول في بلودان، نشر في جريدة «البعث»، العدد ٤٦٤.

البعثيون باخوانهم وزملائهم في النضال: فلاحي القرى العربية ليتعاونوا معا على السير في النضال لا لمصلحة حزب او فئة بل في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية.

ان المبادىء التي قام البعث العربي عليها والتي وقف حياته في سبيلها اراها متحققة في هذه الصورة الصغيرة الصادقة في هذا المخيم.. ارى في هذا الاجتماع الحرية متجلية على حقيقتها اي منسجمة مع النظام وارى الاشتراكية في نظام حياتكم وفي اصولكم الشعبية الصريحة ياأعضاء البعث العربي كما ارى الوحدة العربية الحقيقية في هذه الصورة الصادقة المصغرة لحزبنا، ارى العراقيين الى جانب السوريين والاردنيين الى جانب اللبنانيين والحضرميين يجتمعون الاجتماع المكين لا الاجتماعات المسرحية التي تضم عقولا متنافرة ومصالح متضاربة واساليب متباينة كما يجري الامر في واقع السياسة العربية حتى الان. وطبيعي ان تفشل هذه السياسة ما دامت تقوم على غير الاسس المعقولة وتهزأ بالعقل والفكر والاخلاص.

اننا لم نأت الى البعث العربي بالزعماء واصحاب المصالح الذين (يتبنون) القضية العربية ليشوهوها ويستغلوها، بل اتينا بعقول حرة مستقلة، ونفوس نضرة متجردة، أتينا بجيل جديد (ولد) افراده في البعث العربي ولادة جديدة فكانوا ابناء العروبة الصادقين وكانت صلتهم بروح امتهم ومصلحتها صلة عضوية لاتنضح الا بالصدق والانسجام والعمل العفوي القوي.. هذه هي الجامعة العربية الصحيحة عقل واحد وقيادة واحدة ونظام واحد.

**أيها البعثيون**

اني انظر الى البعثي على انه الرجل الصامت الدائب وراء عمله الذي اذا نطق بكلمة تحولت الى عمل نابض بالحياة. لقد سجل حزبكم في حياة الامة العربية مرحلة تاريخية لانه ابتعد على السواء عن الافكار الخيالية اللاهية وعن «واقعية» الحسابات النفعية والمصالح الحقيرة. وركز قواعده على صخرة جبارة في قوتها ومتانتها هي مصلحة عشرات الملايين من العرب يريدون ان يتحرروا من البؤس ليصبح كل منهم مصدر حياة وخلق لحضارة جديدة في العالم.

**٢ أيلول ١٩٥٠**

# التضحية بمعاني الحياة الجميلة

**أيها الاخوان**[1]

اعتقد ان الفائدة التي حصلتم عليها من المخيم تمتّ بصلة وثيقة الى مبادىء الحزب. ففكرة البعث نضالية انقلابية تقضي بأن يتكون في الامة جيل يتصف بصفات اساسية تمكنه من قيادة الانقلاب.

فالانقلاب العربي لن يحققه اعضاء البعث وحدهم، فهم ليسوا الا الطليعة التي سترشد الاكثرية من الشعب نفسه. وهذه الطليعة التي يجب ان تعد عشرات الالوف هي الضامن لتحقيق الانقلاب. وقانونها هو ان تنظر الى الحياة نظرة جديدة مختصرة قوية، اي ان تتحرر من كثير من الاثقال التي يحملها للافراد مجتمعنا المريض، اثقال التعلق بالمادة والاعتبارات المعنوية الزائفة، والانانية والمنفعة الخاصة وان تصبح هذه الطليعة خفيفة في نفسها اي ان تكون متحررة من القيود غير عابئة بالمنافع واسباب اللذة والراحة، خفيفة ايضا في اسلوب عملها كي تستطيع تحقيق الانقلاب.

فالشرط الفكري والنفسي لنضال كنضال البعث العربي هو ان يكون كل بعثي كما كان اعضاء المخيم في هذه الفترة الوجيزة من الزمن. فليست الغاية من المخيم تجربة عارضة محصورة في عدد من الاعضاء لفترة ما، بل هي تجربة يجب ان تكون قدوة لحياتكم، اي ان تكون غاية البعثي ان يعيش كجندي غير عابىء بالاعتبارات الزائفة التي تسود المجتمع.

---

(١) حديث في استقبال العائدين من مخيم البعث في بلودان، نشر في جريدة «البعث»، العدد ٤٦٦.

هكذا تتركز الحياة في نقطة واحدة وتتجمع الامكانيات وتتجه في طريق واحد فيكون أثرها خلّاقا عظيما. ففي مرحلة الانقلاب يجب ان نفرق بين ما يمكن الاستغناء عنه، وما يجب الاستغناء عنه، أي بين ما هو رئيسي وما هو غير ذلك.

في الحياة اشياء كثيرة ذات قيمة وفيها جمال، والانسان السوي هو الذي يحس ويدرك معاني الحياة وقيمتها وجمالها. ولكن عندما لاتكون هذه القيم متوفرة لجميع افراد الشعب، وتكون حياة الاكثرية من الشعب فاقدة لكل معنى وبهجة وكرامة، فان الذين يدركون جمال الحياة يدركون ان تضحيتهم بهذه المعاني الجميلة هي الطريق الوحيدة لكي تصبح هذه القيم مشاعة بين أبناء العروبة جميعا لذلك يتخلون عنها طوعاً واختياراً.

كثيرا ما نسمع من الجيل القديم من الذين لم تمسسهم روح المثالية والتضحية في سبيل المجموع، يشفقون على الذين يضحون بجمال الحياة في سبيل مبدئهم ويقولون ان هذا شيء حسن، وهذه مبادىء جميلة، الا انها لاتستحق ان يشقي الانسان نفسه من أجلها ويعيش في البؤس ويتخلى عن متع الحياة وكثيراً ما سمعنا من اهلنا وجيراننا مثل هذه النصائح المتخاذلة الانهزامية، وجوابنا كان دائما بأن هذه الاشياء المعروضة علينا في الحياة وفي هذا المجتمع خاصة قد تكون جميلة وفيها ما يغري العقل والنفس، الا انها لاتستحق ان يتخلى الفرد العربي عن ذرة من مبادئه في سبيل الاحتفاظ بها.

هذه العقيدة باننا اخترنا طريقنا مرة واحدة وأخيرة، واننا لن نلتفت وراءنا ولن نتحسر على ما تركناه لاننا حكمنا بأنه لايستحق ذلك، هذه العقيدة تخفي وراءها قوة وغنى، لان المادة لم تكن يوما حقيقة في الحياة بل مظهر ومظهر خادع، والحقيقة كلها هي في القوة التي ينفّذ بها الانسان الفكرة الاصيلة في حياته.

**١٦ أيلول ١٩٥٠**

# البَعثي هو العَربي الجَديد

**أيها الاخوان**

نحن نجتمع الآن في مكتب حزب هو حزب البعث العربي، فكلمتنا اذن هي عن فكرة هذا الحزب وهي كلمة حزبية، لانستحي من ذلك أو نخشاه فحزبيتنا صريحة ونحن مقتنعون بها ومقتنعون بضرورة التحزب الصحيح لأنفسنا وللآخرين أيضاً.

ماذا نقصد بالبعث العربي؟ ومن هم الأفراد الذين تتوافر فيهم الشروط لكي ينضموا الى حركة البعث العربي ويعملوا تحت لوائها؟ هل هم كل الناس على الأطلاق أم العرب وكل من هو عربي، أم نوع من العرب؟

فكرة البعث العربي هي بطبيعة الحال للعرب وترمي الى ان تكون في يوم من الأيام ملبية لحاجات العرب كلهم ومنتشرة بينهم الى أبعد مدى، وجامعة لكل افرادهم. ولكنها في بدء سيرها لا يمكن أن تضم العرب على الاطلاق وان تكتفي بهذه الصفة العامة المبهمة التي هي الانتماء الى الشعب العربي. فليس كل من قال أنه عربي هو من البعث العربي. ونحن نرى في الواقع أن كل الذين يدّعون العروبة ويقبلون بهذا الانتساب اليها لاتتحد كلمتهم على رأي واحد او منهج واحد.

فهناك عرب يقبلون فكرة مناقضة للفكرة العربية ومعاكسة لها. وقد لايشعرون بهذا التناقض او أنهم يقبلون به ويعرفونه ويسخّرون العروبة لمقاصد أخرى. وهناك عرب يقولون بفكرة أقليمية ولا ينتبهون الى التناقض بين فكرة العروبة وبين الفكرة

الأقليمية المجزئة للعروبة والمناقضة لوحدتها الطبيعية. وهناك عرب آخرون يعترفون بالصفة العربية لهم ولكنهم يعملون ويفكرون بوحي أفكار دينية أو طائفية. وهم كذلك يتعامون عن هذا التناقض وهذا الاختلاف البيّن بين الفكرة العربية التي هي قومية في أساسها وجوهرها، وبين الفكر والحركات الدينية والطائفية.

اذن ليست المشكلة هي الأعتراف بالعروبة أو عدم الأعتراف بها، وانما هي مشكلة تحديد الشروط التي ينبغي ان تستقيم بها هذه العروبة وتتحقق أحسن تحقق.

ماذا يعني انتماء عضو للبعث العربي؟

انه يعني اولاً انه قد رفض رفضاً باتاً نهائياً الأفكار المناقضة والمخالفة للفكرة القومية، أي انه عرف وأقتنع بأن العربي في مفهوم البعث لايمكن أن يكون شيوعياً أممياً، وان العربي لايمكن أن يكون أقليمياً، أو طائفياً أو ان يعمل بوحي غير وحي العروبة نفسها. ولكن انتماءه للبعث العربي يعني فوق ذلك انه رفض كل تلك الافكار والاجتهادات كما رفض كل الحركات التي تتجسد فيها. وبصورة أوضح يعني أنتماؤه للبعث العربي انه وجد الحركات العربية الاخرى التي توافق على العروبة وترفض الشيوعية والاقليمية والطائفية، وجد هذه الحركات نفسها غير صالحة فقبل بفكرة البعث العربي.

فعضو البعث العربي اذن في نظرنا هو العربي الجديد، العربي الصالح، العربي المستقيم الفكر والخلق، الذي فهم بالتجربة والخبرة والتفكير الحر المستقل، أن العروبة لايمكن ان تتحقق الا على ضوء نظرية واضحة منسجمة متينة الأسس الفكرية متحققة في عمل واعٍ نشيط. هذا العربي الجديد هو الذي ننشده وهو الذي نخاطبه.

**عام ١٩٥٠**

# في الاشتراكيـة
# بقاء الامـة وتقدمهـا

استهل الاستاذ ميشيل عفلق حديثه عن الصلة بين الشعب والشباب :

ان بين الشباب العربي والشعب العربي فُرقة لم يقصدها احد من الطرفين وانما وقعت بحكم الاضطرار، فلا الشعب أراد ان يبتعد عن ابنائه الشباب ولا الشباب أرادوا ان يبتعدوا عن الشعب، ولكن حالتنا غير طبيعية، ولو كانت الاوضاع سليمة صحيحة شأن البلاد الراقية لكان هذا الاتصال امراً ميسوراً وطبيعياً ولما كنا سمينا شعبا وشبابا وفرقنا بينهم لان الشباب هم من الشعب ابناؤه واخوته.

ولهذه الحالة غير الطبيعية أسباب ومبررات، فوجود أفراد وفئات تستغل موارد البلاد ومواهب الشعب وتصده لكي يسهل عليها استغلاله، لايوافقها ابدا ان يكون هناك اتصال بين الشعب وابنائه المخلصين الذين يفهمون حاجاته ويطمحون للتعاون معه لبلوغ الغاية المشتركة لمصلحة الامة جمعاء.

ثم أنتقل الى الكلام عن الاشتراكية فقال :

موضوع حديثنا عن الاشتراكية. والاشتراكية بصورة بسيطة كما يفهم من لفظها هي ان يشترك جميع المواطنين في موارد بلادهم بقصد ان يحسنوا حياتهم وبالتالي حياة أمتهم لان الانسان الفرد لايقبل ان يجعل نفسه غاية في الحياة حتى ان أدنى المخلوقات البشرية في الاخلاق والتفكير نرى فيها هذا الميل وهذه الحاجة الى ان تجعل لحياتها غاية أبعد من مصلحتها الشخصية، فبالاحرى الانسان الراقي الذي لايستهدف سوى نجاح أمته وازدهارها. والاشتراكية يمكن ان تفهم ايضا بأنها نظرية اقتصادية حديثة ظهرت في قسم من بلاد العالم في هذا العصر، ولها تعاريف وأصول

وانظمة معروفة، غير انها كلها ترجع الى هذا التعريف البسيط الذي قلنا اي اشتراك المواطنين في موارد البلاد التي هم منها.

لكن علينا ان نعرف بأن للاشتراكية معنى آخر غير معنى نظرية معينة ظهرت في الغرب. لها معنى طبيعي مستساغ من النفس البشرية والعقل والضمير، وهي بهذا المعنى لاتخص أمة بعينها او تخص عصرا او زمانا بذاته. هي شيء أعم وأثبت من النظرية.

أيها الاخوان:

الحقائق هي دوما بسيطة. وليس كنور الشمس حقيقة ملموسة وهو من أبسط الحقائق. ماذا نريد في الحياة لانفسنا ولأمتنا وللارض التي نعيش عليها؟ هل نريد لها الا الخير والتقدم؟ هل نريد لها الا ان يكون الواحد منا ضامنا لحاجاته، وان تكون السبل مفتوحة امامه لكي يظهر مواهبه وينشط ويعمل وينتج في النواحي التي يجيدها وان يضمن مثل هذا السبيل لاولاده. وبالتالي نريد لأمتنا ان تكون امة يسودها الخير والعدل والانتاج النشيط الراقي، وان تكون حالتها الاجتماعية على ارقى شكل ممكن في العلوم والفنون. هذا ما يريده الفرد وما يريده المجموع فكيف يمكن ان نحقق هذه الغاية؟

ان أقلية من الناس تملك معظم الثروات وتسيطر على السلطة وتتصرف بها حسب رغباتها، وهي لاتكتفي بذلك بل تطلب المزيد. والنتيجة الطبيعية هي ان تحرم اكثرية الشعب من حقوقها. ولو كان الاسياد يستطيعون ان يحرثوا الارض بانفسهم او يشتغلوا بالمصانع لحرموا الشعب من كل حقوقه. لذلك فأنهم يجدون انفسهم مضطرين الى ان يعترفوا للاكثرية بحق بقاء الرمق حتى يستطيع الشعب العمل للاسياد.

في هذه الحالة من الاستثمار والاستغلال لايكون الغبن واقعا على افراد او فئة من الناس وانما تكون الجناية على الامة بأسرها. والبلاد المتأخرة هي تلك التي يكون افرادها محرومين من اكثر حقوقهم متأخرين في صحتهم وعلمهم وانتاجهم

الاقتصادي. ان هذا الوضع الشاذ اي سيطرة اقلية من ابناء البلاد على ثروتها، وحرمان اكثرية الشعب من حقوقه الطبيعية المشروعة، يحول دون تقدم الوطن، فهذه المنافع التي يجنيها المستغلون تخنق مجموع الشعب وتحكم على الاكثرية الساحقة التي هي مجموع الامة تقريبا بأن تدفن وهي حية، فالشعب الذي يستطيع ان يصنع وينتج ولايسمح له الا بانتاج بسيط ولا يعطى الا مدى ضيقا محدودا جدا في الحياة، ويفرض عليه الجهل والمرض والخوف والعبودية، هذا الشعب هو في حكم الميت وان كانت روحه في صدره.

فاذا فهمنا الاشتراكية بهذا المعنى وهي اننا نريد ان نرجع الى الحالة الطبيعية المشروعة المعقولة وان ينال كل ذي حق حقه حسب جدارته وكفاءته ويسمح للشعب بأن يظهر مواهبه ويستفيد منها، عندها يمكن ان يرتقي الشعب اي المجموع، فالطبقة الشعبية تساوي الامة تماما لانها الاكثرية الساحقة والعنصر المنتج حقيقة.

فالاشتراكية اذن ليست شيئا غريبا صعبا أتانا من بلاد نائية وفيه نظريات معقدة. انها الشيء البسيط المشروع الذي يطلبه كل عقل سليم وضمير حي، ولا يمكن لاي فرد اوفئة ان يكون مخلصا لوطنه، يشعر شعورا صادقا نحو أمته ويأبى في الوقت نفسه على الشعب هذا الحق، لان القومية التي هي الغيرة على مصلحة الامة، والاشتراكية تكادان تكونان شيئا واحدا.

فتحقيق الاشتراكية في حياتنا شرط اساسي لبقاء أمتنا ولامكان تقدمها، واذا لم تعمم الاشتراكية ولم نسع الى تحقيق العدل الاجتماعي لجميع الافراد، ولم ينقلب الشعب العربي الذي يعد سبعين مليونا، الى شعب منتج الى اقصى حدود الطاقة اذا لم يتحقق كل هذا يكون كل كلام عن حرية العرب واستقلالهم ضربا من اللغو ونوعا من التضليل.

ان المصلحة القومية وبقاء الامة ومجاراتها للامم الراقية وصمودها في تيار التنافس بين الدول متوقف على تحقيق الاشتراكية، اي السماح لكل عربي دون تمييز او تفريق بأن يصبح حقيقة ملموسة منتجة لا وهما من الاوهام.

٧ تشرين الاول ١٩٥٠

# البعث لا يرضى باستغلال الواقع

**أيها الاخوان[1]**

آمل أن تتاح لنا فرص عديدة في المستقبل للتباسط وللكلام دون كلفة، لكي يحصل التفاهم والتجاوب بين جميع أعضاء الحزب على الأمور الكبيرة والصغيرة. لأن ذلك شرط أساسي لقيام الحزب كقوة فعالة تنطلق من عقيدة موحدة.

ولا يتسع المجال لاعطاء جميع شعارات الحزب حقها من الشرح لذلك سأكتفي بأن أقول كلمة في موضوع الحزب نفسه:

**مهمة حزبنا**

لابد لنا من تكوين فكرة واضحة وبسيطة معاً عن مهمة حزبنا في هذه المرحلة الخطيرة من حياة أمتنا. وأخشى كثيراً من أن تطغى المشاغل السياسية ومعارك النضال المتلاحقة وما يتبعها أيضاً من فترات يستسلم فيها الحزب لنشوة الظفر أحياناً ويسترسل في الكلام، وغالباً ما يكون الكلام غامضاً وعاماً ومشوشاً، أخشى أن تضيع بساطة المهمة التي يحملها الحزب ووضوحها وتضيع خطورتها وسط هذه الجلبة. فعلينا أن نعود دوماً الى هذه المهمة بجديتها وبساطتها، وعلينا ان نتذكرها مراراً وتكراراً.

**يجب ان نكون بمستوى الحركات العالمية**

نحن نعيش في هذا العصر وحزبنا لن يكون حزباً بالمعنى الصحيح الا اذا كان

---

(١) كلمة في المهرجان الذي عقده حزب البعث العربي الاشتراكي في التاسع من نيسان، لتأكيد عهده لتحرير المواطنين من الظلم وإقامة حكم ديمقراطي شعبي يعمل لاستكمال تحرر العرب. وقد نشرت في جريدة «البعث»، العدد ٥٣٢.

في مستوى الحركات العالمية في هذا العصر.

حزبنا انقلابي كما يعرفه كل منكم. وهو لا يرضى باستغلال الواقع كما هو، بل صمم على أحداث انقلاب تاريخي فكري في حياة أمتنا، فما هو المقياس الذي يجب أن نرجع اليه لمعرفة ما إذا كانت أماني الحزب لم تبق وهماً وحلماً بل اصبحت حقيقة راهنة أو في طريق التحقيق الجدي؟ المقياس هو ان نقارن حركتنا بالحركات العالمية الجدية في عصرنا هذا.

**النضال رسالة لا هواية**

تذكرت ذلك عندما سمعت كلمة قيلت لكم: «ليقدم كل منكم هوايته أو ميله»، وسواء أقصد ذلك بالذات أم لم يقصد، فأني اغتنم هذه المناسبة وأستفيد من هذه اللفظة لأقول ان حزباً انقلابياً جدياً لا يقوم على هواية ولا يقبل في صفوفه الهواة، هذا الحزب أما أن يولد من الشعور القاهر، من الشعور العميق الأليم بضرورة حياتية قاهرة تدفع بطلائع أمتنا الى التضحية والمعاناة لانقاذ الأمة من خطر الموت والفناء، وأما أن يكون خدعة لنفسه وللشعب الذي يطلب تأييده: فالعمل في حزب انقلابي ليس هواية ولا ميلاً وانما هو وظيفة هي أخطر من كل وظيفة وأكثر جدية من أي واجب، وهي كما عرفها الحزب منذ نشوئه، «هي رسالة» وعندما نفهم مهمة الحزب على هذا الشكل ندرك بالتالي ان الشيء الوحيد الجدير بحزب كهذا هو تنظيم حديدي، تنظيم لايكتفي بجمع الكفاءآت والمواهب وجمع أوقات الأعضاء، بل يضع هدفاً له ان يخلق منهم أناساً جدداً وأشخاصاً جديدين متكيفين مع ما تتطلبه المهمة الخطيرة منهم. فالتنظيم ليس جمعاً فحسب وانما هو خلق وابداع في الدرجة الأولى. وليكن في بادىء الأمر مختصراً محدوداً، ليس في هذا ضير ولكن ليكن جدياً.

**نتحرى الكيفية قبل الكمية**

وإذا كان جدياً فانه يستطيع ان يتسع وأن يتوالد ولكنه إذا بدأ بغير الجدية، إذا بدأ بروح التساهل وعدم التقدير لخطورة المهمة فليس من شيء يقدر على اصلاحه. وهذا ما يهيب بنا دوماً الى أن نتحرى الكيفية قبل الكمية والى ان نتطلع دوماً الى

الافراد قبل المجموع، لأن الافراد هم الذين يستطيعون بالاتصال الحر العميق، وبربط مصيرهم بمصير أمتهم ان يدركوا حقيقة الطريق المرسوم لهم. وهم الذين يستطيعون ان يغيروا مجرى الحزب إذا وجدوه منحرفاً أو متهاوناً. وقد لايكون الحزب دوماً في الطريق الصحيح السليم. فالحزب يضم بشراً والبشر يخطئون ويتهاونون ويتكاسلون وتطرأ عليهم شتى نقاط الضعف التي تصيب كل انسان، ولكن الخطر كل الخطر هو الا يظهر في هذا المجموع بين حين وآخر أولئك الافراد الذين يقارنون بين ما رغبوا إليه في البدء واستهدفوه وصمموا عليه وما آل اليه الحزب، فيهتزون في أعماقهم ويهتز وجدانهم ويصلحون ويغيّرون ويرجعون الحزب الى الصراط القويم.

**القدرة على إعادة النظر.**

هذا قدرنا ولن نطمئن يوماً واحداً على أننا بلغنا ما نريد بلوغه وأننا ملكنا الحقيقة وسرنا في الطريق القويم. وبجانب ثقتنا بحزبنا والى جانب ثقتنا بشعبنا يجب ان تكون في نفوسنا القدرة على اعادة النظر دوماً في سيرنا ونهجنا وتفكيرنا حتى يكون تفكيرنا ناضجاً أصيلاً وحتى لا تطغى عليه السطحية والتقليد، لكي لايودي بنا الغرور الى ما أودى بالكثيرين.

**٩ نيسان ١٩٥٤**

# فكرتنا في طريق التحقيق

**أيها الاخوان**

بعد ان قطع الحزب أشواطاً من حياته، ودخلت فيه أجيال جديدة متعاقبة صرنا نشعر بالحاجة الى أن نلقي بين الحين والآخر نظرة على تاريخ الحزب، لكي يعرف الأعضاء الجدد ولكي يتذكر الأعضاء القدامى الغاية التي من أجلها وجُد هذا الحزب، لكي يحاكموا بأنفسهم، ويروا هل الحزب سائر في الطريق الموصل إلى هذه الغاية؟ وأي حد قطع من الطريق؟ وهل اضطرته الظروف والحوادث والأصطدام بالواقع أن يغير ويعدل من فكرته الأساسية ومن غايته؟ وهل بالتالي هذا التعديل والتغيير اللذان طرأا على الحزب، هل كانا لا مناص منهما، وهل كانا في مصلحة الحزب أو لا؟..

**أيها الاخوان**

أستطيع أن أقول لكم وأنتم شباب هذا الحزب أكثر مما استطيع أن أقوله لغير الشباب: أن الغاية التي كانت تنبعث في وقت واحد من الحاجات العامة ومن نفوس تلك الطليعة التي تقدمت لحمل المسؤولية كانت ترمي إلى خلق شيء جديد وجدي وكبير في حياة العرب.

ولعل تعليل ذلك.. تعليل هذا الطموح الذي داخل النفوس إذ ذاك، يرجع إلى طبيعة المرحلة القومية وإلى الآلام الكثيرة والحادة والعميقة التي كانت تنتاب حياة الأمة العربية. وكان ثمة شعور غامض يمكن توضيحه بهذا الشكل: بأن مثل تلك الآلام يجب أن تزول أو لاتبقى مسبباتها، ويجب بالتالي ان يخرج من الظفر عليها وضع جديد بل صورة جديدة لحياة العرب، لايستبعد أن تصبح صورة جديدة لحياة الانسان

بصورة عامة.

وكان وراء هذا الشعور اعتقاد بأن أي شعب، وأية أمة إذا اخلصت لنفسها، واخلصت في فهم أحوالها ومشاكلها وفي تبين طريقها فإنها بهذا الاخلاص، بهذا الجد، بهذه الصراحة التي تواجه بها نفسها ومشاكلها انها تلامس علاوة على نفسها، نفس الانسانية، وتصل إلى أبعد من مشاكلها الخاصة وحل هذه المشاكل. . انها تصل إلى شيء يشترك فيه كل الناس.

فالانسانية ليست شيئاً عائماً في الهواء، وانما هي متجسدة دوماً في حياة البشر، وفي حياة الأمم، وان كل أمة تستطيع أن تمثل الانسانية في بعض ظروف حياتها وتاريخها.

كانت هذه الفكرة تجول بصور مختلفة من حيث الوضوح والغموض، في نفوس جميع الشباب الذين لبّوا دعوة الحزب عندما ظهر ووجّه نداءه إليهم. والشباب المثقف هو بطبيعته مؤهل لأن يسمع هذه الدعوة، وان يطمح مثل هذا الطموح، لأن سن الشباب، وتجرد الشباب عن شتى المصالح التي تعلق بالأفراد بعد أن يكونوا قد انغمسوا في مشاكل الحياة، وثقافة الشباب، كل هذا، السن - والتجرد عن المصلحة - والوعي الناتج عن الثقافة. . يؤهل لتكوين ولقبول هذه النظرة البعيدة في مراميها، والجريئة في طموحها والبسيطة أيضاً، إذ لو لم تكن بسيطة في نظر هؤلاء الذين لبّوا نداءها لما اقبلوا عليها، ولما صدّقوا إمكان تحقيقها.

ثم يمر الزمن، ويتسع الحزب، ويثبت وجوده، فتضطره قوته نفسها والثقة التي خلقها في نفوس الشعب. . تضطره إلى النزول من ذلك الصعيد الفكري، وإلى التفاعل مع الواقع ومشاكله، فلا يمضي وقت حتى يشعر الحزب أنه لم يعد كما كان، وانه تنازل عن أشياء من طموحه الأول، ومن سلامة تكوينه وتفكيره وأسلوبه، وانه لم يعد مسيطراً على نفسه كما كان في البدء. . اذ أنه في البدء لم يكن لديه إلا الفكرة والايمان يتسلح بهما، وينظر إلى مجموع الأمة، وإلى جميع ما يحيط بها ويتداخل فيها من مصاعب ومن آلام ومن أمراض، وإلى جميع القوى الخارجية والداخلية المعادية ليقظة الأمة وانبعاثها - كان ينظر إلى كل ذلك من علٍ ويشعر بأنه أقوى من كل هذه المصاعب. فلما اضطرته قوته نفسها - كما قلنا - أن ينزل ويدخل صميم المعركة وصميم

الواقع، لم تعد له تلك الثقة الأولى بأنه مسيطر على هذه المصاعب، وأنه هذا الجسم السليم الذي يستعد لمكافحة المرض ولخلق البنيان الجديد، بل أخذ يداخله شعور بأنه قد أختلط بالجسم المريض وأنه أصبح مزيجاً من تكوينه الأول ومن تكوين المجتمع، وان المرض قد يكون دخل اليه أيضاً.

هنا، لابد من التساؤل، واعتقد أنكم تطرحون على أنفسكم هذا السؤال دوماً: هل اخطأ الحزب وضلّ الطريق؟ هل كان الأجدر به أن يبقى على حاله الأولى، وان يبقى محتفظاً بتلك الثقة بالنفس.. بذلك الوضوح بالنظر. بتلك البساطة التي كانت تصور له المشكلة جلية واضحة، وتشعره بأن حلها ممكن وواجب؟..

هنا نلمس نقطة الأزمة في نفوس الشباب، وهي أزمة الشباب في كل مكان وفي كل عصر.

من الطبيعي - أيها الأخوان - ان أية حركة مهما تكن صادقة وقوية، لاتستطيع أن تغير شيئاً في وسط تبقى بعيدة عنه لاتدخله، ولا تصبح جزءاً من دمه ولحمه.. إذ لايحصل التأثير إلا بهذا التماس وهذا التفاعل. فلكي تغيروا الوسط يجب أن تدخلوا في هذا الوسط، وان يكون بينكم وبينه صلة حية، وإلاّ تبقى الحركة حركة وعظ لا طائل تحته. فما يحسبه البعض خسارة كان يجب تفاديها هو في الواقع ربح وتقدم. لأنه بدون هذه الخطوة.. بدون هذا التفاعل مع الوسط تنعدم في الفكرة كل امكانية للخلق وللتأثير الفعال الجدي في وسطها، فهناك بعض الثمن لابد من دفعه لكي تنتقل الفكرة من المجردات إلى الحياة.

والحياة - أيها الأخوان - لا ترينا الأشياء الكاملة الناصعة إلا في الكتب، وعلى الورق، وفي الآثار الفنية، أما في الواقع البشري فليس ثمة أشياء كاملة لان الحياة بطبيعتها لايمكن أن تكون كاملة، ولو كانت كاملة لكانت موتا. فحبذا لو تنعمون النظر في هذه الملاحظة وتحاولون ان تروا هذا التحول الذي لايظهر للعيان ولا يلمس لمس اليد، ولا بد من إعمال الفكر، ولابد خاصة من المعاناة والتجربة لكي يدرك المرء بأن ما بدا له أنه خسارة لم يكن في الواقع الا تحولاً من مظهر الى مظهر آخر.

والنظرة التي يجدر بكم ان تنظروها وتستمسكوا بها كجيل مناضل، وجد ليعمل

وليغير أوضاع أمته تغييراً أساسياً، لا ليقف عند حد التأمل والتمني . . أن النظرة الجديرة به هي هذه: الافضل ان نتنازل عن شيء من كمال الصورة الأولى شريطة أن تدخل فكرتنا في العمل وتتجسد وتتحقق من أن تكون لنا فكرة كاملة وان تبقى على الورق.

عندئذ ـ أيها الأخوان ـ يتاح للشباب أن يصبحوا رجالاً، وعندئذ فقط يكون الشباب وتكون سن الشباب قد أدت مهمتها على أحسن شكل، إذ كانت الخطوة الطبيعية والضرورية لكي نتحمس لفكرة مطلقة . . لفكرة كاملة . . ونندفع في طريق حملها والتبشير بها والعمل لها . .

وعندما ندخل صميم الواقع، ونتفاعل مع هذا الواقع تظهر تلك المرونة التي تجعلنا نتخلى عن بعض الأمور الثانوية في فكرتنا في سبيل أن نحقق الجوهري منها.

أما إذا تجمد الشباب على النفسية الأولى فإنهم لايصبحون رجالاً . . ولا يبقون شباباً. فالشباب الذي يتجمد على النفسية الأولى بعد أن تكون الظروف قد أتت لكي يتطور معها ولكي ينتقل من طور التفكير والتبشير إلى طور التحقيق . . ان من يرفض هذا التحول الطبيعي ويتشبث بالنفسية الاولى يحكم على نفسه بأن يعيش كالشيخ الهرم الذي يمضي وقته في التذكر وفي البكاء على ما لم يتحقق . . انهم يفقدون بهذا الرجولة ويفقدون الشباب معاً.

ولكن ـ أيها الأخوان ـ بين هذا القول الذي أقوله لكم وبين الظن بأني آتي بمبررات لأخطاء الحزب ولما في الحزب من نواقص . . بين الشيئين فرق كبير. فأنا لا أقول هذا القول لأستنتج منه بأن الحزب هو فعلاً قد خطا الخطوة الثانية الطبيعية، وانه دخل مرحلة التحقيق، وانه يوفيها كل حقها، وان ما فيه من تشويش ومن فوضى ومن عجز ومن تقصير ليس الا ثمناً ضرورياً لهذه المرحلة الجديدة التي دخل فيها، ان هذا بعيد عن تفكيري.

لقد أردت فقط أن أصف لكم طبيعة العمل ومراحل العمل، وكيف أن هذه المراحل رغم أنها يخرج بعضها من بعض ويكمل بعضها بعضاً فهي ليست متجانسة، وليست متماثلة، فكل مرحلة لها دورها ولها شكلها الخاص. وعلى العاملين في حركة

قومية جدية أن يقدروا هذا الاختلاف في المراحل، وان يتلاءموا معها. أما ما يوجد فعلاً في واقع الحزب.. في حاضر الحزب فأكثره لايُبرر ولا يُدافع عنه، ويجب أن يُنظر إليه على أنه مرض وتشويه يجب أن يُفهما وان تُفهم أسبابهما وان نجد لكل ذلك العلاج الملائم والسريع معاً.

الا اني اريد ان أربط بين جانب مما نشاهده في الحزب من تقصير ومن تشويه وبين ذلك التجمد الذي أشرت إليه.. ذلك العجز عن التطور.. ذلك النقص في المرونة.. إذ ان بينهما صلة لابد أن تروها وتعترفوا بها. فالأعضاء الذين لسبب من الأسباب: لنقص في توجيه الحزب لهم، لنقص في ثقافتهم، لموانع شتى حالت بينهم وبين المشاركة الفعلية في حياة الحزب وفي حياة الشعب.. هؤلاء الذين يعجزون عن الانتقال إلى مرحلة التحقيق عندما تتوافر شروطها، ويتشبثون بموقف ظاهره طلب الكمال، ورفض كل تساهل.. هؤلاء الأعضاء بتشبثهم هذا غير الطبيعي وبمكابرتهم وتمردهم على قوانين الحياة - وقوانين الحياة كما أشرنا تشترط بعض التساهل لكي تنتقل الفكرة الكاملة إلى حيز التحقيق - إن هذا التشبث إذا طال، وإذا كان القائلون به كثيرين هو الذي يؤدي بصورة غير مقصودة إلى شيء من هذا الخلل الذي نلمسه في حاضر الحزب. إذ ان الحياة لاتعرف التوقف، فما دام أصحاب فكرة الحزب رفضوا أن ينسجموا معها، ويتلاءموا مع مقتضياتها وتطورها، فكأن هذه الفكرة انعزلت عنهم وسارت في طريقها وحدها دون أن يحميها أصحابها وأجدر الناس بحملها وحمايتها، وتمشي وتتفاعل هي مع هذا الواقع، وعندها بدلاً من أن يؤدي الانتقال من طور التفكير إلى طور التحقيق إلى التضحية بالجوانب الثانوية في الفكرة.. يؤدي الانتقال عندئذ إلى التضحية بما هو جوهري فيها، وإلى أمور أساسية فيها، وعندها يقع الحزب في التناقض وتوجد الازمة العصبية، لأن الذي رفض أن يتنازل حتى عن الشيء الصغير يجد نفسه في آخر الأمر وقد تنازل عن أكثر الشيء أو عنه كله. فإذا لم نعط الحياة حقها من المرونة، من التساهل المعقول، من الواقعية السليمة التي لايدركها ولا يصل إليها إلا من يعمل ويعاني العمل، إذا لم نعط الحياة حقها في هذه الأمور فإنها تنتقم بأن تفرض علينا فوضاها وتسد الطريق في وجه فكرتنا، وينعدم التفاعل بين هذه الفكرة

المفروض فيها انها أتت بشيء جديد وأصيل، وانها قادرة أن تبدّل واقع أمتنا وتنبت وتخصب منه شيئاً جديداً سليماً، إذا رفضنا هذا التطور فكأننا قضينا على أمل الفكرة بأن تنفذ إلى صميم واقعنا وان تخصبه، وتركنا للواقع الفاسد أن يعود وينتصر. .
وأقسى انتصار للواقع الفاسد هو ان يتخذ لنفسه عنوان الانقلاب وعنوان الشيء الجديد وعنوان الفكرة الأصيلة.

آذار ١٩٥٦

# الضرورة التاريخية التي أتى البعث لتلبيتها[1]

أريد أن أوضح للرفاق[1] نقطة أعتبرها هامة وأقولها بمناسبة انضمام الرفيق إلى الحزب، هذه النقطة هي الضرورة التاريخية التي جاء حزب البعث العربي الاشتراكي ليلبيها، فهي ضرورة تاريخية في هذه المرحلة المصيرية من حياة أمتنا.

متى نتثبت من صحة مبادئنا وصحة نظرتنا. ؟ . . .

نتثبت من صحة طريقنا عندما تأتي الأحداث والتجارب والانتصارات القومية فتزيد من حاجة الامة الى هذه المبادىء وهذا الطريق، بدلاً من أن تبطل هذه الحاجة أو تضعفها أو تأتي بأشياء أخرى تغني عنها. . فنحن الان ومنذ تحقيق بداية الوحدة العربية بقيام الجمهورية العربية قد دخلنا طوراً تاريخياً جديداً. . دور تحقيق عملي جدي لمبادئنا. . فنحن وبالرغم من مضي السنة والنصف على حل حزب البعث العربي الاشتراكي في الجمهورية نشعر ونلمس بعقولنا وضمائرنا وتجربتنا أن بقاء الحزب في الوطن العربي ما زال ضرورة قصوى وان زواله يعني كارثة ويعني تردياً وانهياراً للآمال وضياعاً للجهود. . ولكن لماذا؟

أقول هذا وأنا أعرف، ولربما أكثر من أي شخص آخر في الحزب، ما ينتاب حزبنا من نقص وتشويه طارىء. . فالمسألة ليست بسيطة إلى هذا الحد. . المسألة مسألة اتجاه وعقيدة وتجربة. . فحتى لو افترضنا المستحيل وافترضنا أن حزب البعث قد تشوه تشوهاً كاملاً في كل شيء إلى النقيض. . رغم كل ذلك فإن الضرورة التاريخية في

---

(١) كلمة في حفلة قسم أحد الرفاق من العراق بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٥٩.

وجوده تبقى موجودة، في فكرته وإتجاهه، لا يستغنى عنها.

وإذا تشوهت أجهزته فيمكن إصلاح الأجهزة ولكن عندما تفقد الفكرة أو الاتجاه فلا شيء يعوض ذلك.

فوجود حزب البعث وضرورة استمراره الى نهاية المرحلة التاريخية . . إلى أن يؤدي رسالته ويحقق أهدافه كاملة . . يعني أن الأمة العربية في هذا العصر لا يمكن أن تنهض من كبوتها وان تحقق إمكانيات شعبها الكبيرة، وان تسترد مكانتها التاريخية وتؤدي رسالتها الا عن طريق العمل الشعبي العقائدي الحر المنظم، هذا هو الطريق وكل ابتعاد عنه تعريض للأمة ولما حققته لعشرات السنين من النضال للضياع . . ولست بحاجة الى أن أكرر أشياء يفترض انها معروفة لدى كل البعثيين وأن أعود الى ذكر مميزات العقيدة البعثية . . فاكتفيت بالاشارة الى ناحية فقط وإلى واحدة من هذه المميزات وهي كون حركة البعث حركة شعبية تقوم على العقيدة وتنبعث بحرية من وجود الشعب العربي دون أي اصطناع وبالتالي تمثل إرادة الشعب العربي وتستطيع أن تدفعه وتفهم حاجاته وتوحي إليه بالثقة.

فجدير بالشباب العربي المؤمن المصمم على العمل وعلى النضال للاضطلاع بالعبء التاريخي، جدير به أن يدرك هذه الحقيقة وأن لا سبيل للعمل الجدي إلا في هذا الطريق، وانه إذا طرأ على حركتنا بعض النقص وبعض التشويه فجدير بالشباب أن يخرجوا من أعماق نفوسهم وارادتهم، الهمة اللازمة والجهد اللازم للارتفاع ثانية لمستوى حركة البعث كي تكون جديرة بحمل أعباء الأمة في هذه المرحلة. جدير بكل بعثي وكل شاب يدخل حديثاً للحزب أن يعتبر أن حزب البعث يبدأ منذ دخوله إليه، وبالتالي هو مسؤول عن هذه الحركة التاريخية وأن يعطيها من دمه واخلاصه وشبابه مايريد أن يعطي لأمته لأنها هي الطريق الوحيد والصلة الوحيدة العملية بينه وبين أمته.

**١٥ حزيران ١٩٥٩**

# نجاحنا يكمن في صدقنا ومصارحتنا للشعب

## ما زلنا بحاجة ماسة إلى الزهد والصبر والارتفاع فوق الأنانية

أيها الأخوة[1]

كنت أتمنى لو أن الرفاق الذين هيأوا هذا الاجتماع، قبلوا عذري وأعفوني من الكلام في مناسبة من أبهج المناسبات وأحلاها على قلبي، ولكنه التعب والسن يمنعاني من المشاركة، ولو اني أجد نفسي مضطراً أن أقول بعض الكلمات، وكان الاجدى أن تكون تلك الابيات من الشعر الطيّب الخالد هي ختام هذا الاجتماع، فاعذروني إذا وجدتم الفرحة والتأثر يعقدان لساني.

الفرحة بهذا الايمان الذي يتجدّد على الأيام، والذي ينتقل من جيل إلى جيل، ويبعث الثقة والاطمئنان بالمستقبل والنصر الأخير، فرفاقكم الذين بدأوا هذا الحزب منذ أكثر من عشرين عاماً لم يبغوا إلاّ أن يروا هذه الحركة أمانة في أعناق الشباب العربي، وفي أعناق الجماهير العربية، لا ملكاً لفرد أو نخبة من أفراد.

كان هذا هو القصد العميق من تأسيس حركة البعث، وكثيراً ما قلنا وقال المؤسّسون والمناضلون في هذه الحركة، بأنها وليدة آلام الشعب، وان آلامه هي التي خلقتها، وان الحاجة التاريخية هي التي استدعت ظهورها، وان المفكرين والمناضلين فيها لم يعملوا أكثر من تلبية هذا النداء المنبعث من أعماق أمتنا، ولم يفعلوا أكثر من ترجمة هذه الحاجات وهذه الأهداف التي تجول في ضمائرنا وضمائر شعبنا في كلّ قطر من أقطاره.

---

(١) كلمة بمناسبة الذكرى السابعة عشر لتأسيس الحزب.

**أيها الاخوة**

عندما أستعرض في ذاكرتي تاريخ هذه الحركة، أجد أننا كلّنا أردنا لها أهدافاً وصفات عالية متكافئة مع صعوبة المهمة. وأجد في الوقت نفسه أننا قصّرنا في كثير من الأحيان عن تحقيق كل ما أردناه لحركتنا، وأمتنا، وأن أكبر ضمانة لاستمرار هذه الحركة ولنجاحها في تأدية رسالتها هو في صدقها، وفي مصارحتها لنفسها وللشعب، فيما ينقصها وفيما يعوزها من أشياء لم تستكمل الشروط اللازمة لتحقيقها. فما دمنا نشعر بهذا الحس العميق الحي الى الصدق والى الصراحة.. ما دمنا نثور على أنفسنا وعلى أخطائنا وعلى الغرور الذي قد ينتابنا في وقت من الأوقات، وعلى الشهوات التي قد تجد إلينا سبيلاً في ظرف من الظروف.. ما دامت هذه الحركة تحتفظ بالضمير الحي، بحسّ الصدق، بحب الحقيقة، بشعور الرسالة، وبأنها من أجل الشعب وجُدت، ومن أجل الأمة، ولم توجد من أجل أفرادها، وبالتالي عليها أن تعلو دوماً فوق نفسها..

ما دام هذا الحس موجوداً، ونابضاً، وحياً، فإننا نستطيع أن نطمئن إلى المستقبل، وأن نواجه المصاعب، وحتى النكسات، بروح عالية وبإرادة صلبة، تتغذى من الانتصارات والانتكاسات على السواء، لتكمل هذا البنيان، وتصحح ما فيه من خلل، ولترفعه عالياً بقدر ما هي أهداف الأمة العربية عالية وبعيدة.

**أيها الاخوة**

لقد وقع حزبنا عبر نضاله الطويل في بعض الأخطاء، ووقع بعض القياديين فيه في أخطاء غير بسيطة، ولكن هذا لايبرر ولا يخففّ من جريمة المتآمرين على الحزب، من الرجعيين أو من ذوي المصالح والأغراض.. ويكفي هذا الحزب فخراً وثقة بسلامة اتجاهه وسيره، انه ما هوجم يوماً، ولا سلطّت عليه الحملات والافتراءات، إلاّ وكان المستفيد منها أعداء الأمة العربية وإلاّ كان حصيلة ذلك إنعاشاً للاستعمار والرجعية في الوطن العربي، وهذا ما حصل في العراق بعد نكسة تشرين الثاني، حيث لم يخلف الحزب حكم أكثر تقدمية، وأصدق عروبة، وأقدر على تحقيق أهداف الشعب، من حكم الحزب، رغم أخطائه وثغراته.. بل العكس هو الصحيح.

**أيها الاخوة**

من المشاكل الفكرية والعملية التي واجهناها منذ تأسيس هذه الحركة الى الآن، مشكلة حية، هي هذا الميل الذي يظهر عند بعض الشباب إلى الانطواء والتعقيد. . إلى الاستعلاء. . فكنا دوماً نقول ونكرر أن حركة البعث ليست جمعية سرية ولا إرهابية. . ليست مدرسة فكرية معقّدة لنخبة من المثقفين، ولكنها حركة شعبية للجمهور الواسع، ودعوة للشعب العربي كله، وهذا لايمنع أن تكون حركة أصيلة وعميقة.

وإذا وقع شيء من هذا، فالحزب أو الحركة مهدّدة في وجودها بالذات. وقد يكون في الماضي أخطاء، وقد يكون فيه ثغرات ونواقص، في الأشخاص، وفي الأشياء، وفي المنجزات، ولكنه هو الماضي. . هو الأصل والأساس. . ولا نستطيع أن ندّعي بأننا نحمل رسالة تاريخية ونحميها، وأن نجهل الفكرة الأساسية لحزبنا، وهي التي تلخص الدوافع العميقة التي دفعت أمة بكاملها. . شعباً بكامله. . إلى خلق هذه الحركة نتيجة الآلام والعثرات الكثيرة. .

إن في تراث الحزب وفكرة الحزب تلخيصاً لهذه الدوافع، ولهذه الظروف النفسية والفكرية والاجتماعية والاخلاقية، التي كانت سبباً في ظهور حركة تاريخية. . فإذا كان لهذه المناسبة التي تحيونها اليوم من عبرة وعظة، فهي بالدرجة الاولى أن تحافظوا على وحدة حزبكم. . الوحدة في كل شيء وفي كل معانيها. . الوحدة في الحاضر، وفي المكان، وفي الفكر وفي الأسلوب. . الوحدة بين الماضي والحاضر، لكي نستطيع أن نبني المستقبل.

**أيها الاخوة**

في الوقت الذي يستلم فيه الحزب السلطة، تنفتح أمامه إمكانيات عظيمة للتحقيق، وتنفتح في الوقت نفسه مجالات كثيرة للانحراف والاستغلال[1]، فالسلطة امتحان كبير، وقاسٍ، ولا يعصم حزبنا من المزالق إلا هذا التذكرّ الجدّي، الصارم،

---

(١) حذفت جريدة «البعث» التي نشرت تلك الكلمة لفظتي الانحراف والاستغلال.

الواثق.. تذكرٌ للماضي.. للدوافع الحقيقية العميقة.. للضرورة التاريخية التي استدعت ظهور هذه الحركة.. فعند ذلك نأمن الزلل، وعند ذلك نعلم بأن هذا الحزب لم ينجح في الماضي، إلاّ لأنه كان في تفكيره علمياً وواقعياً ومخطّطاً، وبأنه لايستطيع أن ينجح في الحاضر إلاّ إذا كان أيضاً معتمداً على قواعد العلم والتخطيط والواقعية، وإلاّ إذا كان أيضاً كما كان في الماضي، عائشاً في جو ثوري حقيقي.. في الجو الأخلاقي.. في جو الرسالة التاريخية التي تتنزّه عن الأغراض الشخصية، وعن الشهوات، وترفع النفوس، وتمد الأنظار والأبصار الى بعيد، الى الأفاق العالية، لأننا بحاجة مستمرّة الى هذا الجو لكي نحفظ لهذه الحركة اصالتها، ولكي يبقى جوّ المحبة هو المسيطر عليها، ولكي تنسجم النشاطات والكفاءات، وتصبّ كلها في نهر واحد.. في نهر الثورة العربية والمصلحة القومية، لأن مهمتنا ما زالت كبيرة وصعبة، وما زلنا في أول الطريق.

**أيها الاخوة**

رغم مرور عشرين سنة على نضالنا، ما زلنا بحاجة ماسة حيوية الى النظرة الاولى التي رافقت نشوء هذا الحزب.. الى نظرة الزهد، والصبر، والارتفاع فوق الانانية، والى الايمان بكلّ معانيه، فالايمان لايتعارض مع التفكير العلمي، والنظرة العلمية إنما يعطيها الايمان الروح والغذاء، ويعطيها الصبر والنفس الطويل، ويقيها من اليأس والتخاذل والنفعية والانتهازية.. الايمان بالمثل.. الايمان بالحقيقة.. الايمان برسالة الأمة العربية.. الايمان بالله.

**٧ نيسان ١٩٦٤**

# مشكلة السلطة في الحــزب

المشروع المقدم[1] من قبل الحزب (حول الكيان الفلسطيني) ما هو من قبيل التكتيك، بل هو تعبير عن قناعة الحزب في أصحّ إسلوب لتنظيم الفلسطينيين من أجل معركة التحرير.

موضوع الأرض في المشروع يبدو أحياناً، بأنه وضُع لاحراج الآخرين، البعض يستنتج بأنه تكتيك لاحراج حكومتي مصر والأردن. في الواقع ليس هذا قصد الحزب، وإن كانت القيادة تقدّر بأن شرط الأرض صعب التحقيق جداً، إذ توجد عوائق عملية واقعية شائكة تعترض تحقيق هذا الشرط ولكن للأمانة والفكرة نقول بأن الأرض شرط لجدّية المشروع، وان لم يتيسّر توفيرها الآن فتكون للمستقبل. ويجوز أن نبدأ بالتنفيذ ولو لم يتوفر شرط الأرض.

ذكر هذا الشرط في المشروع هو من قبيل التعبير عن الصراحة الثورية لأن هذه هي قناعتنا ـ الكيان يجب أن تكون له أرض. والفرق واضح بين مشروع الحزب وما ضمنه من شروط وبين المشروع الذي باشر الشقيري بتحقيقه والذي هو عبارة عن تسوية بين الحكومات المختلفة. وبمقدار ما تنجح الثورة في سوريا بتثبيت أقدامها والانطلاق في تحقيق أهدافها ـ وبالتالي كسب ثقة الشعب العربي في داخل سوريا وخارجها ـ بمقدار ما تستطيع أن تُخرج هذا المشروع الى حيّز التطبيق، إذ بينه وبين سلامة الوضع الثوري في سوريا ومتانته واستمراره رابطة وثيقة.

---

(١) حديث في اجتماع الفرقة الحزبية في باريس، وقد دارت أسئلة الرفاق حول موضوع الكيان الفلسطيني، والوضع الاقتصادي في سوريا، وسياسة سوريا الداخلية، وهل تأخذ بعين الاعتبار مصلحة الحزب خارج سوريا، وضمانات الحرية داخل الحزب بعد وصول الحزب الى السلطة في البلاد العربية.

هذا ينقلنا الى الموضوع الأساسي وهو وضع الثورة في سوريا، ولا شك بأن الوضع الاقتصادي شيء أساسي وخطير في وضع الثورة.

في الأشهر الستة الأخيرة ظهر ارتباك كبير وتخبط وعجز عن الانجاز والتحقيق ووضح هذا للجميع، حتى للعالم الخارجي. وإذا أردنا أن نوجز الأسباب الأساسية نرى انها في الدرجة الأولى نتيجة فشل الحزب في العراق وتضييع الثورة هناك فانعكست على سوريا وجرّأت الأعداء في الداخل والخارج، مما سبب هذا الارتباك. ولكن هناك أسباباً أخرى على مكان من الخطورة والأهمية: نقص التجربة في الحزب، والنزاعات الداخلية في الحزب. النزاعات الداخلية تذرّعت بخلافات مبدئية وعقائدية، وانعكس كل ذلك على الرأي العام وترك انطباعاً بالضعف والفوضى والعجز أحياناً. وإذا وضحنا هذه الأسباب بعض التوضيح نرى أن الحزب، بعد ثورتي رمضان وآذار، فاجأ الأعداء بخطر في مستوى لم يكونوا يتوقعونه فجمعوا كل ما عندهم من قوّة وحيلة لضرب الحزب ولعدم تمكينه من تحقيق أهدافه وإنجاح تجربته لأن نجاح تجربة الحزب في قطرين هامين كسوريا والعراق له معناه الواقعي - والأعداء يفهمون ذلك قبل غيرهم - ان هذه التجربة ستشمل الوطن العربي كله بسرعة. فمن المعروف أن للحزب تنظيماً في مختلف الأقطار العربية ومعروف بأنه يستمدّ قوته من الشعب لا من زعامات إذا انتهى الأشخاص تنتهي معهم. إن خطر الحزب على الاستعمار وعلى الذين يرون فيه منافساً وعائقاً لتحقيق مصالحهم في الوطن العربي خطر كبير. كان من المفروض إذن أن نقدّر ضراوة المعركة قبل أن نبدأ الثورة أو منذ بدايتها وقبل أن تنكشف كل الخطط وكل الأسلحة والوسائل التي ألقى الأعداء وخصوم الحزب بها في المعركة. كان هذا يتطلّب وجود خطة واضحة ومفصّلة ولم تكن موجودة. ان وضع خطة بعد قيام الثورات هو أمر صعب جداً أيضاً لأن الانغماس في المشاكل اليومية والحاجة إلى مواجهة الأحداث يوماً بعد يوم تعوق وضع هذه الخطة، وان كان يمكن أن توضع خطوط عامة تغتني يوماً بعد يوم بالتجربة.

الخطوط العامة كانت موجودة، وموجودة حتى قبل قيام الثورة، لكن كان من الواجب وجود سلطة في الحزب تفرض الالتزام بهذه الخطوط العامة للخطة وعدم

مخالفتها أو الابتعاد عنها، ولو لم تكن هناك خطة بالمعنى الكامل والمفصّل. إن مشكلة السلطة في الحزب هي من أهم وأعمق المشاكل الحزبية، ومن واجب كل بعثي أن يطلّع على هذه الحقيقة وأن يفكر فيها، وأن تُبحث في المؤتمرات وفي القيادات ومن قبل القاعدة، لكي نصل إلى حل، لهذه المشكلة الصعبة والمزمنة. البحث يقرّب من الوصول الى الحل. والاهتمام في المؤتمرات والقيادات والقاعدة يكون هو أيضاً عنصراً مساعداً على الحل لأنه يوجد هذا التنبّه وهذا الوعي عند أعضاء الحزب بأن هناك نقصاً مخيفاً، ولكنه يُستر ولا يُعترف به، بل يُدّعى خلاف ذلك، وبالتالي يطرأ الخلل على سير الحزب بسبب هذا النقص، ولا يدري الحزب ولا أعضاؤه السبب حتى يتداركوا الأخطار قبل وقوعها.

حزبنا هو حزب ثوري عبّر عن ثوريته في عدة مجالات ولكن أهم مجال عبرّ فيه عن هذه الثورية هو مجال وحدة التنظيم ـ كون الحزب ذا تنظيم عربي لا ينحصر في قطر واحد ـ يشكلّ تحدّياً لواقع قوي وصعب جداً هو واقع التجزئة.

القيادة القومية هي التعبير العملي لنظام الحزب عن هذه الوحدة، وبالتالي عن ثورية الحزب، وهي تعني وجود عدد من القادة من أقطار مختلفة، حسب مؤهلاتهم وثقة المؤتمرات بهم، تنتخبهم المؤتمرات ويقودون الحزب. عندما يصل الحزب في قطر أو أكثر إلى مستوى الاشتراك في الحكم أو استلام الحكم كاملاً، تصل القيادات القطرية في هذه الأقطار إلى حدّ من القوة يغريها بألّا تخضع لأية سلطة فوقها. فما هو المؤيد لسلطة القيادة القومية؟ انه نظري لا أكثر. لكي تكون القيادة القومية هي صاحبة السلطة العليا فعلياً يجب أن يكون وعي القاعدة الحزبية في أعلى مستوى وسهرها على سير الحزب والتزامه بمبادئه ونظامه أيضاً فائقاً ـ هذه أشياء لم يبلغها الحزب حتى الآن. فعندما كانت القيادات القطرية تصل إلى الحكم أو إلى جزء من الحكم كانت تبدو بوادر التصرفات الفردية والتمرّد الواضح أو المتستّر ـ هذه تجارب مرّ بها الحزب من سنين عديدة. في سنة ١٩٥٦ اشترك الحزب في الأردن بالحكم خلافاً للنظام الداخلي. النظام الداخلي يترك للقيادة القومية أن تحدّد الأقطار التي هي في مستوى الاشتراك في الحكم ـ سوريا وحدها كان مقرراً لها الاشتراك. وتكرّر نفس الشيء في العراق في سنة ١٩٥٨،

ولكن القيادة القومية كانت في حالة من التشتت، لأن القيادة القومية اشترك منها أعضاء في الحكم في الجمهورية العربية المتحدة بعد قيام الوحدة، فتشتّتت وصار جمعها صعباً. كان ملاحظاً إذن منذ ذلك الحين بأن القيادات المحلية القطرية والقياديين الذين يكتسبون نفوذاً سياسياً كبيراً، يبدأون بالتملص من توجيهات القيادة القومية ومن التقيّد بالنظام الداخلي لها. ثم حدث ردّ فعل لهذه التصرفات في سنة ١٩٥٩ كان المؤتمر القومي الثالث جواباً ومحاولة لمعالجة هذا المرض، معالجة جزئية وغير عميقة، ولكن على أية حال فإن مؤتمر ١٩٥٩ أكدّ وحدة الحزب القومية ضدّ الذين حاولوا أن يستندوا إلى قوّتهم القطرية للتمرّد على التوجيه القومي وعلى الخطةّ القومية ـ ولو أنه لم تكن هناك خطة بالمعنى الصحيح موضوعة.

ومنذ نهاية ١٩٥٩ إلى أول ١٩٦٣ تمتعّت القيادة القومية بسلطة معنوية لحدّ لا بأس به كردّ فعل على محاولات الريماوي والركابي وكل الذين استخدمتهم أجهزة عبدالناصر ـ وهم أيضاً استخدموا أجهزة عبد الناصر أو استغلوها لتحقيق أغراض شخصية في أقطارهم. وكانت القيادة القومية في فترة الثلاث سنوات هذه رمزاً لوحدة الحزب. كانت وحدة الحزب مهدّدة فيها بالدرجة الأولى لأن عبدالناصر وأجهزته حاولوا أن يباعدوا بين فروع الحزب وأن يكسبوا أشخاصاً قياديين من خارج الجمهورية لهم. ففي الأقطار العربية الثانية خارج الجمهورية، وخاصة في المشرق العربي، كان الرأي العام إلى حدّ كبير متحمساً لعبد الناصر وللوحدة التي تحققت. وكان عبدالناصر رمزها. وكان الشعب في الأقطار العربية يجهل أخطاء حكم الوحدة ولا يرى فيه إلاّ ما يعرف عن طريق الدعاية والاذاعة وإلاّ ما يحمّل الوحدة من آمال للمستقبل، وبما أنها أول خطوة للوحدة وستتوسع، كان الشعب العربي حريصاً عليها. بل ان الجماهير في لبنان والأردن والعراق وغيرها كانت مع عبدالناصر إلى حد كبير، وكان الحزب يحتاج إلى جهد كبير وإلى صمود وتماسك حتى يحافظ على وحدته ولا يتأثر بهذا التباعد الموقتّ بينه وبين الجماهير. بعد الانفصال لم يتغير شيء في الواقع لأن الجماهير بقيت في اتجاهها ولكن تفهمها لمواقف الحزب ازداد ـ أي أن البعد الذي اصْطُنعَ بينها وبين الحزب خفّ وتقلّص لأن الانفصال كشف نقصاً كبيراً في السياسة التي أدّت إلى

الانفصال، وكشف إلى حدٍ ما بُعد نظر الحزب وغيرته على الوحدة وعلى الأهداف القومية وخاصة موقفه من الانفصال طوال فترة سنة ونصف. موقف مبدئي عنيد، لم يتراجع أمام كل الضغوط والحملات التي شنها العهد الرجعي الانفصالي الشعوبي عليه في سوريا.. إلى أن قامت ثورتا العراق وسوريا، فكان الامتحان هنا - امتحان بأن القيادات القطرية تنجح في تفجير ثورة وتستلم السلطة، وعملياً تضع نفسها فوق كل سلطة أخرى أو قيادة في الحزب.

البراهين والبوادر والعلائم على تمرّد القيادات القطرية وتحللها من النظام الداخلي للحزب ومن الخضوع لسلطة القيادة العليا ظهرت من الأسابيع الأولى للثورة.. من الشهر الأول ظهرت في مباحثات الوحدة في القاهرة. كان الوفد العراقي، وهو كله حزبي - لأن الحزب في العراق استلم السلطة من الباب إلى المحراب - لم يجتمع ولا مرة مع الوفد الحزبي السوري.. الوفد السوري كان يضم غير حزبيين أيضاً، ولكن الحزبيين ضمن هذا الوفد كانوا يطالبون الأستاذ صلاح باجتماع مشترك مع الرفاق العراقيين لتنسيق الموقف، وكان الرفاق العراقيون يتهرّبون. ظهرت هناك نظرات وتجلّت في تصرفات عديدة: فروق بين النظرة للوحدة من قبل القيادة القطرية في العراق والنظرة للوحدة عند قسم من القياديين في سوريا. أما القيادة القطرية العراقية، وكانت بكاملها تقريباً، فلم تكن متحمسّة للوحدة. جرت أبحاث ضمن الحزب دلّت على ذلك، أثناء أو بين رحلة وأخرى إلى القاهرة كان يأتي وفد من العراق إلى سوريا ويقول: وضع العراق لايسمح بالدخول في وحدة من الآن إلى سنوات.. مشاكلنا الاقتصادية، والأكراد وغير ذلك، فنحن لانستطيع أن نحلّ هذه المشاكل إلاّ إذا بقينا مسيطرين على السلطة، وانه إذا لم يكن ثمة بد من توحيد، فليكن وحدة جمهوريات اتحادية..

النقطة التي تبسّطت فيها وأعتبرها هامة جداً وأطالب كل بعثي أن يفكّر فيها هي هذه: كيف يكون حزب البعث قومياً في فكرته وتنظيمه ولا تكون هناك سلطة للقيادة القومية؟ يكون لها بعض السلطة عندما يكون الحزب في بعض الأقطار غير مستلم للحكم، وعندما يصل للحكم تنتهي سلطة القيادة القومية.

وفي سنة ١٩٦٠ أنعقد مؤتمر قومي رابع في آخر الصيف ـ أي بعد سنة من المؤتمر الثالث ـ وأكّد وحدة الحزب وكل المبادىء، إلاّ أني ما زلت أذكر أن بعض القياديين في لبنان أخذوا يبشرون بفكرة على أثر المؤتمر. القيادة القومية ليس لها لزوم. . القيادات القطرية هي الواقع الحي. . الحزب موجود في أقطار، القيادات القطرية هي التي تعاني التجربة مباشرة، وهي التي تفهم حاجات الشعب من خلال معاناتها اليومية، إن القيادة القومية شيء نظري لاتقدر أن تفرض سلطة ولا تتفهم عن كثب حاجات الشعب، وبالتالي كانت خلاصة رأيهم أن هناك أحزاب بعث في حقيقة الأمر، ليس حزباً واحداً إنما أحزاب متقاربة يمكن أن تجتمع بين حين وآخر في مؤتمرات للتداول في أمورها ومنجزاتها المختلفة وتنسيق العمل. . هذا كلام كان يحكى همساً وليس في اجتماعات رسمية وليس في مؤتمرات. وهذا برأيي نتيجة اليأس عند هؤلاء، نتيجة صعوبة المعركة، لأن هؤلاء لما اختلف الحزب مع عبدالناصر في سوريا وطلب منهم بأن ينسجموا مع خطه، لأن الحزب طلب من ممثليه أن ينسحبوا من الحكم، (ولو أن التنظيم كان محلولاً إلاّ أن الروابط ما زالت بعد) هؤلاء كان بيدهم جريدة «الصحافة» في لبنان وكانوا يساومون ويدخلون في جدل ساعات وأيام لنشر عشرة أسطر في الجريدة عن استقالة الوزراء البعثيين، وكان فيها أن الوزراء البعثيين استقالوا لخلاف في الرأي مع عبدالناصر. وكانت هذه الأسطر يجري عليها التعديل والحذف لتبقى رمزية حتى لاتفسد العلاقات بينهم وبين القاهرة. الجمهور في لبنان ناصري عاطفي. . كانوا متأثرين من هذا ومرتبكين من انسحاب الوزراء البعثيين في سوريا من الحكم، هؤلاء كانوا من أول المصفقين للانفصال، وكانوا انفصاليين قبل وقوع الانفصال بسنة على الأقل. في البداية (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) تقريباً، استسلام أو إيجابية تامة مع أجهزة القاهرة. بعد ذلك لما فرض الحزب طريقه الذي يعبر فيه عن الخط الوحدوي السليم ويعترض على التطبيق المنحرف في الجمهورية العربية المتحدة وبالتالي يتحمل تبعات ذلك ويصمد، وجد هؤلاء أن الجماهير ظلّت لحدّ كبير مخدوعة ويئسوا من إمكانية نجاح الحزب، وبالتالي صاروا يتمنون الانفصال، ولما وقع الانفصال تبنّوا المنطق الانفصالي رأساً.

ثم لما أكّد الحزب في مؤتمره القومي الخامس في أيار ١٩٦٢ عقيدته الوحدوية وثباته عليها وعزمه على تجديد الوحدة وأن يستفيد من التجربة الأولى ومن أخطائها أنقذ بذلك فكرة الوحدة التي كانت مهدّدة بالانهيار وسمعة الحزب التي كانت أيضاً مهدّدة، وبرهن على عقائديته الأصيلة. . هؤلاء تركوا الحزب. في المؤتمر كان موقفهم سلبياً جداً، وخرجوا من المؤتمر مصممين على مخالفة مقرراته، وكان بيدهم القيادة القطرية في لبنان. . وآخر الأمر أنشقوا عن الحزب:

المشكلة كانت محلولة تماماً في العراق بعد الثورة. لأن القيادة هناك رفضت الخضوع لنظام الحزب ولتوجيهات القيادة القومية وللنظام عامة، وبقيت على رأس الحزب بدون إجراء انتخابات ٧ ـ ٨ أشهر. من البداية كان لهم موقف خاص من الشيوعيين، موقف مخالف لسياسة الحزب ولقرارات القيادة القومية. أثناء حكم عبد الكريم قاسم كانت القيادة القومية توجّه القيادة في العراق بنشرات وقرارات ـ موجودة معي الآن ـ بأن لا ننجرف في التيار اليميني المعادي للشيوعيين، برغم الفظائع التي ارتكبها الشيوعيون، والسيطرة على الوضع وعلى الرأي العام حتى لايحدث ردّ فعل شعبي غوغائي يميني لايستفيد منه إلاّ اليمين والاستعمار. وإذ انفجرت الأحقاد الشعبية ضد الشيوعيين وأعمالهم الهمجية، وكان كل هذا قد نُسي، وقعت القيادة القطرية بكاملها بدون تفريق في هذا الخطأ منذ الشهر الأول. لم يعترض أحد في أن يُجاب على حمل الشيوعيين للسلاح في الأيام الأولى للثورة حملوا السلاح فيجب الردّ بالسلاح. ولكن الاستمرار في القمع دام أشهراً، وكان من الواضح أن هذه السياسة ستقوّي اليمين والمحافظين في الداخل وتشجع الاستعمار وتُبعد عن المعسكر الاشتراكي. قامت حملة في العالم كله ضد ثورة العراق من الفئات التي تعتبر كل محاربة للشيوعية هي خدمة لليمين والاستعمار. واستمرت التصرفات الطائشة سواء في اعتقالات أو إذاعات ضد الاتحاد السوفييتي واستمرت الاعدامات كل شهر وأحياناً كلّ أسبوعين.

لا أعتقد بأن هناك مجالاً الآن لاسترجاع كل الخلافات القيادية في العراق، ولكن هنا موطن المرض والخطر خاصة عندما تكون قيادة كما هي عليه الحال في

قيادة العراق ناقصة التجربة والثقافة والفكر، وقد أعطاهم النجاح في الثورة أو معظمهم، أطماعاً كبيرة وغروراً فأساءوا استعمال السلطة. في سوريا الأمر يختلف بعض الشيء: هناك كانت فئات غير الحزب شاركت في الحكم وكان على الحزب أن يتماسك أمامها حتى لاتنجح مؤامراتها لأنها كانت مدفوعة للتآمر والتخريب أو بعضها. والقسم العسكري في الحزب هو الذي قام بالثورة، والقسم المدني شارك بعد الثورة في الحكم، فمرّت فترة لغاية ١٨ تموز، كانت فترة صراع مع الفئات الثانية، وابتداء من ١٨ تموز أصبح الحزب ـ العسكري والمدني ـ هو وحده الحاكم في سوريا.

كانت فرصة نادرة أمام الحزب في سوريا هي التهيؤ النفسي للشعب وتقبّله للثورة لأنه استنكر مؤامرة ١٨ تموز كما أعجب بصمود الثورة وبحكمة القادة فيها الذين قدروا أن يمرّوا ضمن هذه الصعاب والمؤامرات مدة أربعة أشهر ويمروا بسلام. وكان منتظراً من الثورة أن تعطي ما عندها، ولكن ـ مع الأسف ـ من ١٨ تموز بدأت المنازعات الداخلية في الحزب في سوريا هي التي تطغى وتسيطر على كل شيء بعد أن تخلصوا من الفئات الأخرى التي كانت متآمرة وبعدما ظهر التآمر بشكله الواضح السافر في ١٨ تموز. الاطمئنان الذي حصل هنا، كان ممكناً أن يكون هو بداية الانطلاق لكسب الشعب وتنظيمه وتأجيج حماسته للثورة وإعطائه براهين على حيوية الثورة بإنجازات. . جمد كل شيء والتفت إلى التصفيات الداخلية ـ أي شخص كان يريد لنفسه السلطة والمراكز، وأية فئة تحاول أن تزيح غيرها، مع الأسف. . وتجاهل أمراض الحزب لا يساعد على حل المشاكل ولا على شفاء هذه الأمراض. وكانت هناك الخطة بين العراق وسوريا معاً ـ كان الحزب في العراق قد دخل في توجيه الحزب في سوريا نحو النزاعات الداخلية والانقسامات والتقاتل على السلطة وصار التزييف والتزوير في الانتخابات وكسب الحزبيين بالتعيين في الوظائف وتضليلهم بنشر الشائعات والافتراءات على القادة. وتجلى هذا بشكل واضح في المؤتمر القطري السوري في شهر أيلول ١٩٦٣، وظهرت نغمة اليمين واليسار، لا بل ليست نغمة، وإنما خطة مركزة وحملة وأدوار وشعارات وكل ما يلزم لتهديم أشخاص في الحزب من أجل أن يصل أشخاص آخرون الى السلطة، ومع الأسف هذا انتقل نوعاً ما إلى بعض ضباطنا في الجيش.

وفي المؤتمر القومي السادس ازداد المرض وظهر بشكل أوضح بكثير أيضاً بأن هناك تقاسماً للمناصب واتفاقات عندما تقوم الوحدة بين القطرين (سوريا والعراق) والتهاء عن الأعداء بالخصومات الداخلية وتجميد الثورة وعدم إعطاء أي شيء إيجابي للشعب غير الترقب والانتظار والتساؤل والملل. كان الشعب ما يزال إيجابياً إلا أنه طال انتظاره وفي هذه الأثناء تقع النكسة في العراق. طبعاً كان أثرها إلى حد كبير محطمّ التفاؤل والاستعداد الايجابي الذي كان عند الشعب. كان بالامكان تلافي الشيء الكثير من الأضرار والآثار السلبية لنكسة العراق وأثرها على سوريا باتخاذ خطوات إيجابية سريعة حاسمة وتدابير ضدّ الرجعية حتى تُمنع من الأذى والاضرار والتخريب واستغلال النكسة، وتحقق إنجازات إيجابية لمصلحة الجماهير تربط الجماهير بالثورة ربطاً حقيقياً. وكان مثال الانفصال وتدابير عبدالناصر على أثر الانفصال ماثلاً للأذهان وكثيراً ما قيل هذا الشيء واستشهدنا بهذا المثال.. ولكن دون جدوى. عبدالناصر ضرب الرجعية في مصر بشكل حاسم وسريع قبل أن تستأسد وتستغلّ الانفصال ويأتيها المدد من الخارج.. عاجلها بالضرب وتابَع الانجازات الاشتراكية وبرهن على بعد نظر وعلى جرأة وحكمة بهذه السياسة. الذي حصل في سوريا تقريباً العكس، لأنه مادامت الرجعية هي التي ضربت الثورة في العراق فنسايرها في سورية حتى لا تضربنا. وأخذت العناصر الرجعية والانتهازية تخلق جواً في الوسط المدني والعسكري بأن ضياع العراق كان نتيجة التعديات والاستفزازات فيجب إذن أن لا نستفزّ أحداً. فإذا كانت ترجمة هذا الكلام أن السياسة يجب أن تكون حكيمة وعاقلة، فلا خلاف على ذلك.. ولكن العقل يقول انه عندما تصاب الثورة بنكسة يجب أن تحدّد أعداءها ورأساً تقمعهم، تقلّم لهم أظافرهم، ورأساً نكسب الجماهير من عمال وفلاحين وكادحين. منذ تشرين الأول ١٩٦٣ إلى نيسان ـ أيار ١٩٦٤ سبعة أشهر من الجمود في الحكم، وعدم إعطاء شيء للشعب، لا بل إعطاء الرجعية بعض التنازلات والتطمينات. أفرج عن الانفصاليين، حدثت تصريحات ومسايرات وتقرّب من أوساط انفصالية ورجعية، واستمر النزاع والتنافس الداخلي على السلطة.

الذي حصل في العراق لم يكن شيئاً بسيطاً: ضياع ثورة في أقل من عشرة أشهر.

هذا شيء قد يكون فريداً في تاريخ الثورات، وبالتالي يلزم أن يكون هناك أسباب جدية لأن الثورة لا تضيع بدون سبب جدّي. الأشياء التي ارتُكبت في العراق، حتى لما نطرح منها تضخيم الأعداء ـ الأعداء قد يكونون أضافوا إليها مثلاً ٧٥ بالمئة ولكن الـ ٢٥ بالمئة التي تبقى هي ثقيلة الوطأة جداً وكافية من أجل عزل الحزب والحكم عن الشعب وتنفير الناس من الحزب ومن أجل وصم حزبنا لسنين عديدة. طبعاً أي ضرب لحزب البعث لن يكون إلاّ في مصلحة أعداء الشعب، الرجعية والاستعمار والفئات الانتهازية، وكون الحكم الذي جاء بعد ضياع الثورة في العراق حكماً رجعياً وعدوّاً لمصلحة الجماهير وللأهداف القومية الحقيقية هذا يساعد الحزب على أن يصحّح أخطاءه ويبني نفسه من جديد ويمحو ولو بمشقة وجهد آثار الأخطاء الجسيمة والأعمال اللاأخلاقية واللاإنسانية التي ارتكبها أفراد باسم الحزب في العراق. في سوريا لم يقع الحكم والحزب بمثل هذا التهور وبمثل هذه الأعمال الطائشة ـ طبعاً ظروف مختلفة ومستوى القيادات المدنية والعسكرية أنضج ولو بنسب مختلفة ـ ولكن مع الأسف أيضاً وجد في سوريا امتداد لهذا الأسلوب المريض ولهذا المرض الذي ظهر في الحزب في العراق. . .

٢١ حزيران ١٩٦٤

# حماية التطبيق الاشتراكي

**س: نغتنم فرصة إعلان الخطوات الاشتراكية في سوريا لكي نتحدث لقرائنا عن هذه القرارات.**

ج: إن ما تمَّ كان خطوة لابد منها إذ أنها تتمشى ومبادىء الحزب الذي ناضل عشرات السنين لكي يطوّر المجتمع ويحدث الانقلاب اللازم في نظام الانتاج ويغير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ويضع بين أيدي الشعب وسائل إنتاجه. إن الاشتراكية من صميم مبادئنا والتطبيقات الأخيرة كانت ثمرة لنضال حزبنا وانتصار مبادئه.

إن حزب البعث ناضل ويناضل من أجل تطبيق الاشتراكية على المستوى القومي، على مستوى الوطن العربي كله، ليجعل من أدوات الانتاج ملكاً للمجتمع وملكاً للعرب. لقد تعرّض حزبنا لهجوم ظالم لأنه وضع الاشتراكية هدفاً من أهدافه الأساسية، ولكن سرعان ما تحوّل منتقدوه الى مدّعين للاشتراكية ثم الى مزاودين عليها لأنهم أدركوا مدى انفصالهم عن الشعب وعجزهم عن محاربة الحزب. فحزبنا هو أول حركة عربية أكدّت ولا زالت تؤكدّ وحدة القضية العربية نظرياً وعملياً، ولذلك فإنه يعتقد أنّ ما حققه الحزب حتى الآن في أحد أقطاره هو خطوة في الطريق الطويل، طريق توحيد الوطن العربي وحريته السياسية والاجتماعية لكي يأخذ التطبيق الاشتراكي مداه، لأن التطبيق الاشتراكي يجب أن يؤدي إلى توفير المناخ الملائم للوحدة العربية وإلى رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للجماهير العربية بأن يقيم صناعة عربية يتوفّر لها رأس المال العربي المهرق على

الشهوات والملذات في بعض الأقطار، كما يتوفر لها السوق الواسعة الممتدة من المحيط الى الخليج والامكانيات العلمية والفنية المعطلة. إن حزبنا يؤمن بأن الاشتراكية على المستوى القومي تؤتي الثمار المرجوّة منها من رفع لمستوى المعيشة وتنمية للامكانيات الاقتصادية والثقافية وإطلاق للمواهب والطاقات الموجودة بين الجماهير العربية المجزّأة. إن قوّة الوحدة العربية ليست هي نفسها في حالة تجميع الأقطار المجزّأة، وإنما هي قوة أخرى أكبر وأضخم. ولذلك يكون من الواجب الانتباه إلى هذا الاعتبار وتوفير المناخ الملائم للوحدة العربية. فالانجازات على المستوى القطري مهما كانت ضخمة وجريئة لا يمكن أن تكون الحل النهائي لمشكلات الجماهير العربية. بهذا المنظار نحن ننظر للخطوات الهامة التي تحققت في القطر السوري، انها خطوات ضرورية وهي أيضاً بداية الطريق. إلا أن هذه الخطوات حتى تؤتي الثمار المرجوة منها لابد أن تتوفر لها شروط أخرى ضرورية، وأول هذه الشروط أن توضع هذه الاجراءآت ضمن إطار الاقتصاد الاشتراكي المترابط وقوانين حركته لتوفير الظروف الملائمة لتطويره ونمائه مثل تأميم التجارة الخارجية وتنظيمها بحيث يصبح القطاع الاشتراكي المهيمن على فروع الانتاج وبحيث تكون هذه الاجراءآت جزءاً من خطة مدروسة وشاملة لجميع المرافق الحيوية في المجتمع التي تتوقف عليها مصالح الجماهير الأساسية. أما الشرط الثاني فهو إنشاء أجهزة حكومية وشعبية لمراقبة التجربة وتصحيح ما يقع فيها من أخطاء ولكي تحسّ الجماهير بأن هذا الانجاز إنما هو لمصلحتها وقد أصبح ملكاً لها. كما أن نجاح التجربة مرهون بوضع أكفأ العناصر وأشدها إخلاصاً لادارة هذه المؤسسات. إلا أن الشرط الأكثر أهمية لذلك هو انفتاح الحزب والحكم على الجماهير ذات المصلحة الحقيقية في هذه الاجراءات وتقوية الحزب بضبط تنظيماته واحترام أنظمته والانصياع الى قياداته بحيث يستطيع أن يحرّك الجماهير الواسعة ويدفعها إلى الحماس كي تحتفظ دوماً باندفاعها الثوري. إن أحد الشروط الأساسية للاشتراكية المتفّق عليها اليوم بين الأوساط التقدمية في العالم هو توفر حزب ثوري عقائدي يحول دون بيروقراطية الدولة وجمود أجهزتها ويكون قادراً على تحريكها

وتوجيهها، خالٍ من ازدواجية القيادة والتوجيه وموحّد الفكر والعقيدة لمنع منظماته وعناصره من أن تصبح ذيلاً للأجهزة البيروقراطية، الشيء الذي يفقدها حرارة الثورة وشجاعة النضال ذلك المعين الذي لاينضب للطاقات الخلاقّة القادرة على التطوير المستمر والتصحيح النزيه المتواضع ويكون صمّام أمان من الانحرافات التي تسببها مغريات السلطة.

**س: ما هي الصعوبات التي تعترض تجربتكم الاشتراكية؟**

ج: إن الصعوبة الأساسية التي تعترض أية تجربة اشتراكية لاتكمن فقط في الاتجاه الفكري والمصالح الطبقية المعادية للاشتراكية وإنما تكمن في خلق أجهزة جديدة للدولة ووضع علاقات محدّدة بين اختصاصاتها بحيث لا يكون هناك تنازع على الاختصاص والسلطات. وكذلك تحديد علاقات محكمة بين الهيئات الشعبية كعلاقة الحزب بالسلطة وعلاقة النقابات بالدولة ودور الجيش في حماية الثورة وعلاقته بالحزب والسلطة. بالاضافة الى شيء خاص بثورتنا وهي علاقة الثورة في سوريا بالثورة القومية العربية وحفاظها على طابعها القومي ومقاومة الرواسب الاقليمية والقطرية في خارج الحزب وداخله. إن هذه الصعوبات بالرغم من أن المؤتمر القومي السادس لحزبنا قد عالجها وأعطاها بعض الحلول الصريحة إلّا أن الظروف غير الملائمة التي مرت بعد نكسة الحزب في العراق، قد حالت دون وضعها موضع التنفيذ. ونأمل أن نتجاوزها بالتمسّك بالنضالية الصلبة وبمصلحة الحزب والثورة وبالاعتماد على وعي مناضلي حزبنا، وضمن احترام نظامه ومقررات قياداته ومؤتمراته.

إن هذه الأمور التنظيمية والقومية هي التي يدور حولها النقاش داخل حزبنا وهي محل الاختلافات والاجتهادات التي يجب أن تكون أساسها مصلحة الحزب القومية ومصلحة الثورة والجماهير العربية في القطر السوري وغيره من الأقطار العربية. لأن حزبنا ليس حزباً قطرياً وإنما هو قومي امتداده الوطن العربي كله ومصلحته العليا.

إننا إذ نقف على منعطف تاريخي ونحقق انتصارات مهمة لاينسينا ذلك المصاعب المتبقية ولا يثير فينا الغرور والكبر، وإنما يدفعنا إلى مواجهة الواقع

بشجاعة وصراحة، لأن الشجاعة والصراحة الثوريتين هما اللتان تمكناننا من حل المشكلات وتجاوز المصاعب التي تواجهنا إن حزبنا حزب ثوري يؤمن بالنقد والنقد الذاتي ويرفض الهروب من المصاعب، ومصمم على مجابهتها بروح ديمقراطية ثورية.

**٥ كانون الثاني ١٩٦٥**

# تضامن الحركات السياسية العربية

**١ ـ ما هي في رأيكم أهم النتائج التي يمكن أن تنكشف عنها القرارات الاشتراكية على الصعيدين القومي والعالمي؟**

**٢ ـ ما هو في رأيكم معنى التأييد الذي بدا من خلال موقف الجمهورية العربية المتحدة وموقف الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية لهذه القرارات؟**

**٣ ـ هل يترتب في رأيكم على هذه الخطوات الجديدة مواقف عقائدية وسياسية معينة للحزب تجاه حلفائه في هذه المعركة المصيرية للاتجاه الاشتراكي للبعث؟**

* * *

● إن الخطوات الاشتراكية الحاسمة التي عبرّت عن نفسها بوضوح في قرارات التأميم الأخيرة هي برهان جديد على أن حزب البعث العربي الاشتراكي سيبقى أميناً على أهداف الجماهير العربية وعلى خط سيره الاشتراكي العقائدي، وانه سيبقى منفتحاً على تجارب الحركة الاشتراكية ونضالها في العالم.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي هو أول حركة شعبية عربية اشتراكية وعت القضية القومية وعياً ثورياً سليماً، وهذه القرارات الأخيرة قد حددت بشكل عملي هوية حركة تاريخية ناضلت طوال ربع قرن لاحداث الانقلاب الشامل في المجتمع العربي. إن هذا الحزب إذ يؤكّد تصميمه على مواصلة نضاله في سبيل إقامة المجتمع العربي الاشتراكي الموحد، يؤكد في الوقت نفسه إيمانه بأن التراث الاشتراكي في العالم ملك للانسانية بأسرها، وان الطريق العربي إلى الاشتراكية التي تتحدد ملامحها من خلال الواقع القومي، تفرض علينا الانفتاح على التجارب الاشتراكية القومية والعالمية التي

شكّل تراثاً إنسانياً مشتركاً.

فالقرارات الاشتراكية في هذا القطر العربي تؤكدّ من جديد حقيقة سبق وأكّد عليها حزب البعث منذ نشوئه، وهي تلازم الطابع القومي الاشتراكي لحركتنا بالطابع التقدمي الانساني.

لذلك فإن هذه القرارات الحاسمة قد وضعت حلفاء الاشتراكية الطبيعيين وجهاً لوجه أمام خصومها، وكان من أول نتائجها انها كشفت للقوى الاشتراكية العربية والعالمية أن قضيتها واحدة وأن عدوها واحد. وهذا هو الذي يفسّر الاهتمام والتأييد الذي أبدته الأوساط التقدمية في الوطن العربي وخارجه بهذه القرارات.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي انطلاقاً من مبادئه وانسجاماً مع نضاله الثوري التاريخي ينشد اليوم في معركة التحويل الاشتراكي حلفاءه في الحركات الاشتراكية واليسارية والتقدمية، سواء ما كان منها في مرحلة نضال من أجل استلام الحكم تمهيداً لبدء التطبيق الاشتراكي، أو ما كان منها قد استلم السلطة وخطا خطوة أو خطوات في سبيل هذا التطبيق. وإذا بدا في بعض الأحيان والظروف أن الحزب كان في حالة صراع جانبي مع إحدى الحركات اليسارية فما ذلك إلّا لأن مواقف هذه الحركات في أمكنة وأزمنة معيّنة قد أساءت فهم المسيرة التاريخية للاشتراكية العربية التي ربطت وما تزال بين تحرّر أقطار الوطن العربي من الاستعمار ووحدتها وتطبيق الاشتراكية فيها انطلاقاً من ظروفها التاريخية والموضوعية الخاصة.

كما أن تجربة التحويل الاشتراكي في بعض الأقطار العربية قد أدّت إلى انجلاء غبار المعارك الفرعية والجانبية. فلقد أصبح واضحاً أن الرجعية وجميع أعداء الاشتراكية في معسكر، وان الاشتراكيين الحقيقيين في معسكر آخر. لذلك لم يعد هناك مبرر لاستمرار ذيول المعارك الجانبية التي أملتها في السابق ردود فعل انفعالية شغلت الحركة الثورية العربية عن أعدائها الحقيقيين.

إن معركة التحويل الاشتراكي تفرض على الحركات اليسارية العربية أن تتعاضد وأن تتضامن مع الحركات الاشتراكية والقوى والأحزاب التقدمية في العالم.

فعلى القوى التقدمية في الوطن العربي أولاً أن تنهي أزمة الثقة بينها وأن تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة المحافظة على المكاسب التي حققها الشعب العربي وتتكاتف لانهاء أنواع الاستغلال الطبقي والاستعماري.

إن قوى الرجعية في الوطن العربي يربط بينها أكثر من تحالف، فما على القوى التقدمية إذا ما أرادت أن تجهز نهائياً على القوى المعادية لها إلاّ أن توحد صفوفها وأن تضعف اختلافاتها وتعتبرها ثانوية أمام تناقضاتها مع القوى الاستعمارية والرجعية.

لقد أوجدت القرارات الاشتراكية مناخاً طبيعياً لتعاون التجارب الاشتراكية الأصيلة في هذا القطر العربي السوري وفي الجمهورية العربية المتحدة وفي دول المعسكر الاشتراكي. إلاّ أننا يجب أن نطمح في تحالف أوثق وتلاق أمتن بين القوى اليسارية التقدمية في الوطن العربي وبيننا وبين القوى الاشتراكية في العالم أجمع. كما يجب أن نتطلّع إلى مكتسبات قومية اشتراكية جديدة تحقق لأمتنا العربية وحدتها وحريتها واشتراكيتها.

**١٢ كانون الثاني ١٩٦٥**

# الباب الثاني
# في السلوك الحزبي



# حول القسم

لا شك[1] ان هذه اللحظة التي تقدمون فيها على إداء القسم للحزب هي لحظة خطيرة في حياتكم. فأنتم بالرغم من ان مجيئكم الآن الى الحزب يفترض انكم لم تكونوا في الماضي بعيدين عن فكرتنا، وان اشياء كثيرة مشتركة جمعتكم بالحزب قبل ان تفكروا بالانتساب اليه.. بالرغم من هذه الروابط فان عملية الانتساب تبقى عملية خطيرة. اذ ان ثمة فرقاً هاماً بين ان يلتقي الفرد في كثير او قليل من النقاط مع مبادىء حزب من الاحزاب فتعجبه هذه المبادىء من بعض نواحيها ويروق له ان يشارك الحزب بين الحين والآخر في نضاله واعماله، الا ان ذلك كله لايكتسب صفة الجدّية الا عندما يقرر القرار النهائي بأن يربط مصيره بمصير هذا الحزب وهذه الحركة، فلا يعود التقاؤه بالحزب التقاء عفوياً تابعاً لهواه ولرغبته وللصدف، ولا يعود التقاؤه بالحزب ومساهمته في بعض نضال الحزب من قبيل التبرع والهبة يقدمها لهذا الحزب الذي ليس هو منه ويستطيع بالتالي ان يمنع عنه هذه الهبة اذا أراد. بين هذه الحالة وبين الحالة التي ينتقل اليها الفرد بعد الانتساب فرق كبير، لأن في الحالة الثانية.. بعد الانتساب ـ لايعود متطوعاً ومتبرعاً، بل جندياً يقدم ما يعتبر انه مسئول عن تقديمه وانه اذا تأخر أو قصّر في تقديمه فإنه يكون قد خان فكرته وخان وجوده.

والواقع ان العلة الاساسية في مجتمعنا العربي الحاضر هي فقدان هذه الجدّية في الارتباط، ليس في الاحزاب فحسب إنما في كل الاعمال وفي كل التصرفات. هذا المجتمع الذي ما زال مائعاً وضعيفاً رخواً لا يوحي بعد لأفراده بجدية الحياة. لأن الحياة

---

(١) حديث خاص بالذين يتقدمون لاداء القسم الحزبي. ألقي عام ١٩٥٠.

شيء جدي وخطير للغاية، وانه هو الخطورة بعينها. ان الحياة هي المسرح الوحيد المجال الوحيد - امام الانسان لكي يحقق انسانيته، لكي يحقق شخصيته، لكي يعبّر عن جدارته بهذه الحياة، لذلك لا نرى في مجتمعنا بعد علائم الابداع وعلائم البطولة الا نادراً، لأن الابداع ولأن البطولة لا يأتيان الا من هذا الشعور، هذا الشعور العميق الذي يشعر معه الانسان بأنه مرتبط بشيء أساسي في الوجود، وانه مسؤول في كل لحظة من حياته عن اداء واجبه نحو هذا الارتباط.

المفروض اذن في الانتساب الى الحزب الا يكون استمراراً لحالة سبقته. وانما ان يكون قطعاً وانهاء لتلك الحال وبدءاً وانطلاقاً الى حالة جديدة ونفسية جديدة ومستوى جديد. فالذين كانوا انصاراً واصدقاء للحزب يشاركون اعضاء هذا الحزب في بعض افكارهم وفي بعض اعمالهم. يجب الا يفهموا انهم عندما ينتسبون الآن للحزب انهم سيتابعون الطريق الذي كانوا يسيرون فيه ولكن بجد اكثر وبتفرغ اكثر وبعطاء اكثر، لا يجوز ان ننظر الى الدخول في الحزب على انه استمرار للمرحلة السابقة مع تقوية وتنمية لها، وانما الاصح ان نحاول النظر اليه بأنه حالة جديدة يجوز ان تُعتبر نقيضاً للحالة السابقة.

فلقد ذكرت لكم بأن الحالة الاولى يصح اعتبارها انها تطوع وتبرع. والحالة الثانية - الحالة الحزبية - هي مسؤولية. وقد ندرك المقصد من هذا الكلام - من هذا التفريق بين الحالتين - اذا اعتبرنا بأن الاندفاع في فكرة وفي اتجاه تكون قوته بنسبة البعد عنه لا بنسبة القرب منه. بمقدار ما كنتم بعيدين عن فكرة الحزب واتجاهه بمقدار ما تشعرون بالظمأ والجوع الى أن تتشربوا هذه الفكرة وان تدخلوا الى اعماقها، وان تجسدوها في شخصياتكم وفي اعمالكم. وهل ثمة حاجة الى الاستشهاد بحوادث وشخصيات تاريخية؟ من لايذكر مثلاً عمر بن الخطاب؟ الذي كان أكبر مناهض لدعوة الاسلام ولما انفتح قلبه لها اصبح اكبر عضد واكبر دعامة فيها. وكأن مناهضته السابقة لم تكن الا صورة معكوسة عن استعداده العميق لتقبلها. ولكنه استعداد اصيل لايقبل السطحية ولا الزيف. ولذلك لم يشأ ان يقبلها دون تمحيص وتشكيك ومراقبة. وكأن مناهضته كانت امتحاناً لهذه الدعوة.. بل امتحاناً لنفسه. هل هو جدير بها؟ هل تتسع نفسه لها

ولعمقها ولجدتّها؟ كان يمتحن نفسه. . . ولما أتم الامتحان أقبل عليها، وكان من المبرزين فيها.

وأمثلة اخرى قد تكون معروفة لديكم. ولكني لا اريد من هذا ان اقول بأنه يشترط في طالب الانتساب الى البعث ان يكون قد عادى الحزب وناهضه. انما اقصد ان طالب الانتساب الى هذا الحزب يجب ان لايعتبر مساهمته وقربه وميله الى الحزب مدة من الزمن شيئاً كافياً لكي يفهم دعوة هذا الحزب ولكي يرتفع الى مستوى المسؤوليات التي يتطلبها هذا الحزب ويرتبها على المناضلين من اعضائه.

والانتساب الصحيح الى أية فكرة. . . الى أي موقف جدي في الحياة هو أزمة، ولا كالأزمات، هو زلزال في النفس لا يأتي هيناً سهلاً، لا يأتي تدرجاً، لا يأتي وكأن المرء ما غيّر شيئاً من نفسه، وبقي في مكانه. انما يأتي نتيجة أزمة في النفس، نتيجة انقلاب.

الانقلاب الذي يدعو اليه الحزب بذرته هي تلك التي تحدث في النفس عندما تكتشف دعوة هذا الحزب وفكرته.

وكل المستقبل العربي. . كل مستقبل الامة العربية متوقف على هذا الانقلاب في النفوس. . متوقف على هذه الأزمة العصيبة. . على هذا الانتقال المفاجىء من حال الى حال. . على هذا الصراع النفسي الشديد بين حالتين: بين الحال العادية المألوفة التي لاتنتج الا الضعف والا الفساد، وبين الحالة المرتقبة والتي ستكون نتيجة التمرد على كل ما هو عادي ومألوف ونتيجة توتر شديد وعصيب في الارادة وفي الشعور لاستخراج أعمق ما في نفوس العرب من أمكانيات غير متحققة، أمكانيات مخنوقة ومهملة. ويتوقف على كل فرد منكم ان ينظر الى هذا الحزب احدى نظرتين، وبحسب النظرة التي يختارها.يكون قد اختار نفسه وعبرّ عن نفسه وعن إمكانياته اكثر مما عبر عن الحزب وحقيقته.

ان واحدكم عندما ينظر الى الحزب بأنه حزب يضم الافراد ليتعاونوا، وليضموا جهود بعضهم الى بعضهم الآخر، هذه الجهود العادية التي ألفوها، وانه لا يطلب من الحزب اكثر من ذلك اي نظرة عددية. . نظرة كمية تفترض ان هذا الواقع هو واقع حسن لا ينقصه الا تجميع العدد، ويبقى الافراد كما كانوا لايغيرون شيئاً في نفوسهم

ولا في عقولهم ولا في إرادتهم. هذه النظرة الكمية السطحية هي واردة ويوجد كثيرون يتبنونها، ليس خارج الحزب فقط بل داخله. وهذا مناقض للحزب. وهذا ضعف يشكو منه الحزب ويجب ان يتخلص منه.

ونظرة اخرى انقلابية، هي ان الحزب لم يوجد لكي يجمع اعداداً. وانما لكي يخلق افراداً. والخلق تبديل أساسي في النفس.. في المشاعر والسلوك والتصرف..

وقلت لكم بأن النظرتين متاحتان لكل منكم. والذي يختار يكون في الوقت نفسه قد عبر عن حقيقته. الذي لايستطيع ان يبدل نفسه.. ان يستخرج منها القوة الخلاقة الكامنة ليتغلب على ما فيها من استسلام فيختار النظرة الكمية - الزائفة - السطحية. والذي يختار النظرة الانقلابية يكون قد عبّر عن نفسه، اذا كان جاداً في اختياره. واذا كان يعني ما يقول، فإنه مصمم على تبديل نفسه.

لذلك لايصح ان تدخلوا الى الحزب وانتم منتظرون منه ان يعطيكم كل شيء. وان تكونوا منفعلين آخذين لاتعطون ولا تقدمون. لاتظنوا ان الحزب شيء موجود خارج نفوس اعضائه. فالحزب هو اعضاؤه. الحزب هو كل واحد منكم، وكما تكونوا يكن الحزب، وكما تريدوا ان يكون الحزب.. يكن. هذه النظرية هي اعتماد على شخصيات الاعضاء وعلى دافعهم الذاتي العميق، هي التي تضمن لحزبنا النمو.. ان يتغلب على الضعف، وان يرتقي ويقفز حتى يصل الى المستوى الذي يمكنه من تحقيق أهدافه وغاياته.

عام ١٩٥٠

# جدية المسؤولية الحزبيـة

أحب ان أنبه الى ناحية في هذا الحديث القصير وهي جدية مسؤولية الاعضاء[1]. تعرفون اننا نلح دوماً على اهمية القاعدة في الحزب ونعتبرها الضمانة الكبرى لمبادىء الحزب. ولكن يُخشى ان تفهم هذه النظرة الى القاعدة فهماً سطحياً ومنحرفاً، فيُعتقد بأن واجب القاعدة ينتهي عند اعطاء الرأي، وان قاعدة الحزب هي هذا المجموع الكبير من الاعضاء، من شتى الانواع، من المثقفين ومن الطليعة الشعبية التي تجتمع في مناسبات وتنتقد وتحتج وتستنكر وتعارض وتستفسر لماذا حدث الشيء الفلاني ولماذا اتبع الحزب السياسة الفلانية ولماذا تصرف هذا الشخص على هذه الطريقة الخ . .

ان اقتصار دور القاعدة على هذه المهمة لا يختلف كثيراً عن اقتصارها على التأييد والموافقة، اي ان قاعدة لاتعمل في الحزب الا القول في بعض المناسبات: ان تقول لا وتقول كيف وتقول لماذا؟ هي تقريباً مثل القاعدة التي تُجمع بين الحين والآخر لتقول نعم كالقطيع. الا ان المرض في الحالة الاولى مكتوم ومبطّن وغير ظاهر في حين انه في الحالة الثانية مكشوف. فالقاعدة التي تستخدم كالقطيع مرضها واضح وهي قاعدة مزيفة مضللة وبالتالي يكون الحكم عليها سهلاً فاما ان تُستبدل او تُصلح. اما المرض الذي يأخذ الشكل السلبي والاحتجاج فانه يوهم بأنه حالة سليمة وبأنه ليس مرضاً وانما هو غاية الصحة طالما ان المظاهر تدل على الوعي والتدقيق والوجدان الحزبي الذي يستوضح دائماً او يناقش ويدقق. وكلتا الحالتين مرض، فما هي الحالة السليمة للقاعدة السليمة؟

---

(١) حديث القي في الاجتماع الحزبي لطلبة كلية الآداب بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٥ .

**الحالة السليمة هي ان يكون قول القاعدة بقدر عملها، وان تكون حقوقها بمقدار مسؤولياتها فلا تطالب الا بمقدار ما تؤدي من خدمة وعمل، ولا تحتج ولا تعترض الا بمقدار ما تؤيد وتعمل وتنفذ يومياً.**

هذا معناه اولاً ان هذه القاعدة لاتتلهى بالنقد تلهياً ولا تتشفى تشفياً، وانما تنتقد عن غيرة حزبية صادقة، لأن وراء نقدها عملاً ومساهمة وتضحيات. فمن حقها، ملء حقها، ان تستفسر وان تعرف اذا كانت جهودها وتضحياتها مصبوبة في الطريق التي تحقق الغاية من هذه التضحيات، أم انها ستذهب عبثاً او لأغراض خاصة غير سليمة وغير قومية. وثانياً لأن الاعتراض والانتقاد عندما يصدران نتيجة الممارسة يكونان جديين ويكونان صائبين. فالذي يمارس العمل يعرف بالتجربة والمعاناة ماذا يجب ان يصنع في مثل هذه الحالة. وعندما يعترض لايعترض اعتراضاً نظرياً بل يدرك ان هناك خطأ قد وقع.

فأنتم ايها الاخوان، معاذ الله ان نعتبركم تلك القاعدة السلبية اللاهية غير الجدية وغير المؤمنة، والتي تكتفي بالقول والنقد السلبي للتلهي او للتشفي. نحن نعرف ونؤمن بأنكم شباب مملوؤن غيرة على بلادكم وقضية شعبكم، وانتم مرتبطون روحياً بمبادىء حزبكم، والى حد بعيد مرتبطون فكرياً بهذه المبادىء، والى حد اقل وابسط مرتبطون عملياً. وواجبكم ان يصبح ارتباطكم العملي في مستوى ارتباطكم الروحي والفكري. ولا أقول هذا فقط عن وضعكم الحاضر وانتم ما زلتم في وضع خاص، وضع الدراسة الذي لايؤهل لحمل مسؤولية الحزب بكل نواحيها، فنحن نعرف ذلك ونقدّره، ولكن الحزب لا يخاطب اعضاءه بالنسبة الى اليوم الحاضر فقط، الحزب يفترض ان اعضاءه دخلوا اليه ليبقوا فيه نهائياً وليربطوا مصيرهم بمصيره، وانهم بعد ان يجتازوا وضعاً خاصاً معيناً سيستقبلون وضعاً آخر قد يكون مستقلاً، وفي اي وضع وجدوا فهم مطالبون دوماً بأن يجعلوا الواجب الحزبي في رأس الواجبات. فسواء اعتبرنا وضعكم الحاضر او نظرنا الى وضعكم المقبل، عليكم ان تعرفوا ان المسؤولية الحزبية تتطلب جدية اكثر بكثير مما الفتم واعتدتم حتى الآن.

انكم كثيراً ما تتمسكون بعقائدية الحزب، وتظهرون الحرص عليها والخوف من ان

ينالها اي تشويه. وطبيعي باعتباركم الجزء المثقف من الحزب، ان تشعروا أكثر من غيركم بهذا التجاوب بينكم وبين العقيدة، وان تظهروا عليها مثل هذه الغيرة. ولكن في واقع الامر ما هي العقيدة؟ هل هي المبادىء المسطورة سواء أكانت مختصرة ام مفصلة وسواء أكانت واضحة ام نصف واضحة؟ هل العقيدة شيء مكتوب وشيء للمعرفة والدرس، يستوعبه الذهن فقط؟ وهل هي امتحان مدرسي كأمتحانكم؟ هل العقيدة هي هذا الشيء السطحي الذهني؟ وهل هي أن تحفظوا ما يملى عليكم وان تقارنوا بين ما حفظتم وبين ما يطبق بعيداً عن مشاركتكم في الحزب، فتجدون احياناً ان التطبيق بعيد عن الدرس الذي حفظتم؟

من تحصيل الحاصل ان نقول ان العقيدة هي ابعد ما تكون عن الدرس المحفوظ. إنها وان كانت لابد ان تمر بطريق الذهن حتى تُفهم، غير ان الذهن ليس الا طريقاً، ليس الا ممراً لا أكثر. وواجب هذا الممر أن ينقلها الى الشعور والى الاخلاق والحيوية بكاملها، فتتحرك شخصية الانسان: تتحرك روحه، تتحرك عاطفته واخلاقيته فيسجل مواقف جدية. ورب اناس يفقدون هذا الممر الذي يتوفر لكم انتم، اي ليس لهم ثقافة. رب أناس لايفكرون في العقيدة لأنهم لايملكون وسائل المعرفة الكافية ليجعلوا من العقيدة فكراً. ولكنهم يستطيعون ان ينقلوها الى الاخلاق والعاطفة والحيوية كلها ويستطيعون ان يجسدوها عملياً في مواقف حية وجدية. وهؤلاء قد يكونون أكثر عقائدية من المثقفين.

أتيت بهذا المثال المتطرف لكي أنبه تنبيهاً عنيفاً الى ان الذهن وحده غير مجد، مع اقتناعي بأن لاعقيدة جدية دون تفكير، وان عقيدة الفئات غير الواعية لا يمكن ان تكون جدية ولا يمكن ان تكون مضمونة متينة وبالتالي لايمكن ان تخلص من الشوائب. الا انه يجدر بالمثقفين الا يغتروا والا يناموا على ثقة الثقافة.

**اذ لا فائدة من المعرفة عندما تكون خاتمة المطاف، وعندما تصبح غاية في حد ذاتها. فالمعرفة جسر الى العمل الجدي، واذا لم تكن كذلك فهي أفيون للتخدير وهي واسطة للغرور ولتبرير الكسل والخمول.** فنحن في وسطنا هذا الذي نعيش فيه ونصمم على تغييره من اساسه، نجد أن لهذا الوسط قوانين، وان فيه قوى واقعية لا

يمكن تجاهلها، وان له اساليب. فالعقيدة يجب ان تنزل الى الارض لكي تستطيع التأثير في هذا الوسط وهي لم توجد الا للتأثير فيه. فإذا نظرنا الى العقيدة هذه النظرة عندها لايمكن ان نقبل بأن تبقى العقيدة في عالم من الغيوم والسحب، لا هي في السماء ولا هي في الارض. العقيدة وبالتالي العقائديون يجب ان تكون اقدامهم على الارض، ولكن يجب ان تكون نفوسهم حرة طليقة وان تكون عيونهم شاخصة الى مثل أعلى. لايمكن ان تتغلب العقيدة وان يتغلب العقائديون على فساد الاوضاع، على القوى الاجتماعية والسياسية المزيفة ـ وهي قوى محسوسة في وسطنا ـ الا اذا تجسدت في عمل واقعي. لا تكتسب العقيدة مبررها الوحيد ـ وهي الحرية ـ الا اذا استطاعت ان توازن وتعادل القوى الواقعية الفاسدة الراهنة، واكثر من ذلك ان تتفوق عليها وتنتصر. ولا يمكن ان ننتصر على القوى الفاسدة بالكلام، بترديد الشعارات، بالاستنكار، بالاحتجاج الخ... نتمكن من مجابهة القوى الفاسدة ومن التغلب عليها بالعمل الايجابي، بعمل واقعي على الارض، وليس في سحب الالفاظ والافكار الغائمة وترديد الشعارات.

لولا ذلك لما جعلنا حزبنا منذ اليوم الأول لتأسيسه حزباً سياسياً. وما زلت أذكر ان الكثيرين ممن يغارون على الحزب او يظهرون الغيرة عليه أخذوا يتساءلون عندما ظهر الحزب، لماذا أخترتم هذا الطريق وانتم جماعة مثقفة خيّرة؟ لماذا لاتكونون حركة لنشر الفكر والتبشير؟ بل ربما كان بعض الاعضاء الذين دخلوا الحزب في أول عهده قد اخذوا بهذا الوهم او هذا الخطأ. ولقد أجبنا المتسائلين بأن الصفة السياسية التي حرصنا على ان تكون أصيلة في الحزب منذ اول تأسيسه، منذ ولادته، هي امتحان لجديته ولواقعيته وهي درء لشتى الاخطار التي تتعرض لها الفئة المثقفة كالخيالية، والمثالية، والجبن الذي يتستر بالمبادىء، وفقدان الرجولة.

هذا الحزب حزب سياسي ولكنه ليس كسائر الاحزاب السياسية. وانه حزب عقائدي وله أهداف يسعى الى تحقيقها وهي الوحدة والحرية والاشتراكية. وهو حزب انقلابي لايساوم ولا يقبل بالاصلاح الجزئي، بل سيناضل الى آخر الطريق. انها ـ الصفة السياسية ـ امتحان للبرهان على أن هذه العقيدة ليست أحلام مراهقين وخيالات

لمعلمي المدارس وضعوها ليلهوا بها انفسهم في ساعات الأرق، بل فيها من الحيوية ما يكفي لتدخل هذا الواقع الفاسد دون تردد وان تغيّره بالصبر والمرونة حتى تصل الى تغيير هذا الواقع تماماً فلا يبقى الا واقعها الجديد وبذلك تتحقق العقيدة.

فاذا كنتم الآن تضمكم صفوف المدارس، وتأتون من شتى المدن والنواحي لتجمعكم الجامعة، وليس لكم في الوقت الحاضر أرض تطأونها وتركزون عليها أقدامكم كما يجب، فأنتم مطالبون في أقرب فرصة ومنذ الآن ـ لأنكم لم تنفصلوا نهائياً عن الوسط الذي أتى كل واحد منكم منه ـ بأن تعتبروا ان عملكم يجب ان يكون متجسداً، وان يكون على الارض، في وسط معين، في قرية، في حي، في بلد، في هيئة، مع جماعة، مع طبقة، مع بشر أحياء، وان تدخلوا هذا الوسط المملوء بالمصالح الخاصة، بالنفاق والكذب، بالجبن والانهزامية، بالجهل وبلبلة الأفكار، بالعجز: يجب ان تدخلوا اليه كل في ناحيته المتيسرة له، وان تكافحوا وان تنقلوا حزبكم الكبير الى هذا الوسط الضيق الذي أنتم موجودون فيه. انتم مطالبون بالتالي بأن تمثلوا الحزب بأفكاره وتوجيهاته، بأسلوبه ونضاله وان تلمسوا يوماً بعد يوم تقدماً محسوساً بأنكم غيّرتم شيئاً ولم تتغيروا، واذا تغيرتم فإلى أحسن، ان تزدادوا جرأة ومتانة ومرونة. أما أن تبقوا في جوٍ ليس له حدود وليس له ملامح وليس له أرض يمشي عليها الا هذه الاجتماعات في المكتب، وهذا الانفعال العاطفي كالذي يسكر ويثمل بالعقيدة وترداد شعاراتها والفاظها المبهمة، كل هذا لايؤدي الى نتائج جدية.

لا أنكر ولا أحد ينكر بأن لكم كطلاب مهمة خطيرة، وقد قمتم بها في أكثر الاحيان وستقومون بها. وسيظل الطلاب عنصراً خطيراً من عناصر حركتنا القومية . . . بأن تقفوا المواقف القومية ضد الاستعمار والطغيان واستغلال الشعب. هذا دور له أهميته ولا أحد ينتقص منه. ولكن هل تريدون الا يكون لكم الا هذه الصفة، الصفة المؤقتة، وانه عندما تنتهي دراستكم تفقدون كل مؤهل للعمل الحزبي؟ فالذي يلتحق بوظيفة ينسى حزبه، والذي ينتقل الى الحياة العملية ينسى حزبه ايضاً الخ . . ابحثوا منذ الآن ـ اذا كنتم جديرين بمعنى الكلمة ـ عن الوسائل التي تتضمن استمرار حزبيتكم وبصورة جدية، لأن الصفة الطلابية، بصراحة، لاتدل على قوة الحزب.

فالحزب لايحتاج الى قوة مبدأية كبيرة وقوة تنظيمية كبيرة لكي يكسب الطلاب، اذ انهم مهيأون لكي يكونوا مع الحزب. ولكن الحزب يبرهن على أنه فاعل وخلاق ومبدع ومربّ عندما يكسب الاشخاص في غير هذه الحالة السهلة العارضة المؤقتة.

**أيها الاخوان**

الخلاصة انكم مطالبون الآن وفي المستقبل: الآن في هذه الحالة المؤقتة بأن تتحملوا مسؤوليتكم الحزبية بجد أكثر، ليكون لمواقفكم العقائدية ولمناقشاتكم ومطالباتكم للقيادة وللحزب وزن ومعنى، وليكون فيها نضج وخبرة يجب ان تتحملوا المسؤوليات بجد أكثر بأن تبادروا الى العمل فاعلين لامنفعلين محرِكين لامحرَكين، ان تقبلوا بدافع ذاتي وان تملؤوا كل الفراغ الموجود في الحزب، وهو فراغ كبير، عندها يكون لانتقادكم وزن وتأثير. اذ ما الفائدة من الاعتراض والصراخ بأن المبادىء لاتُراعى ولا تُحترم وان ثمة أنحراف الخ . . . هذه اشياء قد تنجح في التخريب والبلبلة وأشاعة جو التشاؤم واليأس ولكنها لاتخيف منحرفاً ولا تخيف اشخاصاً ليست لهم عقيدتكم. ولكن الذي يخيف والذي يرعب والذي يضع حداً لكل انحراف ولكل تهاون او تفريط هو ان تكون قاعدة الحزب قائمة بواجباتها متسابقة الى ملء الفراغ متصلة بالشعب متفننة في خلق الاساليب التي تنمّي النضال. عندها يصبح جو الحزب جواً عقائدياً صحيحاً منتجاً ويصبح الذين يخالفون مبادىء الحزب في وحشة وغربة وذعر، وعندها اما ان ينصاعوا او ان يخرجوا. فحمايتكم للمبادىء تكون بالعمل وبتحمل المسؤولية الآن وفي المستقبل عندما تتركون الدراسة.

يجب ان تعرفوا الحقيقة وهي ان خدمة مبادىء الحزب، هذه المبادىء العامة، تكون في تنفيذ العمل الخاص ولا أقصد بذلك عمل الافراد لأنفسهم بل اقصد التنفيذ الجزئي. ان مبادىء الوحدة والحرية والاشتراكية لاتتحقق بالتظاهر والهتاف، من قبل المئات والالوف لهذه الشعارات، وانما تتحقق عندما يعمل العضو الفلاني في قريته مع خمسة أو عشرين من أهل القرية عملاً منظماً متواصلاً يوصل الى نتيجة، فيبدل فيهم التفكير والعاطفة وقوة النضال.

اني لواثق أن في نفوس الشباب كل الامكانيات وكل الاستعداد لتفهم هذه الدعوة الى الجدية، اذ لاانقلابية الا في مستوى من العمل جديّ يصل الى حد التضحية.

**نيسان ١٩٥٥**

# كيف نفهم التنظيم

في هذا الاجتماع[1] سأثير بعض مسائل تتعلق بالتنظيم والتوجيه فأنتم تترأسون في الحزب فرقاً وشعباً ومكاتب ومن الضروري أن تعرفوا ما هي مهمة قادة الفرق والشعب والمكاتب، وكيف ينظر حزبنا الى صفة القادة والتنظيم. وقد يخطر ببال الكثيرين ان الحزب المنظم، او المثل الاعلى للتنظيم الحزبي، هو ان يكون الحزب كالجيش او كالآلة المحكمة الدقيقة. واعتقد ان هذه إن هي الا تشبيهات ولن تصح. فمهمة الحزب غير مهمة الجيش، والحزب الذي هو مؤلف من افراد احرار لايمكن ان يكون آلة او كالآلة. اذن ففكرة التنظيم في حزبنا متصلة بفلسفة الحزب نفسها، ويصعب جداً ان نفصل فكرة التنظيم عن الفكرة الاساسية التي تقول بالحرية. فنحن نسعى دوماً ونلح في الطلب والتنبيه لكي يصل التنظيم في حزبنا الى اقصى درجات الاحكام والدقة، ولا نعني بهذا مطلقاً اننا نهدف الى جعل الحزب آلة وجعل أعضائه ادوات صغيرة في هذه الآلة.

فالعضو ليس جزءاً من الحزب. هذا تعبير خاطىء. العضو هو الحزب بصورة مصغرة، والمنظمات الحزبية ليست أجزاء. فالفرقة ليست جزءاً ولكنها الحزب بصورة مصغرة. وبالتالي فالموجهون والمنظمون والقادة في الحزب ليسوا أجزاء اذا جمعناهم فيكون منهم شيء كامل. كلا، وانما كل واحد منهم شخص كامل، الا انهم يتناولون أجزاء من العمل. فليس من حذر في تجزئة العمل في التنفيذ فقط ولكن التجزئة لا تصح مطلقاً على الاشخاص، وبتعبير آخر كل عضو في حزبنا عليه ان يعرف كل ما

(١) حديث ألقي في اجتماع لقيادات الحزب في دمشق بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٥٥.

يهم الحزب، ان يطلع على هذا، وان يهتم، وان يعتبر نفسه مسؤولاً ولكنه من حيث التنفيذ لايُسأل الا عن الشيء الذي اوكل اليه تنفيذه. اما ان يكون العضو في التنفيذ والتوجيه محدوداً في ناحية جزئية من العمل الحزبي فهذا خطر كل الخطورة.. اي لايجوز له ان يطلع وان يهتم الا بهذه الزاوية الصغيرة التي حصرنا جزءه فيها. هنا يتحول العضو الى آلة، ومجموعة آلات لاتكوّن حزباً خلاقاً يفيد المجتمع وينهض به.

من هذه المبادىء الاولية يمكن ان نستنتج بعض القواعد العملية في التنظيم والتوجيه. فقائد الفرقة مثلاً ليس هو أصغر قائد. عليه ان يطلع على كل شؤون الحزب وان يهتم بكل شؤون الحزب ومصيره وان ينقل هذا الاطلاع الى اعضاء فرقته. ولكنه يبقى محصوراً في الحدود التي عينها له النظام الداخلي من حيث التنفيذ فقط. ففي حين عيّن النظام الداخلي للقيادة العليا أمر معالجة السياسة والوقوف المواقف السياسية الكبرى والاتصالات والمفاوضات وغير ذلك لم يعط قيادة الفرقة مثل هذه الصلاحيات والمهام. الا ان قيادة الفرقة حتى تكون قائمة بواجبها يجب ان تعرف بصورة معقولة مختصرة، دون تفصيل ولكن بصورة واضحة، ما هي سياسة الحزب وما هي المواقف التي يقفها ومبررات هذه المواقف. فالفرقة لا يُطلب منها ان تعالج مباشرة السياسة العامة بل بواسطة القيادات التي هي أعلى منها. ولكن لايجوز ان تبقى جاهلة لهذه السياسة وان تكتفي بأستلام الاوامر والتنفيذ.

وهناك نقطة اخرى. فلا يظن البعض بأن نتيجة العمل تكون بنسبة ارتقاء هذا العمل في التسلسل الحزبي: القيادة العليا او قيادة قطر او فرع او شعبة او فرقة. هذه نظرة خاطئة لأننا اذا حرصنا على الصورة الاصلية لحزبنا ان يكون حزب افراد احرار فالقيمة لاتكون في مرتبة العمل في التسلسل، هل هو في المرتبة العليا او الوسطى او الدنيا، القيمة تكون في اداء العمل على أحسن شكل، وفي التعمق بأدائه والاخلاص به وفي اعطائه حقه الكامل من الجهد والاهتمام. واكاد اقول شيئاً ليس هو يقينياً ولكن لابرهن لكم على فساد النظرة التي تعطيها القيمة للمرتبة. أكاد اقول ان الامر على العكس وان القيمة تكون للمجالات الدنيا أكثر من العليا مع قناعتي ان القيمة انما هي في درجة الاخلاص والتعمق في تأدية العمل. ولماذا قلت لكم هذا القول؟ لأنه كلما

أرتفعت مراتب العمل في الحزب كثرت المشاغل وأبتعد القادة عن المعاناة الحية مع الاعضاء لينهمكوا في أمور فكرية ونظرية وعملية تتطلب ولكنها لاتسمح بالاتصال المباشر كثيراً، في حين ان العمل في المراتب الدنيا هو أقرب الى الحياة لأنه دائم مع الاعضاء كأفراد احرار. فاذن المجال مفتوح اكثر لتربية هؤلاء الاعضاء لاستخدام الحرية في تنمية مواهبهم وكفاءآتهم وفضائلهم لأنه لا شيء يعادل الاتصال المباشر.

**هذا هو العمل المجدي الخلاق. انه تأثير مباشر من حرية على حريات مماثلة وإرادة على إرادات مماثلة ومن نفس على نفوس اخرى**. . . وعندما تقوم حواجز بين القادة والاعضاء، حواجز غير حية، في المشاريع والدراسات والمواقف السياسية، يصبح مجال الخطأ اكثر لان هذا الاتصال قد نقص. فاذا اردنا ان نحرص على الصفة الانقلابية ـ لأن حزبنا لم يوجد ليكمل الواقع المريض وانما ليبدل ويقلب ـ فاذا حرصنا على انقلابية الحزب يشتد حرصنا على فهم التنظيم على هذا الشكل ونقضي على كل هذه الآلية المنفرة في التنظيم والتي توهم بأن الحزب ليس الا صورة عن دوائر الدولة لتسيير الاعمال وقضاء الاشغال ولتحويل الاوراق وللقيام ببعض الاعمال دون رغبة وقناعة ومحبة. ومتى انتهت هذه الاعمال يشعر الاعضاء بالحرية وبأنهم انتهوا من سخرة ثقيلة. . هذه الصورة لاتخلق نفوساً وكفاءآت ولا تؤثر على المجتمع.

**التنظيم في حقيقته روح ومحبة واحترام الكرامة الانسانية**. فالتنظيم الآلي كله احتقار للانسان لأنه يعتبر الاعضاء ارقاماً فقط في حين ان البشر ليسوا ارقاماً وكل منهم يختلف عن الآخر لان فيه ما يهيئه لان يخدم قضيته وفكرته، وبشكل خاص لايتسنى لأي شخص آخر لان يخدمها بهذا الشكل. على المُنظم ان ينظر الى اعضاء فرقته كل بأسمه، وشرط شخصيته، انا لاافهم مطلقاً ان يدخل أمين الفرقة وينظر الى مجموع الفرقة كأنها جسم غامض، وان يؤدي واجبه بشكل آلي ويطلب ما يجب ان يطلبه منها. الفرقة هي جسم اصطلاحي، فلتسهيل العمل قسمنا الحزب الى فرق. ولكن في الواقع الخمسون والثلاثون والعشرة لايمكن ان نعتبرهم شيئاً واحداً. خمسون معناها هناك خمسون عضواً لكل عضو كفاءآت معينة وفيه عيوب يجب ان تعالج. فأمين الفرقة ان لم ينظر الى فرقته ويوثق الاتصال بينه وبين كل عضو ليكتشف كل واحد منهم

بما فيه من كفاءآت ومميزات وبما فيه ايضاً من نواقص ورواسب تعرقل عمله الحزبي كنقص في الثقافة وخلل في المزاج او اي شيء آخر. ان لم يكشف ذلك ليساعده على ان يؤدي عمله فانه لايكون قد قام بواجبه الصحيح. فواجبه اذن ان ينظر الى الفرقة بأنها مؤلفة من بشر احرار وليست اداة للتنفيذ فقط. وعندما أقول قائد الفرقة فكأنني اقول كل عضو في الفرقة. فليس من فرق اساسي في حزبنا بين القائد والمقود لأننا نفهم القيادة بأنها حرية لاتفرض على الآخرين اشياء لايقتنعون بها. وانما القيادة هي ان تكشف لهم عن حريتهم حتى يقتنعوا بما اقتنعنا به. وهكذا يتحقق الغرض الاساسي من تكوين الحزب وهو ان ننشىء مواطنين عرباً احراراً بنفسية جديدة بإرادة جديدة. لانستطيع ان نخلق مواطنين الا بالاتصال المباشر مع الاشخاص لا مع المجموعة.

في مجتمعنا أفكار خاطئة كثيرة وخرافات عامية يتناقلها حتى المتعلمون لأنهم لايفكرون تفكيراً متعمقاً. وكثيراً ما سمعنا في الماضي ونسمع حتى الآن اعجاباً بالحركة النازية مثلاً، بالتنظيم النازي، ويتلهف الاشخاص الذين يتوهمون انهم غيورون على أمتهم ويتمنون ان يتسنى ذلك لبلادنا. فمصير التنظيم النازي تعرفون ماذا حلّ به، ولكن يجب ان تنتبهوا الى انه اذا كان التنظيم على الاسلوب النازي أصاب الالمان بضرر فانه يصيب العرب بأضعاف من هذا الضرر. فالامة الالمانية أمة راقية قطعت مراحل في الحضارة وكان تاريخها في صعود وأستوفت نصيبها من الحرية، وأثمرت هذه الحرية حضارة وفكراً... وأتى وقت اصيبت فيه بهزيمة في الحرب أثرت على النفوس فتسرب اليها اليأس ونشأ شعور بأنه من المستحسن ان تقيّد الحرية فترة موقتة ليحزموا امرهم وليحققوا مطلباً قومياً.

وكان هذا مبرر لذلك التنظيم. ولكن الشعب المتحرر الراقي المتشبع ثقافة وفكراً لايتحول بيوم واحد الى آلة حتى ولو أعطي صفة الآلة لأن كل تكوينه قام على الحرية. ومع ذلك فقد أساء هذا التنظيم وورطهم في أخطار ومحن كثيرة. ولكن يجب ان نذكر الفارق بين حالة العرب وحالة الامة الالمانية. حالة العرب اننا انقطعنا منذ قرون عن الحضارة، ونسينا الحرية منذ مئات السنين، وفقدنا دوافع الابداع ومقومات استقلال الشخصية التي تعرف كيف تتصرف.

واذن فنحن بحاجة الى ما يفتح فينا هذه الاستعدادات التي طمرت وخنقت، **نحن بحاجة الى تكوين الفرد العربي الحر المسؤول الواعي المستقل. بحاجة الى تكوين الانسان العربي. لأن النظرة الانسانية في جونا كادت تنعدم، لذلك قلت ان فكرة التنظيم لاتختلف عن فلسفة الحزب نفسه.** فكما ان مهمة الحزب ان ينشىء مجتمعاً عربياً جديداً تسوده الحرية وتنطلق فيه قوى الابداع عند افراد الشعب الذي ترجع اليه المقاييس والقيم الانسانية الخالدة، فهو، اي حزبنا، مطالب بأن يربي الانسان العربي. والانسان العربي لايربى بالتنظيم الآلي بل بهذا الاحترام لشخصية كل عضو، بهذا التعرف الصبور المحب لشخصية وكفاءة كل عضو، ولأخطاء ونواقص كل عضو.

ولا اظن ان ثمة حاجة الى الاستدراك بأن ما قلته لايتنافى قط مع حاجتنا الى الاختصاص في الحزب، وعندما أقول بأن كل عضو يجب ان يعرف تقريباً كل ما يجري ويهم الحزب... وكل قائد فرقة او حلقة عليه ان يطلع على كل هذه الامور كافة. هو المسؤول عنها. لا أظن ان احداً منكم يفهم من ذلك انه العضو الموجه، يجب ان يتلهى بالامور البعيدة ويهمل واجبه الخاص به، ان يشغل فكره بما يجري في أبعد مكان ويقصّر هو في واجبه المباشر الذي اذا قصر فيه أختل عمل الحزب.

المقصود اولاً البرهان على وعي العضو وتشبعه بفكرة الحرية ان يقوم بواجبه. ولكن لانريد ان يكون العضو بُزالاً في الآلة ينفذ العمل الصغير ويجهل كل ما حوله. انما نريد ان يكون حراً حاملاً مسؤولية الحزب كله، **فعليه ان يطّلع لينفذ هذا العمل الصغير بنفسية كبيرة.**

اذا كان مهتماً بالحزب فلا يعود هذا العمل الصغير الموكل اليه تنفيذه عملاً صغيراً وانما نابضاً بالحياة، تتلخص فيه رسالة الحزب.

اذن نظرتنا الحرة الى التنظيم لاتتضارب مع التنفيذ الجزئي وتنمية الكفاءَات الاختصاصية. فالاختصاص هو في التنفيذ، اما في العقل والنفس فلا اختصاص ولا تجزئة وانما يجب ان تكون النفس مرآة لوحدة الشخصية ولوحدة قضية الحزب.

**حزيران ١٩٥٥**

# الدفاع عن العقيدة لا يكون الا هجوماً

منذ شهرين[1] انعقد مؤتمر الحزب القطري لسوريا وتناقش في امور كثيرة تتعلق بسياسة الحزب وتنظيمه وخرج ببعض النتائج والقرارات الايجابية المفيدة. الا ان هذه المناقشات اظهرت مرة جديدة ما يشوب الثقافة الحزبية والعمل الحزبي من نقص وخلل.

لقد ظهر في دورة المؤتمر الاخيرة، كما كان يظهر في الدورات السابقة لجميع المؤتمرات الحزبية، حرص الاعضاء على عقيدة الحزب وعقائديته واستمساكهم بمبادئهم الانقلابية ورسالة حزبهم القومية، وكل هذا حسن ونافع. ولكن يجدر بنا ان نلقي نظرة على مفهوم الاعضاء الرائج عن العقائدية لنرى فيما اذا كان المفهوم الصحيح الذي يخدم الحزب ويقويه ويجنبه الانحراف والعثار.

عقائدية الحزب ليست مجرد الاستمساك بالعقيدة واستنكار ما يطرأ عليها من تشويه ومخالفة، بل هي ايضاً وعلى الاخص القيام بكل الاعمال والواجبات التي تتطلبها العقيدة حتى تسير في طريق التحقيق. فالعقيدة هي فكرة تحقيقها، والعقائدية هي تفكير وتحقيق في آن واحد، والعضو العقائدي ليس هو الذي يعرف العقيدة فحسب، بل الذي يعرفها ويطبقها، ويطبقها لأنه يعرفها. ذلك لأن المعرفة العقائدية تحتوي في ذاتها على مبدأ التحقيق، والعقائدي هو الملتزم بتحقيق ما يعتقد.

حزبنا عقائدي والمفروض اذن ان يكون جميع اعضائه عقائديين، ولكن بعض الاعضاء اخذوا منذ مدة يفرقون بين نوعين من الاعضاء داخل الحزب: عقائدي وغير

(١) صدر هذا التعليق في النشرة الداخلية ـ القيادة القومية ـ حزيران ١٩٥٥.

عقائدي. فما هو مستند هذا التفريق، وما القصد منه؟ هل مستنده «المعرفة» بمفهومها العادي، اي أن في الحزب اعضاء يعرفون ما هي عقيدته، وآخرين لايعرفون؟ أم هو السلوك، اي ان بعضهم يسلكون بموجب العقيدة وبعضهم الآخر يسلكون خلاف العقيدة رغم معرفتهم بها؟

لا فائدة من انكار وجود اعضاء لاتهمهم العقيدة بقدر ما تهمهم مصالحهم الشخصية ووصولهم. وكل حزب معرض لأن يتسرب اليه من يتظاهرون بتبني العقيدة ليسخروها فيما بعد للمصالح الخاصة والاطماع الشخصية. ولكن من المفيد ايضاً ان نعترف بأن اعضاءنا العقائديين ليس كل سلوكهم عقائدياً، وانهم هم ايضاً يخالفون العقيدة بتقصيرهم عن فهمها الفهم الصحيح وعن اداء جميع متطلباتها، دون ان يكون عندهم قصد الاحتيال عليها واستغلالها. ولعل بين وجود هذين النوعين علاقة خفية. فبمقدار ما يقصر العقائديون عن حماية عقيدتهم بالفضائل الايجابية اي بالنشاط والبذل والروح النظامية والاندفاع المتصل تقع هذه العقيدة فريسة بين ايدي المغامرين الانتهازيين والنفعيين الوصوليين. والدفاع عن العقيدة لايكون الا هجوماً..

والذي ينظر الى حزبنا نظرة واسعة بعيدة المدى يعرف بأن ظهور الانتهازية والوصولية فيه ليس الا مقدمة واستعجالاً لظهور نوع جديد من العقائدية تكون اقوى من التي توافرت له حتى الآن، فيها من صلابة الايمان ووضوح الوعي ما يؤهلها لمواجهة شروط العمل الواقعي والاقبال عليه دون جبن او ارتباك.

فاذا كان القصد من هذا التفريق سلبياً يرمي الى تغطية العجز وضعف روح البذل والتضحية والانصياع للنظام عند بعض من يسمون انفسهم عقائديين، فانه يكون تفريقاً زائفاً ومؤذياً للحزب. واذا كان القصد منه ايجابياً يرمي الى تحديد عقائدية الحزب وتقويتها بالتسابق الى النشاط والانتاج والتثقف، وبالتغلب على الانانية والفردية الصبيانية والارتفاع بالعمل الحزبي الى المستوى الانقلابي التاريخي، فانه يكون تفريقاً واجباً وحيوياً، وعندئذ يعبّر عنه بالانضباط والعمل، اي يُفرق بين الذين يطبقون نظام الحزب تطبيقاً ايجابياً بتأدية جميع واجباتهم على الوجه الاكمل، وبين الذين يخالفون

هذا النظام سواء بالتقصير او بالتخريب.

في الماضي، قبل تأسيس الحزب، كان السؤال هو: هل تتغلب الامة العربية على نفسها وواقعها، فتخلق من نفسها وواقعها، رغم كل ما فيهما من فساد وفوضى واستسلام، جيلاً جديداً يمثل حقيقتها ومستقبلها ويقيم بينه وبين الواقع الفاسد سداً منيعاً يسمح له بأن ينمّي بذور هذه الحقيقة، ويوضح صورة ذلك المستقبل؟ اما اليوم، وبعد أن قطع الحزب اشواطاً من الطريق، فالسؤال هو: هل يتغلب الحزب على نفسه وواقعه، فيخلق من الفوضى التي دخلت بعض جوانبه، نظاماً أشد واصلب من الماضي ويكون اقدر على صهر اعضائه وتنمية كفاءاتهم ورفع مستوى انقلابيتهم ونبذ من يشذ عن هذا المستوى من العناصر الرخوة والمخربة، ويخلق من الفساد الذي تسرب اليه فضائل جديدة، اكثر ايجابية من الماضي، تحمي انقلابية الحزب ورسالته التاريخية بغزو المجتمع لا بالانكماش عنه، ويجمع الحيوية الى المثالية بدلاً من ان تكون هذه نتيجة لضعف تلك، وبتجسيد العقيدة في السياسة، خشية ان تبقى عقيدتنا نائية في سماء الوهم، وسياستنا متردية في حضيض التبذل.

**حزيران ١٩٥٥**

# المصير العظيم والاعمال اليومية

ان العام الذي خلا[1] والأشهر الأخيرة منه بصورة خاصة، كانت أشهراً مليئة بالاحداث وبالعمل، وقد عاش العرب في هذه الآونة الأخيرة أياماً تاريخية أحسوا فيها بوجودهم احساساً عميقاً، كما أحسوا بالاخطار الجدية التي تهدد هذا الوجود. لقد برزت الامة العربية في الآونة الاخيرة على المسرح العالمي كقوة فتية جديدة مبدعة، اضطر العالم ان يحسب لها حساباً، وقسم من العالم استبشر بميلاد هذه القوة الجديدة المبدعة، وقسم آخر تشاءم وذعر وأخذ يعد العدة للتآمر والكيد. فنحن اذن أمام اصدقاء وأمام اعداء، وبالدرجة الاولى نحن أمام أنفسنا، قبل ان ننظر الى الاصدقاء او الى الاعداء. فاذا كان ثمة دواع كثيرة لان نتفاءل بما حققناه في السنوات الاخيرة من تقدم ملموس في الوعي وفي النضال، فانه يوجد ايضاً مايدعو الى القلق والخوف والحذر من شتى النواقص التي ماتزال تنتاب كياننا القومي، من عديد من الامراض الاجتماعية التي ماتزال تنخر في جسمنا القومي، من الثغرات العديدة التي هي وحدها المنفذ للخطر والاستعمار الخارجي. وكما ان الاستعمار واعداء العرب تنبهوا ليقظة العرب وتقدمهم، فأخذوا يعدون لها مستوى اعلى من التآمر، ووسائلهم - كما تعرفون - كثيرة وخبيثة، فواجب العرب ان يرتفعوا بمستوى وعيهم ونضالهم وواجب الشباب بصورة خاصة ان يستمدوا من طموح الشباب دافعاً للتجدد المستمر لكي لا يقنعوا بما ألفوه واعتادوه، ولكي يطلبوا دوماً المزيد والوصول الى الكمال.

اليوم نفتح أعيننا على حقيقة رائعة، وهي اننا بدأنا نشعر بوجودنا فعلاً، وبدأنا

---

(١) حديث ألقي في بدء السنة الدراسية بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٥٦.

ننظر مستقبلنا واضحاً بيناً مشرقاً، وبدأنا نتلمس رسالتنا في الحياة، وهذا يخلق فينا قوى جديدة واندفاعاً أكبر، ولكن هذا الشيء هو نفسه يشكل خطراً علينا ما دام في العالم قوى فاسدة تخشى الخير وتخشى التقدم، وتعتبر حياتها رهناً بتأخر الشعوب الأخرى، وبعبودية الشعوب الأخرى. فإذن في نفس الوقت الذي اهتدينا فيه الى الطريق وشعرنا فيه بالقوة، تتعاظم الأخطار حولنا، من كل جانب، وتزدحم المصاعب والاشواك في طريق مستقبلنا. . وهذا يرتب عليكم بصورة خاصة أن تعيدوا النظر لا في تفكيركم فحسب، وانما في احساسكم ايضاً، في شعوركم بالحياة، في نفسيتكم، وان تتجاوبوا حق التجاوب مع هذه الانتفاضة الجديدة، وأن لاتكتفوا بترديد الافكاروالالفاظ، بل يجب ان تمتحنوها دوماً لتروا اذا كانت مليئة بالحياة أم فارغة وسطحية.

الشعب البسيط الذي وجهتم اليه انتم وأمثالكم من شباب العرب في كل قطر هذه الشعارات والافكار، دخلت الى نفوسه وأخصبت وأينعت حتى اثمرت البطولات التي شاهدتموها. وجدير بالشباب اذن، بالشباب الواعي المؤمن الا يتخلف عن الشعب البسيط. وهذا الشباب هو الذي ندب نفسه لتربية الشعب، ولكي يكون طليعته وقائده الى المصير العظيم. والمصير العظيم - ايها الاخوان - يتكون من الاعمال البسيطة والصغيرة، يتكون من سلوكنا اليومي. المصير العظيم للفرد وللامة، لا يهبط فجأة من السماء، وانما هو نتيجة لاعمال صغيرة يومية تتراكم وتختمر وتوصل الى نتيجتها، وعندها يظهر المصير.

فاذا لم تعملوا يومياً وتكونوا مستلمين مراكزكم وقواعدكم في النضال، في النضال المنظم، فان الفرصة تأتي - وما أكثر الفرص للبطولات - وتفوتونها لأنكم أهملتم الاعداد وأستخففتم بالاعمال اليومية، وهذا مايحسن بكم أن تذكروه في بدء هذا العام. فالعمل الحزبي مهمته ان يهيء بصمت وصبر وأستمرار لتلك الايام النادرة التي تتاح للأمة لكي تؤدي فيها امتحاناً، ولكي تظهر فيها ما اختزنته في أيامها العادية بفضل صبرها ونشاطها وتجردها.

هذا ما أحببت أن أقوله لكم: كلمة هي مقدمة لاجتماعاتنا المقبلة في هذا العام،

وكم من مرة قلت لكم بأنني أحب أن أجتمع بكم وأن أتحدث اليكم، ولكن في نفس الوقت أشعر بالقلق من الكلام ومن الحديث خوفاً من شل رجولتكم وحيويتكم، خوفاً من أن تكتفوا بأن تكونوا مستمعين في الحياة بدلاً من ان تكونوا فاعلين وان تقوموا بدوركم البطولي، فالكلام سهل، والسماع - سماع الكلام - أسهل، واذا لم يكن الكلام وسماع الكلام تمهيداً للعمل.. لعمل جدي، فإنه ضياع للوقت وخداع، والسلام عليكم.

**كانون الاول ١٩٥٦**

# الاستفادة من اخطاء الماضي والحاضر

قبل شهر[1] أو أكثر بقليل كان يزور الاقليم الشمالي هنا اخوان نقابيان من المغرب، حضرا مؤتمر العمال العرب في القاهرة ثم جاءا لتمضية أيام لزيارة هذا الاقليم.

وأجتمعت بهما وتحدثنا وسألني احدهما قائلاً: هل تعتقد ان القومية العربية يمكن ان تنجح دون الاستفادة من اخطاء الماضي والحاضر؟ فاستحسنت سؤاله وأجبته بأنني لو سئلت عن تعريف للقومية العربية لما وجدت احسن من هذا التعريف (انها هي استفادة العرب من اخطائهم في الماضي والحاضر).

عندما يستفيدون من اخطائهم يستطيعون ان يحققوا بعثاً لأمتهم وان يحققوا مساهمة ايجابية ضخمة في رفع مستوى الانسانية او في اغناء الحضارة الانسانية.

ولكن الاستفادة من الاخطاء ليست بالشيء السهل وبالتالي معركة القومية العربية ليست بالسهلة فهي من اقسى المعارك في التاريخ.

الاستفادة من الاخطاء تتطلب فضائل كثيرة وفضائل من النوع العالي، فضائل تجمع المتناقضات او بتعبير آخر ان تجمع الى التواضع ثقة لا حد لها بالنفس. لكي نستفيد من اخطائنا يجب ان تكون عندنا فضيلة التواضع اي ان نكون بعيدين عن الغرور وعن التكبر والرياء والكذب. ان نحب الصدق لا ان نكون صادقين فحسب. النظرة الصادقة البسيطة الصافية هذه هي الفضيلة، فضيلة التواضع ومحاسبة النفس بكل صدق وبساطة. يجب ان نملك فضيلة اخرى ايضاً لا تقل عن

---

(١) كلمة ألقيت في اجتماع لانصار الحزب من العراق.

الأولى هي فضيلة الثقة بالنفس اذ لو لا الفضيلة الثانية لربما ادى الاعتراف بالخطأ الى اليأس والى الاستسلام والتخاذل. . نخطىء ونخطىء وليس هناك من امل في اصلاح الخطأ. . فالفضيلة الثانية ان نكون واثقين بأنفسنا ومتفائلين بالحياة مؤمنين بالخير وان كل انسان يستطيع ان يصلح نفسه وكل شعب كذلك يستطيع ان يصلح حاله.

اذكر اني ربطت بين ثقة العربي بنفسه وثقته بأمته في حديث قديم يرجع الى ١٩٤٤ ومنشور في احد الكتيبات بعنوان «الجيل العربي الجديد» ربط بين ثقة الجيل الجديد بنفسه وبأمته. إن من يثق بنفسه، يثق بأمته لأنه جزء منها، فما دام قد استطاع ان يتغلب على ضعفه وان يسيطر على هذا الضعف وينمي فضائله فهو جزء من هذه الأمة، ويمكننا اذن ان نسيطر على ضعفها وان نخرج منتصرين على كل ما فيها من أمراض.

اذكر ايضاً بأنني كررت دائماً بأن طريقنا صعب وأمامنا كثير من التجارب المؤلمة وان الشباب هم اجدر من غيرهم بأن يؤمنوا بصعوبة الطريق لا بل ان يحبوا هذه الصعوبة لأنها لخير امتهم وانه لشيء جدير بأن يحملوا عبئه. كل شيء جديد وعظيم القيمة لا بد ان يتطلب الجهد والتضحية. . فإذا كنا جادين في تضحيتنا لبعث الامة العربية بعثاً اصيلاً شاملاً لجميع نواحي الحياة وفي سبيل ايصال شعبنا العربي الى مستوى الابداع في الحضارة كي يكون قدوة، اذا كنا جادين في هذا فلا يعقل ان نستعجل او ينفذ صبرنا بسرعة وان نريد النصر رخيصاً سريعاً. . لأننا في نفس الوقت نعلم ان هذه الامة التي تولد من جديد في هذا العصر. . تحتاج الى وقت وتحتاج الى جهد واتعاب وازالة عقبات من الطريق تُمرّن بها خصائصها وفضائلها حتى تصل الى المستوى اللائق، والا نقع في الخطأ الذي وقع فيه السياسيون من قبل بأن يقولوا للشعب شيئاً وأن يضمروا شيئاً آخر. . ان يتظاهروا بالمثل العليا ويعملوا للكسب الشخصي، ان يتباهوا بالالفاظ الضخمة وان يكونوا في أعماق انفسهم ليس لديهم همة ومتعبين. . ولكننا بدأنا منتبهين الى هذا الضلال وحذرين منه عندما قلنا مراراً في بدء حركتنا ان عملنا هو رسالة لا سياسة.

اذن، ايها الاخوان، انتم هذا الجيل العربي الجديد اجدر الناس بأن تروا الامور

رؤية صادقة عميقة تختلف عن النظرة المشوشة السطحية التي ينظرها عامة الناس، حيث يذعر الآخرون ويتشاءمون.

انتم يجب ان تتفاءلوا وتُقْدِموا . . عندما تعرض في طريقنا عقبة ونصطدم بصدمة وتحل بنا نكبة . . فلنترك الذين لا يعيشون في صميم النضال نترك لهم التشاؤم والذعر . . ونحن نعتبر ان القدر هو الذي يرسل مثل هذه العقبات ليزيدنا تنبهاً الى اخطاء فينا لم نكن منتبهين اليها لكي نصححها، ولكي تأتي نهضتنا سليمة وعميقة كل العمق ولكي نقود انفسنا الى الجهد والصبر واسترخاص التضحيات في سبيل اهدافنا . . لأننا اذا لم نتعلم ونربي انفسنا وشعبنا ضمن الصدمات والاخطاء فلن نستطيع ان نربي انفسنا وشعبنا عندما نصل الى شاطىء السلام . . التربية الحقيقية تكون في وقت الشدة. لذلك لا يجوز للشباب العربي الثوري ان يحزن وييأس عندما تحل بالامة صدمة او حتى نكبة لأنه ما دام مالكاً للفضيلة الاساسية وهي الثقة بالنفس مع الفضيلة الاساسية الاخرى وهي الصدق في محاسبة النفس، فإنه يرى في الصدمة او النكبة تحدياً جديداً من القدر له ولأمته لتعلو فوق نفسها وترتفع الى مرتبة اعلى في الخلق وفي التفكير والمعنى الانساني.

ولعلكم تذكرون ايضاً بأننا في نظرتنا الى الامور منذ بداية حركتنا تجنبنا كثيراً النظرة الرائجة والمنطق الدارج الذي يريد دوماً ان يتنصل من المسؤولية ويلقي التبعة على عوامل خارجة بعيدة عن الأمة . . وبالرغم من اننا اعرَف الناس بمساوىء الاستعمار ومصالحه وبكل ما جره علينا من ظلم وتأخر لم نكن نقبل لأنفسنا كجيل مناضل ولم نكن نقبل لأمتنا كأمة متحفزة للبعث ان تتواكل وتستريح على هذه النظرة . . على ظهر الاجانب ومفاسدهم وما أساءوا الينا. اي ان نظرة البعث شقت طريقاً جديداً في التفكير والشعور، طريق الرجولة والاعتماد على النفس. وسدت منافذ الهرب لكي لا يهرب العربي من المسؤولية ويتذرع ويتحجج بالعوامل الخارجية وهذا كما تعلمون لم يضعف نضالنا ضد الاستعمار بل قواه . . هذه النظرة الجديدة لم يكن من نتيجتها تراخ تجاه الاستعمار وانما كانت حافزاً للنضال. انما هذه النظرة تساعد على شيئين:

١ ـ على رؤية الاخطاء ومعرفة اخطائنا.

٢ ـ على رؤية فضائلنا وقوانا.

وعنـدما نرضى بأن نكون مسؤولين عن مصيرنا فهذا يعني بأننا رأينا قصورنا.. رأينا مواطن الضعف ولكننا صممنا على مقاومتها.. اي وجدنا فينا مواطن القوة للقضاء على المرض والالم.

بهـذه النفسية يجب ان ننـظر الى المعركة الجديدة التي فتحت في العراق عندما أنحرف المسؤولون هناك عن طريق القومية والوحدة وعندما وجد الاستعمار الغربي من جهة، والشيوعية من جهة اخرى، الفرصة كي يستغلوا الانانيات الشخصية والمصالح المحلية الحقيرة والانتهازية السياسية التي تتقن الانفصالية، عندما وجد كلا المعسكرين مصلحتـه في تشجيع هذه الانتهـازية الانفصـالية ليؤخـروا ويعـرقلوا نهضـة العـرب التـاريخية.. عنـدمـا دفع هذا الانحراف وهذه النكسة وما تلاها من فواجع اصبح جديراً بنـا كلنـا ان نعتبر ذلك تنبيهاً جديداً من التاريخ.. تنبيهاً لكي نعيد النظر في طريقنا واسلوبنا ونفتش عن الخطأ لنصلحه واثقين بقدرتنا على رؤية اخطائنا وواثقين بقدرتنا على اصلاحها بعزم وتفاؤل.. اذ لا يمكن ان يمنعنا احد من متابعة نهضتنا.. قوى العـالم اجمع لا تستطيع ان تمنعنا من متابعة السير اذا لم يكن الخطأ منا نحن. فالقوى الخارجية تستغل اخطاءنا.. وعندما نصحح نحن الخطأ نكون قد قطعنا عليها الطريق واستطعنا ان نستأنف السير.

هذا ما يجدر بالشباب ان يعرفوه او ان يهيئوا انفسهم لدراسته والتحليل والدرس الجـدي لأنـه لا يعـرف جدياً اين الخطأ وكيفية تفاديه. هذا ما يجدر بكم ان تعرفوه وتتهيأوا نفسياً لمتـابعـة هذه المعـركـة في سبيل ان ننتهي منهـا لنصر جديد اكـبر من الانتصـارات السـابقـة لأننا نكون قد صححنا في نفوسنا اخطاء ونكون قد أيقظنا في نفوسنا قوى وفضائل لم نكن نعلم بها من قبل.

**حزيران ١٩٥٩**

# الباب الثالث

# الشَعب العربي في معركة التحرر



# حول الاعتداء على استقلال لبنان

ليس الاعتداء الافرنسي على استقلال لبنان[1] وحكومته الدستورية بأول اعتداء توقعه فرنسا ببلادنا، بل هو حلقة من سلسلة طويلة تبدأ منذ ربع قرن، ولكن في يد السوريين اليوم ومن واجبهم ان يجعلوه آخر الاعتداءآت الافرنسية وخاتمة السلسلة المحزنة المخزية.

منذ سنتين ونصف السنة لدى دخول الحلفاء سوريا، أذاع الجنرال كاترو بالنيابة عن الجنرال دوغول منشورا الى السوريين واللبنانيين قال فيه: (انني قادم اليكم لانهاء عهد الانتداب ولأعلن حريتكم واستقلالكم وستصبحون من الآن فصاعدا شعباً حراً ذا سيادة). واليوم في لبنان يقوم المندوب الافرنسي بنسف عهد دستوري وطني من أساسه بقرار كيفي، مدّعياً الاستناد على صك الانتداب الذي أعلنت فرنسا انتهاءه.

ذلك هو منطق فرنسا: تلغي الانتداب ثم تتذرع به، تعترف باستقلال **بلد** ثم يقضي مندوبها على مجلس نواب هذا **البلد** ويزج رئيس جمهوريته ورئيس **حكومته**

---

(١) هذا البيان عن الازمة اللبنانية به ناحيتان، ناحية عقائدية وناحية سياسية. الناحية العقائدية هي تجسيد فكرة الوحدة العربية في العمل، اي دفع الشعب الى الاهتمام بقضايا ومصير بقية الاقطار العربية ليعرف ويلمس بالتجربة النضالية وحدة المصير العربي. وهذا يشبه الموقف الذي وقفه الحزب في الاشهر الاولى لتأسيسه من ثورة العراق (١٩٤١)، اذ كان القصد الاساسي من موقفه من ثورة العراق هو ايضا تجسيدا عمليا لايمانه بالفكرة العربية.

الناحية السياسية، عبر فيها الحزب عن رأيه وتجربته وتجربة الشعب في سوريا في اسلوب المفاوضات مع المستعمر. كان الرجال الذين استلموا قيادة النضال الوطني في سوريا منذ عام ١٩٢٨ متهالكين على المفاوضات مع الافرنسيين، وكانت السلطة الافرنسية تعرف هذا التهالك عندهم وتستغله لتمويت النضال الشعبي بالمماطلة والتسويف، وقد حصلت تجربة المفاوضات اكثر من مرة وكانت نتيجتها في كل مرة الخيبة وعودة الاستعمار الى سابق نفوذه بعد ان كاد النضال الشعبي ان يقضي عليه. ولكن أسلوب القيادة الوطنية القديمة كان اسلوبا ضعيفا متناقضا يفضح ضعف كفاءة

ووزرائه الشرعيين في السجون. فهل يجوز للسوريين ان يعلقوا أي أمل على أستقلال كهذا؟ ان سوريا لم تعترف بالانتداب يوما من الايام، لذلك لاترى نفسها مرتبطة بعقد معاهدة كيما تنهيه. وهي لاتعتبر الاستقلال منحة وهبة بل حقا طبيعيا لها. وقد جاء ميثاق الاطلنطي مؤيدا لحقها هذا بصورة عامة، كما أيدّته بصورة خاصة تصريحات سفير بريطانيا في مصر، والمستر تشرشل وممثلي فرنسا المحاربة والحكومات العربية. فما على سوريا الا ان تمارس استقلالها بكل عزم وجرأة وان تزيل من دستورها ما يعارض هذا الاستقلال دون إضاعة للوقت والجهد في المفاوضات العقيمة. لقد آن للسوريين ان يقنطوا من سياسة المفاوضات ويكتشفوا خدعتها، ففرنسا تموّه بها منذ خمسة عشر عاما وتنجح في شل الحركة القومية واخماد جذوتها. ومن العبث الادعاء ان تهديم الدور الوطني في لبنان كان نتيجة لجرأة الاسلوب الذي اتبعته حكومته الدستورية، فإن لفرنسا في هذه البلاد سياسة تقليدية تستوي في نظرها الجرأة واللباقة اذا ما أُحرجت واضطرت الى بحث جوهر الامور، اي ما يمسّ سيطرة فرنسا السياسية والاقتصادية على سوريا. اما المفاوضات فلا تلجأ اليها الا بغية كسب الوقت لتسديد الضربة في الحين المناسب وتثبيت دعائم استعمارها المزعزع.

ومن التضليل الفاحش ان يفرق ذلك التفريق الصنعي بين السياسة السورية وبين

---

القيادة وضعف تجردها لانها كانت تمثل المصالح الطبقية وتجنح دوما الى المساومة والتسوية وانصاف الحلول خشية المضي مع الشعب في النضال العنيف الى نهايته. وكانت سوريا في ذلك العام مقبلة على مرحلة من هذا النوع بعد انتخابات وقيام حكم وطني - اي مقبلة على مفاوضات مع الافرنسيين لاستلام ما كان يسمى بالصلاحيات. واذا بأزمة لبنان تستبق أحداث سوريا وتأتي كالنذير فاضحة مرة جديدة سوء نوايا الافرنسيين. فكان على الحزب ان يستغل هذه المناسبة ليعطي للشعب ولرجال السياسة برهانا جديدا حسيا على ضرر اسلوب المفاوضات بالطريقة التي سنها رجال الكتلة الوطنية. وسوف يظهر في البيانات التالية - بين ١٩٤٣ و١٩٤٥ - تأكيد الحزب على هذه الناحية ومطالبته الدائمة للشعب وللحكومة والمجلس النيابي بان لايركنوا الى سياسة المفاوضات. وان تمارس الحكومة صلاحيات الدولة المستقلة مستندة الى حق البلاد في ذلك والى دعم الشعب لها.

واخيرا ينبيء هذا البيان عن موقف الحكومة السورية المتخاذل من أزمة لبنان ومن العدوان الفرنسي على حكومة لبنان الوطنية لانها لم تحرك ساكنا في حين أحتجّت جميع الحكومات العربية والمجالس النيابية أعنف أحتجاج. وكل ذلك حرصا منها على حسن العلاقات مع الطرف الافرنسي أستعدادا لبدء المفاوضات. ولما تحركت الحكومة السورية تحت الضغط الشعبي اتخذت حركتها شكل وساطة بين فرنسا ولبنان. فهاجمها الحزب من هذه الناحية ووضح وحدة القضية العربية وبصورة خاصة وحدة مصير سوريا ولبنان.

ما يجري الآن في لبنان، وان يتوهم ان سوريا تستطيع تحقيق استقلالها بثقة واطمئنان بعد ذلك الانذار غير المباشر الذي وجهته اليها السلطة الافرنسية لان فرنسا لم تقصد باعتدائها لبنان وحده، ولم تقصده بالدرجة الاولى، ولكنها ارادت من وراء عملها تثبيط عزائم السوريين وتهديدهم بما ينتظرهم اذا هم تطلعوا الى الاستقلال الفعلي وتسلُّم الصلاحيات بشكل جدي.

وبعد فليس مصيرنا ومصير لبنان واحدا فحسب، بل ان مصيره ليقرر مصير قسم خطير من البلاد العربية، وقد لخص الزعيم رياض الصلح ذلك بقوله: «نحن لانريده للاستعمار مقرا والبلاد العربية لاتريده للاستعمار اليها ممرا».

من كل ما تقدم يترتب على السوريين واجبات أساسية هي:

١ - ان يعتبروا قضية لبنان قضية العرب عامة وقضية سوريا بوجه خاص وان يشتركوا في مناصرتها اشتراكا فعليا يقتضيه منهم التضامن القومي ومصلحة البلاد.

٢ - ان يتصلوا بنواب الامة ويؤازروهم في الاهتمام بقضية حيوية كهذه تناولتها بالبحث مجالس الامم البعيدة عنا علاوة على مجلس حكومات الاقطار العربية.

٣ - ان يوجهوا بواسطة المجلس النيابي السياسة الحكومية نحو التضامن التام مع لبنان ووضع حد لسياسة التريث والمفاوضة وتمثيل دور الوسيط.

٤ - تأييد قرار مجلس النواب العراقي بإجلاء القوات الافرنسية عن سوريا ولبنان.

**«امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة»**

**ميشيل عفلق صلاح الدين البيطار**

**دمشق في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٣**

# السياسة الاميركية حول فلسطين

ان القرار[1] الذي اتخذه الحزب الديمقراطي الاميركي مؤخرا بشأن فتح فلسطين للهجرة اليهودية وجعلها وطناً قومياً لليهود، والذي جاء على أثر قرار بنفس المعنى للحزب الجمهوري، يعتبره العرب تعدياً فاحشاً من قبل الدولة الاميركية على حقوقهم لايقل في شيء عن التعدي البريطاني في وعد بلفور المشؤوم، ويرون فيه حائلا دون اي تفاهم وصداقة بين تلك الدولة وبينهم.

لقد وقفت الامة العربية في هذه الحرب، بالرغم من التجارب الاليمة التي عانتها طوال ربع قرن مع ظلم الاستعمار الاوربي وخداع السياسة الاوربية، من قضية الحلفاء موقف عطف واستبشار، مؤملة ان تكون تلك التجارب نفسها قد أوصلت العالم الغربي الى الاقتناع بفشل مبدأ السياسة الاستعمارية من أساسها. وكان معظم أملها معلقا في هذه المرة على دخول عنصر جديد على السياسة الاوروبية، نعني المبادىء التي كانت اميركا قد أعلنتها في الماضي، ودخلت الحرب الحاضرة على أساسها وفي سبيل تحقيقها.

ولكن موقف الاحزاب الاميركية الاخير من قضية فلسطين قد قضى نهائيا على هذه الآمال واظهر للعالم اجمع وللعرب بصورة خاصة ان السياسة القديمة هي التي لاتزال سائدة، وان المبادىء العادلة والمثل العليا لم تزل في نظر الدول الغربية، سواء في القارة الاوروبية ام في اميركا، اداة تسخّر لنيل مآرب ومنافع بعيدة عن تلك المبادىء والمثل كل البعد.

---

(١) كتاب الى المعتمد السياسي الامريكي في سوريا. صدر عن مكتب البعث العربي في ١٠ آب ١٩٤٤.

واذا كنا نذكّر اميركا بمبادئها ومواثيقها الرسمية، فليس ذلك لاننا نركّز حقنا على هذه المبادىء والمواثيق، فحق العرب في فلسطين هو حق طبيعي وتاريخي تؤيده الوف السنين من الجهاد والعمل المنشىء المتصل. ولكننا نخشى ان تقدم اميركا على الاعتداء على حق العرب الصريح بتأثير دعاية الرأسمالية الصهيونية وتضليلها وهي تحسب انها تناصر الحق وتخدم السلم والعمران وانها تحقق مبادئها في هذه البقعة المقدسة من الارض العربية.

فالعالم العربي ومن ورائه العالم الاسلامي لايعتبر هذا السلم العالمي الذي تسعى اليه الدول المتحالفة سلما حقيقيا اذا كانت حقوقهم منذ الآن تُغتصب وتُداس. ويعتبر ان السلم لن يتوطد بالنسبة اليهم الا متى استردوا تلك الحقوق بكاملها.

ان مكتب «البعث العربي» الذي ينطق باسم العرب القوميين يحتج على موقف الدولة الاميركية من فلسطين ويرجو منكم ان تبلغوا احتجاجه الى المراجع الرسمية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

**عن مكتب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ١٠ آب ١٩٤٤**

# السياسة الاميركية والهجرة اليهودية

ان الصدق والاخلاص للمثل العليا[1]، وكل السجايا الكريمة التي يتحلى بها الشعب العربي، قد غررت به مرة اخرى، فساهم في المجهود الحربي للحلفاء رغم التجارب القاسية والمريرة التي عاناها من جشع الاستعمار الغربي بعد الحرب الماضية، مؤملا ان تكون التجارب الفاشلة قد أقنعت أمم الغرب بفشل مبدأ السياسة الاستعمارية. وزاد في أمله أطمئنانه للمبادىء الانسانية السامية التي اعلنت اميركا الحرب في سبيل تحقيقها.

وان موقف الرئيس روزفلت الذي أيّد في تصريحه الاخير وجهة نظره السابقة وعزمه على مواصلة السعي لفتح فلسطين العربية للهجرة والاستعمار اليهوديين، والذي يؤكد أصرار الولايات المتحدة على تأييد خطة استعمارية معينة مناقضة تماما لكل مبادىء الحرية التي تبناها الحلفاء ونالوا بها عطف الشعوب المحبة للسلام، نقول ان موقف الرئيس روزفلت قد أفهم العرب والعالم الاسلامي بصورة لاتقبل الشك ان المبادىء والمثل العليا ليست في نظر الدول الغربية الا أداة تسخّر لنيل مآرب أستثمارية بعيدة كل البعد عن تلك المبادىء والمثل.

---

(١) ما كادت الحرب تنتهي وينتصر الحلفاء على المانيا، حتى كشفت الدول الغربية عن مخططها الآثم في فلسطين. وقد اعلن روزفلت عن عزم اميركا على فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية. وبذلك تنكر لكل مبادىء السلام والحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها التي اعلن في بداية الحرب ان الولايات المتحدة تخوضها في سبيلها. وقد وجه حزب البعث الى وزير اميركا المفوض في سوريا البيان أعلاه منددا بهذا الموقف، مؤكدا ان الشعب العربي، لن يسكت عن حقه. وانه يرفض كل عقد او اتفاق يجيز استثمار اراضيه.

والعـرب الـذين أغضبهم تصـريـح الرئيس روزفلت كما أغضبهم وعد بلفور من قبـل، يعتبـرون كل حل لقضيـة فلسطين لايؤيد حقهم الصريح في عروبة هذه البلاد المقدسة تعدياً صريحاً على حقوقهم وتدخلا في شؤونهم الخاصة لايسيغه اي عرف دولي أو مبدأ أنساني، وان عندهم الشجاعة والايمان الكافيين لكي يعتبروا ان السلم لن يتوطد بالنسبة اليهم ما لم يستردوا حقوقهم الطبيعية كاملة.

وأخيـراً، فأن العـرب الـذين يعتبرون كل الاقطار العربية وحدة لاتتجزأ يرون من واجبهم ان يعلنوا عدم أعترافهم بكل عقد أو أتفاق يجيز أستثمار أراضيهم من قبل أية دولة أجنبية تنتقص من سيادتهم وترضي خصومهم على حسابهم.

ان مكتب البعث العـربي الـذي ينطق بأسم العـرب القـوميين يحتج بشدة على تصـريـح الـرئيس روزفلت بشأن فلسطين، ويـرجـومنكم ان تبلغـوا احتجـاجـه الى المراجع الرسمية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

**عن مكتب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ٢٣ آذار ١٩٤٥**

# موقف الحزب من ميثاق الجامعة العربية

ان التعاون الذي حققه ميثاق الجامعة هو تعاون قاصر قد يتحقق مثله بين دول غربية متباينة في اللغة والعنصر والتاريخ، وبعيدة عن بعضها في الاقليم والقارة. فالميثاق في مجموعه إقرار لحالة التجزئة الراهنة في العالم العربي، وتوكيد للنزعات الشخصية في الفئات الحاكمة واذعان من دول الجامعة لسياسة الأمر الواقع الذي سهّل عليها التراجع امام مطامع الاجنبي ضد بعض اجزاء الوطن العربي، كاعترافها بعدم بلوغ فلسطين طور النضج السياسي، واهمالها شأن الاجزاء العربية الاخرى في افريقيا الشمالية وغيرها، وسكوتها عن الخطر الصهيوني وعن اغتصاب تركيا للواء اسكندرون.

---

(١) هذا الراي في الجامعة العربية، في الوقت الذي قيل فيه، يبدو ان فيه بعد نظر ومخالفة لجميع الآراء الاخرى - فأكثر الناس رحبوا بالجامعة العربية بنسب مختلفة، ولكن لم يتجرأ أحد على القول انها اداة لتثبيت التجزئة، وان ميثاقها يشكل خطوة منحرفة وليست سليمة، وان الزمن سيزيدها انحرافا.

الحكومات العربية في تلك الفترة وما قبلها بقليل كانت اما حكومات عميلة كعبد الله ونوري السعيد، او حكومات، رغم ان لها ماضيا وطنيا نضاليا، استسلمت بوصولها الى الحكم لمؤثرات الحكم، وسارت في سياسة لاتختلف كثيرا عن سياسة الحكومات العميلة، من حيث محاولتها الدائمة لكبح جماح الطموح القومي عند الشعب، وكبح جماح الروح التحررية، وايجاد الاعذار لتبرير التساهلات امام الاجنبي المستعمر فنستطيع القول انه في ذلك الحين اي في وقت اصدار ميثاق الجامعة كانت الحكومات تعيش في جو نفسي يكاد يكون نقيض الجو النفسي الذي يعيش فيه الشعب العربي. بكلمة اخرى، الظرف كان ظرفا ثوريا ممتازا، لان التناقض بين سياسة الحكومات ومصلحة الشعب كان واضحا للغاية، وكان باستطاعة حزب ثوري جريء ان يكسب التأييد الشعبي لمجرد فضحه لهذا التناقض. وكانت كل مساوىء الحكومات العربية ومواطن ضعفها قد تجمعت في الجامعة العربية - اي ان الجامعة كانت أسوأ وأضعف من الاعضاء المكونين لها. كانت الجامعة مطعونة من اساس نشأتها لانها شُكّلت وأُسست بعد تصريح لوزير خارجية بريطانيا اثناء الحرب، يقول فيه ان بريطانيا ترتاح ان ترى الدول العربية تضمها جامعة...، ووجودها في القاهرة كان يبعدها عن الجو القومي، عن الجو العربي الحار، وبالتالي عن التجاوب مع المشاعر الشعبية، وكانت خاضعة في الدرجة الاولى لملك مصر بصورة خاصة، الذي وضع امين الجامعة العام - عزام - من صنائعه، والذي كان في خطته ان يستخدم الجامعة لبسط نفوذ الملك فاروق على الاقطار العربية.

. والميثاق ضعف أمام الاجنبي وعدوانه، يترك الحرية المطلقة لهذه الدول في تعاقدها معه بينها يسجل حذرها وخوفها بعضها من بعض. فجاء هكذا فاضحا لحقيقة الساسة من رجال الحكم بالدول العربية، وخاصة في سوريا ولبنان، ومبطلا لادعاءآتهم ومزاعمهم عندما كانوا بعيدين عن الحكم بانهم يعملون لتحقيق الاهداف القومية، يوم كانوا متخذين صفة القيادة الوطنية. وقد ظهر اليوم انهم كانوا أسرع من غيرهم الى التنازل عن هذه الاهداف بدافع انانيتهم الشخصية وحرصهم على مراكز الحكم

---

فالحزب كان ينظر الى الوحدة العربية نظرة جديدة ومختلفة اساسيا عن نظرة السياسيين والحكام، اذ انه لم يكن يفصلها عن باقي نواحي السياسة بل يعتبرها احدى صور النضال في سبيل الاستقلال وفي سبيل التحرر الاجتماعي والعدالة الاجتماعية في حين انها كانت عند السياسيين والحكام ذات مفهوم تقليدي جامد وخداع. كانت اكثر الحكومات خضوعا للاجنبي ورجعية في الوضع الاجتماعي تستطيع ان ترفع شعار الوحدة العربية وتكسب به تأييدا رخيصا، لانها كانت لاتؤمن بجدية هذا الشعار وامكانية تحقيقه. والواقع ان تلك السنوات (اواخر الحرب وما بعد الحرب مباشرة قد وصلت فيها العصبية الاقليمية ووحدة المصالح الاقليمية وحرص الحكام على مراكزهم وسلطتهم الى الذروة، بعد ان كان اكثر هؤلاء الحكام من غلاة الداعين للوحدة والمتمسكين بها قبل الوصول الى السلطة. لقد تجلى هذا بشكل خاص في سياسة رجال الحكم في سوريا ولبنان. فالحزب ثار على هذه الانتكاسة، وفضح تراجع الساسة الوطنيين وفضح اغراضهم الشخصية والطبقية، وسلط الانوار على اهمية الوحدة العربية وضرورتها الحيوية للعرب، وربطها بالاستقلال، وشكك في كل استقلال لايوصل الى الوحدة او يمكن ان يتعارض مع الوحدة. وهذا نابع من نظرة الحزب الى الوحدة، فهو يرى ان عوامل عديدة قديمة وحديثة من بينها عامل الاستعمار الاجنبي تؤثر في شكل يرسخ الروح الانعزالية والمصالح الاقليمية ويبعد عن الوحدة. حتى كاد الاستقلال يعني في اول عهده بالنسبة الى بعض الاقطار العربية بأنه انفصال عن الجسم العربي واصطناع شخصية قوية جديدة للقطر الذي نال استقلاله.

ففي سوريا مثلا، وهي السباقة الى التفكير والعمل الوحدويين كان توجيه الدولة بعد جلاء الجيوش الاجنبية توجيها يركز على الشخصية السورية والطابع السوري. حتى ان صحيفة «الفيحاء» - وكانت تعتبر صحيفة رئيس الجمهورية - كتبت بمناسبة الجلاء معتبرة ان سوريا تستقل لاول مرة في التاريخ، وعدت العرب من جملة الفاتحين فكان الحزب يحارب هذه الانحرافات وهذا التشويه، ويعتبر ان الوحدة العربية لايمكن ان تتحقق الا اذا اقترنت فكرتها بحياة كل قطر، واعتبرت هي الاصل والاساس. وان الشخصية العربية هي الشخصية الاصيلة لكل قطر عربي، وان الاستقلال القطري يجب ان يوضع في خدمة الوحدة والنضال من اجلها، والا فان الاقطار العربية مهددة بأن تسير بطريق التباعد والاختلاف الاقليمي المتزايد، وهذا ما كان متجسدا فعلا في الجامعة العربية فكان عملها سطحيا ومظهريا يخفي هذا الترسيخ للتجزئة والمصالح الاقليمية تحت ستار خادع من الاتفاق والتفاهم. وكانت الجامعة علاوة على ذلك أداة بيد الحكومات ضد الشعب العربي، مثل حلف رجعي للملوك والرؤساء ضد الشعوب. وقد تجلى هذا في عدة مناسبات، اذ كانت الجامعة تقف ضد الانطلاقات التحررية في البلدان العربية كموقفها من الانقلاب الذي وقع في اليمن ضد الامام يحيى، او كانت مهمتها تضييع المسؤولية وحماية الحكام من محاسبة شعوبها، كما في قضية فلسطين، والنزول بالاهداف العربية الى مستوى قدرة تلك الحكومات الضعيفة او العميلة، والاصرار على ان ذلك هو غاية ما يطمح اليه العرب. لقد ظلت الجامعة سنين طويلة تتجاهل المغرب العربي، وانه جزء من الوطن. لذلك كله وجد الحزب من واجبه ان يحذر الشعب العربي من الانخداع بالجامعة لئلا تكون بمثابة التخدير لحاجته العميقة الى الوحدة. وقد كتب الاستاذ ميشيل عفلق هذا الرأي ونشر في اول نشرة داخلية دورية في تاريخ الحزب.

ومنافعه. والمفروض في القادة، في شعب لم يكتمل وعيه ولم يستعد تجانسه، ان يكونوا سابقين له في الوطنية والوعي والتجرد، لامتخلفين عنه مضعفين لطموحه.

ان الميثاق «عمل عظيم» في نظر هؤلاء الرجال وفي نظر صحفهم الرسمية. ولكن الشعب العربي لم ينظر اليه الا على انه برهان جديد على ضعف القيادة الوطنية ونقص كفاءتها واخلاصها.

ليس الميثاق في نظرنا خطوة قصيرة فحسب، نرجو ان يسمح المستقبل بتوسعها، ولكنه بالنظر لهذه الشوائب التي تدخله **خطوة منحرفة ضالة**، نخشى ان يزيد المستقبل في خطرها ويوسع اضرارها.

ولو كان ضعف التعاون العربي وليد ضرورات قاهرة تفرضها ظروف خارجية، لكان ثمة أمل في تعاون آت اكثر نمواً وقوة. ولكن الميثاق يبرهن على وجود نقص في وضوح الفكرة العربية وتمكّنها من نفوس الرجال الرسميين واذهانهم. فلا بد اذن من ان يستيقظ الشعب العربي ليسترد قضيته من الايدي التي لاتصلح لتوجيهها. فرجال الحكم المشوبون في صدق ولائهم للفكرة العربية، والمسخّرون لشتى الاعتبارات والمصالح الشخصية التي تضطرهم الى مسايرة السياسة الاجنبية، لاينتظر منهم افصاح صادق عن اماني الامة، وهذه الاماني لاتظهر على حقيقتها الا في المؤتمرات والمنظمات التي يبادر الى عقدها وتأليفها رجال الامة الشاعرون بواجبهم نحوها. فيجب ان يمثل ميثاق الجامعة آمال الامة العربية تمثيلا رائعا، لا ان يضع الشوائب التي تعوق نموها الطبيعي وسيرها الى الوحدة العربية، التي لاتزال، كما قال الاستاذ صلاح الدين البيطار - في خطابه في ٨ آذار سنة ١٩٤٤ -:

«حلم العرب الاسمى، فالامة العربية واحدة، والعرب ليسوا بقادرين على التخلي عن هذا المثل الاعلى، او انهم ينكرون ذاتهم. ونحن اذ نتطلع الى هذه الوحدة بين اقطار العرب، لانتجاهل الواقع في السياسة، ولكن الاستقلال الذي ننشده هو الذي يتقدم بنا في طريق هذه الوحدة، والسياسة التي نتبعها هي التي تضع حجرا ثابتا في بناء هذه الوحدة. لذلك نحن لانرى في الاستقلال والوحدة غير اسمين لشيء واحد، وهو سيطرة الامة العربية على مصيرها، بل ان في الوحدة العربية ضمانة هذا

الاستقلال» .

وعلى هذا لاننكر ان ما يجري اليوم من مشاورات هو خطوة، وان كانت خطوة بسيطة . ولكن الضرر يقوم في ايهام الشعب العربي بأنها هي الوحدة الحقيقية . فالوحدة الحقيقية تفترض على القائمين بتحقيقها وجود فكرة صحيحة وايمان بهذه الفكرة، مع اننا نعتقد ان الحكومات العربية ورجالاتها لم يكوّنوا بعد هذه الفكرة الصحيحة الواضحة ذات الاتجاه العربي الصرف، وليس لهم من ايمانهم ما يسمح بالتغلب على انانيات شخصية ومصالح اقليمية، في سبيل الظفر لفكرة الوحدة العربية .

**مكتب البعث العربي**

**النشرة الدورية (رقم ١)**

**١٢ نيسان ١٩٤٥**

# حول تحدي فرنسا وصنائعها للاستقلال

في هذه الايام[1] التي اخذت تتطلع فيها الامم الى مستقبل يسوده الحق والعدل والوفاق، أبت فرنسا الا ان تعلن حقيقة فهمها «للنصر» الذي لم يكن لها في احرازه نصيب كبير، وللمبادىء السامية التي كانت عنوانا لهذا النصر، والتي لاترى فيها فرنسا غير وسيلة للاتجار، كأنَّ مهمتها في العالم لم تعد غير تشويه تلك المبادىء وإزالة قدسيتها واضعاف ثقة الناس بها.

هكذا لم تجد فرنسا مناسبة خيرا من أيام النصر تظهر فيها، (بما أثاره رجالها وموظفوها من فتن وتعديات وقحة مبتذلة)، انها غريبة عن حقيقة النصر وما يلهمه من معاني التجرد والسمو، وما يكسب صاحبه من رصانة ووقار.

وهكذا لم تجد فرنسا وقتاً أنسب من وقت انتهاء الحرب لتأتي بجيوش جديدة الى ارضنا، بدلا من تسليمنا جيشنا المغتصب منا، ومن اجلاء ما لها من قوى عسكرية قضت ضرورات الحرب بوجودها في بلادنا، فكان هذا الجيش الذي استقدمته رمز للغدر الاصيل والحقد الاسود.

ليس في موقف فرنسا أية مفاجأة لنا، لانها لم تبرح منذ خمس وعشرين سنة تعرّفنا

---

(١) حين بدأ الشعب العربي في سوريا يطالب باستقلاله بعد الحرب، وكان الحلفاء قد وعدوا قبلها باعطاء سوريا استقلالها، استقدمت فرنسا جيشا جديدا للقضاء على كل تطلع للحرية. وكانت الحكومة آنذاك مؤلفة من العناصر التي زعمت دائما انها قائدة الحركة الوطنية. فدخلت مع فرنسا في مفاوضات، كان هدف فرنسا منها كسب الوقت لضرب النضال الوطني. وكانت تلك العناصر المتعاونة مع الاستعمار، جزءا من الخطة في موقفها ذلك. فطالب حزب البعث بالاضراب الشامل، كتعبير عن رفض الشعب لكل مساومة، ولكل ارتباط بمعاهدات ومواثيق، عند مقدم ممثل فرنسا الجديد في سوريا. ثم دعا الحزب الى النضال حتى ينال الشعب حريته كاملة. وكان البيان من اوائل البيانات التي فضحت الفئة الحاكمة المتعاونة مع الاستعمار.

بنفسها، وتقيم الادلة على نكثها بالعهد، وأمتهانها للحق، وتآمرها المجرم على استقلال شعبنا الآمن بتمزيق وحدته، وتسميم ثقافته، والطعن في قوميته. ولكن الفئة الحاكمة في سوريا رأت، بدافع الجهل والنفعية، ان تتجاهل هذه الحقيقة، وتسكت عن مماطلة الافرنسيين وخداعهم، فأضاعت على البلاد أثمن الفرص.

**ياشعب سوريا العربي**

في هذه الايام التاريخية التي يُقرر فيها مستقبل الامم لعدة اجيال، تُعرض فرصة تستطيع فيها ان تُظهر للعالم كفاءتك للحياة الحرة، وصدق تعلقك بالاستقلال، بنسبة استبسالك في الدفاع عن حريتك، وبقدر ما تبذله في سبيل استقلالك من جهد وتضحية.

ان تحدي فرنسا وصنائعها من الخونة والشعوبيين لاستقلالك وكرامتك القومية هو تحد واضح قوي. فليكن جوابك عليه بنفس الوضوح والقوة.

قاطع المتعاونين مع الاجنبي. ضع حدا لدعايات الشعوبيين خدام الاستعمار الافرنسي. افرض على الحكومة موقف حزم وصلابة، وطالبها بأن تنهي المفاوضات مع الافرنسيين في ايام معدودة، في سبيل استكمال الصلاحيات واستلام الجيش السوري، **دون الارتباط بأي عقد او معاهدة.**

**ياشعب سوريا العربي**

انك اذ تستقبل ممثل فرنسا باضراب شامل، ووحدة قومية رائعة، استنكارا لما ينوي هذا الممثل فرضه، باسم دولته، على حريتك واستقلالك من قيود، أفهمه انك لاتزال تؤمن بأن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى، وذكّره بأن هذه الامة التي انتزعت من فرنسا استقلالها انتزاعا، بما اراقت من دماء، وقدمت من شهداء، وما تزال هي هي، عربية الاصل والسجية، تعشق النضال وتلد الابطال.

**عن مكتب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**١٦ آيار ١٩٤٥**

# في سبيل الجهاد الوطني[1]

ان حزب البعث العربي الذي لم يفتر منذ أبتداء هذا العهد الدستوري، عن تحذير الشعب والحكومة من خداع الاستعمار الافرنسي، وعن دعوة الشعب والحكومة، منذ عامين كاملين، وفي مناسبات عديدة، الى انتهاج خطة عملية حازمة لاجبار الافرنسيين على تسليم الجيش السوري وما تبقى في أيديهم من الصلاحيات، يرى اليوم من واجبه ـ وقد جاءت الحوادث مبرهنة على صدق نظرته ـ أن يدعو عرب سوريا شعباً وحكومة، الى تقدير مسؤولية هذه الساعة العصيبة الحاسمة في حياة أمتنا ومستقبل اجيالنا، فيقفوا صفا واحدا في وجه العدوان الافرنسي ويجابهوه بكل ما أوتوا من قوى مادية ومعنوية، ليصفّوا حسابهم مع الاستعمار الافرنسي المجرم، ويحرروا أرض سوريا العربية من آخر جندي من جنود الافرنسيين، ويعطوا بهذا العمل ايضا درسا وانذارا لكل سلطة اجنبية اخرى يمكن ان تطمع في ارضهم وتعتدي على استقلالهم.

لقد كنا دوما معارضين للحكومة، منتقدين لاعمالها، عندما كانت تتهاون في دفع الخطر الاجنبي، وتهمل تنظيم الشعب ضد هذا الخطر. ولكننا اليوم، وقد بدا ان الحكومة أفاقت من غفلتها واخذت تسلك طريق الصواب في مقاومة العدوان الافرنسي بالحزم والصلابة، **فاننا نُقدِم بملء الوعي لواجبنا القومي، على تأييد الحكومة**

---

(١) في هذا البيان تستعمل كلمة «الحزب» لاول مرة. والجديد فيه انه اعلن تهادن الحزب مع الحكومة وتأييده لها ليقف الشعب بكامله في وّجه المستعمر. ولكن في هذا التأييد ايضاً حرص الحزب على ان يقول للشعب ماهي شروطه. والشيء الثاني في هذا البيان هو الاعلان عن تنظيم شعبي قام به الحزب: فرق الجهاد الوطني. (لاول مرة استأجر الحزب مكتباً وأخذ ينظم فرقاً من الشباب الذين توافدوا بالمئات، وبدىء في تدريبهم على حمل السلاح والاسعاف الخ). وعندما قام الفرنسيون بعدوانهم بعد مدة قصيرة جداً اشترك هؤلاء الشبان، بعضهم بالسلاح وبعضهم بالاسعاف، الخ.

**الدستورية ما دامت في نضالها الوطني ضد عدوان الاجنبي الآثم. وندعو أبناء الوطن ممن لم يخدموا الاجنبي، ولم يعملوا في حزب أجنبي، الى الالتفاف حول الحكومة ودعمها اذا هي ظلت في موقفها النضالي الحازم، وامتنعت عن عقد أية معاهدة مع فرنسا.** وليعلموا ان قضيتنا هي قضية الحق والعدل، وقضية العروبة، وانها ستكون محكا وامتحانا للمبادىء الدولية السامية التي ينادي بها العالم المتمدن، وأقوى برهان على تضامن العرب في مختلف أقطارهم، وعلى وحدة المبدأ والغاية والمصير بين جميع العرب.

ولقد بدأت حركة «البعث العربي» في هذا الظرف العصيب بتنظيم شعبي عام «**لفرق الجهاد الوطني**» غايتها تعبئة قوى الشعب العربي وتنظيمها للدفاع عن حرية سوريا واستقلالها، ولتطهير ارضها نهائيا من كل سلطة اجنبية.

١ ـ تقوم على ادارة «فرق الجهاد الوطني» لجان مختصة تضطلع بمهام التنظيم، وتتألف من افراد مسؤولين من مختلف رجال الشعب وهيآته الوطنية.

٢ ـ تقوم هذه اللجان المسؤولة بانشاء فرق شعبية تخضع لنظام خاص بها، وتتوزع مهام العمل النضالي الوطني.

٣ ـ تتألف «فرق الجهاد الوطني» من: أ ـ فرق المقاومة. ب ـ فرق المحافظة على الامن. ج ـ فرق الاسعاف.

٤ ـ عدد أفراد كل فرقة خمسة وعشرون شخصا يرأسها عريف له صلته المباشرة باللجنة المختصة.

٥ ـ في حالة الطوارىء، تضع هذه اللجان والفرق نفسها تحت تصرف الحكومة في سبيل حفظ النظام والامن، والدفاع عن الوطن.

**ياعرب سوريا! أيها العرب في جميع الاقطار**

هذه ساعة الحساب لفرنسا الباغية التي ما زالت تلطخ الارض العربية بآثامها وجرائمها منذ خمس وعشرين سنة في سوريا، ومنذ اكثر من قرن في الجزائر وتونس ومراكش.

هذه ساعة العدل الالهي، ساعة الثأر العربي، تخطّون فيها سطور تاريخ جديد،

يليق بماضي العرب المجيد.

**يا عرب سوريا، يا أبناء الشهداء، وأحفاد المجاهدين من أمة المجد والجهاد**

اذكروا الثكالى واليتامى والدم الطليل الشهيد، الذي سفكه الافرنسيون في جبل الدروز والعلويين، وحوران وميسلون، وفي غوطة دمشق، وأحياء دمشق المهدمة.

اخلعوا لباس الدعة والرخاء والسلم، وألبسوا للحرب ما تقتضي من جد وخشونة ونظام، لانكم منذ الساعة في حرب، حرب على العدوان والعبودية، في سبيل الحق وحرية العرب.

**عن مكتب البعث العربي**

**ميشيل عفلق - الدكتور مدحة البيطار - جمال الاتاسي**

**٢٠ آيار ١٩٤٥**

# مشاكل العرب السياسية

ان حزب البعث العربي في سوريا[1]، الذي دأب في معالجة القضية العربية باعتبارها كلا لايتجزأ، والذي كان صدى للارادة العربية الواعية في كل قطر عربي، يرى في هذا البحران الغامض، ان يعرب عن رأيه في الاوضاع السياسية الكبرى التي لها صلة صميمة بكيان العرب بالصراحة التي تقتضيها المصلحة العربية والتي هي قاعدة أساسية في نهج هذا الحزب.

وقبل البدء بتشريح القضايا العربية، وبحث علاقات العرب مع الدول الاجنبية، يجدر بنا ان نقر أمرين، ونجعلهما من بديهيات الامور، وعلى ضوء هذه البداهة نعرض آراءنا:

١ ـ لاتقوم صداقة بين العرب وبين دولة من الدول الاجنبية الا بقدر ما تحترم تلك الدولة حقوقهم، وتعترف عمليا بوجودهم وحريتهم واستقلالهم من جميع نواحيه.

٢ ـ ان مصلحة الاقطار العربية هي واحدة، فلا ينظر الى دولة اجنبية في قطر عربي نظرة صداقة، اذا كانت هذه الدولة تسيء الى قطر عربي آخر وتنتقص من حقوقه. فلا يحمد مثلا موقف انكلترا في سوريا ما دامت تسيء الى العراق او مصر او

(١) نص البيان الذي أقره الحزب في اجتماعه العام المنعقد في مقره في دمشق يوم الجمعة في ٩ محرم ١٣٦٥ (هـ) الموافق لـ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٤٥. وميّزة هذا البيان انه أخذ الوطن العربي بكامله من المحيط الى الخليج. وفيه خلاصات عاجلة عن مشكلة كل قطر وعن الوحدة العربية والجامعة العربية (وفيه الدعوة الى جامعة عربية شعبية تطرح لاول مرة).

أية إمارة عربية في أقصى الحدود من بلاد العرب.

**العرب والحلفاء**

لئن كان في موقف الحكومات العربية وتصريحاتها منذ ابتداء الحرب الاخيرة حتى الآن ما يوهم بأن العرب ينظرون الى الدول الغربية الاستعمارية، التي لها علاقة سيطرة او نفوذ بأكثر بلدانهم، نظرة صداقة وولاء واطمئنان، فان مواقف الشعب العربي المتكررة خلال هذه الفترة، والمظاهر الصادقة لشعوره وتفكيره وعمله، ما برحت تدل أقوى دلالة على انه منذ بداية الحرب العالمية الاولى لم يغيّر نظرته الى هذه الدول التي تستر بها مطامعها. وهو لئن أيّد المبادىء الديمقراطية التي طبع عليها منذ القديم، فانه لم يطمئن الى «الديمقراطيات» التي ما زالت تخرجه من عداد الشعوب التي يحق لها ان تستفيد من تطبيق تلك المبادىء.

كما يعتبر هذا الشعب ان ما أمدّ به قضية الحلفاء من مساعدات فعالة، في أوطانه ومهاجره، طوال مدة الحرب، لم يكن دينا يوفيه لهم على ما أذاقوه من ظلم وإرهاق وإفقار طوال ربع قرن، بل سلفة قدمها آملا ان تحمل الدول الحليفة على إعادة النظر في أساس السياسة التي ما زالت تتبعها معه، وان تقنع هذه الدول بان الخير الذي يمكن ان تجنيه من الاعتماد على شعب حر موحد صديق، ليختلف كل الاختلاف عن النفع الذي تنتزعه بقوة السلاح من شعب لايشعر نحوها الا بالكره، ولا يبيت لها غير الخصام.

**العرب وانكلترا**

ليس في وسع الشعب العربي ان ينسى ان انكلترا قد نكثت بعهد الشرف الذي ارتبطت به مع قائد الثورة العربية «الملك حسين» اذ ضمنت له بموجب ذلك العهد استقلال البلاد العربية ووحدتها، بينما كانت تتآمر مع حليفتها فرنسا تآمرا اسفر عن تجزئة البلاد العربية واقتسامها وتحويلها الى منطقتي نفوذ، عملت انكلترا في احداهما على إعاقة اهلها عن تحقيق استقلالهم وحَريتهم، وحاولت فرنسا شر المحاولات لتجعل المنطقة الثانية جزءا من ارضها وتمحو منها كل المعالم

والمميزات العربية التي تحول دون تحقيق سياستها الاستعمارية. ولكن ما يذكره العرب بصورة خاصة في ألم يتجدد كل يوم، واستنكار يزداد في كل ساعة، هو تلك الجريمة التاريخية التي اقدمت انكلترا على ارتكابها بحق عروبة فلسطين، واحلالها في هذا القطر العربي شعبا اجنبيا يختلف في جميع عاداته وخصائصه وعقليته عن الشعب العربي، لتمزيق وحدة العرب والفصل بين اقطارهم.

**فلسطين**

ان الامة العربية لتطلب من انكلترا ان تعالج قضية فلسطين من أساسها، وان تعيد النظر في وعد بلفور نفسه. وهي لاتقبل حلها على أساس بيان المستر بيفن المضطرب الذي أقرّ أستمرار الهجرة اليهودية والذي أشرك دولة ثانية تعضد مطالب الصهيونيين لوضع حلول مغايرة لحق العرب في فلسطين، والذي نادى بحرمان فلسطين العربية من حق تشكيل دولة مستقلة وببقائها تحت نير الوصاية الدولية. كما ان العرب يرفضون التعاون مع لجنة التحقيق الا فيما يتعلق باقناعها بأن وعد بلفور افتئات صريح على حق العرب في فلسطين وانه تبرير لاعتداء الصهيونية الآثمة على ارض العرب في هذا القطر. واذا كان جديرا برئيس الولايات المتحدة ووزير خارجية بريطانيا ان يخففا من شقاء اليهود في اوروبا ويعالجا مشكلتهم معالجة انسانية، فمن الاجدر بهما ان ينظرا الى الصهيونية على حقيقتها ويتبينا بأنها حركة عدوانية باغية، بعيدة عن ان تكون علاجا صحيحا لمشكلة اليهود في العالم، وبالتالي عن ان تقر في نفوسهم الطمأنينة والسلام. وعلى هاتين الدولتين ان تزيلا هذا الحيف الواقع على العرب، وتقتنعا بان فلسطين قطر عربي يجب ان ينال استقلاله وحريته، ويحكم نفسه بنفسه في اطار المجموعة العربية.

**شرقي الاردن**

ان احتلال انكلترا، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى، للمنطقة التي فصلتها عن سوريا وسمّتها بشرقي الاردن، يعتبره الشعب العربي اعتداء صريحا على سيادته وعلى وحدته القومية. ويرى ان السبيل الوحيد الى تخفيف آثار هذا الاعتداء السيئة

في نفسه، هو ان تسرع انكلترا بسحب جيوشها من شرقي الاردن، وترفع عنه كل القيود التي كبّلت بها حريته وسيادته، وكل الحواجز التي اصطنعتها لفصله، هو وفلسطين، عن امهما سوريا، ولفصل هذه عن اقرب الاقطار العربية اليها في الارض والروح والمصلحة، الا وهو العراق.

ولا بد بهذه المناسبة، من ان نسجل رأينا في موضوع وحدة سوريا الطبيعية، او ما سمي حديثا بسوريا الكبرى: اننا نعتبر أمر توحيد سوريا الطبيعية من قبيل ارجاع الحق الى نصابه، ولا نقبل ان ندخل، في سبيل تحقيق هذا التوحيد، في أية مساومة يمكن ان تؤدي الى تنازلنا عن اي حق من حقوقنا القومية الازلية في عروبة فلسطين ووحدة ارضها وسلامتها، او في اي جزء من أجزاء سوريا العربية. كما اننا لانعترف بأي مشروع لاينال موافقة الشعب العربي نفسه في هذا القطر، ولا يتفق مع المصلحة العربية العليا. وفي اعتقادنا ان مصلحة العرب العليا تقضي بأن لايرضوا عن الحكم الدستوري بديلا؛ وان يسعوا الى النظام الجمهوري كغاية، لانه اضمن لتطورهم وتحقيق امكانياتهم القومية. ولكنه لايعقل ان يقيموا من هذا النظام عقبة في طريق تقدمهم نحو الوحدة. وعليهم ان يعتبروا اخيرا ان الخطوة الجدية الحاسمة في طريق تقدمهم نحو الوحدة هي: توحيد سوريا والعراق.

**العراق**

وليس الوضع السياسي القائم اليوم في العراق خاليا من الشوائب وعوامل القلق بالنسبة الى الشعب العربي. فلقد كان العرب ينتظرون ان تعمد انكلترا، فور انتهاء الحرب، الى تعديل المعاهدة مع العراق، وان تلغي منها جميع الشروط والتحفظات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي فرضتها انكلترا لمصلحتها وحدها. فكيف بهم اليوم وهم يرون ان انكلترا لم تقنع باستغلال هذه المعاهدة المجحفة بحقوق العراق، بل تذرعت بالاحوال الاستثنائية وبظروف الحرب فبسطت نفوذها على بعض المرافق مما لاتسمح لها به حتى المعاهدة التي قبلها العراق في ظرف خاص. فالعرب يعتبرون ان ازالة الشوائب التي لاتزال عالقة باستقلال العراق هي في رأس مطالبهم القومية التي

لايمكن ان يقبلوا فيها اي تساهل او مماطلة .

**مصر**

ولسنا نرى لبريطانيا اي عذر او مبرر في موقفها المماطل المتلكىء من مطالب مصر الوطنية بعد ان قدم لها هذا القطر العربي أجلّ المساعدات في أحرج أوقات الحرب وأعصبها . ولقد أجمعت كلمة المصريين واتفقت جميع احزابهم على تحديد هذه المطالب بالاستقلال التام وجلاء القوات البريطانية عن الاراضي المصرية ووحدة وادي النيل ، اي الاعتراف بأن السودان جزء متمم لمصر، وانه ليس لبريطانيا ان تشترك في حكمه وادارته فضلا عن الاستئثار به كما يجري اليوم .

ان العرب اذ يؤيدون مصر في نضالها من أجل أستكمال أستقلالها وتحرير أرضها ووحدتها، يحرصون على ان يسجلوا استنكارهم لما حدث في يوم ٤ شباط ١٩٤٢ من اعتداء بريطانيا على استقلال مصر وتدخلها في شؤونها الداخلية ومساسها لكرامة العرش المصري . ذلك ان مصر هي في نظر العرب حاملة لواء الفكر والثقافة ومثال للنضج السياسي ، وان اي اذى يلحق بها يثير عند العرب روح الاشمئزاز والحقد ، وان اي تلكؤ في اجابة مطالب القطر المصري العربي يثير الشكوك في نيات الانكليز وحقيقة سياستهم في جميع البلاد العربية ، ويجعل قيام الصداقة بينهم وبين العرب أمر عسيراً .

**طرابلس الغرب**

وقضية طرابلس الغرب تثبت للعرب ان العقلية الاستعمارية لم يطرأ عليها تغيير قط حتى بعد النكبات والبلايا التي صُبّت على العالم . ان هذا القطر العربي قد قاوم الاستعمار الايطالي ثلث قرن ، وضحى في سبيل حريته تضحيات سخية ؛ ولم يقعد عن المطالبة بحقوقه الشرعية . ولما شبّت هذه الحرب ، ناضل أهلوه في جانب الحلفاء لاستعادة حريتهم ودفاعا عن استقلالهم . فلما انتصرت جبهة الحلفاء لم يكن الطرابلسيون موضع نظر بل كانت بلادهم موضوع مساومة بين الدول الحليفة . فالعرب يلحّون في طلب أستقلال طرابلس الغرب وحريتها لتتمكن من الاشتراك في

الجامعة العربية وتقرر مستقبلها بالتساند والتعاون مع سائر أقطار العرب.

**المحميات**

وقضية المحميات ايضا والامارات العربية في الخليج العربي يجب ان يكون استقلالها وحريتها موضع بحث جدي بحيث تبقى عربية تتبع في كل شؤونها المصلحة العربية. وليس من حق بريطانيا ان تتذرع بأية ذريعة تمكّنها من بسط حمايتها عليها او انتقاص سيادتها، وان تحول دون المحاولات التي قامت بها بعض هذه الامارات للاتحاد بأقطار عربية اخرى. فالشعب العربي في كل اقطاره يقبل مبدأ التحالف وتبادل المصالح على قاعدة المساواة مع حليفته، وليس يرضى ان يكون مسودا او مستعمرا او محكوما. واذا كانت بريطانيا تريد حقا صداقة العرب ومحالفتهم فما عليها الا ان تقر مطالبهم في الحرية والسيادة التامة، وفي غير هذه الحال فان هذه الصداقة تبقى مهددة وغير مستقرة في النفوس. والامة العربية وحدة حية متضامنة، فأي اخلال بريطاني او عبث بحرية قطر من الاقطار يكون صداه السيء شاملا جميع البلاد العربية، وقد آن لبريطانيا ان تعترف بهذه الحقيقة صونا للحق المطلق وحقوق العرب ومصالحها ايضا.

**العرب وفرنسا**

ان نظرة العرب الى فرنسا لتختلف عن نظرتهم الى أية دولة أستعمارية اخرى. فللدول الاستعمارية مصالح دفعتها الى الاعتداء على حقوق العرب والحاق الاضرار بهم باشكال واساليب بلغت في كثير من الاحيان اقصى حدود القسوة والانانية والاستهتار البشع. ولكن فرنسا تحمل للعرب حقدا موروثا فكانت اعتداءآتها المجرمة المتعددة عليهم لاتصدر عن الطمع وابتغاء المصلحة فحسب، بل تمتزج اعمق الامتزاج بروح الانتقام والتشفي، وتظهر بأفظع اشكال الاذلال والامتهان، وبسياسة ترمي الى إفناء العرب وتحويل ارضهم بتراثها المجيد وخيراتها العميمة ارضا فرنسية صرفة، وهذا يفسر كيف ان سياسة فرنسا مع العرب، سواء اكان ذلك قبل قرن وبعض القرن في الجزائر ثم في تونس ومراكش، او في سوريا ولبنان منذ

احتلالها لهما، لم تتبدل قيد شعرة رغم تبدل الظروف والمصالح. لان المحرك الحقيقي لتلك السياسة كان دوما ذلك الكره العاطفي والتصميم النهائي على اعتبار العرب عدوا يجب ان يزول اما بالفرنسة واما بالموت. وها هي فرنسا قد مضى على احتلالها الجزائر اكثر من قرن امتصت خلاله ثروة الارض العربية فيها حتى آخر قطرة، وسخّرت لخدمتها السكان في حروبها والدفاع عن مصالحها؛ ومع ذلك فما كادت تخرج من تحت وطأة الاحتلال الاجنبي في نهاية هذه الحرب حتى كان اول ما خطر لها ان تعمله في حياة السلم الجديدة انها صبت النيران على عشرات الالوف من عرب الجزائر العزل، فأفنت قرى وقبائل برمتها دون اي مبرر او سبب يستوجب مثل هذه الفظائع؛ وها هي فرنسا التي بلاها العرب في سوريا ولبنان طوال ربع قرن، وابتلوا بها، تنتظر فرصة اعلان السلم العالمي لتؤيد عهدها الذي قطعته لسوريا بالاستقلال بارتكاب فظائع وأهوال ضج باستنكارها العالم قاطبة. وهي لاتزال حتى هذه الساعة وبالرغم من التجارب الاليمة ومن فشل سياستها المفضوحة المرة تلو الاخرى، تصر على طلب امتيازات ونفوذ وسيطرة في سوريا ولبنان، وتسخّر كل ما بيدها من حيلة وكل ما لمركزها السياسي في اوروبا من اغراء لاستمالة انكلترا الى مساعدتها في نيل مآربها من هذين البلدين العربيين، علاوة على ان موقفها العدائي من الجامعة العربية وعزلها عرب المغرب عن الانضمام الى تلك الجامعة، وسعيها الحثيث لاحباط كل ما يسير بالعرب نحو وحدتهم ونهضتهم هو امر لايحتاج الى ان يقوم عليه دليل.

**سوريا ولبنان**

يطلب الشعب العربي الجلاء العاجل لجميع الجيوش من افرنسية وانكليزية عن ارض سوريا ولبنان ولا يمكن ان يقبل بأي تأجيل، كما يطلب تسليم كل ما تبقى بيد الافرنسيين من صلاحيات الى حكومتي سوريا ولبنان، وهو يرفض كل فكرة ترمي الى منح اي مركز ممتاز في هذين البلدين لفرنسا او لغيرها من الدول الاجنبية. ويعلن ان كل اتفاق يجري بين الدول بشأن سوريا ولبنان ولا يكون فيه هذان البلدان

صاحبي الرأي الاول والاساسي فيه يعتبره لاغيا وغير ملزم له. نعني بذلك ما يجري من مفاوضات بين فرنسا وانكلترا. فقضية سوريا ولبنان هي ملك لهما وحدهما وللجامعة العربية. ولا بد من التصريح بأن كل حل يتعلق بسيادة هذين البلدين واستقلالهما التام الناجز لايمكن ان يجري على واحد منهما دون الآخر. ونحن نعتبر ان سوريا هي تلك الوحدة الطبيعية التي يؤلف لبنان جزءا منها. ولا يضعف من قوة هذا المبدا في شيء اقتناع بعض اللبنانيين ـ تحت عوامل طارئة ـ بامكانية تأليف دولة لبنانية مستقلة منفصلة عن سوريا. وان الزمن والتجربة وتكامل الوعي لتكفل معالجة هذا الانحراف الطارىء وارجاع الامور الى مستقرها.

ومن الجرائم الكبرى التي ارتكبتها فرنسا ابان احتلالها لهذه البلاد هي التفريط بلواء الاسكندرون بعد تمهيد السبل لاستيلاء الترك عليه. وهذا الاعتداء التركي الفظيع على هذه الارض العربية التي يتعلق العرب بكل شبر منها ويبذلون دماءهم لاسترجاعها لايختلف لا في جوهره ولا في شكله عن تلك الاعتداءآت التي حدثت في اوروبا والتي كانت سببا في نشوب الحرب العالمية الاخيرة. ومع ذلك ففي الوقت الذي يهتم مؤتمر وزراء الخارجية بالفصل في قضايا المقاطعات المختلف عليها بين دول اوروبا نراه لايحرك ساكنا في قضية الاسكندرون ولا يمهد السبيل لعودة اللواء الى الارض العربية. فالعرب يعلنون انه ليس من قوة او اغراء يستطيعان حملهم على قبول اي تفريط اومساومة بشأن لواء الاسكندرون الذي يطلبون ارجاعه الى الارض العربية بكامل حدوده. وان العلاقات بين العرب والاتراك لايمكن ان تصفو ما دام اللواء مغصوبا.

**شمال افريقيا**

ان شمال افريقيا قد بقي بمعزل عن مقررات دول العالم في مؤتمراتها ولم يشمله اي نوع من انواع الحلول الدولية. فقد بقيت فرنسا فيه تمارس سياستها في محق المعنويات والافقار والاذلال والتقتيل والتشريد والفصل بين السكان وبين مقومات وجودهم اللغوية والدينية والتاريخية. ورغم هذا فالعالم المتمدن والدول

التي تدّعي انها انما دخلت هذه الحرب دفاعا عن حرية الشعوب لم تلتفت الى ما يجري هناك من مظالم وجرائم ومخالفات لابسط الحقوق الطبيعية التي يجب ان يتمتع بها البشر. فالعرب لايعدون ان تغيرا قد طرأ على العالم من حيث تحقيق المبادىء السامية ونشر الحرية ما لم يعط لهذه البلاد العربية حقوقها من استقلال وحرية وسيادة، وما لم تجل القوات الفرنسية عنها لتتمكن هذه البلاد من تنظيم شؤونها ولمّ شتاتها واعادة الحياة اليها بالتعاون مع الاقطار العربية والانتماء الرسمي الى الجامعة العربية. والدول الكبرى والعالم المتمدن مدعوون، اذا كانوا حقا يريدون السلام الدائم، الى معالجة هذه المشكلة وصون حقوق العرب.

**الجامعة العربية والوحدة العربية**

لقد سبق وبينا رأينا في الجامعة العربية منذ تأسيسها. ونعود الآن فنعلن أن هذه الجامعة لاتفصح عن ارادة الامة العربية في حقيقتها وتمامها، ولا تسير في الطريق الموافق لروح النهضة العربية الحديثة، علاوة على انها من حيث امكانيات التحقيق لاتقدر على كبير شيء. ولكن على الرغم من ذلك كله، فليس من عربي مخلص في سائر بلدان الوطن العربي الا ويعتبر وجودها خطوة محمودة، ويأمل ان تقوى وتشتد وان تسير باطراد نحو تقويم اتجاهها واستكمال مقوماتها. الا ان كل عربي واع مخلص يدرك في الوقت نفسه ان وجود الجامعة العربية، ان يكن خيرا، فهو ليس كل الخير المرجو، وان حاجات النهضة العربية ومستلزماتها لايمكن ان تكتفي بجهود الجامعة ولا ان تقف عند حدود نظرها وامكانياتها. فهذه الجامعة مصابة بضعفين اساسيين: الاول ان نشوءها في ظرف معين وفي ملابسات خاصة بعد تصريح لوزير خارجية بريطانيا في زمن الحرب، وكونها مؤلفة من الحكومات الرسمية التي يرتبط اكثرها مع بريطانيا بمعاهدات والتزامات، ليحرمها الشيء الكثير من حرية التصرف، ويعين لسياستها الخارجية حدودا يصعب ان تنحرف عنها او تتعداها، في حين ان مصلحة العرب تقضي بأن يكونوا احرارا في انتهاج السياسة الخارجية التي تلائمهم وفي محالفة الدول التي تضمن لهم اكبر حد من مصالحهم القومية، لا ان يتقيدوا

بمصالح دولة معينة او يسيروا دوما في ركاب جبهة معينة من الدول. الثاني: ان كونها مؤلفة من ممثلي الحكومات الرسمية ايضا يبعدها عن التجاوب التام الصادق مع اماني الشعب العربي وحاجاته في الوحدة والنهضة القوميتين، ويحولها هكذا في بعض الاحيان الى حجر عثرة في سبيل هذه النهضة وتلك الوحدة اذا هي استأثرت بتولي شؤونهما وحدها.

لذلك نعتقد ان ثمة ضرورة حيوية ماسّة بالنسبة الى الشعب العربي تقضي بتأليف جامعة عربية شعبية، الى جانب جامعة الدول الرسمية، تكون مفصحا صادقا عن مصلحة هذا الشعب واهدافه القومية في سائر الاقطار، وموجها قويما له يحميه من اضرار التأثر بأية سياسة اجنبية او الخضوع لضغطها، كما ينقذه من مساوىء السياسة الاقليمية وانانية الحكومات والاشخاص، فيستبق خطى الاتحاد الرخو البطيء ويمهد للوحدة المتينة ويستعجل سيرها، ويضمن لنضال الشعب العربي، في سبيل حريته التامة ووحدته الشاملة ونهضته الواسعة، انسب جو لازدهار هذا النضال وارحب مجال لتطبيقه.

وهكذا تكون الجامعة الشعبية سندا ونصيرا للجامعة الرسمية حين تسلك هذه طريق الصواب ويعوزها النصير، ومعارضا ومقوما لها حيث يعوزها الارشاد والتقويم.

ان حزب البعث العربي ليعلن عن رأيه هذا في المشاكل العربية للعرب في اقطارهم كافة، مشيرا الى ان الوضع العربي سيبقى مبلبلا ما لم تحل هذه المشاكل برمتها. وينبه الحزب الى وجوب ان تكون مصلحة العرب العامة هي الاصل في كل حل جزئي لقطر عربي، ومتى تعارضت حلول قطر مع مصلحة سائر الاقطار فهي حلول ليست في مصلحة القطر ذاته وان كانت في شكلها الخارجي ملائمة له.

**عن حزب البعث العربي**

**صلاح الدين البيطار، جلال السيد، مدحة البيطار، ميشيل عفلق**

**دمشق في ١٤ كانون الاول ١٩٤٥**

# حول الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي

ان نظرة أجمالية[1] على الاتفاق البريطاني ـ الافرنسي بشأن سوريا ولبنان، من خلال نصوصه ومعانيه وروحه العامة تظهر ما يأتي: ان دولتين غربيتين راسختي القدم في سياسة الاستعمار والاعتداء على حقوق الشعوب العزلاء، نعني بهما بريطانيا وفرنسا، لاتزالان، بالرغم من التجارب الاليمة التي عاناها العالم من جراء هذه السياسة، محتفظتين بعقليتهما القديمة، ماضيتين في تصميمهما العدواني على امتهان كرامة الشعب العربي والاستخفاف بحقوقه، في سبيل انتزاع منافع ومواقع من ارض هذا الشعب تمكنهما من استغلال ثروته وتهديد سلامته والاعتداء على حريته وسيادته والعبث بوحدته القومية وروابطه الروحية، كل ذلك بحجة الدفاع عن مصالح لهما والاضطلاع بمسؤولية حفظ الامن والسلام وضمان الرفاهية والرخاء.

ان هاتين الدولتين تعتبران الشعب العربي بموجب هذا الاتفاق، قاصرا لايملك أمر نفسه، مغلوبا لايستمتع بسيادته، فتبحثان شؤونه دون استشارته او الاكتراث

(١) في الفترة التي تمتد من العدوان الفرنسي على البرلمان وبين جلاء الافرنسيين في نيسان ١٩٤٦ ـ وكانت فترة حرجة للغاية لان فرنسا لم تستسلم ولم تيأس من الاحتفاظ بمصالحها في سوريا وخصوصا في لبنان. بل عادت واسترضت الانكليز ودعتهم الى التضامن معها في مطالبتها بهذه المصالح في سوريا ولبنان وهذا ما سجله اتفاق بيفن ـ بيدو. وكان حكم الكتلة الوطنية لايزال على عقليته القديمة يرضى بالتعاقد مع الافرنسيين ولا يرى في ذلك منكرا. فكان لطفي الحفار (وزير الداخلية في ذلك الحين) له موقف مشهور اصبح موضوع تهكم وتندر ـ وهو انه ارسل الى المحافظين في سوريا يطلب منهم اقامة الزينات والافراح لمناسبة صدور هذه الاتفاقية. وكان هذا اسلوب الكتلة الوطنية في خداع الشعب. اذ بمثل هذه المظاهر توهم بأنها حققت نصرا او كسبا ـ ارادت ان تظهر ان الاتفاقية هي لصالح البلاد وانها تضمن الاستقلال. ولكن الشعب كان في حدة تيقظه بعد حوادث العدوان. وكان للحزب دور بارز في توعية الشعب وشن حملة على هذه الاتفاقية وفضحها. وتراجعت الحكومة وبقيت الاتفاقية حبرا على ورق.

برأيه. وهما، بالرغم من الغموض الذي تعمّدتا خلعه على بعض نصوص الاتفاق، مما يسمح لهما في المستقبل بأن تتدخلا في بلاد العرب بكل مناسبة تريدانها، لم تتورعا عن استعمال صراحة تبلغ حد الوقاحة في النصوص الاخرى التي سجلتا فيها حقهما الكاذب في مصالح متقابلة لهما في ارض الشعب العربي، وفي تحمل مسؤوليات لم يكلفهما بها احد، دون ان تغفلا تسجيل احترامهما لاستقلال سوريا ولبنان بشكل ينزل بهذا الاستقلال الى مستوى المنحة والوعد من لدنهما.

واخيرا فهذا الاتفاق يظهر أمراً لاسبيل الى تعميته هو ان بريطانيا عمدت الى اشتراء محالفة الافرنسيين لها في الجبهة التي تشكلها في وجه دولة كبرى، فكان الثمن من جيب العرب ودمائهم وحريتهم، بتضحية سوريا ولبنان، والانتقاص من استقلالهما.

**نظرة على النقاط البارزة في الاتفاق**

١ ـ ان مجرد حدوث هذا الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا على امور تخص سوريا ولبنان، البلدين العربيين المستقلين، هو استمرار للسيطرة البريطانية والافرنسية التي فرضتها هاتان الدولتان على الاقطار العربية بقوة السلاح. فالشعب العربي يجيب على ذلك بالرفض الاجماعي لهذا الاتفاق الاستعماري ويطلب من الجامعة العربية ومن حكومتي سوريا ولبنان ان تتبنى هذا الرفض وتعبر عنه تعبيرا رسميا.

٢ ـ ان مجرد حدوث هذا الاتفاق الوحيد الطرف دون اشراك اصحاب العلاقة الشرعيين هو مخالفة صريحة للقواعد الدولية العامة وللمبادىء والمقررات التي أقرتها وأعلنتها هيئة الامم المتحدة. فالشعب العربي يطلب من حكوماته التي مثلته في هذه الهيئة ان تعترض لديها على اخلال الحكومتين البريطانية والافرنسية بمقرراتها وتحملها مسؤولية ارجاع الحق الى نصابه.

٣ ـ ان ما جاء في الاتفاق عن أمر جلاء الجيوش البريطانية والافرنسية عن سوريا ولبنان فيه مغالطة وخدعة خطرة. فجلاء الجيوش البريطانية أمر طبيعي لافضل ولا منّة فيه لاحد علينا، لان وجود هذه الجيوش في سوريا ولبنان كان لمقتضيات الحرب فحسب. ولكن المسألة الشائكة الخطرة هي في وجود القوات الافرنسية في هذين

البلدين العربيين اللذين ظلا طوال ربع قرن عرضة لعدوانها المتكرر الباغي ، وهي على الاخص في علاقة وجود هذه القوات بها لفرنسا في سوريا ولبنان من مطامع استعمارية فرضتها باسم الانتداب، ويخشى ان تستمر على فرضها باسم ادعاء آخر جديد. فالاتفاق ينطوي على خدعة كبيرة، لانه يعد بجلاء الافرنسيين عن سوريا، وهذا امر حاصل، ولكنه يقر، مقابل هذه المنحة الوهمية، مشروعية تجمع الافرنسيين وبقائهم في لبنان، مع ان ذلك هو الخطر المخيف والخلاف الوحيد الذي ما زال العرب ينتظرون له حلا منذ نهاية الحرب الاخيرة.

واما تبرير بقاء هذه القوات في لبنان بحجة ضمان الامن الدولي في منطقة البحر المتوسط ريثما يصدر قرار مجلس الامن الدولي بهذا الشأن، فليس له معنى سوى ابقاء القديم على قدمه، او بالاحرى الرجوع الى حالة الانتداب، والتسليم لفرنسا بمدعياتها في زمن الانتداب، وابقاء سوريا ولبنان تحت رحمة السلاح الافرنسي.

فالاتفاق البريطاني الافرنسي اذن قد تضمن، مقابل الشروط الصريحة المخلة باستقلال سوريا ولبنان، وعدا غامضا بالجلاء يوهم بانه في صالح هذين البلدين، مع انه في الواقع يناقض الجلاء الصحيح وينفيه. فمن واجب الحكومتين السورية واللبنانية ان تحذرا من الانخداع بهذا الجلاء الناقص الكاذب، لئلا تلزمهما موافقتهما عليه بالموافقة على بقية اقسام الاتفاق.

أن حزب البعث العربي يعلن ان هذا الاتفاق هو شر على العرب في مجموعه وتفصيلاته، وانه لايختلف في شيء عن اتفاق سايكس بيكو وامثاله من تآمرات الدول الاستعمارية التي يعاني العرب نتائجها الوخيمة منذ ثلاثين عاما الى اليوم. والحزب اذ يسجل على بريطانيا وفرنسا غدرهما الجديد بالعرب في قضية سوريا ولبنان، يهيب بالشعب العربي في جميع اقطاره ان يجيب على هذا الغدر بما يستحق من المقاومة والكفاح، وان يبرهن للدول الاستعمارية ان له من تضامنه المتزايد وجهاده المتواصل ما يقوي على احباط مؤآمراتها والغاء اتفاقاتها المجرمة.

**عن حزب البعث العربي**

**صلاح الدين البيطار، جلال السيد، مدحة البيطار، ميشيل عفلق**

**دمشق في ٢٦ كانون الاول ١٩٤٥**

# المعاهَدة الاردنية البريطانية

المعاهدة الاردنية البريطانية[1] مخالفة بيّنة لمصلحة العرب وأمانيهم القومية، وتعدٍ صريح على حق الشعب العربي في الاستقلال والوحدة، وفي تقرير مصيره بنفسه.

ان هذه المعاهدة، بابقائها الاحتلال البريطاني في شرق الاردن تلغي استقلال هذا القطر من اساسه، وتهدد استقلال الاقطار العربية المحيطة به في كل حين، وتعرقل سير هذه الاقطار نحو الوحدة كما تضمن للصهيونية الآثمة تحقيق اغراضها في فلسطين دون ان يبقى للعرب اي امكان في انجاد هذا القطر وانقاذه.

نحتج على الحكومة الاردنية التي ليس لها أية صفة شرعية تخولها حق تمثيل الشعب العربي وعقد المعاهدات باسمه، ونحتج على رؤساء الدول العربية الذين كانت تهنئتهم لها بمثابة اقرار بما تتضمنه هذه المعاهدة. نطلب من الجامعة العربية العمل السريع لالغائها لانها مجحفة بحقوق الوطن العربي، مهددة لسلامته، ولانها تشكل سابقة خطرة تفضح ما تبيته بريطانيا من شر للاقطار العربية الاخرى. ندعو الشعب العربي كافة الى الحذر ومواصلة النضال ضد المستعمِر وعملائه.

**مكتب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ٦ نيسان ١٩٤٦**

---

(١) صورة عن البرقية التي ارسلها حزب البعث العربي الى أمين الجامعة العربية والحكومات العربية احتجاجاً على المعاهدة الاردنية البريطانية.

# علة الضعف في سياستنا الخارجية

نشرت أمس المذكرات التي قدمتها الحكومة السورية الى حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة بشأن فلسطين[1] . ويقيننا ان كل عربي طالع هذه المذكرات خرج منها بالشيء الكثير من الشك واليأس لا لمآخذ يأخذها على نصّها أو روحها أو ما تضمنته من حجج أو من عرض واف لمطالب العرب وحقوقهم الصريحة العادلة. بل ان مبعث الشك واليأس هو سياسة الاقتصار على المذكرات، وسياسة التصريحات التي لاطائل تحتها، والقرارات التي لايتبعها تنفيذ.

يتساءل كل عربي: لماذا تأتي أعمال الحكومات العربية على غير ما يجيء في تصريحاتها وأقوالها وتعهداتها؟ لماذا يبتلى العرب بهذا العجز الواضح المعيب. فلا يكون لأقوالهم حرمة، ولا لقراراتهم قوة مؤيدة. ولماذا تكون هذه الملايين العديدة من العرب عاجزة عن حل مشاكل ـ هي بالرغم من صعوبتها ـ غير مستحيلة الحل، وان أقتضى ذلك آخر الامر أن تلجأ هذه الملايين الى استعمال حقها المشروع في الدفاع عن النفس، ببذل الانفس واقتحام ساحة النضال الدموي؟ وهو يتساءل أيضاً: لو كانت قرارات الدول العربية جدية صادقة. فطبقت المقاطعة الاقتصادية على الصهيونيين وعلى الدول التي تؤيدهم هل كان يبقى في فلسطين خطر صهيوني، وهل كان يبقى في العالم دول تستهين بارادة سبعين مليونا من العرب يعيشون في أرض لايمكن للعالم أن يستغني عن خيراتها، أو يستخف بموقعها الجغرافي الممتاز؟

ولكن العربي اذ يطرح على نفسه هذه الاسئلة يعرف أيضاً ان الجواب الوحيد لها

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٦ الصادر في ١٠ تموز ١٩٤٦.

كلها هو هذه الحقيقة المؤلمة التي تكشف عنها الحوادث والتجارب وتزيدها وضوحاً يوماً بعد يوم : ان الحكومات العربية لاتمثل هذه الملايين العديدة من الشعب العربي . ولا تعتمد على قوتها ولا تستند الى إرادتها وتأييدها ، ولاتستطيع أن تحشد كل ما لهذه الملايين من قوة ، وأن تستخرج جميع ما فيها من امكانيات .

والعربي يعرف بوضوح متزايد يوماً بعد يوم ان علة هذا التناقض بين الشعب العربي وحكوماته هي ان هذه الحكومات كلها تخرج من طبقة واحدة فاسدة ، الطبقة الاقطاعية الاستثمارية أسيرة المصالح الاقتصادية والتزعم الاجتماعي القطري المصطنع الكاذب . وطبيعي ان تكون مصلحة هذه الحكومات ، ممثلة الطبقة الاستثمارية ، نقيض مصلحة الملايين من الشعب العربي الذي تستثمره دون ما رحمة ولا حياء . لذلك كان مقدراً عليها ان تخشى الشعب بقدر ما تخشى الدول الاستعمارية التي تنافسها على استعباده واستثماره . وهي ترغب صادقة في تخليص البلاد العربية من كل استعمار أجنبي . لكي يزول أمامها كل منافس لتحكمها واستثمارها ، وهذا هو ما تسميه بـ«وطنيتها» . لكنها بحكم وقوعها بين عدوين خطيرين : الشعب والاستعمار الاجنبي ، وبحكم ضعفها وقلة وسائلها . مضطرة الى المساومة ومحاولة التوفيق . والتوفيق بين موقفها من الشعب وبين موقفها من الدول الاجنبية لايعني الا شيئاً واحداً وهو: انه سيبقى دوماً لتلك الدول الاستعمارية يد ونفوذ في شؤون العرب وبلادهم ، ولن يُحل هذا التناقض الا متى وقف العرب وحكوماتهم في صف واحد ضد الاستعمار . اي متى توصل العرب الى التخلص من حكوماتهم الحاضرة واختيار الحكومات التي تمثل مصلحة الشعب لانها تخرج من الشعب .

على ضوء هذه الحقيقة يستطيع العرب أن يدركوا منطق السياسة الخارجية التي تنتهجها الحكومات العربية في الظرف الحاضر ، ولا يستغرب أن يكون منطقاً معكوساً متناقضاً اذا عرفنا انه تعبير صادق عن وضع تلك الحكومات المعكوس المليء بالتناقض .
فالدول التي تشكل اليوم أكبر عثرة في طريق حرية العرب وسلامة أرضهم ونمو قوميتهم هي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة . والسياسة التي لها وزنها الثقيل في الضغط على مقدرات العرب هي بصورة خاصة سياسة الدولتين الانكلوسكسونيتين بريطانيا

والولايات المتحدة. وليس لهذه السياسة ما يتكافأ معها في القوة والتأثير. ويشكل معدلاً لخطرها الا سياسة دولة كبرى تقف للاستعمار البريطاني والامريكي بالمرصاد هي دولة الاتحاد السوفييتي. وان من أبسط القواعد السياسية ومن أولى الواجبات القومية التي تترتب على حكومات واعية لمصلحة بلادها، حرة في تقرير موقفها السياسي الدولي هي ان تستعين على أعدائها بأعداء أعدائها، او على الاقل ان تهدد بهم وان تهتم بمكافحة العدو الجاثم على قسم كبير من أراضيها. والعدو المعتدي على صميم قوميتها - كما هي حال الدول المؤيدة للصهيونية، لا ان تكافح عدواً شره بعيد، وخطره غير أكيد.

ولكن نظرة سريعة يلقيها العربي على حكومات بلاده، وعلى الاسس الواهية والاوضاع الرثة البالية التي تقوم عليها تلك الحكومات العائشة من فقر ملايين العرب، من جهلهم واذلالهم، تكفي لافهامه سر التناقض الذي يجعل السياسة العربية الحاضرة تحارب. من جهة الاحتلال البريطاني في مصر والعراق وشرق الاردن، وتحارب الاحتلال البريطاني والتدخل الامريكي الداعمين لعدوان الصهيونية في فلسطين، وتسير، من جهة اخرى في ركاب السياسة التي تحاربها، وتمدّ يدها الى تركيا بلا مقابل ولا ثمن متناسية لواء الاسكندرون وواجبها في السعي الى استرداده في هذا الظرف المؤاتي. أما التذرع بخطر الشيوعية فهو لغو ومغالطة لان التعاون بين الحكومات العربية وبين الاتحاد السوفييتي لايستوجب فتح البلاد لغزو الشيوعية بل على العكس ينقذنا من وساطة الحزب الشيوعي. ولنقل أخيراً ان الحكومات الرجعية الاستثمارية التي مني بها الشعب العربي في جميع اقطاره هي في الواقع أكبر دعاية للشيوعية وأقوى دعامة لتركيزها في أرضنا. وان الحكومات الصادرة عن الشعب الممثلة لمصلحته، هي وحدها التي تقدر على درء خطر الشيوعية والصمود لها صموداً منيعاً جباراً.

لن تحقق أهداف العرب في تحرير بلادهم من الاستعمار الاجنبي وفي المحافظة على كيانهم المستقل الا اذا كانت لهم سياسة خارجية حرة تستلهم في نهجها المصلحة العربية وتضع هذه المصلحة فوق كل شيء ولن يكون للعرب سياسة خارجية حرة ما دام لهم حكومات لاتستطيع ان تعتمد على تأييد الملايين من أفراد الشعب العربي لان

مصلحتها هي نقيض مصلحة هذا الشعب.

**ميشيل عفلق**

**١٠ تموز ١٩٤٦**

# في عيد الجلاء

قد يتساءل كثير من الشباب العربي المؤمن بقضية أمته كوحدة لاتتجزأ[1] : هل يجوز ان نفرح بهذه الخطوة التي حققها العرب في جزء صغير من وطنهم الاكبر؟ هل يجوز ان نفرح وثمة ملايين العرب يقاسون من الاستعمار الاجنبي، ومنها ما يهدده الاستعمار في صميم عروبته ووجوده؟

أجل ان لنا ملء الحق بأن نفرح بهذه الخطوة المباركة التي حققناها في سوريا، وبكل خطوة يخطوها العرب نحو اهدافهم القومية في اي جزء من اجزاء ارضهم وفي اية ناحية من نواحي حياتهم. ان المناضلين اولى الناس بالفرح، لان الفرح ينعش فيهم قوى النضال ويجددها ويحفزها الى الاستمرار والتكامل.

نفرح بالرغم من آلامنا الكثيرة العميقة، لان الفرح ليس نقيض الالم بل هو ثمرته الصادقة الطيبة. والمناضلون الصادقون هم الذين يحولون ألمَهم الى فرح منعش لنضالهم. والفرح كالألم بل اكثر من الألم، لايشعر به ويقوى على تحمله الا النفوس القوية العميقة.

ان ألمَنا لم يعنِ في يوم من الايام الحزن والكآبة، كما ان فرحنا لن يعني الرخاوة والقناعة. ما دام لَنا هذا الشعار: «أمة عربية واحدة ـ ذات رسالة خالدة» فأننا لن نخشى ان ينسينا الجلاء عن سوريا واجبنا نحو اقطارنا العربية الاخرى التي لم تتحرر بعد، في المشرق والمغرب، ولن نخشى ان يلهينا التقدم السطحي الجزئي عن حقيقة

---

(١) الكلمة التي القاها عميد الحزب الاستاذ ميشيل عفلق في الاحتفال الذي أقامه حزب البعث العربي بذكرى جلاء القوات ـ الاجنبية الاستعمارية عن سوريا في ٢٠ نيسان ١٩٤٧، وقد نشرت في جريدة «البعث»، العدد ١٥٥.

المهمة التي اهلنا القدر لحملها، وهي ان نسعى لتحقيق النهضة العميقة الشاملة التي تجدر بأمة عظيمة كأمتنا لها رسالة تؤديها الى الانسانية.

ان شعار «البعث العربي» ليس ألفاظا فارغة مرصوفة، بل حقيقة راهنة حية، فالايمان بوحدة الامة العربية، في حاضرها وماضيها، هو الذي أتاح لسوريا ان تستقل وتجلي الاجنبي عن ارضها، وما كان لشعب سوريا ان يصمد لاستعمار غاشم باغ عنيد، وان يقارعه ويتغلب عليه، لو لم تسنده وتنجده قوى الامة العربية جمعاء. لقد كان يناضل ضد الاستعمار وهو يلتفت الى اخوانه العرب في شتى اقطارهم الواسعة، يستمد منهم العون والتشجيع، ويتذكر آباءه واجداده العرب القدماء يستلهمهم ويتغنى ببطولاتهم، وينظر بعين الرجاء الى مستقبل ابنائه واحفاده وقد ضمهم كيان عربي واحد تندحر امام ضيائه ظلمات الحاضر المؤلم، وتُحتقر ازاء روعته مصاعب اليوم ونكباته.

كما ان الايمان بخلود الرسالة العربية هو الذي ينقذنا ويحمينا من الانخداع بتضليل الاجنبي وتمويه الفئات الوطنية الاستغلالية. وكلا الطرفين، الاستعمار الاجنبي والاستثمار الوطني يحاولان بشتى الاساليب ان يقتلا طموح الشعب العربي ويغرياه بقبول اهداف ممسوخة، واتجاهات معكوسة في الوحدة والنهضة القوميتين.

فما دامت الرسالة العربية قبلتنا وغايتنا، لايمكن ان نتساهل او نتهاون في السعي الى تحقيق الانقلاب العربي الذي سيجرف هذا الواقع الفاسد بقيادته النفعية العاجزة، واوضاعه المريضة البالية. وهكذا تكون فرحتنا بالجلاء جد مختلفة عن فرحة الحاكمين المغرورين، الجاثمين على صدر الشعب بظلمهم واستثمارهم، البُعداء عنه بروحهم ومصالحهم.

ليكن شعار «البعث العربي» أيمانا تنبض به عروقنا، وفكراً مبدعاً يشرق من عقولنا، وعملا جارفاً ينطلق من سواعدنا.

**٢٠ نيسان ١٩٤٧**

# انجازان في عام واحد

## اذا زال العائق الأجنبي ظهر الشعب بوجهه الحقيقي

لم يكد يمضي عام واحد على جلاء المستعمر عن ارضنا [1]، حتى كان الشعب العربي في هذا الجزء المتحرر من وطنه الأكبر قد قدم جملة براهين عملية قوية على أن الاستعمار، بما يخنق في الأمة من مواهب ويكبت من قوى وامكانيات ويشوه من أخلاق ويزيف من قيم، لهو اكبر نقمة يمكن ان تحل بها، وان الاستقلال هو حقاً نعمة الله الكبرى.

ان ما حققه الشعب خلال هذا العام قد جاء رداً صارخاً عنيفاً على كذب المستعمرين الغاشمين الذين كانوا يفترون على شعبنا الافتراءآت، فيصغّرون من شأنه، ويطعنون في حيويته وكفاءته وخصائصه فلقد تطور الشعب بسرعة عجيبة هي من أبرز خصائص العرب، وبرهن بأجلى صورة على ان فيه استعداداً صادقاً اصيلاً، ليس لأن يلحق بركب الأمم الناهضة فحسب، بل لأن يكون لها في اقرب وقت، خير مثال للتحرر والتقدم.

لقد قام شعب سوريا العربي، خلال هذا العام، بعملين خطيرين يصح بأن يؤلفا معاً ثورة سياسية اجتماعية، وبأن يخلدا في تاريخ الأمة العربية فتذكرهما الأجيال الآتية كما يذكر الانكليز حادث «العهد الكبير» وكما يذكر الفرنسيون يوم سقوط الباستيل.

---

(١) جريدة «البعث»، العدد ١٦١.

اما العمل الأول، وهو القسم السلبي من تلك الثورة الخطيرة، فقد تم قبل ستة أشهر، حين أجمعت البلاد، بوعي عميق رائع، على مقاومة المحاولة الدكتاتورية التي قامت بها حكومة «الملاكات». فكانت تلك المقاومة السلبية أول ظفر للشعب بحريته الداخلية بعد ان كسب حريته الخارجية بأجلاء الأجنبي عن ارض الوطن. وهكذا اصبح الدستور، منذ ستة اشهر فقط، ملكاً حقيقياً للشعب، امتلكه امتلاكاً نهائياً كاملاً بعد ان ادى ثمنه على دفعتين: الاولى في نضاله ضد الاستعمار. والثانية في نضاله ضد الفئة الحاكمة المستغلة، تلميذة الاستعمار ووريثته.

واما القسم الثاني الايجابي لهذه الثورة، فهو العمل الذي تم اليوم بتحقيق الانتخاب على درجة واحدة، واذا جازت المفاضلة بين عملين كل منهما جزء متمم للآخر، وكل منهما عظيم خالد، فلا شك ان الأخير منهما هو الأجل في الشأن والأعظم في الأثر، وهو الذي يكمل الاول ويعطيه معناه الحي، ومدلوله العملي.

اذ لو لم ينل الشعب هذا الظفر الحاسم في معركة قانون الانتخاب، لبقي ظفره في معركة الملاكات والدستور ناقصاً اجوف، ولبقيت الحريات العامة، التي كسبها بنضاله العنيد المجيد شيئاً نظرياً سلبياً، لأن الحرية التي لايدعمها دخول الشعب في ميدان السياسة، وممارسته الصحيحة لحقه في أنتخاب ممثليه، ليست سوى لغو وترف عقيم، واداة للهدم والتخريب، تتيح للشعب ان يتظلم، دون ان يجد سبيلاً الى ما يزيل الظلم عنه، وتسمح له بأن ينتقد ويعترض، بينما تحرم عليه ان يصلح ويبني. واخيراً لأن الحرية التي لاتتجسد في حكم شعبي صحيح، هي حرية واهية الاساس، مضعضعة البنيان، معرضة في كل لحظة للغدر والعدوان من قبل مجالس نيابية على شاكلة المجلس الحالي، تتشكل الأكثرية فيها من طبقة مناوئة للشعب، متآمرة عليه، غريبة عن روحه، عدوة لمصلحته.

لقد خطا الشعب خطوتين حاسمتين في طريق المستقبل العربي الحر الموحد الراقي. وأن لمن حقه ان ينظر الى هذا المستقبل نظرة ثقة وتفاؤل، كما ان من حق العرب في سائر اقطارهم ان ينظروا الى سوريا العربية نظرة امل ورجاء، فلقد برهن شعبها المناضل الواعي على أنه يقدر نعمة الاستقلال ومسؤوليته، ويعرف كيف يفيد من هذا

الاستقلال لبناء حكم شعبي عادل حر، يكون فيه للعرب قدوة ومعونة، فيرون فيه الصورة الصادقة للشعب العربي اذ يتخلص من شوائب الحكم الأجنبي، ويجدون فيه المساعدة الصادقة الفعلية لهم في نضالهم من اجل الحرية والوحدة.

**ميشيل عفلق**

**٣٠ نيسان ١٩٤٧**

# حول اتفاقيـة التابلاين

**الى رئيس مجلس الوزراء القائد العام للجيش والقوى المسلحة**

ان حزب البعث العربي، الذي وقف من هذا العهد موقف المؤيد، ليرى من واجبه ان ينبه الى كل ما من شأنه تهديد المصلحة الوطنية، او الحاق الضرر بها، ليكون العهد الجديد متجاوبا كل التجاوب مع حاجات الشعب وأمانيه.

لقد علمنا ان اتفاقية «التابلاين» هي الآن، قيد دراستكم، فجئنا بهذه المذكرة نلفت انظاركم الى ما فيها من اجحاف بحقوق الوطن، وما تتضمنه من اخطار جديرة بالعناية والحذر. ونحن اذ نشير الى هذه الاخطار فإنا نكتفي بالاخطر منها، ونحيلكم الى مطالعة الكراس المرفق بكتابنا هذا، لتكونوا رأيا نهائيا فيها.

١ ـ لقد أعطيت الشركة حق بناء مطارات ومنشآت مختلفة لايستلزمها المشروع لو انه كان اقتصاديا بحتا.

٢ ـ ان في الاتفاقية كل الغبن والخسارة نظرا للامتيازات المالية التي تتمتع بها الشركة، وضآلة الفوائد المالية التي تجنيها سوريا، وضخامة أرباح الشركة.

٣ ـ تنازلت سوريا عن سلطتها القضائية والتشريعية، وارتبطت مع الشركة الى الابد، ومنحتها حق تمويل الاتفاق، وفقدت ـ في بعض الاحيان ـ حق الرقابة على موظفي وعمال الشركة مما يخل بحق السيادة من أساسه.

٤ ـ لم ترد ضمانات، في المشروع، للعمال وعددهم وزمن عملهم وأجورهم.

٥ ـ تمنح الحكومة الشركة حق تأسيس خدمات مختصة بالتعليم والصحة والماء

(١) مذكرة صادرة عن حزب البعث العربي في ١٩٤٩/٤/٦.

والنور، مع اعفائها من دفع الضرائب الخاصة لهذه الخدمات (مادة ١٢)، ومعنى ذلك تنازل الحكومة عن التوجيه القومي والثقافي والاجتماعي لشركة ودولة اجنبية.

ان حزب البعث العربي الذي قدَّر الاخطار الكامنة في هذا المشروع فقاومه في العهد السابق أعنف مقاومة، لايسعه اليوم الا ان يطلب اليكم ارجاء التصديق عليه، الى ان يجتمع المجلس النيابي المقبل.

**عميد حزب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ٦ نيسان ١٩٤٩**

# المعركة وارادة الامة

**أيها الاخوان**

أحب أن أرجع بكم قليلاً الى الماضي. . عند تأسيس حركتنا وقبلها. . عندما كانت البلاد العربية على اثر الحرب العالمية الأولى تعاني الاحتلال الأجنبي وكل ما ينجم عن الاحتلال والاستعمار من مفاسد وآلام ومظالم. كان الجيل الشاب - جيل الطلبة - ينظر إلى هذا الوضع الشاذ ويشعر بوطأته وبعاره وبألم الشعب، ويتحرق لتبديل في العقلية والعمل، وينظر إلى القيادة التي كانت تتزعم الحركة الوطنية، ويرى ويشعر بأنها دون المستوى. وظلت هذه الآلام والدوافع تفعل فعلها في نفوس الشباب حتى تجسدت أخيراً في حركة جديدة. ولا حاجة لأن أقول لكم بأن ظهور هذه الحركة الجديدة لم يكن شيئاً سهلاً، ليس فقط بسبب المصاعب والعراقيل التي وضعت في سبيلها من كل جانب، بل أيضاً وعلى الأخص لأن أزمة عميقة في الثقة كانت مستولية على الشعب العربي. كان من الصعب ان تُعاد هذه الثقة. ومع ذلك فقد عادت الثقة فولدت الحركة، وقطعت مراحل. وان دل ذلك على بعض الفضائل في هذه الحركة الجديدة، رغم عيوب ونواقص كثيرة شابتها ولا مجال لنكرانها. ولكن هذا يدل بصورة أقوى على فضيلة الأمة نفسها، وعلى روحها وعمق إيمانها وخصب حيويتها. . وانها لا يمكن ان تتنازل عن وجودها وعن رسالتها. . وانها عندما يبدو عليها شيء من اليأس وضعف الثقة فلا يكون ذلك في الواقع الا حاجة عميقة فيها إلى الارتفاع وإلى طلب المزيد من الصدق ومن الجدية، وكأنها في بعض فترات أزمة الثقة التي تعتريها، كأنها في الواقع تحفز نفسها وتحفز أبناءها إلى أن يرتفعوا بمستواهم وبأهدافهم ومطامحهم

ليتلاءموا مع الظروف وليتكافؤوا مع مطالبها وأهدافها. وهي مطالب وأهداف عظيمة. والأمة لا تنحصر في جيل أو جيلين أو أكثر.. فالأجيال تولد وتناضل وتتساقط على جوانب حياتها الخالدة. وكل تفكير يمكن أن يُشعر بأن حركة ما مهما تكن ذات قيمة ونفع يمكن أن تتلخص فيها حياة الأمة وأن تتوقف عندها حياة الأمة هو تفكير خاطىء وضار. فالحركات مراحل في الطريق؛ وإذا كان من أهم العوامل التي دعت وساعدت على تكوين هذه الحركة التي أنتم فيها.. إذا كان من أهم العوامل التي ساعدت على تكوينها هو ذلك الموقف المتمرد الذي وقفه جيلنا قبل عشرين عاماً.. ذلك الموقف الذي أبى أن يرضى بالسهل اليسير، ويقنع بالواقع، وينزل بأهداف الأمة العربية إلى مستوى كفاءآته أو كفاءآت الزعماء.. فإن هذا الموقف نفسه مطلوب دوماً.. مطلوب من جميع الأجيال العربية أما لتقويم السير في الحركة القائمة أو لبدء حركة أصح وأقوى.

هذا كلام اعتقد بأني لا أقوله للمرة الأولى.. لأني مؤمن بهذا دوماً. وكنت أصارح الشباب في كل حين واطالبهم بهذا الموقف؛ ولكن الظرف الخطير الحاضر يدعو إلى أن نلح أكثر من أي وقت مضى على ضرورة وعي الشباب لمهمتهم وانها مهمة خلاقة لا يجوز أن تبقى منفعلة ومنقادة ومستسلمة، وإنما دورهم هو دوماً التجديد والتصحيح، والثورة على الواقع، والمطالبة بالارتفاع دوماً.

لقد دخلنا الان معركة جدية. ولأقل مباشرة بأن هذا كان ضرورة حيوية بالنسبة إلى العرب. وان كل تهرب من هذه المعركة وحتى تأجيلها كان بمثابة تزييف لنهضة العرب وإفساد لما في هذه النهضة من أصالة ورجولة. فالنهضات وحركات الانبعاث لا بد أن يكون لها ثمن.. ولن يكون الثمن غالياً جداً بنسبة قيمتها وقدرها. وشيء أكيد يجب أن تقتنعوا به، وهو يصلح أن يكون قانوناً لحياة كل شاب عربي: هو أن الحياة لا يُحتال عليها. الحياة الجدية ليست هي احتيال.. التاريخ الصحيح.. أي أنه لا يبقى في التاريخ إلا الصحيح.. وهو الذي يستحق البقاء.. هذا لا يحتمل الاحتيال والخدعة؛ ولا تستقل الأمم ولا تتربى ولا يرهف حسها وتعلو روحها وتعمق ويتفجر فيها ينبوع العمل والبناء والخير والفداء الا إذا عانت بنفسها وعلى حسابها ودفعت ثمناً

مساوياً لما تطلبه من الحياة.

وعندما ننظر الى معركتنا الحاضرة من هذه الزاوية، ومن هذا الافق. . لا يعود للملابسات السياسية شأن كبير.

لماذا حدث هذا الحادث؟ . . ولو لم يحدث لكان هذا أفضل . . ولماذا تصرفت هذه الحكومة بهذا الشكل؟ . . ولماذا كان الموقف بهذا الشكل؟ . . هذه أشياء ثانوية. أما إذا نظرنا من داخل مصير الأمة واندفاعها نحو مصيرها لوجدنا أن الأشخاص والحوادث والأحداث إنما تولد وتتداعى وتتجمع بفعل هذه الارادة العميقة التي تنبعث من صميم الأمة. فالأمة العربية منيت بنكبات كثيرة من الخارج والداخل. وكانت نكباتها في الحقبة الأخيرة حادة ومثيرة. . إلى الحد الذي عجل في انضاجها. في انضاج الوعي فيها. فتدفقت قواها البناءة من كل جانب. . فوجىء العالم، وفوجىء الاستعمار الذي له مصالح مرتبطة بضعف أمتنا وبتفرقها وتجزئتها، واتضحت الأمور، لأن من له مصلحة في بقاء أمتنا ضعيفة ومجزأة يجب ان يتدارك الموقف قبل فوات الوقت. وعلى الأمة العربية أن تدافع عن نفسها أيضاً.

فمن جهة الاستعمار وأعداء الأمة العربية، لم يكن لهم خيار. كانوا مضطرين أن يفتحوا المعركة، ولكن للمعركة أشكالاً متعددة. والمستعمرون والغاصبون لا يهمهم أن يروا دم العرب يسفك وبلادهم تدمر بقدر مايهمهم أن يحافظوا على مصالحهم، على المصالح الاستعمارية، فاذا استطاعوا أن يحافظوا عليها بحرب غير ظاهرة، أي أن يتمكنوا من إبقاء العرب ضعفاء اذلاء مبلبلين متناحرين فيما بينهم وفي مستوى منخفض من الفكر والروح والعمل، يستغنون عن فتح المعركة الحربية. وهذا كان هو الخطر الاكبر.

الخطر الاكبر كان ان نستمر، ان تستمر الحكومات العربية، في مداراة الاستعمار وفي تضليل الشعب وفي قبول أنصاف الحلول، وان يبقى الشعور متبلّداً والوعي غامضاً والنفوس قلقة وحائرة وميالة إلى اليأس أو مستهترة بكل قيم الحياة ومعانيها السامية. ولكن يوجد في الأمة العربية فئات وأفراد يدركون أن لامفر من هذه المعركة. وان الخير كل الخير في أن تكون معركة صريحة، وأن يقبل عليها الشعب

العربي بارادته وهو واع لاهدافها ومراميها، وان يعرف على أي شيء تدور هذه المعركة، وماذا يختار عندما يدخلها. وإذا كانت المعركة بهذه الصراحة وهذا الوضوح، يكون الشعب العربي قد أنقذ نفسه لأن قوى كثيرة كامنة في هذا الشعب تستيقظ وتتفتح وتنمو لدى المعرفة الواضحة الصريحة. عندما يعرف ماهي الأخطار التي تتهدده، ويعرف من جهة أخرى ماهي الأهداف التي يسعى إليها، والتي لايجوز التنازل عنها، فهذا يكون بمثابة ايقاظ لأعمق القوى الكامنة فيه. فإذا استيقظ من هذه القوى مايكفي لاحداث نصر مادي في العاجل كان ذلك خيراً، وان لم تكف هذه القوى لاحراز النصر المادي، فيكون النصر المعنوي قد أُحرز حتماً. والنصر المعنوي معناه أن النصر المادي آت في المستقبل، ولاشك أو ريب في مجيئه.

والمواقف الحاسمة الصريحة المستوحاة من الثقة بالامة وبجدارتها وبأصالتها، وبأنها تستطيع أن تتحمل التضحيات الجسيمة، وان تنبري للمهام العظيمة، هذه المواقف هي خير كلها في وجهيها الايجابي والسلبي، لأن لها وجهين. فالمواقف الصريحة الجريئة المؤمنة لها وجه إيجابي هو نداؤها الى كل ما في الأمة من خير لكي يستيقظ ويتألف ويتضامن ويبدأ العمل، ولها وجه سلبي هو فضح كل ما في الأمة من أمراض وكل ما طرأ عليها من شوائب وما أندس فيها من تآمر وخيانة وضعف. ولولا المواقف الحاسمة لبقي الفرق بين الاخلاص والخيانة فرقاً نسبياً، وقد تلتبس الأمور على أكثر الناس، ومن أحوج من الأمة العربية في هذه المرحلة إلى المواقف التي من هذا النوع، ما دامت تعاني كثيراً من الأمراض الداخلية وتعيش في تناقضات غريبة غير محتملة؟ ومع ذلك فالسياسة الرخيصة المرقعة المصلحية الجبانة كانت تسدل الستر على هذه التناقضات وعلى هذه الأمراض، وتسدل البراقع وتزينها في أعين الشعب أو تلطف من بشاعتها. وكلكم تعلمون بأن في المجتمع العربي أفراداً يملكون من الثروات ما يكفي لتحرير قطر بكامله من نير الاستعمار، وان أسراً مالكة أو حاكمة تمتلك أيضاً من هذه الثروات مايكفي لاعمار الوطن العربي وإنهاضه وتحريره أو مايساعد كثيراً في هذا السبيل.

وتعلمون أيضاً أشياء أخرى أقل وضوحاً في تناقضها ولكنها قد لا تكون أقل ضرراً

وإجراماً في حق الأمة وحق مصلحتها من أساليب السياسة المتبعة وأساليب التهويش والتزييف وادعاء المبادىء والتذرع بها للوصول الى شهرة أو منفعة خاصة. وكل هذا شائع في مجتمعنا.

فإذن، الجيل الشاب.. الفتي.. المؤمن.. الواعي لرسالته.. المستعد للتضحية ولخوض الصعاب، يجب أن يفرح ويستبشر عندما تصل أمته الى هذه المواقف الصعبة الحرجة لأنها المواقف الوحيدة الجديرة بأمة كبيرة، والمواقف الوحيدة التي تشفي من العلل وتدفع الى الأمام وتحقق للأمة تقدمها المطلوب. وعلى هذا الجيل أن ينظر في اتجاه واحد هو اتجاه العمل والبناء والنضال والتفاؤل، وان لا يتوقف كثيراً عند مشاهدة الوجه الأسود للحالة، يجب أن لايضيع ساعة من وقته ومن حياته في الأسف على الأشياء والأشخاص التي لا تستحق أن يؤسف عليها. فاذا كانت هذه المواقف قد فضحت عيوباً فيجب أن تفرحوا وتستبشروا لأن هذه العيوب أن لم تظهر وتنفضح فانها لن تشفى ولن تزول. وليست مهمتكم أن تأسفوا وتتلهفوا، بل مهمتكم أن تمشوا في الطريق الصاعد، وان تنظروا الى الوجه الايجابي، إلى جهة البناء والنضال، الى الطريق الذي يبني المستقبل. ولا يجدر بالجيل الشاب الانقلابي أن يتطلب السهولة لأنها نقيض مهمته. والانقلاب هو الشيء الصعب أو أصعب الأشياء؛ وقد انفتح أمامنا الطريق ولا يظن أحد بأن المعركة هي في يد غيرنا. المعركة هي دوماً في يد الأمة المالكة لأرادتها ولمصيرها. وتستطيع أن تطيلها ما شاءت لها الاطالة.

وفي الأمة العربية إمكانيات لم تدخل بعد في حيز العمل والتحقق وهي تنتظر الطليعة الواعية المفادية المضحية التي تتقدم الطريق فتوحي بذلك إلى هذه الامكانيات أن تظهر وأن تفعل.

ولننظر ـ بكلمة أخيرة ـ إلى الواقع الراهن وكيف يجب أن يكون موقفنا، موقف الشباب، موقف الشعب عامة. وما حدث حتى الان فيه من دواعي الاستبشار والتفاؤل أكثر بمرات عديدة من دواعي اليأس والتشاؤم. فمصر تتحمل هجوماً هو في مستوى الحروب العصرية بكل قسوتها وجديتها. ومصر كانت قبل سنوات تتململ أو يبدو أنها ـ بحكم الأوضاع الفاسدة التي كانت تسودها ـ يبدو أنها تتململ من نضال

المظاهرات وما يقع في المظاهرات من تضحيات جزئية تافهة، هي نفسها بعد سنوات قليلة تتحمل ما تحملته الدول الكبرى في الحرب الأخيرة وفي الحروب الكبرى بايمان وعـزم ورجـولـة، وأقطار عربية أخرى تجاهد. . تناضل وتضحي ليس منذ أسبوع فحسب وإنما منذ سنوات باستمرار في حرب وحشية قاتلة في المغرب العربي. وأقطار تجاهد وتناضل بشكل اخر ضمن امكانياتها الحاضرة لأنها محتلة احتلالاً مباشراً. كالجنوب العربي. ولكنها تقوم بواجبها. وهناك أقطار أخرى هي الأقطار التي نالت من الحرية السياسية نصيباً أكبر من غيرها ولكنها منيت بفئات حاكمة وأوضاع اجتماعية ظالمة وجائرة أفسدت عليها تقدمها والقدر الذي حققته من استقلالها. فمنها العراق وهو مكبل بحكم رجعي بوليسي، ولكن سكوته لن يطول، وهو غير ساكت. وكل مؤمن بعروبته يستطيع أن يثق بأن الشعب العربي في العراق لا يسكت حتى ولو لم تصلنا أصواته. وهنا - في سورية - ولأقل بأن وضعها قد لا يختلف كثيراً في جوهره عن وضع مصر قبـل الثـورة، مع بعض الفـوارق ولكنها غير أساسية، فهي في وضع سياسي واجتماعي فاسد ومائع يسمح بالتآمر ويسمح بالانهزامية ويسمح بشتى أعمال التخريب والعرقلة أمام المهام القومية، ومع ذلك فيها رأي عام واع وفيها صلابة وفيها إيمان، ولكن المفسدين يشوهون وجهها وحقيقتها.

وليس الموضوع الآن أن نستعرض الحوادث والتدابير وغير ذلك. . وان نعرف لماذا تأخرت سوريا عن دخول المعركة. . وهل صحيح كما يقال بأن الوقت قد فات؟. . هذا لا يهمنا كثيراً إذا نحن صممنا على أعتبار المعركة مفتوحة وأنها لن تنتهي إلا اذا أردنا لها أن تنتهي، فلم يفت أي وقت بعد، ولم يشترك في المعركة إلا جزء بسيط من إمكانيات الأمة العربية، وعندنا جبهات واسعة. وهذا ماأريد أن أنهي به كلمتي - كل شيء ممكن، ونستـطيع أن نضغط وأن نعمـل أشياء كثـيرة. بقي أن يقوم كل واحد بواجبه، وان لا تبقوا متفرجين، وأن لا تسمحوا للبلبة وللشك والانهزامية أن تتسرب اليكم، وان تعرفوا بأن هذه المعركة بالنسبة الى العرب هي معركة تنظيم، فقد شببنا عن الطوق وخرجنا من الطفولة. واليوم، الدول الكبرى في أوروبا العريقة في حضارتها وتنظيمها وتسلحها، لم تعد تستحي بأن تجاهرنا العداء وتعلن بأنها تخاف من العرب. ولندرك أخيراً بأننا أصبحنا في مستوى العمل المنظم - والسلام.

## اسئلة وأجوبة

● **لماذا لم تشترك قوات سورية؟ هناك شائعات تقول بأن الجيش تلقى طلبين من اللواء عامر، ولم يجب الجيش. سمعنا هذه الشائعات حتى من بعض الجنود.**

● **هل أسباب عدم دخول المعركة تعود لتلك الحكومة أم لأسباب فنية؟..**

● **إشاعة تقول بأن طائرة مصرية خربت فوق قبرص وارادت أن تنزل في مطارات سوريا فمنعت ونزلت في بيروت.**

سأعطيكم جواباً مختصراً ولكنه سيتضمن الواقع، ولا أظن أنه يجوز بحث تفاصيل، هي في مثل هذا الظرف، يجب أن تبقى في نطاق المسؤولين العسكريين والمدنيين.

أولاً ـ كان ثمة في سوريا دوماً عرقلة لتقوية الجيش، وهذا بتأثير الاستعمار وعملائه ومن يتأثرون به وينفذون أغراضه. واشتد هذا التأثير الاستعماري في الأشهر الأخيرة كثيراً. وكثر العملاء، كما كان ذلك واضحاً للشعب. فالجيش السوري قوي في روحه وإيمانه ومعنوياته، ولكن هذا لا يكفي كما تعلمون: هناك أشياء متممة للحرب، كانت تقام العراقيل في وجه توفيرها وتنفيذها، ثم وقعت المعركة. واعتقد ـ هذا تقدير شخصي ـ بأن الشكل الذي ظهرت به المعركة كان فيه بعض المفاجأة، أي كان على غير ماهو منتظر، فهذه المفاجأة أخّرت قليلاً تنفيذ الخطط، وسببت بعض الضرر، لأنه لم يكن منتظراً أن تبدأ الحرب في سيناء، وبهجوم الجيش الاسرائيلي كله أو معظمه، كان الاعداد يتم لمواجهة العدو في مصر. في القناة، أما بالنسبة لاسرائيل فكان الأردن وجبهة الأردن هي المعتبرة أنها موضع الهجوم المحتمل. وعندما بدأ الهجوم في صحراء سيناء، صدرت الأوامر من القيادة المشتركة لتنفيذ الخطة الموضوعة، وشُرع بالتنفيذ، أي ارسال قسم من الجيش السوري الى الضفة الغربية في الأردن، وحصل هذا، ولكني لا أستطيع أن أقول، لأن هذه أشياء فنية لا يعرفها إلا الفنيون والمطلعون، هل حصل هذا على أحسن شكل ممكن؟.. وفي حينه؟.. وفي أقصى السرعة؟. هذا مالا استطيع الجزم فيه. سمعت من ممثلنا في الحكومة بأن هذا تم في (٣٦) ساعة، فهل كان يمكن أن يتم ذلك في أقل؟..

ولكن المعركة تطورت بسرعة، فصدرت أوامر جديدة من القائد الأعلى ـ عامر ـ بأنه لم يعد من موجب ـ من حاجة ـ للدخول، لفتح جبهة، لدخول الجيشين السوري والأردني لأنهم ـ كما أقدر ـ قرروا الانسحاب من سيناء لمواجهة الخطر في مصر ذاتها. وهذه خطة موفقة جداً، وقد نجحوا فيها؛ ولكن نتج عن ذلك أن جيش اسرائيل تفرغ كله لمصر.

هذه هي الخلاصة. فإذن ليس صحيحاً مطلقاً ـ على حسب إطلاعي واطلاع ممثل الحزب في الحكومة ـ بأن أوامر خولفت، كلا لم يحدث شيء من هذا. الأوامر نفذت ب في عرف البعض بأنها نفذت على أحسن شكل، وان هذه المدة هي أقل ما يمكن لنقل القوات الى الضفة الغربية.

والأوامر الثانية ـ بعدم التحرك ـ. أيضاً هذا وقع. ولكن المهم في الموضوع بأنه لم يفت الوقت، ولم تنته المعركة، ومن واجبنا أن نطيلها مااستطعنا الاطالة. طبعاً الأمور العسكرية يجب أن يحسب لها حساب، الرأي العسكري، لأننا لا نريد أن نعمل في الفوضى، فإذا كان رأي العسكريين بأن اليوم وغداً مثلاً الاشتباك غير مفيد ويحسن الانتظار الى بعد غد، فالشعب لا يعترض على ذلك، ولكن بشرط أن ندخل وان لا تكون هناك مماطلة.

وإذا كان الشعب معبأ واستلم الشباب السلاح، وتدربوا، وانتشروا بين الشعب ليرفعوا معنوياته وليوضحوا له خطورة الموقف والمعركة، ويحذروه من التباطؤ والتخاذل والتآمر، فأعتقد جازماً بأن المعركة تظل في يدنا، ونستطيع أن نتحين فرصة قد تكون مناسبة لتوسيع المعركة. ومع العلم، بأن توسيع المعركة لا يعني فقط إشتباك الجيوش، وإن كان اشتباك الجيوش هو أهم شيء، وهو المظهر الجدي. ولكن للمعركة مظاهر عديدة لايذاء مصالح الاستعمار، للضغط عليه. لتخويفه بأن البلاد العربية كلها ستشتعل وانها مصممة، انها لن يثنيها شيء عن تصميمها. وهذا يكون بصورة خاصة، عندما يدخل الشعب وانتم طليعته في جو الحرب، وهذا لم يحصل حتى الان. جو الحرب وما فيه من جدية وتحمل الحرمان، وتغيير كثير من العادات، ونمط الحياة العادية، وخلق روح حماسة وتضحية وبطولة في أوساط الشعب استعداداً لكل طارىء.

لأن ما حدث الان قد يكون بسيطاً بالنسبة لما يخبئه الاستعمار، لأنه لم يعد يردعه رادع. لا الرأي العام العالمي، ولا هيئة الأمم؛ صار يعتدي بشكل وقح، فما الذي يمنعه من احتلال سورية وغيرها. لذلك من الضرورة أن يعبأ الشعب، وان يستعد. وفي هذا - اعتقد - الكفاية.

● **اقترحت كندا ارسال قوة بوليسية دولية لوقف القتال. ووافقت هيئة الأمم. اخشى أن يكون ذلك مانعاً لتوسيع المعركة.. الا ترون ذلك؟.. لا سيما والاقتراح صادر عن كندا!.. لفرض الصلح مع اسرائيل وتدويل القناة نهائياً.**

هذا يجب أن يكون مستبعداً لدرجة المستحيلات. الموضوع دوماً هو المعنوي: الارادة - التصميم - الوعي.

الذي لايريد دخول المعركة. ولا يقبل بالتضحية، يستطيع أن يتذرع بأي شيء لاخفاء جبنه. والذي يدرك خطورة هذه المعركة وواجبنا في دخولها لا يتوقف عند مثل هذه العوائق. فنحن أعتُدي علينا، وهذا واضح كالشمس، فلا اقتراح كندا، ولا قرار هيئة الأمم يمكن أن ينتقص من حقنا. ما دام قد أعتُدي علينا بصراحة، ما دمنا مصممين على الاستمرار في المعركة، فكل هذه الأشياء لا تقف في طريقنا.

● **في الحرب الفلسطينية انتقلت قيادة البعث الى نابلس. والان الحزب لم ينقل قيادته، ولم يصدر أي بيان ولا أي أمر إلى الشباب.**

الحزب كان يعد بيانات عندما كانت وسائله قليلة. اليوم رأي الحزب معروف في كل مكان، وجريدة الحزب، وأيضاً يمكن أن يصدر الحزب بياناً. فهل هناك من يشك في موقف الحزب لكي يصدر بيان؟..

وفي حديث أعطي لفروع الحزب في سوريا ولبنان دعوناهم الى أن يعبئوا أعضاء الحزب ويجندوهم. وهم في انتظار تسلم الأسلحة من الحكومة، واعتقد بأن الحزب يجب أن يتجند بكامله الا من هو دون السن أو له عذر واضح.

وأحب أن أراكم في وضع آخر. لا تنتظروا كل شيء.. لماذا لم تسهلوا مهمة الحزب؟.. ليس فقط في الطلب، وإنما في التنفيذ؟.. المسؤولون عددهم قليل وهم منشغلون بأمور كثيرة.

القيادة المصرية تعرف أن كل بعثي هو تحت تصرفها. ولا يثقون في فئة بمقدار ثقتهم بهذا الحزب، بقي أن تكون عندكم أنتم روح المبادرة، وأن تنظموا انفسكم. إذا لم تقدروا على أشياء فالقيادة تقوم بأعمالها: السلاح من الحكومة مثلاً.

نظموا قوائم، والحكومة سوف تعطينا السلاح.. إذا بقي أشخاص فإن باستطاعتهم أن يقوموا بأشياء اخرى او أننا نحصل على السلاح ونبحث عنه من مصدر آخر غير الحكومة.

وإذا لم يتيسر أن نذهب إلى مصر فالمعركة ليست هناك فقط. هناك مجال للنضال في فلسطين مثلاً، وفي الجيش والفدائيين والعصابات.

● **لو كان تباطؤ الجيش ناتجاً عن عدم وجود أوامر من عامر. ألا نناقش هذا؟.**

لو كان الأمر في يدنا، قد لا ننتظر أوامر من عامر، ولكن الحكم ليس في يدنا، أو أن الجزء البسيط الذي في يدنا لا يستطيع تغيير طبيعة الحكم تغييراً كلياً. وهناك أوامر عسكرية يتذرعون بها.

**٤ تشرين الثاني ١٩٥٦**

# معنى المؤامرة

ان المؤآمرة التي اكتشفت في سوريا[1] ، سواء بشكلها المصغر المحدود ام بشكلها الواسع الذي يشمل جميع الفئات التي اوصلها استمساكها بمصالحها الخاصة وتناقض هذه المصالح مع المصلحة القومية الى حد التآمر. ان هذه المؤآمرة ليست الا صراعا على القومية العربية لا دخل فيه للشيوعية من قريب او بعيد.

فالذي يخيف هذه الفئات كما يخيف الاستعمار نفسه هو يقظة الشعب العربي وتنبهه لحقوقه، وحرصه على قوميته من الضياع امام غزو الدول الاستعمارية وأسرائيل وهذه الفئات التي تحول دون ارتفاع مستوى الشعب واستغلال امكانيات الوطن بشكل يضمن للوطن العربي ان يستكمل تحرره ويحافظ على استقلاله.

لذلك فان هذه الفئات لن تكف عن متابعة تآمرها، ولن يكف الاستعمار عن استخدامها في مقاومة التحرر العربي وخنق القومية العربية، ما لم يضع الشعب العربي هذه الفئات المتآمرة امام حقيقتها وجها لوجه، ويضطرها ان تختار بين قوميتها العربية وبين الاستعمار. وعندما يفقد الاستعمار حلفاءه في داخل بلادنا، لايبقى له اي أثر في هذه البلاد..

فالقضية اذا تبقى بين القومية العربية وبين الذين يفضلون عليها وعلى تحررها وانبعاثها مصالحهم الخاصة واستمرار استغلالهم للشعب العربي، لاقضية يسار ويمين، وشرق وغرب. والروح التي نستلهمها في حكمنا على هذه المؤآمرة اما ان تكون ملتفتة الى الوراء سجينة بمقاييس الواقع المريض، فننظر الى المؤآمرة على انها من صنع

(١) النشرة الدورية الصادرة في آذار ١٩٥٧.

افراد بالذات، واما ان نستلهم مستقبل شعبنا وقوميتنا والمسؤولية التاريخية التي تقرر مصيرنا الى اجيال، فنحكم من خلال حكمنا على المتآمرين على طبقة بكاملها آن لها أن تنتهي، وعلى عقلية وضيعة جبانة كانت مصدر النكبات والخيانات منذ عشرات السنين الى اليوم.

ان الحكم على المتآمرين يجب ان يكون في جديته وقسوته بداية لمقاييس وطنية اكثر سلامة ورجولة، ولمستوى من النضال لايكتفي بمعاقبة الخيانة بل يقضي على اسبابها.

حزب البعث العربي الاشتراكي
فرع حلب
ميشيل عفلق
آذار ١٩٥٧

# شعب الاردن لن يفرط في انتصاراته

ان مايحدث الآن في الأردن هو نتيجة للحركة الشعبية [1] ، ومن ثمار نضجها لأنها سارت بخطى سريعة في الخط التحرري، حتى اضطرت العناصر غير المخلصة لهذه السياسة ان تسفر عن حقيقتها وعدم اخلاصها قبل الوقت الذي كانت هي تقدره لهذا التآمر.

ولكن نضج الحركة الشعبية اختصر الوقت: فإن هي الا بادرة إيجابية تدعو إلى التفاؤل. . إذا عرفنا أن نأخذ منها دروساً كافية، وان نبذل الجهد لكي نملأ الفراغ الذي تتركه العناصر المشبوهة البعيدة عن مصلحة الشعب بقوى شعبية حقيقية.

فمنطق السياسة التحررية يقضي بألا نقتصر على التأييد السياسي فحسب، بل ان يستغل هذا التأييد السياسي باستمرار لتحقيق أهدافنا في الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي لطبقات الشعب الى جانب التقدم المستمر في مجال الوحدة العربية.

وقال أيضاً: أن بوادر الأخطار هذه ـ إذا أحسنّا فهمها والاستفادة منها ـ تستطيع ان تنقذ السياسة التحررية من بقايا الانتهازية، التي لا تزال متداخلة فيها، فمعركة الأمة العربية يجب أن تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم، وان تظهر الفروق الحاسمة أكثر فأكثر بين جماهير الشعب من جهة، وبين الفئات المستغلة، التي تشكل في بنياننا القومي مواطن ضعف يعتمد عليها الاستعمار ويغريها بالتآمر في الظروف الحرجة.

وختم الاستاذ عفلق حديثه قائلاً:

---

(١) حديث حول تطورات الاوضاع بالاردن لمندوب «المساء» القاهرية، أعيد نشره في جريدة «البعث» في ٢٠ نيسان ١٩٥٧.

والشعب العربي في الأردن لن يتراجع عن خطواته التي حققها . . بل ان جرأته الخارقة، التي حققت له انتصارات عديدة في زمن قصير، هي عامل تحريك وحفز للحركة الشعبية في الأقطار العربية المجاورة لكي تصحح أخطاءها وتضاعف جهودها، وتبادر إلى حماية هذه الانتصارات، التي لم تكن لشعب الاردن وحده، بل للشعب العربي عامة.

**٢٠ نيسان ١٩٥٧**

# القومية العربية والسياسة التحررية

قال محمد المبارك: «ان الاتجاه الذي تسير فيه جبهة التجمع، وان كانت في سياستها الخارجية تسير على أساس الحياد الايجابي، ليس اتجاهاً سليماً يحافظ فيه على خصائص القومية العربية التي يفترض انه يدافع عنها ويحميها، بل هو اتجاه تنهار فيه هذه الخصائص أمام التيارات الشعوبية، ويكون خدعة وضحية للنزعات الشعوبية والتيارات العالمية التي تصبح طاغية ومسيِّرة للاتجاه العربي، ورابطة له بعجلة أحد المعسكرين من الوجهة الفكرية والعقائدية. وان الاتجاه التحرري السليم من الوجهة الفكرية العربية هو ذلك الذي يحارب المعسكر الاستعماري، ويعامل المعسكر الصديق معاملة الند للند، والصديق للصديق، لا معاملة التابع الذي يفتح باب بلاده على مصراعيه لغزو فكري وغير فكري».

وقد عرض «الرأي العام» هذا الحديث على الاستاذ ميشيل عفلق. بوصفة الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، فقال بالتعليق عليه[1]:

* * *

كل رأي له معنيان في ان واحد: المعنى النظري المجرد، والمعنى العملي المرتبط بالظرف الذي يقال فيه هذا الرأي، وبالتأثير الذي يمكن ان يحدثه. ولننظر الآن إلى الرأي الذي ادلى به الأستاذ محمد المبارك على ناحيتيه النظرية والعملية، فهو يقول: «ان اتجاه جبهة التجمع القومي، وان كانت في سياستها الخارجية تسير على

(١) أعيد نشره في جريدة «البعث» في آيار ١٩٥٧.

أساس الحياد الايجابي، ليس اتجاهاً سلبياً يحافظ فيه على خصائص القومية العربية، بل هو اتجاه تنهار فيه هذه الخصائص امام التيارات الشعوبية التي يكون لها الغلبة».

أن هذا القول يعني أن سياسة التحرر والحياد الايجابي، أتاحت الفرصة للحزب الشيوعي لمضاعفة نشاطه الفكري والعقائدي، نتيجة لوقوفه في صف الدفاع عن حرية الأمة العربية واستقلالها ضد الهجوم الاستعماري الطاغي، وهذا واقع لا ننكره. ولكن قول الأستاذ المبارك يفترض أشياء ثلاثة لا نقره عليها، أولاً، أن خصائص القومية العربية كانت قبل السياسة العربية التحررية هي السائدة، وصاحبة الغلبة والسيطرة دون منازع. ثانياً، أن هذه الخصائص العربية شيء جامد ساكن، يحافظ على سلامته ونقائه، بالعزلة والحجب، ويتعرض للضياع والانهيار، إذا خرج الى الهواء الطلق وواجه اتجاهات وعقائد مختلفة عنه. ثالثاً، أن خصائصنا وشخصيتنا القومية شيء منفصل عن مصيرنا السياسي والاجتماعي، وعن حريتنا واستقلالنا ووحدتنا وتقدمنا.

ونجيب أولاً بأن خصائص القومية، أو الاتجاه العربي العقائدي، لم يكن قبل ظهور السياسة التحررية سائداً مسيطراً، بل كان دوماً موضع حرب خبيثة وهجوم لئيم من قبل الدعاية الغربية الاستعمارية التي مازالت منذ أن دخل الاستعمار أرض العرب في المغرب والمشرق - تستخدم جميع الوسائل هدم قوميتنا العربية والتشكيك في مقوماتها، والطعن في تاريخها، والحؤول دون انبعاثها وتماسكها. وقد تجلى ذلك في اصطناع التفرقة العنصرية داخل الأمة الواحدة، وإثارة النعرات الطائفية والاقليمية، ومحاولة استغلال الدين لتفتيت القومية العربية، واستغلال التقدمية الزائفة لتفسيخ الدين والقيم الروحية. وكل ذلك بقصد إيقاف اليقظة العربية التي تقدمت واقتربت من النصر رغم هذه العوائق كلها. ولم يعرف الوطن العربي منذ مائة عام حرباً دعائية واستعمارية كالتي يشنها علينا الاستعمار اليوم، سواء في الخارج أو في الداخل بشرائه الأقلام والدعاة. ونظرة واحدة الى صحافة البلد، ترينا ان تسعة أعشارها منساقة مع دعاية الغرب الاستعمارية.

ثانياً - أن قوميتنا العربية التي استطاعت أن تستيقظ وتأخذ ملامحها وتهتدي الى طريقها رغم كل هذا التخريب الاستعماري، قد قوي ساعدها واشتد. وبلغت من

النضج حداً لم يعد يخشى عليها معه أن تنفتح على الاتجاهات العقائدية وان تتفاعل معها، بل على العكس فإن هذا الانفتاح يغذيها ويقويها ويساعدها على توضيح معالم شخصيتها وخصائصها. وإذا كان هناك من مبرر قبل عشر أو عشرين سنة للتخوف على القومية العربية من غزو العقائد الأخرى لها فان هذا التخوف لم يعد له من مبرر اليوم. ويجب أن نعرف أن البعض عندما يظهرون تخوفهم من الدعاية العقائدية الشيوعية على قوميتنا العربية، فإنهم يهدفون من وراء ذلك إلى اصطناع مبرر لتغيير اتجاه السياسة العربية التحررية التي نسير عليها، وهم بهذا لن ينقذوا عقيدتنا القومية من الدعاية الشيوعية، بل يسلمونها وحيدة عزلاء لحرب غير متكافئة بينها وبين الدعاية للغربية الاستعمارية بكل ماتملكه من وسائل ضخمة. ومن المهم أن نلاحظ أن الذين يتخوفون على قوميتنا وعقيدتنا من الغزو الشيوعي العقائدي لها يتجاهلون الغزو الفكري والعقائدي والدعائي الاستعماري لقوميتنا وعقيدتنا.

ثالثاً - ان الخطأ والخطر هما في اعتبار العقيدة القومية شيئاً منفصلاً عن مصير أمتنا السياسي، ذلك أن العقيدة موجودة في حياة الأمة وفي الحرص على بقائها واستقلالها وتحررها وليس العكس صحيحاً، ولهذا فإن الخطر كل الخطر على عقيدتنا وقوميتنا كامن في تجاهل الأخطار والمؤآمرات الاستعمارية التي تهدد وجود أمتنا فيما لو قضي على اتجاهها التحرري بحجة مكافحة ما يسمونه خطر العقيدة الشيوعية، لأن النتيجة الحتمية لذلك، ستكون تسليم أمتنا وأقطارنا فريسة سهلة لقوى الاستعمار الغاشم تنهب ثرواتها، وتفسد، أخلاقها، وتثير التفرقة والانقسام بين أقطارها، وتعد لتوسع اسرائيلي على حساب كيانها.

وليس أدل على صحة ذلك من أن قوميتنا وعقيدتنا العربية لم تكن أيام عدم أخذنا بالسياسة العربية التحررية، وأيام حجزها عن التفاعل مع العقائد الفكرية الأخرى. على مثل المتانة والوضوح التي صارت اليها اليوم. وإذا ما لاحظنا الضعف النسبي لقوميتنا وعقيدتنا العربية في الأقطار التي تسير على سياسة مغايرة للسياسة العربية التحررية، تحت ستار التخوف من الغزو الشيوعي، ادركنا أن الخطر الحقيقي الذي يهدد قوميتنا وعقيدتنا ليس التفاعل الفكري مع المذهب الشيوعي وإنما هو إبعاد

الاستعمار بوسائله المختلفة بعض الأقطار العربية عن السير في السياسة العربية التحررية تحت ستار التخوف من خطر الشيوعية الدولية. أن أتقاء الشيوعية العقائدية لا يكون بالسلبية وإنما بالعمل الايجابي، وفي مقدمة الأعمال الايجابية دعم الاتجاه العربي التحرري، والدفاع عن القومية العربية ضد هجمة الاستعمار الجديد وخطر اسرائيل. وكلما اتسع الصف التحرري وعظم تصبح الكلمة الأخيرة للعقيدة العربية والقومية العربية.

رابعاً ـ أن المعنى العملي لهذه الدعوة التي يقول بها الاستاذ مبارك يظهر ويتضح ويعلن عن نفسه من الوقت والظرف والملابسات التي يقال فيها.

فصدور هذا الرأي في هذا الظرف بالذات عن رجل يعمل في الحقل السياسي له نتيجة واحدة عملية سواء رمى اليها أم لا، وهي أن هذا الرأي ذو ارتباط وثيق بالأحداث الجارية في الأردن، وفي الانقلاب الاستعماري الرجعي الذي وقع في هذا القطر العربي، كما أنه ذو صلة بما كان يراد بسوريا في المعركة الانتخابية الأخيرة من إتمام لهذا الانقلاب. وان من الخطأ اعتباره رأياً مدرسياً مجرداً، وإنما يجب ان يفهم على ان نتيجته العملية في حالة الأخذ به تكون جزءاً مما يبيته الاستعمار للقومية العربية المتحررة من خطط ومؤامرات، من بينها تفكك الجبهة العربية المتحررة ليسهل وقوع كل قطر عربي على حدة في قبضة الاستعمار ويكون فريسة أسهل لأطماع اسرائيل.

ولا بد ان نذكر ان القومية العربية تواجه اليوم خطراً استعمارياً جديداً يتجلى في السياسة الأميركية المسلحة بوسائل الرشوة والافساد واستخدام القوة، وان من بين ماتستعين به أمريكا على ضرب القومية العربية المتحررة هي المبالغة بخطر الغزو الشيوعي الفكري لقوميتنا لتنسينا خطر الاستعمار واسرائيل.

إذا حقق الاستعمار مآربه في أمتنا فلن تكون لنا قومية ولا عقيدة وإنما ستهبط أمتنا الى درك القطعان المستغلة المستعبدة، وسيكون مصيرنا الذل والاستكانة ومحو معالم قوميتنا وعقيدتنا. وفي مثل هذا الحال لا يمكن أن يستقيم التفكير لا بالمثل ولا بالعقيدة.

**١١ أيار ١٩٥٧**

# حول مبدأ ايزنهاور

**طرح مندوب «المساء» على الاستاذ ميشيل عفلق اثناء زيارته لمصر السؤال بعض البلاد العربية التي قبلته حكوماتها، وبعد كشف الحوادث والمؤآمرات الاميركية في منطقة الشرق العربي. . هل ترون انه يمكن انسحاب تلك الدول العربية من المشروع، وأنه قضي على المشروع بالفشل فعلاً وعملاً؟[1]**

**وقد أجاب عنه الاستاذ عفلق بما يلي:**

● إذا كان مشروع الدفاع المشترك وحلف بغداد قد أنتهيا الى ذلك الفشل الذريع المعروف والشعب العربي لم يكن قد أنطلق أنطلاقته الثورية الجبارة بكل مداها وأتساعها ووضوح شعاراتها ودقة منطقها القومي الانساني، وشعوب آسيا وافريقيا لم تكن بعد قد أكتشفت مدى القوة التي تكمن في اتصالها وتعاونها، فمن الطبيعي أن يكون نصيب مشروع ايزنهاور هذا الفشل نفسه بعد التطور الخطير الذي حققته القومية العربية وفكرة باندونغ . . ولم يعد ثمة شك في أن ميزان القوى قد تحول، سواء داخل الأقطار العربية أو في آسيا وافريقيا تحولاً محسوساً في صالح اتجاه التحرر والوحدة والسلم. وإذا قصرنا كلامنا على البلاد العربية فيمكن القول بأن هذا الاتجاه الذي تمثله مصر وسوريا كان قبل عام بمثابة الأقلية المهددة بالتطويق من قبل الحكومات الرجعية في الأقطار العربية الأخرى، في حين نرى اليوم أن الآية قد انعكست الى حد كبير. . وان هذه الحكومات الرجعية هي التي تخشى أن تطوّق

---

(١) أعيد نشره في جريدة «البعث» في ١ تشرين الثاني ١٩٥٧.

وبالتالي تحاول التراجع والوصول الى حل وسط يقيها الانهيار أمام الضغط الشعبي العربي المندفع بكليته وراء الاتجاه التحرري. ولكن الاستعمار الذي لايزال وراء هذه الحكومات يحاول أن يستغل التقارب الذي حصل بين الحكومات العربية بمناسبة حملة الضغط على سوريا ليحصل على بعض التراجع من قبل مصر وسوريا عن اتجاهها التحرري كثمن للتراجع الظاهري الذي بدأ من الحكومات السائرة مع مشروع ايزنهاور..

وإذا عرفنا أن سياسة مصر وسوريا هي سياسة وطيدة الأسس واضحة الأهداف وأنها ليست ملكاً لمصر وسوريا وحدهما بل هي تعبير عن حاجات وأهداف ونضال الأمة العربية في كل قطر ادركنا حقيقتين: الأولى، أن السياسة التحررية ستمضي قدماً وتزداد قوة بدلاً من أن تتراجع. والثانية، أن الحكومات الرجعية هي التي ستضطر في وقت قريب، أن تنسحب من مشروع ايزنهاور، ليس لأن الضغط الشعبي عليها يزداد يوماً بعد يوم فحسب، وليس لأن قوى التقدم والسلم في العالم تزداد عدداً وقوة وتضامناً، بل على الأخص لأن الوحدة العربية بلغت طور النضج والتحقيق العملي وانها مقرونة بالنضال التحرري الذي يكون جزءاً أساسياً منه. لذلك فهي التي ستفرض على الأقطار التابعة لمشروع ايزنهاور أن تنسجم مع الأقطار المتحررة، وستفرض على حكومات هذه الأقطار أن تتراجع أو تنهار..

**● ما هي نتائج الاجتماع التحضيري لمؤتمر الشعوب الأسيوية الافريقية؟**

لايستغرب هذا النجاح الذي حققه الاجتماع التحضيري.. والمنتظر أن يسفر المؤتمر القريب القادم عن نجاح أكبر وتحقيق عملي لهذا التضامن بين الشعوب ذات التجربة الواحدة، في مجالين: مجال مقاومة الأستعمار ودفع أخطار العدوان، وفي المجال الايجابي من حيث تفاعل تجارب هذه الشعوب وتعاونها لرفع مستوى الجماهير فيها ولارساء قواعد الحضارة الجديدة.

أما أهميته الخاصة بالنسبة للأمة العربية فهي في هذا الالتقاء بين حركة القومية العربية الحديثة المتجهة بكل قوتها نحو الانشاء والبناء ونحو الفكرة الانسانية الشاملة القائمة على وحدة المصير الانساني ووحدة قضية السلم والحرية والتقدم لجميع شعوب

الأرض. . وقد أصبح واضحاً في العامين الأخيرين ان القومية العربية غدت قوة إنسانية بناءة تساهم في بناء السلم العالمي بمقدار ما تبني حريتها وتناضل ضد المستعمرينَ المعتـدين على هذه الحرية.

ومن المؤكد أن الأمة العربية تجتاز مرحلة ثورة. وقد تكون أغنى أمم الأرض في هذه المرحلة بالأمكانيات الثورية. وينتج عن هذا أن طريقها هو في خطوطه العريضة طريق الشعوب والمجتمعات الحديثة الثورية، وأن مصلحتها ليست في التضامن السياسي مع هذه الشعوب فحسب، بل أيضاً في التفاعل الاجتماعي والثقافي والحضاري، ولقد ظل العرب زمناً طويلاً لا يرون العالم إلا من زاوية واحدة هي زاوية الغرب.

لذلك فإن ارتباط الأمة العربية بهذا النصف الحديث الخطير الشأن من العالم يوفر لها فوائد لاتحصى، هذا فضلاً عن تماثل أو تقارب التجربة والمرحلة بينهما. وما يحمل ذلك من إمكانيات خصبة لتبادل العون في كل النواحي، فإن هذا الانفتاح يرفع عن كاهل الأمة العربية وطأة الضغط الغربي ويشكل معدلاً ومصححاً ضرورياً لأنحصار نظرتها زمناً طويلاً في نطاق الحضارة الغربية. . مع العلم بأن هذا التفاعل مع الشعوب الثائرة ومجتمعاتها الحديثة لايعني بشكل من الأشكال الانغلاق على الغرب، لأن الغرب هو أيضاً شعوب، ولأن الشعوب لاتفقد إمكانيات الثورة، وهذه الامكانيات الثورية في الغرب لئن كانت اليوم ضعيفة فان مهمة الشعوب الآسيوية الافريقية أن تمدها بالروح والقوة، بالتفاهم والتعاون، وبتقوية النضال ضد قوى الرجعية والأستعمار التي هي عدوة هذه الشعوب، وعدوة شعوب الغرب أيضاً على السواء.

**١ تشرين الثاني ١٩٥٧**

# المؤآمرة على الأمـــة

إني مسرور جداً من المقابلة الأولى مع ممثلي الاتحاد الاشتراكي اليوغوسلافي،[1] ونحن نؤيد سياسة التعاون في مختلف الميادين، وتشكل زيارتنا ليوغوسلافيا جزءاً من هذه السياسة.

أما بالنسبة لسؤالك حول الأزمة القائمة في الشرق الأوسط فإن رأينا أن الصراع بين القوى الاستعمارية وبين سورية لن يكون ذا أهمية كبيرة إذا ما اقتصر الأمر على سورية فحسب، ان وضع سورية هذا قد ألقى الضوء على جميع مشاكل الأمة العربية كما حدث منذ عام اثناء العدوان على مصر.

وكانت هذه القوى بعدوانها على مصر وسياستها في الضغط على سورية ترغب في الحقيقة في الحؤول دون توحيد الشعب العربي وبعثه، وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل خلق دولة اسرائيل. غير ان ذلك عجل في حركة تحرير البلاد العربية وإعادة توحيدها وانبعاثها، وقد عزمت بريطانيا وفرنسا على مهاجمة مصر بعد أن أدت سياستهما الى نقيض ما هدفت اليه تجاه الشرق الأوسط. وليس الضغط الأميركي على لبنان والأردن والعربية السعودية وإنضمام العراق الى حلف بغداد إلا مظاهر تفسّر هذا الخط السياسي.

وعوضاً عن وصول القوى الاستعمارية الى هدفها في تطويق سورية وعزل مصر فقد أدت خطتها الى تعزيز وحدة العالم العربي وتدعيم الجبهة القومية في سورية.

---

(١) تصريح للاستاذ ميشيل عفلق لصحيفة بوليتيكا اليوغسلافية باللغة الفرنسية اثناء زيارته لبلغراد. نشرت ترجمته في جريدة «البعث» في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٧.

وليس دور الأشتراكيين في هذه المعركة المتوجة بالنصر من أجل الوحدة القومية غير ذي أهمية. لقد نشأت الحركة الاشتراكية في سورية، ولكنها امتدت بسرعة الى البلاد العربية الأخرى، واحدى مميزاتها الأساسية هي الترابط الفريد والتفاعل الحي بين الثورة الاجتماعية والتحرر والوحدة القومية. وعلى الرغم من أن الحركة الاشتراكية اليوم لم تبلغ بعد حداً تتمكن من التأثير في تبديل البناء الاجتماعي، فقد نجحت مع ذلك بتكوين الرأي العام وبفرض مفهومها عن السياسة الخارجية على الأحزاب السياسية الرجعية. وباعتبارنا ننظر الى العالم العربي كوطن واحد فنحن نناضل بقوة حتى لا ينضم أي قطر عربي الى الكتل القائمة، وهدفنا العمل على تخفيف التوتر بين الكتل.

**٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٧**

# مصـــر

# تقود التيار العربي وتحميه

● **ما هي اخبار المباحثات من أجل إلوحدة بين مصر وسورية؟**

ـ انها تمضي في طريقها ولسوف تسفر عن نتائج باهرة.

**الاقطاع في سورية**

● **هذا الحديث ينقلنا الى سورية.. ان في سورية ظاهرة غريبة. فبينما نرى أن الحكومة تتبع سياسة تحررية تقدمية، فاننا نجد بعض الأوضاع المغرقة في الرجعية ما تزال قائمة داخل المجتمع السوري مثل بقايا النظام الاقطاعي.. فما تفسير هذا التناقض؟**

ـ في حزيران سنة ١٩٥٦ تألفت وزارة شاملة لكل الأحزاب السورية، بعد أن عقدت هذه الأحزاب فيما بينها ميثاقاً وطنياً اتفقت عليه، واشترك في هذه الوزارة حزب البعث والحزب الوطني وحزب الشعب والمستقلون..

وقد تم وضع الميثاق على الأسس التي أمكن الاتفاق عليها بين الأحزاب، فيما يتعلق بالنواحي الخارجية والعربية والداخلية. ولم تكن هذه الأسس تعبر تماماً عن حزب البعث، ولكننا قبلنا بها مرونة منا مع الموقف، وحرصاً على وحدة صفوفنا الداخلية. وكنا قد راعينا أن يكون في هذه الخطوط انسجام بين السياسة الخارجية والعربية والداخلية، لأن كل ناحية منها تؤثر على النواحي الأخرى، فالسياسة العربية لسورية تؤثر على السياسة الخارجية لها والسياسة الداخلية تؤثر بدورها وبصفة خاصة على

---

(١) حديث لمجلة «البوليس» المصرية اجراه في القاهرة مع الاستاذ ميشيل عفلق رجاء النقاش في عام ١٩٥٧. وأعيد نشره في جريدة «البعث».

السياسة الخارجية أيضاً. وما أن بدأت الوزارة في انتهاج سياستها الخارجية التحررية طبقاً للميثاق، حتى بدأت كتلة الأحزاب الرجعية تعمل على عرقلة هذه السياسة. فالسياسة الخارجية تعتمد أساساً على الحياد الايجابي هذا المبدأ الذي يتفرع عنه مثلاً مبدأ حرية التعامل في السوق الخارجية مع أية دولة في العالم. وطبقاً لهذا المبدأ وما يتفرع منه طرحت الوزارة مشكلة «مصفاة البترول» مثلاً.. ووجدت أن أحسن العروض لديها هو عرض «تشيكوسلوفاكيا». ولكن الرجعية راحت تعرقل المشروع، وتدعي بأوهى المبررات أن العروض الغربية هي الأفضل.

وتناست الكتلة الرجعية عن عمد، أنه على فرض قبول أي عرض غربي، فإنه لن يوفى به، فالمصفاة قد وعدتنا بها انكلترا من قبل عام ١٩٤٩ ولم تنفذ وعدها قط. ولم يكن موقف الكتلة الرجعية من مسألة المصفاة، موقفاً ضد سياسة سوريا الخارجية المتحررة التي اختطها الميثاق فقط، فقد كان أيضاً ضد سياسة سوريا الداخلية التي تعتمد أساساً على التصنيع، واستخدام الآلة وتوفير الخبرة الفنية، ولكي تعرقل الكتلة الرجعية سياسة سوريا الخارجية المتحررة راحت تقيم العقبات في سياستنا الداخلية. فسوريا بحاجة الى التصنيع والآلة والخبرة الفنية، ولكي تتوافر هذه الوسائل لدينا ينبغي أن نعتمد على سياستنا الخارجية المتحررة، سياسة أن نأخذ ممن يعطي دون أي شرط يمس سيادتنا في المدى القريب أو البعيد، ولكن التصنيع والآلة والخبرة الفنية لايعطيها الغرب بدون شروط، ولا سبيل اليها تمشياً مع نصوص الميثاق، إلا من الكتلة الشرقية، والدول المحايدة، ثم أن التصنيع والآلة والخبرة هي أمور تهدد كيان الرجعية ومصالحها الخاصة في داخل سوريا، واذن فلتقف الرجعية ضد هذا التصنيع والآلة والخبرة، فبهذا الموقف تحافظ الرجعية على بقاء الاقطاع وتحكّمه مع رأس المال في سياسة الوزارة وبالتالي في الشعب نفسه. وبهذا الموقف تعرقل الرجعية سياستنا الخارجية المتحررة وخاصة في الناحية الاقتصادية التي يهم الاستعمار - كحليف للرجعية - عدم توفرها لدينا.

أما في مشكلة السلاح فلم يستطع الرجعيون إثارة العقبات فيها أمام الرأي العربي في سوريا، لأننا كنا في حاجة ماسة الى السلاح، وكان الغرب ممتنعاً عن بيع السلاح

لنا وكانت اسرائيل توالي اعتداءآتها علينا. ومن ناحية التشريعات الاصلاحية لرفع مستوى الفلاحين والعمال، فإن الكتلة الرجعية كانت تعارض الوزارة في تنفيذها بشتى الأسباب وبدون أسباب. وهكذا وجدت الوزارة نفسها عاجزة عن الاستمرار في العمل طبقاً للميثاق، وكان الوعي الشعبي يغلي بالسخط ضد مواقف الكتلة الرجعية المكشوفة وخاصة أن الكتلة الرجعية كانت تعرقل السياسة العربية نفسها في سوريا، بمحاولة وضع العقبات المصطنعة في طريق الاتحاد بين سوريا ومصر. وجاءت الأيام فكشفت الستار عن أن هؤلاء الرجعيين يشتركون في المؤآمرات ضد الاتجاه التحرري لمحاولة جر سوريا الى الارتباط بالغرب بسياسة الأحلاف والقواعد والمشروعات الاستعمارية، وكان بعض نواب الرجعية قد اشتركوا في هذه المؤآمرات، ولما حاولت الحكومة رفع الحصانة عنهم لقيت معارضة شديدة من الفئات الرجعية وسقطت الوزارة نتيجة لكل هذه المشاكل والتناقضات القائمة بين سياسة الوزارة التي رسمها الميثاق، وبين الرجعيين الذين وقّعوا على الميثاق، ونتيجة للتناقض الحاد بين سياسة الوطنيين التحررية، وسياسة الرجعية التي تعتمد على الاقطاع والاستغلال والاستعمار.

ولكن الوعي الشعبي في سوريا، استطاع أن يركز السلطة في أيدي الوطنيين دون الرجعيين بمعنى أن التيار الوطني قد رجحت كفته بعض الرجحان بفضل الوعي الشعبي فتم التعاقد على المصفاة وتوقيع الاتفاقيات الاقتصادية ولكن التناقض لم يحل كله حلاً كاملاً. وينبغي أن يكون واضحاً:

أولاً: أن الرجعيين الذين يبدون تأييدهم للاتجاه التحرري للسياسة في سوريا إنما يفعلون ذلك لقلة حيلتهم أمام الضغط الشعبي، ولا يفعلونه عن اقتناع ولا عن إيمان..

ثانياً: أن الرجعية في سوريا قد تتسامح الآن في تأييدها للسياسة الخارجية الحرة، ولكنها تقف عقبة دائمة في سبيل الاصلاح الداخلي.

ولكن ينبغي أن نطمئن لأن الوعي الشعبي يزداد في سوريا، والسلطة السياسية للرجعيين تنهار يوماً بعد يوم، وبالتدريج سوف يستطيع الشعب العربي في سورية أن يقضي على الأوضاع الرجعية مثل الاقطاع.. ويومها تصبح سوريا مثل مصر جزءاً

عربياً متحرراً من الرجعية وخاصة بعد أن يتم تحقيق الاتحاد العربي بين مصر وسوريا.

**لجان تخطيط مشتركة**

**● متى يتم تنفيذ مشروع انتقال الفلاحين المصريين الى الأراضي الزراعية في سوريا؟**

- الواقع أن الأمر لايعدو ان يكون أكثر من فكرة.. أنه لم يصبح مشروعاً بعد.. فالمسألة تحتاج الى دراسة تفصيلية دقيقة.. ولقد قال لنا الرئيس جمال عبد الناصر اثناء زيارتنا له كأعضاء في وفد سورية في مؤتمر التضامن.. قال الرئيس: «ان الفلاح المصري لم يألف الهجرة من موطنه لقد تعوّد على الأستقرار في أرضه مهما كلفه ذلك من مشقات».. وهذا معناه أن هناك كثيراً من الجهود يجب أن تبذل لتهيئة الفلاح المصري تهيئة نفسية حتى يهاجر الى سورية أو غيرها من أجزاء الوطن العربي، وتتوفر هذه التهيئة النفسية بالطبع إذا ما توفرت الضمانات المؤكدة لنجاح مشروع الهجرة من تأمين للعمل والمسكن ومستقبل الأبناء حتى يستطيع الفلاح المصري أن يهاجر باطمئنان وراحة، وعلى كل حال فهناك لجان مشتركة للتخطيط ضمن اللجان التي تدرس مشروع الوحدة بين مصر وسورية، وسوف تقوم اللجان بدراسة كافة المشروعات الخاصة بالوحدة المصرية السورية من كافة الجوانب.

**● في تونس إتجاه سياسي خاص يتزعمه «الحبيب بورقيبة».. فما رأيك في هذا الاتجاه، وما هو مستقبله؟**

- في السياسة الرسمية لتونس اتجاه خطر يميل الى الارتباط بالغرب وبأحلافه وبمساعداته ويجب أن نحذر هذا الاتجاه كل الحذر فإن خطره لا يقتصر على تونس بل يشمل الوطن العربي كله، ولكن لابد مع ذلك من التفريق بين وضع الحكم في تونس ومراكش، وبين الحكومات الرجعية في الشرق العربي كحكومة العراق وغيرها فحكومة نوري السعيد وأمثالها في أقطار أخرى لاعذر لها في معاكسة الاتجاه التحرري والشذوذ عن الموقف العربي الاستقلالي، ولا يوصف تصرفها إلا بأنه خيانة، ولا يفسر الا بتهالك الحكام الرجعيين على مصالحهم الخاصة وبيعهم أنفسهم وبلادهم

للأستعمار، أما الوضع في تونس وفي المغرب عامة فيختلف عن هذا. لقد بقي المغرب العربي خلال زمن طويل خاضعاً لنوع ثقيل من الاستعمار هو الاحتلال، وكاد هذا الاستعمار أن يشوه مقومات شخصيته العربية، كما كان هنالك ما يشبه القطيعة بين المغرب والمشرق فاضطرت الحركة الاستقلالية التحررية أن تعتمد على نفسها دون أمل كبير في معونة الأقطار العربية الأخرى، وكان من سوء فهمها لحقيقة الامكانيات العربية في الشرق العربي، انها اعتبرت الجامعة العربية في الشرق العربي هي الممثلة لهذه الامكانيات فلما لم تسعفها الجامعة العربية كادت تيأس من الشرق العربي كله، ثم سارت في طريق متأرجحة في مقاومة الاستعمار ومشت على سياسة الأخذ والمطالبة، واتبعت أسلوب انتهاز الفرص.. فمن واجب الأقطار العربية المتحررة أن تزيد اهتمامها بأقطار المغرب العربي، وان تزيد غيرتها عليها حتى تخلق فيها الثقة بقدرة الأمة العربية على التحرر الكامل دون مساومة، وذلك بالاعتماد على قواها الذاتية وحدها.

وهناك ضمانة كبرى لتصحيح كل خطأ وانحراف في سياسة الحكومات بتونس ومراكش، هي ثورة الجزائر. فبمقدار ما نسهم في تغذية هذه الثورة وفي امدادها بجميع وسائل المعونة نضمن لشمال افريقيا تحرراً كاملاً من الاستعمار وارتباطاً قوياً ببقية أجزاء الوطن العربي، ذلك لأن ثورة الجزائر ثورة شعبية تقدمية اشتراكية ومتى توافرت عناصر النضال التحرري في اتجاه شعبي اشتراكي كان من المقدر المحتوم أن يرتبط هذا النضال بالقومية العربية..

وان في مساعدة الفئة الحاكمة بتونس لثورة الجزائر، ولو جزئياً، ما يجعلها غير ميؤوس منها تماماً وأن بعض البوادر التقدمية قد ظهرت في ذلك الحكم كاعلان النظام الجمهوري وكتحقيق بعض الاصلاحات الاجتماعية.

**دعوة غير واقعية**

● **هناك دعوة ينادي بها البعض وهي ايجاد نوع من التعايش بين الاتجاه الذي تمثله مصر وسوريا والاتجاه الذي يمثله العراق مثلا.. فهل هذا الوضع ممكن؟**

- كلا... أنه مستحيل، ذلك لأن القوى الرجعية تعمل عملاً تخريبياً عن طريق ارتباطاتها العسكرية ضد القوى التحررية، وليس في الامكان أبداً تجميد الوضع بين

التيارين فلا بد أن يستمر الصراع حتى تصل المعركة الى نتائجها المقدورة. . فدعوة التعايش بين التحرر والارتباط بالاستعمار دعوة غير واقعية ولا يمكن تحقيقها. .

**الاستعمار يساوم**

**● في البحرين مشكلة جديدة. . حيث تطالب ايران بضمها اليها فما هي هذه الحقيقة؟**

- يعمل الاستعمار دائماً في أية بقعة ينزل بها على خلق ظروف مساعدة له على الاستمرار أو على المساومة. . وهذا ما فعله في البحرين إذ أخذ الأنكليز يشجعون هجرة الايرانيين الى البحرين حتى أصبح في البحرين نسبة عالية من الايرانيين. . . وبدأت بريطانيا تساوم حكومة العراق وحكومة إيران حول ضم البحرين الى احداهما. . ولكن البحرين جزء من الوطن العربي الكبير، وهذا هو ما سيحدد مستقبلها رضي الأنكليز أم لم يرضوا. .

**عام ١٩٥٧**

# مؤامرة
# الحل السلمي تكريس للهزيمة

إن الذين قبلوا بالحل السلمي[1] قد قبلوا به في الواقع قبل قرار مجلس الأمن، منذ أن قبلوا بوقف إطلاق النار في حرب حزيران. ولقد كان بإمكان هؤلاء الاستمرار في الحرب والاعتماد على الامكانيات اللامتناهية للأمة العربية. إلا أن هذا الطريق ينطوي على مخاطرة ومجازفة بأنظمتهم، فضحّوا بمصلحة الأمة العربية في سبيل المحافظة على أنظمتهم وأشخاصهم.

ولتبرير هذا التخاذل فقد قيل إن العدوان كان هدفه إسقاط الأنظمة العربية لاالتوسع فظهر بعد ثلاث سنوات أن هدف إسرائيل والاستعمار كان التوسع والمحافظة على النظام لأنه ليست هناك غير هذه الأنظمة تستطيع أن تضمن لاسرائيل تحقيق أهدافها التي هي الصلح أولاً، والتوسع ثانياً، وتثبيت التجزئة بصورة نهائية ثالثاً.

إن الاستسلام لمؤامرة الحل السلمي إنما هو نهاية مرحلة من مراحل الثورة العربية في بداية سيرها المتعثر المتردد، إنه إدانة لمرحلة زمنية كاملة وللعقلية والنظرة التي سادت المرحلة، وليست إدانة لأشخاص أو لحكم أو لنظام بالذات إلا بمقدار تعبيرهم عن هذه العقلية والنظرة. وبالتالي فإن التحليل المطلوب لهذه المرحلة يجب ألا يستهدف تسجيل الأخطاء على طرف من أجل تحقيق مكاسب سياسية وحزبية لطرف آخر، وإنما غايته جلاء الموقف على الطريق الذي ينقذ المستقبل.

إن روح التجرد والموضوعية لو كانت متوفرة إلى حد جيد في مستوى القيادات والحكومات لوجب على الذين غلبتهم ظروفهم وظروف واقعهم واضطرتهم إلى القبول

---

(١) من حديث وجه إلى عدد من المناضلين اللبنانيين في تموز ١٩٧٠.

بما لايحقق الأهداف القومية، أن يفرحوا إذا رأوا القوى الثورية تندفع لمتابعة النضال ولكان واجبهم ان يسهلوا عملها ويشيدوا بإخلاصها وبصحة سيرها بدلاً من أن يحاولوا بكل الوسائل أن يخمدوا صوتها وحركتها، ويخفوا عن الأمة العربية وجود طريق غير الطريق الذي سلكوه، وإمكانيات نضالية أكثر من التي استطاعوا تعبئتها.

إنها نهاية المرحلة القطرية في تاريخ الثورة العربية. . . نهاية العقليّة القطرية التي كثيراً ما تقترن بعقلية الانقلابات الفوقية التي تضع الوصول إلى السلطة في رأس المسائل وتتوقف عند حدود الأساليب الاصلاحية بسببُ قفزها السريع إلى السلطة الذي لم يسبقه بناء للنضال الثوري بالحد الذي يجعل من السلطة وسيلة أمينة من وسائل الثورة، وسرعان ما تتحول السلطة إلى غاية في حدّ ذاتها يكون الاصلاح مجرد ستار وتبرير لها. هذه العقلية القطرية التي تتجاهل ليس ضرورة تحقيق الوحدة العربية فحسب وإنما وحدة الأعداء والأخطار ووحدة المصير العربي كواقع لايحتمل الجدل فتعتبر ان انسحاب جيوش العدو من أراضي أقطارها إلى حدود ١٩٦٧، يشكل هدفاً وطنياً من حيث أنه ضمانة للاستقلال القطري متجاهلة ماذا يعني بقاء إسرائيل في قلب الأمة العربية والأرض العربية وتحالفها الدائم مع الاستعمار ومصالحه الآثمة في طول البلاد العربية وعرضها عندما تنتهي حالة الحرب ويُفرض الاستقرار.

إنها نهاية مرحلة العقلية القطرية والعقلية الاصلاحية الفوقية اللتين ليستا في الواقع إلا شيئاً واحداً وإسمين لمسمى واحد، عقلية الالتهاء أو بالأصح عقلية إلهاء الجماهير «بالبناء والتعمير». فالبناء والتعمير في التخطيط القطري يتجاهل أمرين خطيرين، وحدة الأخطار الاستعمارية الصهيونية، ثم وحدة النضال العربي المتكافئة مع تلك الأخطار. إن مشاريع التنمية والبناء مهما تكن ناجحة، إذا لم توضع منذ البداية في إطار التخطيط والاعداد لمواجهة الأخطار الاستعمارية والصهيونية المهددة للوجود العربي وكوسيلة من وسائل مواجهة هذه الأخطار والتغلب عليها، أي كوسيلة لبناء النضال الجماهيري العربي الموحد بناء يضمن له الاستمرار والنمو المتزايدين فإن قصة التنمية والتعمير تتحول الى إلهاء وتضليل ما دام وجود إسرائيل ومن ورائها الاستعمار يستطيع أن يضرب في أيام جهود البناء في عشرين عاماً.

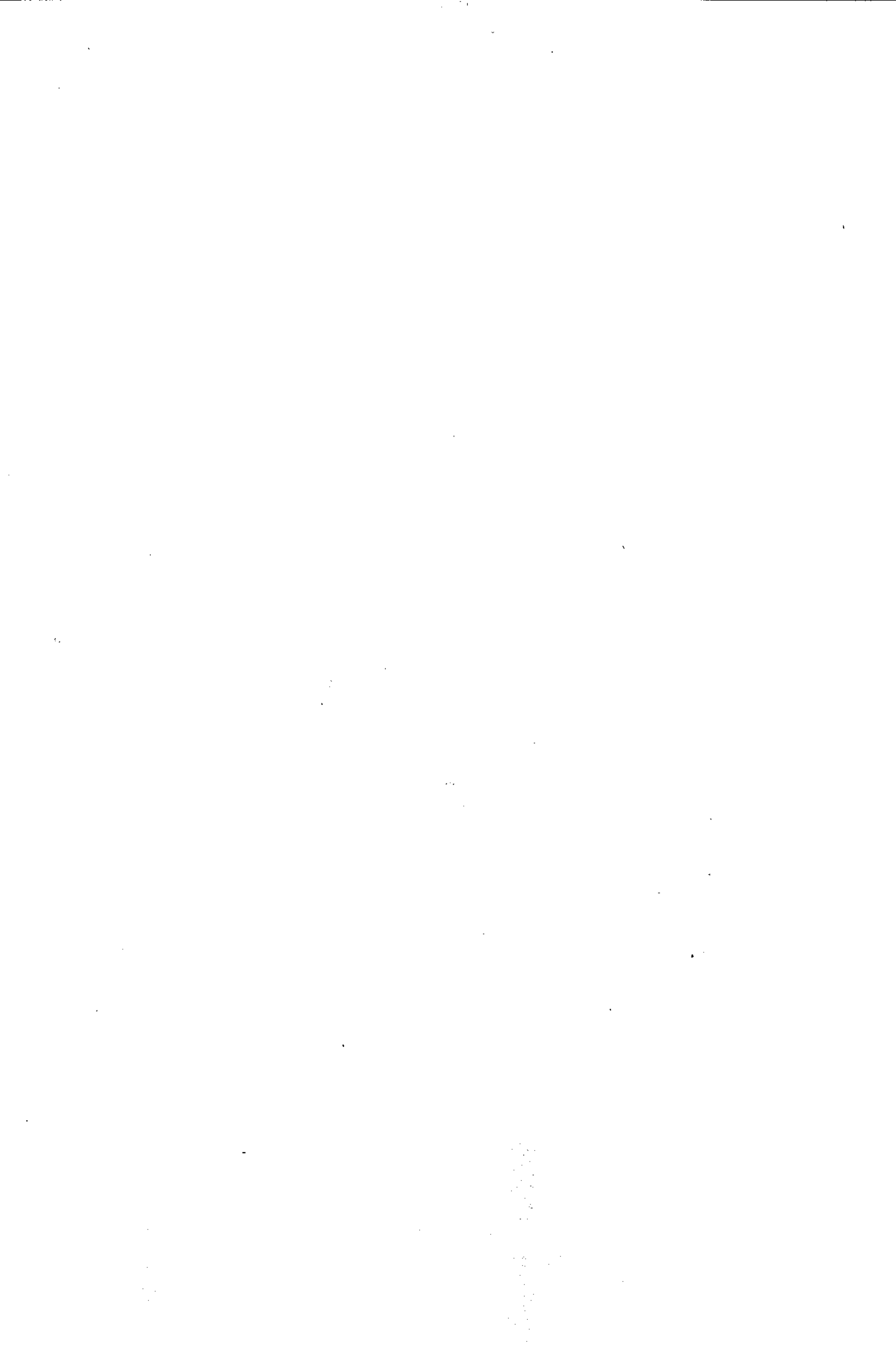
إن الامم يمكن أن تهزم في الحروب والمعارك فإذا كانت فيها مقومات الحياة وإذا كانت مؤهلة لأن تعي وتستوعب أسباب هزيمتها فإنها تتغلب عليها في وقت قصير أو طويل. ولكن الهزيمة التي لانهوض منها ولا أمل في التغلب عليها، الهزيمة التي لاتقتصر على أن تكون شيئاً وقع وحدث في الماضي بل تتحول إلى شيء دائم ومتجدد هي تلك التي تلبس لباس النصر وتطلى بطلاء القتال والاستبسال لكي يسهل قبولها وتمر خدعتها. هذا ما يطلب من الشعب العربي أن يقاومه ويضع له حداً حاسماً وقد يتطلب الاعداد للنصر الأخير معارك قاسية وسنين طويلة شريطة أن يبدأ ذلك بالصدق والنظر الواضح الصافي. أما البداية بالتعمية وقلب الحقائق وتسمية الأشياء بعكس حقيقتها فهي بداية لاتقدر أن تلد أي نصر.

إنّ أمتنا بحاجة في هذا الظرف المصيري إلى أن تتزود بأعلى درجة من الوضوح والعمق والموضوعية في نظرتها الى حاضرها ومستقبلها، وبحاجة أيضاً إلى استلهام ماضيها الحضاري العريق، وحاضرها الثوري المليء بالتضحيات والبطولات التي قدمت فيه ملايين الشهداء في ثورات جسّدت الفضائل الأساسية للانسان العربي وللانسان الثائر في كل مكان والتي يجب أن تتسلح بها أمتنا اليوم لرفض الاستسلام.

إن أوضاع الحل السلمي يجب أن تقاوَم بكل الطرق، بفضح العقلية التي أوصلت إلى الهزيمة والحل السلمي الذي هو تثبيت وتمكين للهزيمة. وبحماية المقاومة الموجودة وتعميقها وتوسيع أفقها وتوحيد قواها حتى تكون هي الرد على العقلية التي أوصلت الى الهزيمة ولم تتوقف عند ذلك الحد بل استمرت تحاول تثبيت الهزيمة وفرضها على الأجيال المقبلة.

إنه في حين يراد لمستقبل أمتنا أن يُدفن ولامكاناتها النضالية أن تُقبر نتيجة تآمر البعض وقصر نظر البعض الآخر من الذين ظلوا أسرى للنظرة الاصلاحية والاقليمية، فإن المطلوب هو متابعة النضال وتوحيده وإنقاذ المستقبل العربي والامكانيات اللامتناهية التي تكفل لهذا النضال أن يستمر سنين طويلة وأن يتسع حتى يشمل الأرض العربية من الخليج إلى المحيط.

تموز ١٩٧٠



# الباب الرابع

# الشعب العربي والفئة الحاكمة

# نحذّر الفئة الحاكمة (١)

«نحن في دور الممهدين. مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لاتعبيدها، رفع الاشواك لازرع الرياحين، غرس البذور الخالدة لاقطف الثمار اليانعة؛ لذلك لن ندخل الحكم عاجلا، وفي صف النضال سنبقى طويلا».

«ان استفحال الامراض التي تفتك بالامة، وعمق الآلام التي تحز في جسمها، لم تعد تنجع فيهما حيلة السياسيين مهما كانوا اذكياء بارعين، ولا بد لها من مناضلين مؤمنين، يستمدون روح نضالهم واسلوبه من روح أمتهم وأخلاقها».

نحن اذ ننتقد الفئة الحاكمة ونحذرها من عاقبة الاستمرار في سياستها، انما نوجه في الواقع تحذيرنا الى الشعب، لاننا لاننتظر منها اي اصلاح. فهي خاضعة لمنطق منبعث من صميم تشكيلها، يحتم عليها الخطأ والفشل. ان الخطيئة الكبرى كانت في دخول هذه الفئة الحركة الوطنية وفي استلامها قيادتها. اذ ليس في وضع الطبقة الاجتماعية التي تشكلت منها القيادة الوطنية ما يؤهلها لحمل عبء النضال القومي ومتابعته بجرأة وأستقامة حتى النهاية. فمصالحها الاقتصادية وأعتباراتها العائلية تضرب حولها نطاقا من القيود توقفها في منتصف الطريق، وتغريها بالتراجع والتساهل.

---

(١) تحليل عقلية الفئة الحاكمة هو اهم ما في هذا البيان الذي كتبه الاستاذ ميشيل عفلق واصدره في حمص بعد نفي الاستاذ صلاح البيطار الى (الميادين).

كان الشعب في سوريا في ذلك الحين يعاني من عقدة موجودة عن الفئة الحاكمة. ظروف البلاد وظروف الفئة الحاكمة دفعتها الى اتباع الاسلوب الانتهازي - ولكنها بقيت تذكّر بماضيها النضالي - كان هذا التذكير يستعمل لاسكات المعارضة وتثبيت اقدامها في الحكم. هذه العقدة كان المطلوب كشفها دوما امام الشعب: ان الماضي وحده ليس كافيا بدون النظر الى الحاضر.

يضاف الى ذلك نقص واضح في الكفاءة ومستوى التفكير، وشوائب عديدة تخالط تربيتها الاستبدادية الاستغلالية المتغطرسة، وصدق انتمائها الى الوطن الذي تبنت قضيته، وأدعت انها تمثل روحه ومصلحته.

لقد كان محتوما على قيادة من هذا النوع ان تعجز عن القيام بواجبات نضال لاتميل اليه ميلاً طبيعياً، وان تخفق في كسب الثقة والتأييد من شعب لاتشعر نحوه بحب او احترام. فتعبها من النضال وتلكؤها فيه لم ينتجا عن كون هذا النضال متعذراً او شاقاً على الشعب، بل من ان **الشعب لم يجد امامه القيادة التي توحي اليه الثقة بتجردها وكفاءتها**، والتي تمهد له السبل، وتزيل من طريقه العقبات، **وتنظمه على شكل يستطيع معه ان يظهر كل ما فيه من قوى وممكنات.**

هذا ما اغرى رجال القيادة الوطنية بالتخلي عن مهمتهم الاولى، فانتقلوا الى ساحة السياسة الانتهازية، املا بأن ينالوا، عن طريق الحكم، وسلطاته ومغرياته، ذلك التأييد الاجماعي القوي الذي عزَّ عليهم كسبه خارج الحكم، فكانت النتيجة ان خسروا البقية الباقية منه.

ان السياسة الانتهازية التي تقوم على اغتنام الفرص، والرضا بالممكن، والاخذ والمطالبة، هي سياسة جائزة لها مبرراتها في بعض الظروف والاحيان. ولكن ما ليس له مبرر هو اعتبارها الغاية والمثال، وانها الشيء الوحيد المشروع، وان تحاول مالا يعقل، فتدّعي انها مستمرة في النضال امينة على اهدافه، وهي تجبر الشعب كل يوم على قبول التساهل والاعتدال.

لقد آن للشعب ان يعي هذه الحقيقة: في بلاد **لاتزال محكومة من الاجنبي، كل حكم يقوم، هو بالضرورة خاضع لنفوذ هذا الاجنبي، ان كثيرا وان قليلا. ولا يعقل** ان يقوم هذا الحكم وان يبقى يوما واحدا اذا لم يكن قد قبل **بمبدأ التنازل عن بعض** الحقوق والتساهل في بعض الاهداف. **فمن التضليل المجرم ان يسمى الحكم الذي ينشأ في مثل هذه الشروط «بالحكم الوطني» مهما كانت مزاياه التي ترفعه عن مستوى العهود الرجعية. اما القيادة الوطنية في مثل هذا الحال، فليس لها غير مكان طبيعي واحد، هو مكان النضال في صف الشعب، من اجل التنبيه والتحذير، والضغط**

والمقاومة، كي تحول دون اي تفريط بحقوق الامة، وتمنع كل تساهل لاتقتضيه الضرورة القاهرة. **اذن ففي البلاد التي لايزال فيها اقل اثر لسلطة الاجنبي، لا يمكن ان تكون القيادة في الحكم، وان يكون مع الحكم وطنية صحيحة، وان تكون الزعامة الا في صف الشعب.**

تلك هي الحقيقة، لن نفتر عن اعلانها، كما اعلنها صلاح الدين البيطار ناصعة جلية، وتحمل في سبيل ذلك النفي والاعتقال. ونحن نعلم ان الفئة الحاكمة لن يؤثر فيها النصح والتحذير، وانها بدلا من ان تتدارك النهاية المحزنة التي تمشي اليها، وتلتزم حدود الدستور، تحشد الآن قواتها للدفاع الأخير، فتتآمر على المجلس النيابي وتعرقل جلستين متواليتين له، وتصدر بلاغات ارهابية، وتستخدم اساليب في القمع والتعدي على الحريات ليست بعيدة عن اساليب الاستعمار.

في استطاعة الحكومة ان تسجن وتنفي وتضطهد فردا او افرادا. ولكن ما عساها تفعل بجيل جديد بكامله، يقدس الحق ويحن الى البطولة، أقسَمَ ان يكون للعروبة وجه غير الذي اظهرها به السياسيون، وان يفهم الاخلاق والوطنية على غير ما فهم المحترفون.

عن مكتب البعث العربي
ميشيل عفلق
حمص في ١٤ آذار ١٩٤٥

# واقع الفئة الحاكمة [1]

«. . . عهد البطولة، وأكاد أقول عهد الطفولة، لان النشيء الذي يتأهب اليوم لدخول المعركة، له صدق الاطفال وصراحتهم، فهو لايفهم ما يسمونه «سياسة» ولا يصدّق ان الحق محتاج الى براقع، والقضية العادلة الى تكتم وجمجمة».

لقد تنفس الشعب الصعداء بعد نشراتنا الاخيرة، لان حجاباً كثيفاً قد مُزق، كان يخيم على النفوس والافكار ويكاد يخنقها بثقله وظلمته: وهو حجاب الكذب والمكابرة. كانت الضمائر معذبة، لاتعرف كيف تسكت على الغش، والعقول مضطربة لاتسيغ التناقض، والالسنة مرتبكة تحاول ان تستر بالمغالطات ما هو مفضوح، وتبرر بالسفسطات ما لاسبيل الى تبريره. لقد وضعنا الاشياء في نصابها، وسميناها باسمائها. ونحن مقتنعون ان في ذلك للامة خيراً باقياً، ودرساً جزيل النفع. فالاشخاص الذين كانوا لايقتنعون بما يخوّل الدستور لهم من سلطة وحق فيسعون الى توسيع سلطاتهم وحقوقهم عن غير الطرق المشروعة، سيعلمون الآن ان الدستور اكبر قوة لمن يتقيد به

---

(١) في هذا البيان الذي كتبه الاستاذ ميشيل عفلق وأصدره في حمص تركيز على ان النقد الموجه للحكومة لايخدم الاجنبي اذا كان مخلصا. وان الخيار الآن ليس بين الوطني والخائن بل بين الوطني الضعيف والوطني القوي.

لقد كانت الكتلة الوطنية تعتبر ان كل من معها وطني وطاهر وان كل من كان ضدها، هو خائن متعامل مع الافرنسيين ـ لم ترد الكتلة ان تعترف بأي بديل ثالث.

فبداية الحزب كانت من هذه الناحية غير سهلة بسبب هذا الارهاب الفكري من قِبَل الكتلة. كان ضغط الرأي العام على المحاولات لوراثة الكتلة (بعد تجربة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) والتي اعتبرت الكتلة بعدها بأنها انتهت ـ ولم تعد في ١٩٤٣ الا لوجود فراغ لم يستطع احد غيرها ان يملأه ـ كان الرأي العام يضغط على الحركات الناشئة لتعمل عملا سريعا لاقصاء الكتلة عن التحكم بالعمل السياسي ولكن الحزب لم يعر هذا الضغط اهتماما كبيرا لاعتقاده بأن العمل السريع سينهار بسرعة ـ اذ ان العمل السريع يتطلب جمعا لعناصر متنافرة. كانت فكرة الحزب ان يجمع فقط الشباب من الجيل الجديد الذين يستطيعون ان يحققوا للشعب أهدافه.

ويخلص له، وان ليس لهم قوة غيره يستندون عليها ويأمنون بها كل نقد ولوم. ورجال السياسة الذين غالوا كثيرا في الجهل والتجاهل، فلم يحسبوا لوعي الشعب حسابا، ولم يفطنوا ان سنين قد مرت على زمن النضال الوطني، زادت الشعب قوة وخبرة وصلابة، وزادتهم ضعفا واستسلاما للأهواء والعبودية للمنافع؛ ان هؤلاء الرجال سيعلمون اخيرا ان الخير كله هو ان يكتفوا بصفة السياسيين كوزراء وموظفين، وان يعتبروا من الجائز المشروع ان يوجد في البلاد رأي غير رأيهم، ومفهوم للوطنية أعلى من مفهومهم، وايمان بمؤهلات هذا الشعب ونبل اخلاقه وسمو مطامحه اقوى من ايمانهم، وانه شعب يستحق اكثر من هذه الاهداف الناقصة المشوهة التي رضوها له واستكثروها عليه، ويليق به قادة وموجهون احسن من هذه المجموعة من تلاميذهم الذين لم يستنشقوا في حياتهم غير هواء السرقات والشهوات. وسوف يعلم رجال السياسة ايضا ان هذا الشعب لم يبخسهم حقهم، ولا انكر عليهم وطنيتهم الماضية، ولكنه ينكر أن تنتهي الوطنية الى هذه النهاية. وهو لم يجحد تضحياتهم السابقة ولكنه يستعظم ان يكون للتضحية ثمن، وان تسعّر بهذه الاسعار الفاحشة. وما ساءه ان يرى امواله تُنهب وحقوقه تغتصب بقدر ما اثاره ان يرى اصدقاءه بالامس يعدونه اليوم عدواً مغلوباً ويعتبرون بلاده أرضا مفتوحة، يفرضون عليها الجزية كلما وصلوا الى الحكم على أكتافه. وان هذا الشعب لم يكن يوما من الايام لهم ظالما، فقد نظر اليهم دوما على انهم خير من الرجعيين وصنائع الاجنبي، ولكن يعز عليه ان لاتكون لهم ميّزة، والا تظهر فيهم فضيلة الا اذا قيسوا بالخونة والرجعيين.

واخيرا فهذا الشعب لايرى ان الوقت وقت إثابة ومكافآت، حتى يخوّلهم حق الاضرار به، لانهم في وقت مضى ارادوا نفعه وخدمته. فثمة اليوم قضايا حيوية وظروف حاسمة تقرر مستقبل أجياله، ولا يجوز ان يستبد بتصريفها رجال وضح عجزهم وفشل اسلوبهم، وان يكون لهم حق التهاون والتفريط بها، لا لشيء سوى ان لهم في الخدمة الوطنية حقا مكتسبا.

نعم لقد وضح عجزهم وفشل اسلوبهم، وليس يجدي في ذلك لا الضغط والارهاب، ولا الايهام او التخدير، والتذرع بدقة الظروف، وحراجة الموقف ووجود

الاجنبي في البلاد وصنائع له مستغلين ليفرضوا على الشعب القبول باخطاء في السياسة مفضوحة، وتهاون في حقوق البلاد واهدافها، وفساد في الادارة، واستهتار بالدستور، وطغيان جاوز حد المعقول. فاذا كان الموقف حرجا، فلأنهم هم يوجهونه، واذا كان ثمة ما يشجع الاجنبي على الاستغلال فانما هي اخطاؤهم وتصرفاتهم. وليس غير شيء واحد يحول دون استغلال الاجنبي، ويوقف هذا التدهور المروع: هو ان تظهر الوطنية الصحيحة والسياسة القويمة التي تستطيع وحدها استرجاع الثقة، وتجديد الحماسة والغيرة في قلب الامة.

وليعلموا انه ليس من النبل في شيء ان يمسكوا قضية البلاد بين أيديهم ثم يهددوا الشعب في كل دقيقة: اما ان تقبل بجهلنا ونفعيتنا، واما ان تعرض القضية الوطنية لسطوة الاجنبي واستغلاله.

**يا شباب البعث العربي: حيثما كنتم على الارض العربية المقدسة!**

لقد كان ايمان هؤلاء السياسيين بالامة واهياً سطحياً فلم يجرؤوا على مطالبتها، لانهم عجزوا عن مطالبة انفسهم، بالارتفاع الى مستوى من الخلق والنضال يليق بمهمة التحرير القومي.

وكانت ثقتكم بأمتكم وبفضائلها وحيويتها ثقة الاطفال، لذلك انبريتم لتحملوا العبء، ولم ترضوا لانفسكم عبئاً اخف من مخاصمة هذا المستوى السائد من الوطنية التي قنع بها الناس حتى الآن، فكان عليكم ان تختتموا مرحلة الصراع الضعيف بين الخيانة وبين الوطنية الضعيفة، لتبدأوا صراعاً جديداً عنيفاً بينها وبين وطنية من نوع جديد، يجتمع فيها الاخلاص مع الفكر النير، والتضحية مع النزاهة والتجرد، والسياسة مع الصدق والاستقامة والعفة.

وعلم الله انها كانت مهمة وعرة عسيرة. اذ كان عليكم ان تخاصموا هذه الفئة من مواطنيكم، دون ان تفتروا عن محاربة الاجنبي، عدوكم الاساسي، او تسكتوا عن الفئات الرجعية والخائنة وتسمحوا لها باستغلال عملكم. فكنتم تحاربون على كل الجهات.

فلتذكروا اذن عندما تشعرون بالحاجة الى ما ينعش نشاطكم لمتابعة الجهاد، انكم

قد كوفئتم على جهادكم، اولا بهذا الاحترام الذي تفرضونه حتى على الخصوم، ثم بهذه النتيجة التي تستطيعون اعتبارها تحولاً تاريخياً في حياة البلاد: وهي بدء تشكل قيادة قومية صحيحة، تعيد للنضال قدسيته ومعناه، وتسد فراغا كان يهدد بناء الامة بالانهيار.

**عن مكتب البعث العربي**
**ميشيل عفلق**
**حمص في ٢٥ آذار ١٩٤٥**

# تهافت سياسة الفئة الحاكمة[1]

«لقد آن للسوريين ان يقنطوا من سياسة المفاوضات ويكتشفوا خدعتها، ففرنسا تموه منذ خمسة عشر عاما، وتنجح في شل الحركة القومية، واخماد جذوتها؛ وفرنسا لاتلجأ اليها الا بغية كسب الوقت لتسديد الضربة في الوقت المناسب وتثبيت دعائم استعمارها المزعزع».

«نحن لا نرى في الاستقلال والوحدة العربية غير اسمين لشيء واحد، وهو سيطرة الامة العربية على مصيرها، بل ان في الوحدة العربية ضمانة لهذا الاستقلال..»

«... فضحنا سياسة الافرنسيين الرامية الى كسب الوقت بالمفاوضات التي لاطائل تحتها. ووضعنا في مقدمة مطالبينا ضرورة تسليم الجيش قبل كل الصلاحيات، لان الجيش هو الدعامة الكبرى للاستقلال، ولا قيمة لكل المظاهر والصلاحيات المزعوم استلامها ما دامت في البلاد قوة اجنبية محتلة، تتحين الفرص المناسبة لوأد الاستقلال في مهده...»

**«لن يعودوا»**

لن يعود الافرنسيون الطغاة الذين قصفوا بقنابل مدافعهم وطائراتهم مدن سوريا المكشوفة: دمشق، حماه، حمص، حلب، دير الزور، الرقة، درعا، فخلّفوا فيها الثكالى واليتامى والمفجوعين ودمّروا المنازل ونهبوا الاسواق.

لن يعود الافرنسيون السفاكون الذين صبوا نيران رشاشاتهم ورصاص بنادقهم

---

(١) في هذا البيان، الذي صدر بعد العدوان الفرنسي بعشرة أيام، تذكير بالبيانات السابقة، وتحذير للحكومة من سياسة المماطلة والمفاوضة مع الفرنسيين، ومطالبة باسترجاع الجيش من الفرنسيين وان تقوم سياسة سوريا الخارجية على تعاون وثيق مع البلاد العربية. البيان ينتهي بمطالب معنية، تأخذ لاول مرة شكل مطالب سياسية محددة.

وحمم قذائفهم على المدنيين دون سابق انذار، وطرحوهم على الارض قتلى وجرحى، ولم يستثنوا من ذلك المستشفيات والاطباء وشباب الاسعاف وسياراتهم، بل امطروهم بوابل من قذائفهم وصرعوا فريقا منهم وكادوا ان يحولوا بينهم وبين واجبهم المقدس.

لن يعود الافرنسيون الذين لفظتهم معركة فرنسا، فاجتمعت فلولهم المهزومة على هذه الارض العربية المقدسة، وحشدوا عبيدهم المناكيد، وجنودهم المرتزقة من اشتات الاجناس، وسائر المدنيين الافرنسيين، حتى الاطباء والقضاة والرهبان والراهبات، واتخذوا من بيوتهم ومدارسهم ومستشفياتهم مراكز يطلقون منها النار على النساء والاطفال والعزّل من السلاح. وسيبقى المجلس النيابي الشهيد وخرائب دمشق وحماه وحلب ودير الزور والرقة منارات خالدة على الزمن، تشع بالحقد والبغض نحو فرنسا الباغية في نفوسنا وفي نفوس أجيالنا المقبلة.

فاليوم تهتف ارواح الشهداء، وأنّات الجرحى، وينادي الذين أفلتهم الموت والدمار من وراء الخرائب ومن ميادين الشرف والجهاد بصوت واحد:

**«لن يعود الافرنسيون لتدنيس هذا الوطن... لن يعودوا»**

ان حزب البعث العربي الذي ما انفك منذ عامين كاملين يعالج قضية بلاده بصدق وأمانة وبعُد نظر، قد أوضح في مناسبات كثيرة للشعب والحكومة، كما تشهد على ذلك نشراته ومواقفه العملية، ان الخطر الكبير الذي يهدد البلاد من الاستعمار الافرنسي لايتقى الا باتباع سياسة داخلية حكيمة، وخارجية حازمة، تضع حداً لمماطلة فرنسا وخداعها. وتقلع عن المفاوضات العقيمة، وتضطر الدولة الافرنسية على ان تحسر النقاب عن وجهها وتفضح اغراضها اللئيمة نحو بلادنا، وتآمرها المجرم على استقلالنا. وقد بيَّنا ان هذه السياسة الخارجية يجب ان تقوم على تعاون وثيق فعلي مع البلاد العربية جميعا ولاسيما الاقطار العربية التي تستطيع اكثر من غيرها انجاد سوريا ولبنان لدفع العدوان الافرنسي. لذلك اعتبرنا العمل للوحدة العربية الشاملة اكبر ضمان لاستقلال سوريا، ورأينا دوما في هذه الوحدة وسيلة ناجعة قوية لتحقيق الاستقلال وتدعيمه، يجب ان تُقدّم على اي عمل آخر.

كذلك لم نترك مناسبة تمر الا وأعلنا ان للسياسة التي تتبعها الحكومة في الداخل

أكبر الاثر وأوثق الصلة بتقرير مصيرنا الخارجي وتحررنا النهائي من سلطة فرنسا. وكنا نرى دوما ان الحكومة مقصرة في سعيها لتحقيق وحدة الشعب القومية، وتعبئة قواه وتهيئته سياسياً وعسكرياً لمجابهة الساعة العصيبة التي تبيّتها فرنسا الغادرة لهذا الشعب.

ثم وقعت الواقعة واستطاعت فرنسا ان تكسب الوقت، ودفع الشعب من دمه وماله ثمناً باهظاً لسياسة التريث والحكمة والثقة بالمفاوضات العقيمة التي اتبعها رجال الحكم؛ وغدت شدة المقاومة الشعبية للاستعمار الافرنسي متناسبة مع بعد نفوذ الحكومة وسيطرتها. اذ ان المناطق النائية التي تمتد اليها ظلال هذه السياسة قد استطاعت ان تحرر نفسها من سيادة الافرنسيين بأروع شكل وأقواه، بينما اقتصر عمل العاصمة على الدفاع والصمود، فدفعت ضريبة الحرية غالية باهظة من دمائها وأموالها.

والآن، بعد ان طويت هذه الصفحة الدامية، يرى حزب البعث العربي ان من واجبه تنبيه الشعب الى ان الازمة بمعناها السياسي لاتزال قائمة، وان امكان تحرجها لايزال موجودا، وان القوات الافرنسية تمرح طليقة في بعض مناطق سوريا، كما انها محتشدة بكامل قواها في لبنان، وان سلاح استدرار العطف واستجداء الشفقة العالمية الذي تتسلح به الحكومة لمعالجة الموقف الحاضر، هو سلاح قاصر لا يحمي استقلالنا اذا لم يدعمه حشد قوى الشعب وتهيئته لدفع كل عدوان جديد. لذلك نطلب من ممثلي الامة ان يتبنّوا الحلول الآتية التي تفرضها ضرورات الموقف الحاضر:

١ ـ تشكيل حكومة قومية تطبق الدستور بالمعنى الصحيح، وتقلع عن الاستئثار والاستبداد بالرأي، واخفاء الحقائق عن الشعب، وتنهج في السياسة خطة واضحة مستقيمة لاتقلّب فيها ولا تناقض.

٢ ـ ان تتبنى هذه الحكومة، لمعالجة الظرف الحاضر، برنامجا تتلخص خطوطه الرئيسية في ما يلي:

أ ـ رفض التعاقد مع فرنسا بأي شكل كان، واجلاء قواها جلاء تاما عاجلا عن سوريا ولبنان، واغلاق الباب نهائيا امام كل صلة للافرنسيين بهذه البلاد، سياسية كانت أم ثقافية أم اقتصادية، واتخاذ الخطوات اللازمة التي تكفل تنفيذ تعهد

البريطانيين بسحب قواتهم من سوريا ولبنان .

ب ـ صيانة استقلال سوريا التام، وتعبئة جهود الشعب وتنظيم مقاومته، والشروع حالا بتشكيل الجيش وتسليحه استعدادا لمنع كل عودة ممكنة للاعتداء الافرنسي، ولمجابهة قرارات دولية قد تنتقص من هذا الاستقلال .

جـ ـ اعتبار قضية سوريا ولبنان قضية واحدة تجاه الخطر الافرنسي .

د ـ انتهاج سياسة عربية فعّالة تؤدي الى انجاد سوريا ولبنان عسكريا في حالة الاعتداء على استقلالهما .

هـ ـ المطالبة بمحاكمة المسؤولين عن الفاجعة الاخيرة من الافرنسيين والمطالبة بالتعويض عن الخسائر وذلك بعد تجميد ومصادرة الاموال الافرنسية في البلاد العربية كافة .

و ـ تطهير البلاد وجهاز الحكومة من جميع الخونة والانهزاميين وانصار التعاون مع الاجنبي، ومحاكمة المجرمين من قواد الجيش السوري وجنوده، ومكافأة الذين لبوا نداء وطنهم منهم مكافأة تليق ببسالتهم وتضحياتهم .

**حزب البعث العربي**

**دمشق في ٩ حزيران ١٩٤٥**

# ازمة نظام الحكم

تجتاز البلاد ازمة سياسية تعددت فيها الآراء والاجتهادات ولا نرى بدأ من ان نقول كلمتنا فيها[1] .

١ ـ أزمة وزارية . . . هناك أزمة وزارية نشأت على اثر تقديم عريضة من قسم كبير من النواب يعلنون فيها نزع ثقتهم من الحكومة الحاضرة لان البلاد، كما جاء في العريضة ، تجتاز دورا دقيقا وتستقبل أحداثا خطيرة تستوجب تشكيل حكومة حائزة على ثقة المجلس لتستطيع ان تتحمل هذه المسؤوليات، ومواجهة الموقف بما يقتضيه من التروي والاخلاص والقوة والصراحة .

ان ما نلمس في هذه العريضة من غموض وابهام، ومن ابتعاد عن نقد سياسة الحكومة المستقيلة وعن تعيين أخطائها، ليدل على ان موقعي هذه العريضة لم يرموا من وراء عريضتهم الى تبديل سياسة هذه الحكومة بسياسة جديدة واضحة المعالم، بعيدة النظر مستقيمة الطريق، انما رموا الى اخراج بعض الوزراء الذين طالت مدة تربعهم

---

(١) يحلل الحزب هنا الازمة، ويذهب الى جذورها، ولايرضى باعتبارها ازمة وزارية فحسب بل يعتبرها ازمة نظام حكم. ويكرر مآخذه السابقة على ما اسماه بالفئة الحاكمة التي هي فوق ووراء الحكومة ـ اي هي عبارة عن الاشخاص الرئيسيين في الكتلة الوطنية، الذين توزعوا الرئاسات في الدولة وعملوا على تعطيل مفعول الدستور وتعطيل دور المجلس النيابي والحيلولة دون ظهور معارضة او اي راي مستقل. وفي هذا البيان تحليل وانتقاد للمجلس النيابي لتنازله عن مسؤولياته. واخيرا يطالب الحزب بحل هذا المجلس وتعديل قانون الانتخاب وتشكيل حكومة قومية حيادية تنهي كل علاقة لفرنسا في سوريا وتعمل على تحقيق جلاء الجيوش الفرنسية والانكليزية عن سوريا ولبنان. ثم ابعاد الجيش عن التحزب السياسي واطلاق الحريات السياسية، واجراء انتخابات.

في هذا البيان رجوع الى الجو السابق ـ اي قبل الهدنة مع الحكومة عند العدوان الفرنسي ـ وفيه تحليل سياسي اكثر من السابق، والبعد عن العموميات والتقدم بمطالب محددة واقتراح حلول معينة.

على كراسي الحكم وطاب لهم المقام فيها، فمنعوا بذلك هذه الكراسي عنهم. فسياسة الدولة اذن لن تتبدل لاسيما ان نفس الرئيس السابق هو الذي عُهد اليه امر تشكيل الوزارة الجديدة.

**٢ ـ بدعة سيئة...** لقد ابتدعت الوزارات الثلاث التي تعاقبت على كراسي الحكم في هاتين السنتين اسلوبا طريفا في الانسحاب من الحكم لم نسمع انه جرى في بلد آخر من بلدان العالم. ففي كل مرة تشعر الحكومة ان المجلس عازم على مجابهتها ومحاسبتها وتعيين اخطائها، وبالتالي على تصفية حسابها واسقاطها، تنسحب هذه الحكومة من ميدان الحكم قبل ان تتيح للمجلس تحقيق عزمه، وتقدم كتاب استقالة رقيقا تقطر من بين سطوره تضحياتها واتعابها وتفانيها في خدمة المصلحة العامة، وتجاب عليه بكتاب أرق من الشكر والامتنان على ما بذلت من خدمات في سبيل مصلحة البلاد. وبهذه الصورة ينسى المجلس حملته على الحكومة التي لم يعد لها وجود، ويتلهى بمناقشة بيان صوري تعرضه عليه الحكومة الجديدة وتبقى سياسة الدولة واحدة لاتتبدل. واكبر دليل على ان هذه البدعة المبتكرة ليست الا خدعة يقصد منها اجتياز هذه الازمة العارضة هو تشكيل وزارة السيد فارس الخوري الثانية التي استبقت من وزارته الاولى وزيري الخارجية والداخلية بالرغم من ان سياستهما كانت العامل الوحيد في حملة المجلس على وزارته الاولى. كما ان في تكليفه تشكيل الوزارة الثالثة اكبر ضمانة لاستمرار السياسة الخارجية المتخاذلة والسياسة الداخلية الدكتاتورية التي لاتزال تجر على البلاد الكوارث والويلات.

**٣ ـ أزمة وزارية مصطنعة...** اذن، فالضجة التي أثيرت حول الازمة الوزارية هي ضجة مصطنعة. وان هذه الازمة اذا كان يقصد منها سياسة الوزارة المستقيلة فحسب دون الرجوع الى الاسباب العميقة التي شجعت هذه الوزارة والوزارات التي سبقتها على انتهاج سياستها الفاشلة، هي أزمة كاذبة. وان معالجة الازمة إذا وقفت عند هذا الحد من الفهم لايكون القصد منها الا خداعا جديدا من قبل الاشخاص المسيطرين على السياسة السورية يريدون من ورائه حصر اسباب الاستياء في حكومة زائلة وابعاد المسؤولية عن سياستهم التي يطبقونها في البلاد منذ عامين ويفرضونها على الحكومات.

٤ ـ الازمة الحقيقية. الحكومة أم الفئة الحاكمة؟... ونحن نرى مع بعض النواب من الذين يمثلون المعارضة في المجلس منذ القديم ان تغيير الوزارة امر ضروري لا في اشخاصها فحسب، بل وفي سياستها المتبعة ايضا؛ وان هناك نوعا من الاشخاص قد ألِف هذه السياسة طوال عهد الانتداب فلا يرجى منه اي تبديل فيها اذا بقي مستولياً على الحكم، اللهم الا تبديل اشخاص بآخرين من الطامعين بكراسي الحكم. ولكننا نذهب الى ابعد من هذا التعليل ونقول: من التضليل ان ينسب توجيه سياسة الدولة الى الحكومة فحسب، وان تعتبر الحكومة مستقلة في سياستها، وان توجه بالتالي الانتقادات وتحمل المسؤوليات للحكومة وحدها او للحكومة بالدرجة الاولى. لقد كان يصح ذلك لو كان في البلاد حكم دستوري، ولكننا ما برحنا نقول، ونكرر القول منذ سنتين، بأن الحكم الدستوري مفقود في البلاد، وان الذي يحكم بالفعل هم قبضة من الاشخاص توزعوا الرئاسات في الدولة، واستطاعوا ان يسيطروا على السلطتين، التنفيذية والتشريعية، وان يعطلوا مفعول الدستور والحكم النيابي. وما الحكومة الا مجموعة موظفين لدى هؤلاء الاشخاص. فالمسؤولية اذن تقع على هذه الفئة الحاكمة التي تتبع سياسة واحدة ذات هدف واحد لم يتبدل منذ سنين، وهو تسخير كل قضايا البلاد الخارجية والداخلية في سبيل الاحتفاظ بالسيطرة السياسية وما تضمنه لاصحابها من نفع وجاه.

ولقد كانت حجة هذه الفئة، كما صرح بذلك رئيس اول وزارة في هذا الدور، بأن قضية سوريا هي قضية خارجية بحتة، اي انها تجيز لنفسها اهمال الشؤون الداخلية، وشتى الارتكابات والتصرفات الشاذة، والتمادي في خنق الحريات ومنع اصدار الصحف الحرة ومخالفة نصوص الدستور مخالفة صريحة، «كادعاء السيد صبري العسلي وزير الداخلية في وزارة السيد فارس الخوري العلامة الحقوقي والديمقراطي العريق، بأنه لايجوز لافراد الشعب ابداء الرأي طالما انهم استعملوا حقهم يوم الانتخاب» متجاهلة بعنادها الغريب ان قوة موقفنا الخارجي متصلة اوثق الاتصال بقوة التنظيم الداخلي وحسن الادارة ونزاهة العمل.

على ان هذه المسألة الخارجية نفسها التي تتستر وراءها الفئة الحاكمة، وتستغلها

ايما استغلال لتحقيق مآربها في داخل البلاد، قد ساءت في يدها وتشوهت بنتيجة توجيهها الجاهل وموقفها المتخاذل. اذ ليس من احد يجهل ان ما حصلت عليه البلاد من قدر يسير من الحكم الاستقلالي كان مقررا عند السلطات الاجنبية - غير فرنسا - كنتيجة للجهاد الرائع الذي قام به الشعب العربي طوال ثلاثين عاما في سوريا وسائر الاقطار العربية، وفرضه على تلك السلطات فرضا. وان من حق الشعب ان يتساءل: الم يكن بالامكان ان يصل الى استقلال أصح وأكمل، في وقت أقصر وتضحيات أقل، وان يبلغ من النهوض مستوى أرقى يتكافأ مع جهوده ويليق باستعداداته وطموحه، لو انه قدر لهذه الفئة الحاكمة في سوريا نصيب أوفر من الوعي والتجرد والنزاهة تستطيع معه ان تكسب ثقة الشعب وتحشد امكانياته وقواه وتحسن تنظيمها، وتفرض بالتالي احترامها على الاجنبي؟

٥ - **السياسة التقليدية**... وبالرغم من الدرس القاسي الذي القته الحوادث الاخيرة على البلاد، لم تعتبر الفئة الحاكمة ولم ترجع عن سياسة المماطلة وكسب الوقت والتخاذل امام الاجنبي. فبيناً نرى مجلس الجامعة العربية يقرر انه يؤيد طلب سوريا ولبنان بالجلاء التام لجميع القوات الافرنسية عن أراضي الجمهوريتين؛ وبيناً تأخذ حكومتا سوريا ولبنان بوضع مذكرة الى فرنسا بطلب هذا الجلاء؛ وبيناً يصرح وزير الخارجية في ٧ تموز (ان سياسة الحكومة لم تتغير، ونحن غير مستعدين للدخول مع فرنسا في محادثات او غيرها ولا بد من الجلاء اولا) نجد ان المذكرة التي تم وضعها لم تقدم، وطلب الجلاء لم يعد يُذكر، وان الحكومة قبلت الدخول مع فرنسا في محادثات من اجل استلام جيش كان اكثره قد التحق بالسلطة الوطنية من تلقاء نفسه، واعتبر وزير الخارجية ان ذلك يحقق للبلاد جزءا كبيرا من مطالبها الاساسية. ونجد ان الحكومة تتناسى قرارات الجامعة العربية وتسعى الى عزل القضية السورية عن السياسة العربية، تاركة حلها لحكومة لبنان الذي هو أضعف من سوريا موقفا تجاه فرنسا.

٦ - **المجلس النيابي**... تلك هي خلاصة الموقف الذي قادت اليه الفئة الحاكمة للبلاد في الشؤون الداخلية والخارجية؛ بنتيجة استئثارها بالحكم، واستبدادها بالرأي، وتجاوزها لاحكام الدستور، وتحررها من كل مراقبة شرعية.

لقد كانت مهمة المجلس النيابي ان يحافظ على الدستور، ويسعى الى تطبيق الحكم الدستوري في البلاد دون ان يترك مجالا لاي شخص او فئة للاستئثار بالسلطة والتعدي على صلاحياته. ولكن المجلس في اكثرية اعضائه تهاون كل التهاون في اداء مهمته، واظهر تخاذلا واستسلاما امام الفئة الحاكمة المحترفة، التي استطاعت ان تنصّب الحكومات على غير ما يريد، وان تخنق صوته وتتلاعب بآرائه وتقطع الصلة بينه وبين الشعب. فالمجلس الذي سكتت اكثريته عن هذه السياسة الاستبدادية في احرج الظروف، وفي الاوقات التي كان الواجب القومي يحتم فيها عليه ان يرفع صوته ويقاوم، لايمكن ان يسترجع ثقة الشعب بالنشاط الحديث الذي يظهره، بعد ان زالت المصاعب وذللت اكثر العقبات. ولا قيمة لما يجري الآن فيه من تكتل وتشكيل احزاب، اذ يفرض في الاحزاب ان تتشكل بين الشعب اولا، ثم تمثل في المجلس، وان يكون تشكيلها على اساس المصالح العامة والاتجاهات القومية العليا، وعلى مقياس واسع يتعدى حدود المدينة والمنطقة، ويتجاوب مع الاتجاهات والمصالح العامة للعالم العربي كله.

٧ - **وجهة نظر «البعث العربي»**... لقد كنا خلال سنتين من الافراد القلائل الذين دافعوا عن الحكم الدستوري ورفعوا صوتهم في وجه التدجيل والطغيان، وما ذلك الا لقناعتنا العميقة بأن لا خلاصٌ للبلاد ولا مجال يفسح لتطورها الا بقيام الحكم الدستوري الصحيح الذي يتيح الفرص من جهة لظهور الاكفاء والمخلصين وتنافسهم نحو الخير، والذي من جهة ثانية يحول دون التلاعب بمقدرات البلاد ودون التفرد بالرأي الناتج عن الجهل والغرور. وليس من العبث ان نرى الامم الراقية تعتز بنظامها الديمقراطي وتدافع عنه كأهم شيء يعطي لحياتها معنى ولبقائها ضمانة. وقد علمتنا التجارب الماضية ولاسيما في هاتين السنتين ان عقلية الفئة السياسية المحترفة هي نقيض العقلية الدستورية الحرة. فالشعب مطالب بأن يقوم بحملات قوية منظمة مستمرة وضمن الاساليب الدستورية لاجبار هذه الفئة على الرضوخ للدستور. واول ما يجب ان تهدف اليه حملات الشعب المنظمة في الصحف والمؤتمرات والاحزاب هو ان يستعمل رئيس الجمهورية حقه في حل المجلس النيابي وان يدعو الشعب الى

انتخابات حرة بعد تعديل قانون الانتخاب وبعد تشكيل حكومة قومية حيادية يشترط فيها ان تكون وزارات الخارجية والدفاع والداخلية بيد وزراء مشهود لهم بالحياد التام ليعملوا على: ١ ـ تصفية كل علاقة لهذه البلاد مع فرنسا وجلاء الجيوش الافرنسية والانكليزية عن سوريا ولبنان. ٢ ـ جعل الجيش بعيدا عن السياسة الحزبية كيما يبقى هدفه الاوحد حماية ارض الوطن والذود عن كرامته. ٣ ـ اطلاق جميع الحريات السياسية لاسيما السماح باصدار صحف جديدة حرة، والعمل على اجراء انتخابات في جو من الحرية التامة. وفوق ذلك نرى من الضروري لكي تضمن حرية الانتخاب، ان يطلب من مجلس الجامعة العربية باعتباره مرجعا شرعيا عربيا لنا ان ينتدب لجنة من قبله لتشرف على هذه الانتخابات.

عن حزب البعث العربي

صلاح الدين البيطار، ميشيل عفلق، الدكتور مدحة البيطار

دمشق في ٢٤ آب ١٩٤٥

# الصيغة الجديدة للوطنية

في عهود الانتداب[1] كان منطق المصلحة الوطنية يقضي بأن تكون المعارضة لتلك العهود هي الشيء الوحيد الجائز، الواجب، المشروع. ولكن الذين قدّر لهم آنذاك بفعل ظروف وعوامل مختلفة، ان يمثلوا الحركة الوطنية في وجه الانتداب قرنوا الوطن بأنفسهم، وأعتبروا مصلحته مرادفة لمصلحة اشخاصهم، فلما اضطر الاجنبي أمام مقاومة الشعب، ان يقبل بتحديد سيطرته، وان يتنازل عن كثير من صلاحياته لممثلي الحركة الوطنية فَهِم هؤلاء من ذلك ان أسباب المعارضة قد زالت، وان التأييد الاجتماعي قد أصبح الشيء الوحيد الذي تجيزه مصلحة الوطن وتقتضيه.

لقد احتاج هؤلاء السياسيون الوطنيون الى عشر سنوات مُلئت بأعنف الحوادث الداخلية والخارجية، ليقتنعوا أخيراً بأن المعارضة هي ايضاً شيء واجب ومشروع، يمكن ان يكون فيها للوطن بعض الخير.

والواقع ان هذه الطبقة التي آل اليها في فترة من الفترات أمر تمثيل الحركة الوطنية في البلاد، هي أبعد ما تكون عن روح المعارضة وعن فهم ضرورتها والتمشي مع مقتضياتها، لأنها طبقة شائخة هرمة نضبت حيويتها وتراخت الصلة بينها وبين روح الامة، واستُعبدت للمصالح الاقتصادية والنفوذ الاجتماعي التقليدي فتعذر عليها ادراك المميزات التي تتصف بها الحياة العربية في هذا الطور من أطوار تاريخها، وكان من نتيجة ذلك ان دخلت النضال مكرهة وهي تحلم بالاستقرار وتحن الى الراحة. وكم من مرة توهمت خلال هذه الفترة القصيرة من النضال الوطني أن الرواية قد انتهت،

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١٧ تموز ١٩٤٦.

والامانة قد أديت، وان وقت قطف الثمار واستيفاء الاجرة قد حان، لولا ان الشعب بحيويته المتجددة وغريزته اليقظة، وثوراته المتكررة، ينبهها بين حين واخر الى بطلان اوهامها ويذكرها تذكيراً عنيفاً بأن النضال لم ينته بعد.

ولما اثمرت جهود الشعب وتضحياته وأجلي المستعمر عن ارضه عاود السياسيين الوطنيين حلمهم القديم بالاستقرار والاستئثار، فهم يصرون على اعتبار حكمهم غاية ما تطمح اليه الامة ولا يريدون ان يروا في المعارضة الا حالة شاذة عارضة، تحركها الاغراض الشخصية، وتبررها بعض الاخطاء الجزئية الثانوية في جهاز الحكم لا في اساسه. ولو ان هذا الوهم أو هذه الخدعة كانت مقتصرة على رجال الحكم لهان الامر، ولكن البلية هي في ان اكثر المعارضين يشاركون الحكومة في نظرتها ويرون في المعارضة سبيلاً الى تبديل اشخاص بآخرين، وترميم ما تصدع من البناء بأيسر الجهود واقرب الطرق.

ذلك لأن المعارضين ما زالوا أضعف من المعارضة، يقصرون عن فهم معناها العميق ويعجزون عن بلوغ مستواها والتعبير عن قصدها ومرماها، وهكذا كان شأن الوطنيين مع المعركة الوطنية بما اظهروه من تقصير في مجاراتها، وانحراف عن فهم حاجاتها، وليس هذا مجرد قياس وتشبيه، فإن ما نسميه اليوم معارضة هو عين ما كنا نسميه وطنية، والمعارضة هي الصيغة الجديدة للوطنية.

اما علة الوهم والخداع فهي في عقلية الفئة التي مثلت الحركة الوطنية قديماً، وهي اليوم ممثلة في الحكم القائم، فإن انشغال هذه الفئة بنفسها وبمصالحها جعلها تمزج بين قضيتها الخاصة كطبقة اجتماعية مسيطرة، وبين قضية الشعب العامة، في حين أن بينها وبين الشعب تناقضاً في الروح والمصلحة، فرجال الحكم يعتبرون ان البلاد انتقلت من عهد الى آخر هو نقيض الاول، وكما ان المعارضة كانت في العهد القديم هي القاعدة الوطنية والتأييد كان شذوذاً، ففي العهد الجديد عهد الاستقلال يصبح التأييد هو القاعدة الوطنية، والمعارضة تكون الشذوذ والاستثناء.

اما أن يكون الاستقلال نقيض الاستعمار، فهذا ما لايشك فيه احد، ولكن ذلك لايستتبع ان يكون «الوطنيون» من رجال الحكم القائم نقيض المستعمرين، لذلك

استمرت الامة في معارضتها بالرغم من أنتقالها الى العهد الاستقلالي بعد عهد الانتداب، بل ان هذا الانتقال قد زادها امعاناً في المعارضة وجرأة، لأن من جملة الانتداب انه كان يشغلها بظلمه عن محاربة الظلم في نفسها، ولان من نِعم الاستقلال ان الامة تستطيع ان تجابه مشاكلها مجابهة صريحة.

فالذي ينتج مما تقدم هو ان المعارضة قدر الامة في هذه المرحلة من مراحل تطورها، بعد أن كانت شديدة زمن الانتداب وهي اليوم أشد، وكانت تمثل فيه الحركة الوطنية، وهي اليوم تمثل وطنية أصلب وأعمق وأشمل، لأنها تستهدف بعد أن رفعت من طريقها العثرة الاجنبية ان تعيد النظر في بناء المجتمع من أساسه، وان تعمل وتناضل، حتى تتم الغلبة في هذا المجتمع لعناصر الحياة على عناصر الموت والفساد.

هذا هو الموقف الطبيعي الصادق للامة. وسيظل هذا موقفها الى ان يزول التناقض ويستلم الشعب مقدراته بيده، ولا ينقص من قوة هذا الموقف أن تكون طبقة المنتفعين المستثمرين خارجة عنه، ولا يشوه حقيقته وجود معارضين لايمثلونه في صدقه وعمقه. فالمعارضه هي بالنسبة الى الامة العربية طور تاريخي، وضرورة تفرضها الحياة، وهذا ما يكفل لها ان تهتدي في وقت قريب الى ممثليها الحقيقيين، وان توحدهم في الفكر والعمل.

**١٧ تموز ١٩٤٦**

# المعارضة والقضية العربية[1]

بينا في مقالنا السابق[2] ان المعارضة هي الموقف الطبيعي الصادق للأمة العربية سواء كان ذلك في عهد الاستعمار والانتداب، ام في هذا العهد الذي يسمونه عهداً استقلالياً، وقلنا انه سيظل هذا موقفها الى ان يخلص استقلالها من كل شائبة خارجية كانت أم داخلية.

والبلاد العربية تسير في طريق الوحدة سيراً حثيثاً. ولم يعد ذلك مقتصراً على وحدة الروح والأماني القومية، بل اخذ يشمل ايضاً وحدة الوضع السياسي والاجتماعي الراهن. فكما ان اماني العرب واحدة، فأسباب استيائهم وشكواهم واحدة ايضاً. نحن اذا استثنينا هذا الشطر الكبير الغالي من الجسم العربي، ونعني به افريقيا الشمالية التي ما زال اكثرها يخضع للاستعمار الافرنسي الوحشي ويئن من ظلمهم منتظراً ساعة الخلاص تأتيه من نجدة اخوانه عرب المشرق، نقول إذا استثنينا شمالي افريقيا فاننا واجدون معظم الأقطار العربية الأخرى في وضع مماثل او متشابه، وقد ضمتها كلها جامعة الدول العربية.

فحكومات الدول السبع التي تتألف منها هذه الجامعة تعتبر نفسها حكومات دول مستقلة، بالتالي حكومات شرعية تمثل إرادة الشعب ومصلحة البلاد. ولكن هذا الادعاء يصطدم بالواقع المشاهد الملموس، لأن الشعب العربي في اكثريته الساحقة ناقم على حكوماته حذر منها، معارض لها في الحدود التي يتيسر فيها لمعارضته ان

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ١٣ الصادر في ٢١ تموز ١٩٤٦.

(٢) الصيغة الجديدة للوطنية («البعث» ١٧ تموز ١٩٤٦).

تظهر وتبرز. فما هو السر في هذه المعارضة وتلك النقمة؟ لانشك في أن الصفة الغالبة على حياتنا السياسية في هذه المرحلة التي نجتازها هي الصفة الاستقلالية. اي اننا لا نزال نقدم مطلب الاستقلال على أي مطلب آخر، ونركز اهتمامنا في تحرير بلادنا من كل اثر لسلطة الأجنبي. لأننا نرى في ذلك مفتاحاً لحل جميع مشاكلنا الأخرى. فاذا كانت اكثرية الشعب العربي الساحقة معارضة لحكوماتها، فلأنها ترى ان هذه الحكومات لم تحقق لها مطلبها الكامل في استقلال البلاد، ولأنها ترى ان هذه الحكومات لاتستطيع تحقيق هذا المطلب. فالحكومات العربية لاتزال حكومات مفروضة على الشعب العربي، اي انها لم تصل الى الحكم اولم تبق فيه الا لأنها تفاهمت مع الأجنبي بشكل من الاشكال، مهما كان هذا االتفاهم محدوداً، ومهما كان شكله لبقاً مستوراً.

وقد يكون في وضع سوريا ما يوهم بأنه خارج عن القاعدة. فنحن نفاجأ لأول وهلة بظاهرة تبدو انها مختلفة عما هو حاصل في الأقطار العربية الأخرى. فالهيئة السياسية التي مثلت الحركة الوطنية في سوريا فترة طويلة من الزمن والتي كانت تشكل المعارضة للأجنبي انتهى بها الأمر الى ان فرضت نفسها على هذا الأجنبي، ثم تم إجلاؤه عن البلاد على يدها. فما دامت المعارضة «الوطنية» في سوريا قد وصلت الى الحكم، فلا بد ان تكون المعارضة لهذا الحكم الجديد ـ من ناحية الأهداف الاستقلالية على الأقل ـ معارضة «غير وطنية».

ويكفي لازالة هذا الاشكال ان نقارن وضع سوريا بوضع قطر عربي آخر هو مصر ـ فلقد تمثلت حركة مصر الوطنية في هيئة سياسية كانت لهيئة سوريا مثالاً وقدوة، نعني بها الوفد المصري. وكانت الهيئتان مترافقتين في النضال، متماثلتين في الأهداف والاسلوب تمثلان نوعاً متشابهاً من الوطنية والعقلية والمصالح. وقد وصلتا الى الحكم معاً قبل عشر سنوات خلت، وقبلتا معاً بمبدأ التعاقد مع المستعمر. وها اننا نرى الوفد مقصى خارج الحكم، مبعداً مضطهداً، تتمثل فيه المعارضة على اقوى شكل، بينما «وطنيو» سوريا يملكون الدولة من الرأس الى القدم. وقد انقطعت كل صلة بين هؤلاء «الوطنيين» وبين اصدقائهم وزملائهم في النضال الوطني، رجال

الوفد المصري، وأمست علاقاتهم وصلاتهم مع حكومة اسماعيل صدقي باشا الذي لم تكن له علاقة بالنضال.

اما تفسير هذا الافتراق في المصير بين هيئتين كانتا في الاصل متماثلتين، فهو ان هيئة سوريا استلمت الدولة، بينما كانت الدولة في مصر شيئاً ثابتاً موضوعاً في ايد لايجوز تبديلها. اما في سوريا، حيث لم يكن شيء من هذا، فالهيئة الوطنية فيها لم تستلم الحكم فحسب، بل اساس الدولة الثابت ايضاً. وان في هذا ما يبعد عنها مصير الوفد المصري، ولكن فيه ايضاً ما يحرمها صفة الوطنية التي تفرض الظروف بأن يظل الوفد المصري محتفظاً بها. وان التساند الذي نلمس اثره بين الحكومات العربية ليدل على شيء اكثر من رغبة التعاون وتوحيد الجهود في سبيل المصلحة العربية. انه يدل ايضاً على تفاهم مشترك بين هذه الحكومات وبين سياسة دولة اجنبية تفرض «تفاهمها» هذا فرضاً، وتقبل به الحكومات العربية لالأنه يحقق بالدرجة الأولى نفعاً كبيراً للعرب، بل لأنه يضمن لهذه الحكومات بقاءها واستمرارها. ذلك هو مصير كل حكومة لا تستطيع الاعتماد على الشعب لأنها لم تخرج من الشعب.

ازاء هذه الحقائق، لابد من تقرير مبدأ يفرضه واقع السياسة العربية الحاضرة، وتؤيده الحوادث كل يوم، وتكفل له ان يزداد مع الأيام وضوحاً وقوة، وهو: ان الوطنية، اي التعلق بالاهداف الاستقلالية والاخلاص لها، سواء في سوريا ام في غيرها من الأقطار العربية، وفي سوريا اكثر من اي قطر عربي آخر، قد انسحبت الى صف المعارضة، لأن الحكم اضحى مشبوهاً.

**ميشيل عفلق**

**٢١ تموز ١٩٤٦**

# السياسة الرسمية وشعور الامة

ملئت الأيام الأخيرة بالأخبار والتصريحات والشائعات [1] عن علاقاتنا الجديدة بفرنسا بمناسبة وصول وزير هذه الدولة المفوض الى لبنان وتقديم أوراق اعتماده، وقرب وصول وزيرها المفوض الى سوريا. بالأمس جددت سوريا ذكرى ميسلون، وأستعرضت ما حلّ بها من نكبات جرّها الانتداب الفرنسي على هذه البلاد طوال ربع قرن وأنتهت بالفظائع المنكرة والعدوان الغادر الذي أوقعته بنا فرنسا في أيار من العام الفائت.

كل هذا ذكرناه بالامس، ونعرف اننا لانستطيع نسيانه ولو ان السياسة الرسمية تقضي بأن نتظاهر بالنسيان. ولكن التظاهر لن يصل بنا الى حد الغفلة والاستسلام الأعمى.

ان شعب سوريا العربي يعرف بالتجربة الطويلة المرة من هي فرنسا. وهو مقتنع بأن المظاهر والتسميات الجديدة غير قادرة على تبديل حقيقة دللت عليها وقائع عشرات السنين في سوريا، وهي ان فرنسا لاتتنازل عن أطماعها الآثمة في بلادنا الا اذا أضطررناها الى ذلك أضطراراً.

نعرف أن للسياسة الرسمية قيوداً وأعتبارات تفرض على الحكومات ان تتبع أساليب اللباقة والمجاملة في تعاملها مع الدول الأجنبية. ولكن اذا جاز للسياسة الرسمية ألا تكون عاطفية، فمن واجبها ايضاً ألا تبلغ بها المجاملة درجة التحدي لعواطف الأمة.

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ١٧ الصادر في ٢٧ تموز ١٩٤٦.

ان أشد ما يؤلم شعبنا ويبعث أستنكاره هو هذا التباعد الذي يشاهده بين سياسة الحكومات من جهة وبين أمانيه القومية من جهة ثانية. فبينما نسمع في كل يوم جديداً عن الجرائم الوحشية التي ترتكبها فرنسا في بلاد عربية غالية، هي أفريقيا الشمالية، نرى الحكومة السورية تتجاهل روابطنا العميقة بخمسة وعشرين مليوناً من العرب مهددين بالابادة ونرى حكومة لبنان لاتكتفي بتجاهل هذه الروابط، بل تزيد على ذلك اعترافها بروابط ودية تجمع بين لبنان وفرنسا منذ أجيال!. ثم نرى فوق ذلك كله الأمين العام لجامعة الدول العربية يصرّح لمراسل صحيفة فرنسية: «ان فرنسا هي آخر بلد تحدثنا النفس بمناصبته العداء، فنحن أعلم بفضل فرنسا على مدنية العالم العربي وثقافته... أما مشكلة أفريقيا الشمالية فهي من نوع آخر، وليس لنا ان نتدخل معها الا اذا أستنجد أهاليها بنا».

دخلت الحكومات العربية ميدان السياسة الدولية منذ زمن قصير ولقد راقتها ـ على ما يظهر ـ الناحية السلبية في هذه السياسة، نعني ناحية التصريحات اللبقة والمذكرات الانيقة لأنها وافقت ميلها الى الجمود واستعدادها للقبول بالأمر الواقع، فأكثرت من التصريحات والمذكرات، وأسرفت في المجاملات أيما أسراف. اننا لم نلمس حتى الآن اثراً يدل على نجاح هذه السياسة مع الدول الأجنبية. الا ان ما نلمسه لمس اليد هو ان حكومات الدول العربية وجامعتها قد نجحت بأقصر وقت في ان تنفّر الشعب العربي من سياستها، وان تبغض اليه كل سياسة.

يؤلف العرب امة واحدة، على الرغم من هذه التجزئة المصطنعة المفروضة التي يضيقون بها ويستنكرونها. ويعرف العرب انهم في مرحلة نضالية حاسمة، على الرغم من سعي حكوماتهم لأن تظهرهم بمظهر الاستقرار والرضى والمسالمة. فاذا كانت وسائل هذه الحكومات ـ أو مصالح أشخاصها ـ لاتسمح لها بأن تعبر عن وحدة الأمة العربية على حقيقتها، وان تمثل نضال هذه الأمة في كل قوتّه، فلا أقل من ان تتحاشى في تصريحاتها وسياساتها ما يسيء الى سمعة الشعب العربي ويتحداه في أعز مشاعره القومية: أي شعوره بوحدته التي لاتنفصم.

**ميشيل عفلق**

**٢٧ تموز ١٩٤٦**

# السياسة المعكوسة

## السياسة المعكوسة : خصصت للشعب دهاءها وخصت عدوها بالوفاء

نستطيع القول[1] ان السياسة الخارجية في الدول الراقية هي وحدها التي ينطبق عليها المفهوم الرائج للسياسة عندنا، اي انها تتصف بالدهاء والكذب والانانية وليس اشبه بسياسة الغربيين الخارجية من سياسة العرب الداخلية.

فالدول الغربية لاتزال تجيز لنفسها اللجوء الى الاحتيال والمكر في علاقاتها مع الغير، لكي تحافظ على كيانها، وتوسع نفوذها. ولكنها قد هجرت منذ زمن طويل هذا الاسلوب في داخل بلادها، وغدت علاقة الحكومات بشعوبها قائمة الى حد بعيد، على الصراحة والصدق وحسن النية.

هكذا نرى تشرشل وايدن وغيرهما من حزب المحافظين الانكليزي يسايرون الاتحاد السوفييتي في زمن الحرب ليكسبوا محالفته، لأن مصلحة بريطانيا تقضي بذلك، حتى اذا تبدل الظرف وزالت المصلحة، رأيناهم ينتقدونه اشد الانتقاد، ويظهرون العطف على ألمانيا التي كانوا بالامس الد أعدائها. ولكنه لايعقل ان يرى تشرشل وزملاؤه المحافظون يدافعون في داخل انكلترا عن النظام الرأسمالي تارة، ويدعون الاشتراكية تارة اخرى. وهكذا نرى ايضاً ان الرئيس ترومان يخون ابسط مبادىء الديمقراطية عندما ينتصر للصهيونية على العرب، ولكنه لايستطيع، في بلاده الديمقراطية، ان يعطل صحيفة ولو يوماً واحداً.

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٢١ الصادر في ٣١ تموز ١٩٤٦.

اما الحكومات العربية، فان ما منيت به من ضعف وعجز قد فرض عليها ألا يكون لها سياسة خارجية بالمعنى الصحيح، لذلك فهي توجه كل دهائها السياسي الى الداخل. فهذه الحكومات في حقيقتها استبدادية تعطل الصحف، وتلغي الأحزاب، وتقمع حركات الشعب بالقوة، ولكن ذلك لايمنعها من الاشادة بالحكم الدستوري والتغني بالديمقراطية. وهي ايضاً حكومات اقطاعيين ورأسماليين مجوعين للشعب، ولكن ذلك لايمنع رئيس الوزارة السورية من ان يقول منذ اشهر في مجلس النواب انه سيكون اشتراكياً عند اللزوم، كما لم يمنع ذلك رئيس الوزارة المصرية من ان يسمي حكومته، منذ اسبوعين، حكومة اشتراكية! اما من حيث العلاقات الخارجية فيصح، بمعنى من المعاني، ان تعتبر حكوماتنا اصدق دول العالم، ولو انه صدق لا اختيار لها فيه، فهو مفروض عليها كنتيجة لضعفها واستسلامها لمن هو اقوى منها. فالحكومات العربية اصدق خلق الله في تنفيذ ما تعهدت به، ان سراً وان علناً، لبريطانيا والولايات المتحدة، اما المكر والدهاء والانانية الجشعة، والتكالب على النفوذ، فقد أبقته لسياستها الداخلية. وهي لاتترك وسيلة من وسائل الخداع، ولا تهمل اسلوباً من اساليب التمويه الا لجأت اليه حتى تتملص في تعهداتها نحو شعوبها، وتتراجع عن تصريحاتها الباطلة، وحتى تقود الشعب في النتيجة الى ان يقبل بشكل من الأشكال ما فرضه الاجنبي عليها لقاء دعمه لمراكزها.

ان المبدأ العملي الذي يمكن استنتاجه من سيرة السياسة المتبعة في الغرب هو: ان الحكومات تعامل شعوبها على اساس الصداقة، لأنها في الواقع تخرج من هذه الشعوب وتمثلها حق التمثيل وان هذه الحكومات، من جهة اخرى، يعامل بعضها بعضاً على اساس العداء، مهما كانت الأساليب لبقة، والأشكال مزوّقة، وان كل حكومة تفترض في غيرها الطمع وحب السيطرة، فتحتاط لذلك بالحذر والحيلة ومقابلة الشر بمثله.

فاذا عكسنا الآية، وقلبنا الامر رأساً على عقب، وجدنا امامنا سياسة الحكومات العربية واضحة جلية. فالاساس في علاقة هذه الحكومات بشعوبها هو العداء وليس

يعني هذا انها تكره شعوبها كرهاً عاطفياً، بل العكس يكاد يكون أقرب الى الواقع، وانما هي مدفوعة بعامل المصلحة، مصلحة اشخاصها وطبقتهم الاجتماعية، وبعامل الدفاع عن الذات والمحافظة على المركز والجاه، الى ان تكره ما تحب وتحب ما تكره. . فالحال الطبيعية هي ان يشعر رجال الحكم في قطر عربي ما، مهما كانوا بعيدين في تربيتهم وتفكيرهم ونمط حياتهم عن حياة الشعب، ببعض الحب لهذا الشعب الذي يتسمون باسمه ويعيشون من جهده، ويستمتعون بالمجد على حسابه. والحال الطبيعية تقضي ايضاً بأن يكنّ هؤلاء الرجال للدول الأجنبية الطامعة ببلادهم، المنافسة لهم على المنافع والأرباح، الشيء الكثير من الكره. .

ولكن المسألة هي ابعد ما تكون عن العواطف. فالمحتوم على الحكومات العربية ان تعادي شعوبها دون كره لهذه الشعوب، وهذا العداء يفرضه التناقض العميق الحاد الذي يقوم بين حكومات لاتستطيع البقاء في الحكم الا اذا استعبدت شعوبها وأفقرتها، وبين شعوب لاتستطيع تأييد من يفقرها، ودعم من يذلها ويستعبدها.

والمحتوم كذلك على الحكومات العربية ان تصادق الدول الاستعمارية دون حب لهذه الدول، وذلك لأن هذه الحكومات مخيرة بين اتباع احد طريقين: اما ان تقاوم الدول الاستعمارية مقاومة جدية، وهذا يضطرها الى ان تحشد جميع إمكانيات الشعب، وترفع من طريقه كل ما يعوق نشاطه وارتقاءه، فلا يبقى امامها مجال لاستغلاله وظلمه، واما ان تصر على استغلال الشعب، فتفقد تأييده في مقاومة الدول الاستعمارية، وتخسر معظم قواه النضالية التي يخنقها الفقر، ويطمسها الجهل، ويقتلها الظلم والضغط فتضطر الى مهادنة هذه الدول والاتفاق معها على تقاسم النفوذ والمنافع.

هكذا تظهر لنا صحة المبدأ الذي قررناه في اول هذا المقال، وهو ان علاقة حكوماتنا بالدول الأجنبية هي اشبه شيء بعلاقة حكومات هذه الدول بشعوبها، لأنها تقوم على اساس الثقة والتفاهم والتمثيل الصحيح، وما حكوماتنا الا ممثلة صادقة الى حد بعيد شاءت أم أبت، لمصالح الدول الاجنبية في بلاد العرب. ولكنها ابعد

ما تكـون عن تمثيـل مصلحـة الشعب العربي ، لذلك فهي في علاقتها به تحتاج الى ابرع انواع السياسة وادهاها . والحق ان علاقة الحكومات العربية بالشعب ليست الا علاقة طرفين اجنبيين ، تقوم على الحذر والغش والتنافس والتناحر .

ذلـك هو واقـع الحكـومـات العـربية ولو لم يكن في بلاد العرب غير الحكومات لكان هذا الواقع مدعاة الى التشاؤم التام . ولكن ثمة الشعب العربي وهو ما لايمكن ان يتنـاسى اويهمـل عنـد الحكم على واقـع السيـاسة العربية . فالشعب الذي عرف كيف يفرض ارادته على القيادة العاجزة المشبوهة فيرغمها على متابعة النضال الوطني كلمـا حاولت ايقـافـه ، يعـرف ايضـاً كيف يفيـد من هذه الأدوات الفـاسدة ويحد من اضـرارهـا ، ريثمـا ينضج الوعي ويكتمل التنظيم الشعبي فيستبدل بها ادوات صالحة تنسجم مع روحـه ومصلحتـه ، ويقف وإيـاهـا صفـاً واحـداً في وجه كل اجنبي طامع بأرضه ، متآمر على حريته .

ميشيل عفلق
٣١ تموز ١٩٤٦

# الجمهورية والحرية

## ماذا عملنا لصيانة نظامنا الجمهوري

لقد سبق لحزب البعث العربي ان أبدى رأيه في مسألة شكل الحكم فقال: «ان عرب سورية، والفئة الواعية منهم، الامينة للروح العربية والفاهمة لشروط النهضة الحديثة، تعتبر النظام الجمهوري خير ما يلائم في المستقبل روح الأمة العربية، ويسهّل بعث امكانياتها وازدهار نهضتها» ولكن الحزب قد اخذ في البيان ذاته، على الحكم الجمهوري في سورية امتهانه للحريات العامة.

وها نحن الآن، بعد مرور عام ونصف العام على بياننا المذكور، ومرور ثلاثة أعوام على تأسيس النظام الجمهوري، نجد أنفسنا مضطرين الى الاعلان مرة اخرى ان هذا النظام كما هو مطبق في سورية، يحتوي على تناقض عميق يهدده في كيانه، ذلك انه لايقيم للحرية وزناً، والجمهورية لاتعيش إلا مع الحرية.

نحن مقتنعون بأصلحية النظام الجمهوري، ومقتنعون ايضاً بأن الجيل العربي الجديد في كل بلد من بلاد العرب الواسعة، يتطلع الى هذا النظام ويرى فيه أكبر ضمانة لتحرر الشعب العربي من أوضاعه البالية، ولظهور كفاءآت هذا الشعب على حقيقتها وفي كل قوتها. ولكن اذا عرفنا ان الحكم الجمهوري في سورية قصّر كل التقصير في تمثيل النزعة الشعبية الحرة، وانه كان في حقيقته حكم أقلية ممتازة من المتزعّمين والعائلات الاقطاعية وان أبرز صفاته كانت: الاستئثار والاستثمار، استطعنا ان نقدّر مدى الضرر المزدوج الذي ينتج عنه: فهو من جهة قد أضاع على سورية ثلاث سنوات كان بالامكان ان تخطو فيها البلاد في طريق الانقلاب والنهضة خطوة واسعة، وهو من

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٣٣ الصادر في ١٨ آب ١٩٤٦.

جهة اخرى قد أساء الى سمعة النظام الجمهوري وشوّه صورته في نظر الرأي العام العربي.

تصاب الحكومات و «العهود» والأنظمة السياسية بأمراض وآفات وأزمات فتصمد لها وتتغلب عليها وتشفى منها، الا شيئاً واحداً اذا أُصيبت به ماتت به: ذلك هو مرض التناقض وهو في الواقع مجموعة أمراض تتراكم وتتفاقم حتى اذا بلغت ذروة الخطورة واستحال معها كل طب، ظهرت بمظهر واحد شامل هو التناقض. فالحكم الذي يسمي نفسه «وطنياً» وهو ينهش من جسم الوطن ويمتص دماء المواطنين، ويجعل من «الوطنية» تجارة ووسيلة لاذلال الملايين من أفراد الشعب وابقائهم في جحيم الجهل والفقر والمرض، ليتسنى لزمرة من المستغِلين ان يبذخوا ويلهوا ويتحكموا، والحكم الذي يسمي نفسه «دستورياً» وهو لا همّ له الا ابتكار الأساليب التي يحتال بها على الدستور، ليجعل منه أداة للعسف والاستبداد. وسبيلاً لحصر الحكم في قبضة فئة من المحترفين، ويبقي الأنظمة التي وضعها المستعمِر الافرنسي لافساد ضمير الشعب وتشويه إرادته، ليبقى الانتخاب مهزلة من أبشع المهازل، فيفقد الشعب أمامها كل ثقة وايمان بالدساتير والقوانين، وينقطع كل أمل له في امكان التطور وتبدل الحال، والحكم الذي يسمي نفسه «جمهورياً» وليس فيه أثر لرأي الجماهير، واحترام لارادتها، او حساب لمصلحتها، يستأثر فيه بالسلطة أشخاص معدودون لم يخرجوا من الشعب بل فرضوا عليه، ولم يحيوا حياته، ولا عرفوا آلامه، ولا شاركوه في بؤسه وشقائه، فروحهم الغطرسة والسيطرة، وروح الشعب الحرية والمساواة، وتفكيرهم هو تفكير المحافظة والجمود والراحة، لأنه ناتج عن الشبع والتخمة، بينما تفكير الشعب يتجه الى التجدد والانقلاب والنضال، لأنه نابع من الحياة السليمة الصادقة، ومن الوجدان الطاهر، طريقهم طريق الهرم والانحلال والمجد الزائف، وطريق الشعب طريق الحياة والبناء والخلود! ان الحكم الذي بلغ به التناقض هذا الحد، مصيره معلوم ونهايته محتومة.

اننا نعرف رجال هذا الحكم ونعرف انهم آخر من يقدّر قيمة الاتجاهات الفكرية وما لها من نتائج حاسمة في تقرير مستقبل البلاد. اذ لو كان لهم مثل هذا النظر الواعي

البعيد، لتورعوا عن تشويه نظام يتوقف على بقائه ونجاحه مستقبل النهضة العربية! ان نظامنا الجمهوري الذي يكيد له الأجنبي عن بعد، ويحصي عليه اخطاءه وهفواته لن يجد المدافعين عنه، المستبسلين في حمايته، بين رجال الحكم وزبانيتهم النفعيين، بل بين هؤلاء الشباب المؤمنين الذين يدفعهم اليوم ايمانهم الى مصارحته بالنقد والهجوم.

**ميشيل عفلق**

**١٨ آب ١٩٤٦**

# لاتزال قضيتنا قضية تحرر قومي

كانت حجة[1] هذه الفئة التي تزعّمت فيما مضى حركة النضال الوطني عن غير استحقاق، واستلمت من بعد مقاليد الحكم عن غير جدارة ولا حق. ان قضية البلاد هي «قضية خارجية»، اي انها تنحصر في التحرر من الحكم الاجنبي، فاذا ما تحقق للبلاد استقلالها انصرفت الى ما يقتضيه العمل الداخلي من اصلاح وانشاء. هكذا كانت تبرر عجزها عن تربية الشعب وتنظيمه في العهود السلبية، وامعانها في استغلال الشعب وافساد الحكم بدلاً من معالجة الفساد والترفع عن الاستغلال، في العهود الايجابية، اي عندما كانت تصل الى الحكم وتصرّف اموره. تلك كانت حجتها الى عهد قريب، اي إلى ما قبل الجلاء، كما هو واضح في خطاب للسيد سعد الله الجابري في المجلس النيابي. وكنا نردّ دوماً على هذه الحجة بقولنا: صحيح ان قضيتنا هي قضية تحرر من الأجنبي، ولكن قوة موقفنا من الأجنبي متناسبة مع قوة تنظيمنا وتماسكنا وسلامة اوضاعنا في االداخل. وقناعتنا ان الفئة الحاكمة لم تكن تهمل الاصلاح الداخلي تنفيذاً لخطة مرسومة من قبيل تأجيل أمر لتقدّم عليه ما هو أهم منه، بل إنها مسوقة الى ذلك سوقاً، مضطرة اليه اضطراراً، بعامل خاصتين بارزتين فيها: جهل بإدارة الدولة مطبق، ونفعية متأصلة ملازمة لتكوين هذه الفئة التي لاتستطيع ان تبقى في الحكم ساعة واحدة اذا هي لم تبح وظائف الدولة وموارد البلاد لاستغلال أسرها الكبيرة وأعوانها وحواشيها.

واليوم يبدو على الفئة الحاكمة الارتباك، ويخون المنطق دعاتها وصحافتها الأجيرة،

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٣٤ الصادر في ١٩ آب ١٩٤٦.

فلا تدري كيف تبرر استمرار التدهور واستفحال المرض، بعد ان فقدت بذهاب الأجنبي (حجتها) الكبرى، وعذرها المزيّف الواهي، فهي من جهة تعلن ان الاستقلال قد تم على اكمل شكل، ومن جهة اخرى ترى نفسها اعجز عن الاصلاح منها يوم كان الاجنبي في البلاد، لأنها خسرت بجلاء الأجنبي كل الذين كانوا يؤيدون حكمها او يتئدون في مهاجمته حرصاً على قوة الموقف في وجه العدو، فلم يبق حولها الآن الا زمرة المنتفعين الذين يشكلون اكبر عائق في سبيل الاصلاح، فكيف يرجى تحقيقه على ايديهم. ان التناقض والمغالطة قدر محتم على كل قيادة مصطنعة لاتمثل مصلحة الشعب ولا ترتكز على اسس شعبية متينة، فالفئة الحاكمة التي يعوزها التأييد الشعبي الصحيح فلا تعرف كيف تحتال لكسبه، رأت نفسها مضطرة الى المبالغة في وصف الاستقلال الحاصل لكي تنسب فضل ذلك اليها، فانساقت الى التناقض عندما تبين أن هذا الاستقلال بكل ما فيه من تمام وكمال، لم يمكنها من تبديل شيء في حالة الشعب الراهنة، واضطرت الى المغالطة عندما قدم رئيس الوزارة الحاضرة الى الامة بياناً إنقلابياً بينما عهده لا يزال حتى هذه الساعة استمراراً وتوسيعاً لكل ما في العهود الماضية من مساوىء.

اما الحقيقة التي يدركها الشعب من خلال التناقضات، وبالرغم من المغالطات، فهي ان وجود الأجنبي في الماضي لم يكن المانع الحقيقي لتلك القيادة من ان تحقق الاصلاح، ضمن حدود الممكن، وان جلاء الأجنبي اليوم ليس سبباً كافياً لتمكينها من تحقيق هذا الاصلاح بل العلة هي في صلب القيادة نفسها، وفي عقليتها الجامدة واوضاعها الاجتماعية الفاسدة. ولئن كان الأجنبي قد حال دون شيء فانما دون ظهور القيادة الصحيحة. وإذا كان جلاؤه يسمح بشيء فهو ان يتعرف الشعب الى قيادته الصحيحة فيتبعها عن وعي ويدعمها بايمان وينبذ المحتالين المستغلين نبذاً مؤبداً.

فنحن نقول للفئة الحاكمة ان باستطاعتها ان تعود الى التذرع بحجتها القديمة! فقضيتنا لا تزال ـ على حد تعبيرها ـ قضية خارجية، اي قضية تحرر من الأجنبي، اذ ما دام الأجنبي محتلاً لكثير من الأقطار العربية المحيطة بنا فهو دائم التهديد لاستقلالنا، حائل بيننا وبين وحدتنا، وليس لدينا من سبيل لدفع خطره، واتقاء

تهديده، غير العمل الداخلي الذي يقوي تماسكنا وينظم نضالنا، ويضاعف قوى هذا النضال في شعبنا، اننا لم نعتقد في يوم من الأيام ان دور الانشاء قد جاء. ولا يكون الانشاء الا في بلاد عربية موحدة تحررت من كل اثر لسيطرة الأجنبي او نفوذه. ولكن مهمتنا في المرحلة الحاضرة، بعد ان جلت الجيوش الأجنبية عن بعض اقطارنا، وخفت وطأة احتلالها في البعض الآخر، هي ان ننشىء النضال القومي ونبنيه بناء محكماً قوياً. ونحن اذ نحمل على هذه الحكومات التي ابتليت بها سورية، وندعو الى التخلص منها ومن الطبقة الاقطاعية المستغلة التي تكمن وراءها، فليس ذلك لأننا نطمع بأن يتحقق لنا في هذا الظرف المجتمع العادل الناهض الذي نريد، بل لعلمنا ان بقاء هذه الحكومات التي لاتستطيع ان تعيش الا في الفوضى والاستغلال والانقسام هو الذي يضعف موقفنا من الاجنبي، ويؤخر تحررنا النهائي منه، كما يؤخر وحدتنا القومية، ولسنا في هذا الظرف نحارب الاستغلال والسرقة والرشوة وفساد الادارة ونقص الكفاءة لأننا نحرص على العدل، ونتوق الى النزاهة، ونطمع في ان ينال المواطنون حقوقهم المشروعة فحسب، بل لعلمنا أن استغلال اقلية من المتزعمين والإاقطاعيين لأموال الدولة وجهود الشعب يفقد هذا الشعب معظم قواه المادية والمعنوية التي يستطيع بها ان يدافع عن استقلاله، ويناضل من اجل اهدافه القومية، ولعلمنا ان الحكم الذي يقوم على المنتفعين والسارقين والمرتشين، قد يقبل أشخاصاً ان يضحوا بثروة البلاد وبمستقبل اجيالها كي يضمنوا لأنفسهم ربحاً زهيداً، وجاهاً حقيراً. فالصحف الأجيرة ترضى لكي تربح العشرة أن تستمر معائب الحكومة التي تربح التسعين والحكومة التي لايهمها الا هذا الربح، تترك للشركات الاجنبية والدول الاجنبية ربح الملايين! هكذا يفرض هذا النوع من الحكم على بلادنا ان تبقى مستثمَرة ليس من قبل بعض ابنائها فحسب، بل من قبل الأجانب ايضاً، وان تكون ضعيفة ليس في نهضتها الداخلية فحسب بل ايضاً وخاصة في موقفها من الأجانب الطامعين المستعمرين، وفي صميم استقلالها ووجودها.

ان الشعب واع يقظ. فهو يعرف كيف يغتبط باستقلاله، ويتفاءل بمستقبله، دون ان ينخدع بأضاليل الذين لايتم لهم ما يريدونه من استثمار وانتفاع الا اذا اخفوا عنه ما

يشوب استقلاله من نقص. ويهدد مستقبله من خطر. الشعب مصمم على التخلص من الحكم الحاضر لأنه مصمم على الاحتفاظ بالاستقلال.

**ميشيل عفلق**

**١٩ آب ١٩٤٦**

# موقف الحزب من الحكومة[1]

نمر الآن بحادث يعد من أخطر ما تمر به البلاد في حياتها الاستقلالية. هذا الحادث هو ظهور الملاكات الجديدة التي أصدرتها الحكومة بعد ان خولها المجلس النيابي حق اصدار مراسيم اشتراعية. وكان مناسبة للكشف عن مرض يعانيه الحكم الراهن منذ بدايته. اذ لم يكن المرض ظاهرا بالشكل الكافي ولم تكن الافكار قابلة لان تتنبه الى هذه الناحية، لان امورا اخرى رئيسية وهامة، كانت تشغل الشعب.

فقد كان الامر الرئيسي الاول هو التحرر نهائيا من سلطة الاجنبي واحتلاله. فلما اجتزنا هذه المرحلة كان من الطبيعي ان تظهر العلة الكامنة في سياسة هذا الدور.

والواقع ان هذا الحكم مصاب منذ بدايته بعلة اساسية هي انه لايخلص للمبادىء الدستورية التي هي أساس الحكم قانونا. فالرجال الذين استلموا مقاليد الحكم. او المجموعة المسيطرة منهم على السياسة لاتقنع، او هي لاتريد ان تقنع، بأن الدستور هو شيء جدي في حياة البلاد، وانه السبيل الى ضمان صلاح الحكم وترقية أحوال البلاد والشعب.

لقد كان الدستور ذريعة لهم امام الاجنبي، فكانوا يعترضون على كل حكومة تنشأ وتؤلَف على غير الاسس الدستورية.

ومن المؤسف ان يكون الدستور، هذا الشيء الاساسي في حياة الامم، مجرد

---

(١) نص الخطاب الذي ألقاه الاستاذ ميشيل عفلق في الاجتماع الذي عقده حزب البعث العربي لاعضاء الحزب في دمشق في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٦، والذي بحث فيه ملاك وزارة الداخلية وموقف الحزب من الحكومة الحاضرة. وقد نشر في جريدة «البعث»، العدد ٦٢.

ذريعة فقط لهؤلاء الرجال امام الاجنبي اذ ما لبثت نظرتهم اليه ان تبدلت، فغدا كل ما هو نظامي وشرعي وقانوني، في نظرهم اشياء شكلية ليس غير، من السهولة ان تستغل ألفاظها وتحور معانيها، وليس ثمة من غضاضة او حرج في الاحتيال عليها وامتهانها!!!

فنحن نجد انفسنا اذن، في صف مناقض ومعاكس ومعارض تماما لهذه المواقف التي يتبناها رجال الحكم. فنحن معارضون لهم في اكثر الاشياء التي تصدر عنهم، ولكننا نشعر جيدا في هذه الناحية اننا معارضوهم الى أبعد الحدود. اننا ننظر الى المبادىء الاساسية للدولة، كشيء ضروري لسلامة سير السلطات وعلاقات بعضها ببعض، وانها الواسطة الوحيدة لتربية الشعب السياسية ولتقدمه في شتى مناحي الحياة. وهم لايعيرون هذه الاشياء أية عناية او تقدير. فالمخالفات الدستورية ليست جديدة بالنسبة الى هؤلاء، فقد بدأت منذ ان بدأوا الحكم. فكثيراً ما احتالوا على المجلس بالتأجيل وتعطيل الجلسات لئلا تحصل الاكثرية، وكثيرا ما اقدموا على مخالفات صريحة للدستور، فاعتقلوا بدون محاكمة وعطلوا الصحف ومنعوا الاجتماعات، عدا عن تصرفات مختلفة تمس النواحي المالية في الدولة وغير ذلك... ولكن الاستهتار تبدي على اضخم شكل وابشعه في اصدارهم لهذه الملاكات. فالشيء الطبيعي المفهوم بداهة ان المجلس عندما يخول الحكومة صلاحية اصدار ملاكات، انما يقصد ان تضع الحكومة الملاكات اللازمة لتنظيم دوائر الدولة وأمورها ضمن القوانين، فيختار هذه الوسيلة للاسراع في العمل. ولايقصد مطلقا ان تخالف الحكومة الدستور او القوانين الاخرى. ولكن الحكومة قد أساءت استعمال هذه الصلاحيات واستغلتها فجاءت في كثير من النواحي مخالفة للدستور في اهم مواده. فالمشكلة في نظرنا تتلخص في ناحيتين:

١ ـ عادة الحكومة، الاستهتار بالدستور، وخرقه بسهولة، وجعل ذلك سنة من سنن الحكم في بلادنا. وهو شر كبير في نظرنا في بدء هذه الحياة الاستقلالية والمبادىء التي يرتكز عليها نظام الحكم عندنا. وسيكون لهذه السنة السيئة افظع النتائج، اذا لم يظهر رد فعل قوي جدا، من جانب الشعب وهيئآته السياسية. لكي

يهزوا رجال الحكم وينبهوهم بعنف، الى ان امر تسلم مقادير امة ودولة ليس لعبا ولا مزاحا!!..

٢ ـ مسألة الحريات قد تجلت في ملاك الداخلية الذي قضى على المواد التي ضمن بها الدستور الحريات العامة. فلا حرية فردية ولا اجتماعات سياسية ولا احزاب ولا صحافة حرة... بل صحافة موظفة أجيرة تعيّنها الحكومة وتشرف عليها بالشكل الذي تريد...

فمن الناحية التربوية ليس هناك ضرر اكثر وبالا من هذا الشر. فنحن نظرا لما قاسته بلادنا من خضوع للاجنبي، خلال أزمنة متطاولة، ونظرا لما سيطر على النفوس من خنوع للسلطة والقوة، نحتاج الى تُنشيط فكرة الحرية والممارسة الديمقراطية...

واما من الناحية السياسية، فلا شك ان كل حياة سياسية تنعدم بوجود هذه الملاكات وهذه السلطة الاستبدادية التعسفية، فلا معارضة ولا انتخابات حرة ولا مجالس نيابية صحيحة، اي ان امور الدولة ومقدراتها ستوكل الى مجموعة من الاشخاص يتصرفون بها حسب اهوائهم وكفاآتهم وأخلاقهم الفردية نزيهة كانت أم غير نزيهة.

وبالجملة، فان السياسة التي تتبعها حكومات هذا الدور والتي تركزت في ملاك وزارة الداخلية الاخير، هي سياسة مناقضة كل المناقضة لمبادئنا ونظرتنا الى الحياة العامة، ونعتبرها منافية لمصلحة الامة، ونرى ان الوقوف في وجهها والحيلولة دون تنفيذها واجب قومي مقدس.

**٣٠ تشرين الاول ١٩٤٦**

# موقفنا من الحكومة الحاضرة

كثيراً ما ألقي علي هذا السؤال خلال الجولة الاخيرة التي قمت بها في سوريا[1]، وكنت أجيب دوماً بصراحة ان موقفنا من الحكومة الحاضرة لايختلف عن موقفنا من جميع الحكومات التي سبقتها خلال العهد البرلماني الاخير. ونحن حينما ننطق بهذا الحكم انما نستمده من الاسس الثلاثة التي قامت عليها عقيدتنا القومية والتي اصبحت من المميزات البارزة التي اختص بها حزبنا، فكان حزباً: **عربياً انقلابياً شعبياً**.

ان حزبنا هو حزب عربي بمعنى لم يتخذه اي حزب آخر. فهو لايكتفي بأقرار الفكرة العربية وانما يسعى في واقعه، عدا عن فكرته، الى ان يكون الحزب العربي الشامل المنتشر في كل الاقطار العربية، والذي يعالج المشاكل العربية ككل لايتجزأ، ولا يعالج المشاكل القطرية ومنها «مشاكل سوريا» الا على ضوء مصلحة الامة العربية الواحدة.

والصفة الثانية لحزبنا هي انه حزب انقلابي، فهو لاينظر الى الامور السطحية والعارضة في السياسة العربية وانما يسعى الى قلب اسس هذه السياسة، ويعتقد ان الاصلاحات الثانوية التي تنادي بها الحكومة الحاضرة وتعتبرها رئيسية تتبع حتماً ذلك الانقلاب.

والصفة الثالثة لحزبنا انه شعبي. فكل شيء لايمس مصلحة الشعب او لايقدم فائدة لقضية الشعب العربي نهمله ونستخف به، فما دامت هذه الحكومة لاتختلف عن

---

(١) جواب الاستاذ ميشيل عفلق، اثناء الاجتماع العام الذي عقده حزب البعث العربي في دمشق مساء ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧، على سؤال وجهه اليه أحد الاعضاء عن موقف الحزب من الحكومة الحاضرة. ونشر في جريدة «البعث»، العدد ٩٩.

الحكومات السابقة في هذه النواحي الثلاث الرئيسية فموقفنا لن يتغير قط.

هذه الحكومة لاتختلف عن سابقاتها في السياسة العربية، فقد أقرت الانفصال والانكماش بالرغم من التظاهر بالميل الى الوحدة ولكننا لانجد عملياً أية تضحية فعلية في سبيل الوحدة العربية.

اذ ان الخطوات الاولى في سبيل الوحدة العربية هي التمرد على كل نفوذ يحاول الاجنبي فرضه او تعزيزه في اي قطر من اقطار الوطن العربي، والعمل على ازالة تلك الحواجز والحدود التي فرضها الاجنبي والتي استمرت الفئات الحاكمة العربية على الاعتراف بها واحترامها: كالرسوم الجمركية وجوازات السفر والجنسيات المختلفة التي تجعل العلاقات الرسمية بين البلاد العربية لاتختلف في شكلها عن العلاقات التي تقوم بين دول اجنبية تنتمي الى قوميات مختلفة. وان كل تغزّل بالوحدة العربية تتبجح به الطبقة الحاكمة في سوريا انما هو تغزّل لفظي سطحي ليست له اية قيمة جوهرية عميقة.

وان موقف الحكومة الخائر المتردد من المناورات الاستعمارية البريطانية التي ظهرت على المسرح السياسي بأسم الكتلة الشرقية ومؤتمر لندن ومشاريع التقسيم في فلسطين، والتي من شأنها طعن القومية العربية في الصميم وبلبلة الوعي القومي في نفوس جماهير الشعب العربي، قلت، ان موقف الحكومة الخائر المتردد من هذه المناورات دليل واضح يؤيد ما ذهبنا اليه من عدم تبنيها سياسة قومية عربية تحريرية شاملة.

واما من **الناحية الانقلابية** فلايمكن ان ننسب الى الحكومة الحاضرة أية سياسة انقلابية وانما أتت لتخدر بعض التخدير ولتصلح ـ ان استطاعت ـ بعض الاصلاح. لقد استفادت من اخطاء الحكومة السابقة فأتت لتربح من المقارنة بينها وبين الحكومة السابقة. وفي رأينا انها لن تربح سوى اشهر قليلة ثم يكتشف الشعب حقيقتها.

اما ما اعلنته في بيانها الحكومي عن احترامها المطلق للحريات الدستورية وعزمها، على تطبيقها بتجرد ونزاهة فلا يزال حتى الآن تعهداً وادعاء. ونحن نؤمن ايماناً عميقاً بأن هذا التعهد فُرض عليها من قِبل الشعب فرضاً، لأن الشعب هو الذي كسب معركة الحرية بما اظهره من وعي ونشاط حتى زعزع الفئة الحاكمة واضطرها على

الاذعان لرغبته مرغمة. ويجب ان لاننسى ان اكثر هؤلاء الرجال الذين يؤلفون الحكومة الحاضرة سبق ان كانوا في الحكم، ولم يكونوا مختلفين في سياستهم عن سياسة الحكومة السابقة التي داست الدستور.

وليس للعناصر الجديدة التي اشتركت في الحكم من النفوذ والتأثير ما يسمح لنا بأن نأمل بحصول تبدل في عقلية الحكام. والشيء المرجح في نظرنا هو ان سياسة الفئة الحاكمة لا تزال هي هي لأن العقلية واحدة والمصالح واحدة، وكل ما في الامر ان هذه الفئة التي مرنت السياسة المحلية مراناً كبيراً تعرف كيف تتراجع مؤقتاً تحت وطأة الضغط الشعبي ثم تعود الى سيرتها الاولى بعد زوال العاصفة.

ونحن نعتبر ان تعديل قانون الانتخاب وجعله على درجة واحدة انما هو الخطوة الاولى الذي يفسح الطريق ويحطم العوائق التي تقف في وجه الانقلاب المنشود، اذ لانستطيع ان نتصور انقلاباً يمكن ان يتم في ظل هذا القانون الرجعي وأضرابه من القوانين التي فرضها المستعمِر ليعزل الشعب عن مشاكله وليمنعه من استلام قضيته بيده وليحول بينه وبين التعبير بملء الحرية عن إرادته وتنفيذ هذه الارادة بعزم وصدق.

والحكومة في بيانها وفي تصرفاتها لم تستطع حتى الآن ان توحي الينا الثقة في صدق عزيمتها على القيام بهذه الخطوة الانقلابية البدائية وانما عمدت الى التلويح الغامض والاشارة البعيدة التي ترمي من ورائها الى تخدير الشعب والتغرير به فأقرت «بتعديل» قانون الانتخاب فحسب دون ان تلبي نداء الشعب باعلان التعديل الحقيقي، **الا وهو جعل الانتخاب على درجة واحدة**.

ونحن واثقون ان الحكومة لن تذعن لهذا النداء الصارخ ولن تقدم على جعل الانتخاب على درجة واحدة الا بعد ان يعلن الشعب النضال من جديد لحملها على اجراء التعديل عنوة.

اما بصدد الصفة الثالثة، وهي الصفة الشعبية، فإن الحكومة الحاضرة لاتمثل الشعب، لأنها من الطبقة الاقطاعية الرأسمالية المستغِلة التي لاتحس بآلام الشعب: فهي لاتدرك آماله، ولا تلبي حاجاته الحقيقية. فلقد رأيتم هذه المهازل التي يتكرر تمثيلها حول مكافحة الغلاء، وهي مكافحة عقيمة فاشلة عابثة، لأنهم لم يحاولوا

معالجة أصل الداء بل يكتفون بالتخدير والاندفاع وراء الحلول السطحية الزائفة.

اننا نؤمن بأن اية معالجة لمشكلة الغلاء لاتتناول مصادر الغلاء الحقيقية في حياتنا هي معالجة سطحية وفاشلة، لأن مشكلة الغلاء في وطننا هي مشكلة عميقة تتصل بأسس نظامنا الاقتصادي والاجتماعي الفاسد. انها مرتبطة اشد الارتباط بوجود هذه الطبقة النفعية المستغِلة الجاثمة على صدر الشعب، وبوجود هذا النظام الاقتصادي الفردي الاناني الطليق من كل رقابة او اشراف فعلي من دولة واعية حازمة تمثل الشعب تمام التمثيل.

فمشكلة الغلاء لن تحل الا على ضوء المبادىء الاشتراكية التي يدعو اليها حزبنا بحرارة وايمان. انها لن تُحل الا بتأميم الشركات الاجنبية وجعلها ملكاً للدولة، وانقاذ الشعب من استغلال تلك الشركات لحاجاته الحيوية من ماء وكهرباء ومواصلات، والا بتوزيع الاراضي التي تملكها الدولة على صغار الفلاحين فتنقذهم من الترامي في احضان الاقطاعيين الذين يستنزفون دماءهم ويمتصون جهودهم ويمنحونهم نوعاً من الحياة هي اقرب الى العري والجوع لقاء كدحهم المستمر في حمّارة القيظ وصبّارة القر، وإلا بحمل كبار الاقطاعيين والرأسماليين حملاً على انصاف العمل والحد من طغيان الملكية والرأسمال ومنح الفلاح والعامل حقهما الطبيعي في العيش عيشاً انسانياً كريماً.

ولكننا واثقون كل الثقة بأن هذه الحكومة وأضرابها ـ بحكم مصالح افرادها الطبقية وبحكم وعيها القومي الغامض المضطرب ـ بعيدة كل البعد عن ان تخضع للمصلحة القومية العليا وان تتحرر من انانيتها الضيقة وطبقيتها الظالمة.

واريد ان اوضح هنا اننا لانصدر احكامنا بدافع السلبية المتطرفة والتشاؤم المظلم او الحقد الشخصي، وإنما نستوحيها من تحليل دقيق ودراسة شاملة لأوضاع الفئات الحاكمة في بلادنا على ضوء عقيدتنا القومية واستناداً الى الدعوة والمبادىء التي اعتنقها «حزب البعث العربي».

وسنبقى متفائلين دوماً ومؤمنين بالمستقبل المشرق الذي يمليه الغد لأمتنا العربية على يد الجيل العربي الجديد المنبثق من صميم الشعب المدرك لمسؤوليته ولخطورة هذه

المرحلة التاريخية التي تمر بها امته، والحامل للواء البعث العربي والانقلاب الشعبي الجديد.

**٢٧ كانون الثاني ١٩٤٧**

# نضال الشعب كفيل باحباط المؤآمرات

قبل عام خلا، في اول عيد للجلاء، أفصحت، الفئة الحاكمة، في خطاب رسمي، عن السياسة التي تنوي اتباعها بعد زوال الاحتلال وعبرت عن نظرتها الحقيقية الى الاستقلال كواسطة لاستعباد الشعب واستغلال الحكم، واظهرت بشكل لايدع مجالا للشك ان الحرية عندها لاتحوي اي معنى ايجابي، وليست سوى احلال الاستبداد الوطني محل الاستعمار الاجنبي. هكذا لم يجيء في الخطاب الرسمي اي ذكر لحق الشعب في توجيه سياسته ومقدراته، وأية اشارة لحق الشعب في تأليف الاحزاب السياسية وعقد الاجتماعات العامة والتعبير عن آرائه وإرادته بملء الحرية، بل كان الخطاب دعوة الى الشعب لكي ينصرف عن السياسة الى اعماله الخاصة وإغراء لشباب الامة بالوظائف، واقناعهم بأن الطريق الذي يستطيعون فيه اثبات الكفاءآت ونيل المكافآت هو طريق الالتفاف حول الحكومات والدخول في طاعتها، وتسخير معارفهم وضمائرهم لتأييدها وتقويتها.

وتألفت اول وزارة بعد الجلاء على هذا الاساس ونعتت نفسها بأنها «انقلابية» وظهر من اعمالها انها تقصد بالانقلاب القضاء على البقية الباقية من الحرية والحكم الدستوري التي كانت تضطر الى المحافظة عليها في وقت الاحتلال وتقدمت هذه الوزارة الى المجلس النيابي بمشروع الملاكات المشهورة التي عدت على الدستور فتركته مزقاً وحطاماً. وسعت الفئة الحاكمة بكل مالديها من وسائل لتنفيذ تلك المؤآمرة الشنيعة على حرية الشعب وحقوقه فاستخدمت الاقناع والاغراء والارهاب،

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ١٥٦ الصادر بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٤٧.

واستغلت حادث انتخاب سوريا عضوا في مجلس الامن فجسمته وضخمت اهميته اضعافا مضاعفة. والقي خطاب رسمي يوهم الشعب بأنه اصبح حَكَماً بين أمم الارض ورقيبا على القنبلة الذرية، فما باله يتعلق بالتافه من الامور، اي بالدستور والحرية؟ ولكن الشعب الذي شرى حريته بالدماء الغالية انتفض انتفاضة الاباء والشرف، وارغم الفئة الحاكمة على سحب الملاكات والرجوع - ولو الى حين - عن تنفيذ مؤآمراتها. والقي خطاب آخر يسجل هذا التراجع، وقيل فيه بأن من حق الامة ان تؤلف احزابا! هذه الكلمة التي لو قيلت على أثر الجلاء لدلت على شيء من الصدق والوعي والجرأة، ولكن قولها على اثر فشل المحاولة الدكتاتورية الحقيرة، وبعد ان مضى على جلاء الجيوش الاجنبية ثمانية اشهر، كان دليلا جديدا على ما اتصفت به الفئة الحاكمة من كذب وتلاعب. وقصر في النظر وجبن في النفس. لقد قدر عليها ان تمشي في مؤخرة الشعب دوما، فالشعب يجرها الى النضال ضد الاجنبي جرا ولكنها تنتحل هذا النضال وتقطف ثماره والشعب يقبض عليها متلبسة بجريمة خرق الدستور، ولكنها تظهر بمظهر من يصون الدستور ويحمي ذماره.

ثم جاءت الحكومة الحاضرة، حكومة السيد جميل مردم الذي كسب شهرته السياسية من براعته في خداع هذا الشعب واللعب عليه والتلاعب بمقدراته ومصالحه طول عشرات من السنين، فأوكلت اليه مهمة انقاذ الفئة الحاكمة بعد ان انكسرت شوكتها امام غضبة الشعب، فقام بمهمة التخدير والتغرير خير قيام واعلن في المجلس النيابي تعهده بصيانة الحريات الدستورية، وتلبيه الرغبة العامة في تعديل قانون الانتخاب، وما زال يسوف ويماطل. حتى فاجأ البلاد بهذه المؤآمرة الاجرامية على حريتها ومستقبلها فخان العهد الرسمي الذي قطعه هو ووزراءه على انفسهم امام المجلس والامة، وامتنعت الحكومة، بعد اضاعة الوقت الطويل، عن تقديم اي مشروع بتعديل القانون الانتخابي، مع انها لم تنل الثقة وتستمر في الحكم الا على اساس القيام بهذا التعديل.

اننا نتهم حكومة السيد جميل مردم بالتآمر على الدستور ومصلحة الامة. فالدستور لايجيز لها ان تقف هذا الموقف السلبي من تعديل قانون الانتخاب، بل

يقضي عليهـا ان تقـدم الى المجلس مشروعا بالتعديل وتلقي عندئذ مسؤولية قبوله او رفضـه على المجلس نفسـه، خاصـة وان القيـام بتعديل القانون الانتخابي كان ابرز نقطة في بيانها الوزاري. اما مصلحة الامة فلا تسوغ ان تتجاهل الحكومة أمراً حيويا كهذا الامر، ورغبة عميقة شاملة عبر عنها الشعب بكل الوسائل واقوى الطرق، لانها تتصل بأمله في التقدم وحرصه على توطيد دعائم استقلاله.

ان الفئـة الحـاكمـة في سوريـا مافتئت منـذ أربـع سنـوات تتـآمـر على الحكم الدستوري بغية الوصول الى حصر جميع السلطات في ايدي افراد معدودين يمثلون مصـالـح اسـر اقطاعية لاتعيش الا لتستغل الشعب وتسرق ثمار تعبه وجهده، ولاتفكر الا بعقلية الطغاة والمستبدين. وهي الآن ماضية في مؤآمراتها، تحاول ان تسد على الشعب ابـواب التحـرر والانعتـاق، واول ماتـرمي اليـه من وراء احتفـاظهـا بقـانـون الانتخـاب الاستعمـاري ان تطعن النظـام الجمهـوري في صميمه، فتعدّل الدستور لتحويل الحكم الجمهوري الى حكم فردي دكتاتوري.

تلك هي رغبـاتهـا الاجـراميـة، ولكن حيوية الشعب العربي، ووعيه المتنامي، وإرادتـه التي يزيـدهـا النضال قوة وصلابة، سوف تقضي على هذه الرغبات، وتحبط المؤآمـرات، بوقفـة جبـارة عنيـدة تقفهـا الامـة بمختلف طبقاتها وهيآتها، في الايام القريبة الآتية، لتقول للحكومة ولمن يشايعها في المجلس: لقد دخل الشعب ميدان العمل القومي. فلترتعد فرائص المستغلين والمستهترين!.

**ميشيل عفلق**

**٢٣ نيسان ١٩٤٧**

# بيان عن
# تزوير الانتخابات في لبنان

ان الانتخابات التي جرت مؤخراً في لبنان[1] ليست بالحادث المحلي الذي يمكن ان يهمل ويسكت عنه، بل هي ذات مساس مباشر بمصلحة الشعب العربي العليا، وذات أثر عميق في حاضر هذا الشعب ومستقبله.

ولقد دلت هذه الانتخابات على ثلاث ظواهر:

١ ـ ان الحكومة اللبنانية، بلجوئها الى أساليب التزوير والتلاعب، وأعمال الارهاب والضغط، في بلاد حرة مستقلة قد أساءت اكبر إساءة الى الاستقلال الذي تدعي لنفسها شرف الحصول عليه والدفاع عنه، وبرهنت مرة اخرى على انها تتخذ من الاستقلال ستاراً ووسيلة لاحتكار الحكم واستغلال نفوذه وخيراته.

٢ ـ ان السياسة التي اتبعتها الحكومة اللبنانية في الانتخابات قد قرنت أسم الاستقلال بأعمال الغش وتشويه الحق والتعدي على الحريات، الى حد كاد يجعل النزاهة والحق والحرية في صف الخونة وصنائع الأجنبي، مما يقوي هؤلاء ويثبت أقدامهم في البلاد، ويكسبهم عطفاً لايستحقونه، بدلاً من ان يقضي على البقية الباقية منهم ويمحو آخر اثر من آثارهم.

٣ ـ ان الغاية الحقيقية التي ترمي اليها الحكومة اللبنانية من وراء تذرعها بمحاربة أعداء الاستقلال هي الحيلولة دون نجاح العناصر الواعية المخلصة التي تمثل حاجات الشعب العربي في لبنان ورغباته تمثيلاً صادقاً وتشكل الخطر الحقيقي على الفئة الحاكمة

---

(١) بيان من حزب البعث العربي الى الشعب العربي في سوريا ولبنان يطالب فيه بألغاء انتخابات لبنان المزورة وتوحيد نضال العرب ضد الطغيان والاستثمار. وقد نشر في جريدة «البعث»، العدد ١٨٤ الصادر في الاول من حزيران ١٩٤٧.

ومطامعها في السيطرة والاستغلال.

فالشعب العربي في سوريا اذ يعلن استنكاره الصارخ لأعمال الحكومة اللبنانية، وتأييده المطلق لشعب لبنان الشقيق في مطلبه العادل الحق بالغاء هذه الانتخابات المزورة وفسح المجال لظهور الارادة الشعبية الصحيحة، يعرف معرفة واضحة ان ما حدث في لبنان لن يكون شيئاً مذكوراً بالنسبة الى ما يتوقع حدوثه من قبل الفئة الحاكمة في سوريا بمناسبة الانتخابات المقبلة القريبة. لذلك فهو يشعر شعوراً عميقاً قوياً بضرورة التضامن مع شعب لبنان الشقيق في سبيل وضع حد حاسم لهذا النوع من الحكم الجاثم على صدور السوريين واللبنانيين، الذي هو في الواقع أشد خطراً على الاستقلال من أطماع الدول الاستعمارية ودسائس عملائها المأجورين وانه ليغتنم هذه الفرصة ليعلن منذ الآن للفئة الحاكمة في سوريا، دون استثناء او تفريق بين أشخاصها، سواء كانوا وزراء أم رؤساء، وسواء أكانوا في الحكم أم خارج الحكم، انه مصمم على النضال المستميت من اجل انتزاع حريته واسترداد حقوقه القومية المقدسة، غير مبال ولا منخدع بالتصريحات الرسمية عن حياد رجال الحكم في الانتخابات، لأن السلطة التنفيذية قد أمست مشبوهة كلها في نظر الشعب فلا ينتظر منها الا الخداع والتآمر.

ان حزب البعث العربي الذي ما برح يناضل في سبيل أستقلال الشعب العربي وحريته ووحدته في سبيل مصلحة الطبقة الشعبية الكادحة، يقف اليوم ليضم صوته وجهوده الى جهود جميع المناضلين العرب في لبنان وكل قطر عربي آخر، مهيباً بهم الى مواصلة النضال ومضاعفته لكي تخلص الحركة العربية من شوائب الطغيان والاستثمار، وتظهر بوجهها الحقيقي المؤتلف مع فكرة الحق ومبدأ الحرية وسيرة العدل والاستقامة.

**عميد «البعث العربي»**
**ميشيل عفلق**
**دمشق في ٣٠ آيار ١٩٤٧**

# آن للشعب ان يفضح المؤامرات ويقضي عليها

## دمشق مسؤولة عن مصير البلاد كلها[1]

قبل يومين او ثلاثة أفضى رئيس الوزراء بتصريح أدّعى فيه ان حكومته حكومة حيادية، وان الدليل على حيادها هو انها موضع هجوم المعارضين والمؤيدين على السواء.

ويهمنا هنا ان نكشف عن المغالطة التي تكمن في هذا الادعاء. ان المعارضة التي تهاجم الحكومة وتنكر عليها حيادها، والتي عناها رئيس الوزراء في كلامه هي المعارضة الشعبية التي تكاد تشمل مجموع الشعب والتي لم يكن لها في المجلس الراحل من يمثلها، في حين ان المؤيدين الذين يشتركون في تلك المهاجمة انما هم من نواب ذلك المجلس، ويكاد لا يكون لهم وجود خارجه. اما المعارضة البرلمانية فهي مؤيدة لبقاء الحكومة الحاضرة لأنها مشتركة فيها مطمئنة اليها. فرئيس الوزراء يغالط اذن عندما يدعّي ان المعارضة تهاجم حكومته، لان المعارضة التي يهتم بها ويحسب لها حساباً هي المعارضة البرلمانية، وهذه مؤيدة له، في حمص وحماه وحلب. وهو يغالط مغالطة أبشع وأفظع عندما يحاول ان يوهم الشعب بأن المؤيدين ـ والذين هم ليسوا سوى بعض افراد الفئة الحاكمة وأتباعها ـ انما يهاجمون الحكومة لخوفهم من تدخلها في الانتخابات، لان مهاجمتهم لها هي في الواقع لخوفهم من عدم تدخلها التدخل الكلي لنصرتهم وضمان النجاح لهم وحدهم، دون اشراك احد معهم من أفراد المعارضة

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ١٩٥ الصادر في ١٥ حزيران ١٩٤٧.

البرلمانية الممثلة في الحكومة الحاضرة.

لم ينس الشعب بعد ان الوزارة الحاضرة تشكلت بنتيجة ثورته على حكومة الملاكات المشؤومة، مما أتاح للمعارضة البرلمانية التي وقفت أثناء تلك الازمة ـ تحت ضغط الشعب واحراجه ـ موقف المدافع عن الدستور والحريات العامة، ان تدخل في الوزارة ممثلاً لها يدعم موقفها في الانتخابات المقبلة. ومنذ ذلك الحين تظاهر بعض المؤيدين، من أعضاء حكومة الملاكات الدكتاتورية وأنصارهم، بالمعارضة للحكومة الحاضرة، لا لان أكثر أعضاء هذه الحكومة ورئيسها ليسوا من حزبهم، بل لانهم تساهلوا بقبول وزير واحد من غير حزبهم، مما يخل بالقاعدة التي درجوا عليها وهي الاستئثار المطلق بالحكم.

فالهجوم الذي يوجهه اليوم الى الحكومة بعض المؤيدين من «الكتلويين» او اعضاء «الحزب الوطني» الجديد، في المدن الثلاث حمص وحلب وحماه، يقصد منه إصلاح ما طرأ على القاعدة من خلل جزئي، والرجوع الى ذلك الاستئثار المطلق، بان يبعد عن الحكم الوزير المعارض الوحيد الذي كان وجوده في الوزارة كافياً لكي ينعش زملاءه من النواب المعارضين في مدن ثلاث كبيرة، ويرفع ضغط الخوف عن أنصارهم. فيهدد بذلك حزب الفئة الحاكمة في تلك المناطق بالزعزعة والانهيار.

هذا هو الحياد الذي يدّعيه رئيس الوزراء: تسوية ومساومة بين الاكثرية والاقلية من نواب المجلس السابق، على حساب الشعب وحريته ومصلحته، تدخل وضغط وتلاعب من قبل الحكومة لمصلحة الطرفين المتعاقدين، بنسبة أهمية كل منهما وقوته.

ولئن شقّ على الفئة الحاكمة ان تقبل هذه التسوية. وهي التي ما أعترفت بالمساواة لوطنيّ غيرها ولئن آلمها ان تلجأ الى تلك المساومة، وهي التي ما أعتادت ان تساوم غير الاجنبي، فهي بالرغم من ذلك راضية مطمئنة، ورضاها واطمئنانها يعودان الى سببين هامين:

اولاً ـ لأن الخصم الذي تعاقدت معه هو خصم وليس عدواً، يختلف عنها في الدرجة لا في النوع وهو ان لم يكن من الفئة الحاكمة فانه من الطبقة الحاكمة، طبقة الاقطاعيين ومحترفي السياسة، وهو على كل حال بعيد كل البعد عن الشعب وعن

تمثيل المصالح الشعبية الصادقة.

ثانياً ـ لأن دمشق، وهي عاصمة البلاد ومحور سياستها، بقيت بعيدة عن المساومة، وحيدة في نضالها ضد طغيان الفئة الحاكمة، لم يمثل الشعب فيها طوال السنوات الاربع الاخيرة في المجلس نائب واحد، وليس لها، ولا يعقل ان يكون لها في الحكومة احد ترى الطبقة الشعبية في وجوده ضمانة لرفع الضغط عنها، ودفع التعدي عليها، والوقوف بصدق وجرأة في وجه التلاعب والتزوير.

هكذا حسبت الفئة الحاكمة حسابها، ودبرت مؤامراتها، فهي عندما رأت ان لامناص من الاعتراف بالمعارضة، اعترفت بمعارضة المجلس لكي تتجاهل معارضة الشعب، واتفقت مع معارضة المجلس في عدد من المحافظات، لكي تقوى بها على قتل المعارضة الشعبية في المكان الذي له التأثير الاول والاكبر في توجيه المجلس ومراقبة الحكومات وتقرير سياسة الدولة، اي في دمشق.

ولكن شعب سوريا العربي الذي خبر نتائج تلك المؤآمرة الاجرامية التي كفلت قبل اربع سنوات نجاح القائمة الحكومية بكامل عددها، وعرف أن عزل مدينة دمشق عن السياسة كان السبب الاساسي في أستهتار الحكومات وعجز المجلس النيابي وارتكاب افظع انواع الظلم والسرقات، يعرف الآن أن اول واجب قومي يترتب عليه تجاه مستقبله ومصيره هو أن يتضامن ويهب لزحزحة كابوس الفئة الحاكمة عن عاصمة بلاده. لان في ذلك وحده مفتاح حل الازمة السياسية المستعصية التي يعمّ أذاها البلاد جميعاً.

أما أهل دمشق وضواحيها فيعرفون أن مسؤوليتهم ستكون في هذه الفترة مسؤولية تاريخية. ان التدهور الذي يقود رجال الحكم اليه البلاد لايوقف الا اذا وقفت دمشق في وجه استئثار هؤلاء الرجال واستهتارهم. ولقد استطاعت دمشق التي لم يكن لها في المجلس او في الحكومة رجل واحد يمثلها ان تفرض ارادتها على المجلس وعلى الحكومة مرتين حاسمتين خلال العام الأخير. وهي اليوم، بعد أن زادها النضال قوة ووعياً، اقدر منها في اي وقت مضى، على ضربه الضربة الثالثة والاخيرة لتصفية حساب الاستعمار وتلاميذه.

**ميشيل عفلق**

**١٥ حزيران ١٩٤٧**

# حزبية الحزب الوطني
# هي اكبر خطر يهدد الوطن

في هذه الأيام القليلة الحاسمة التي تسبق يوم الانتخابات [1]، يتوجب على الشعب ان يستجمع كامل وعيه، وينبه اعماق ضميره، ويقف وقفة كلها ارادة وعناد في وجه الخطر الذي يفوق سائر الأخطار، وليس اشد في نظر الشعب من خطر الفئة الحاكمة وحزبيتها.

لقد بقي الشعب الى زمن قريب ينظر الى هذه الفئة كمجموعة من الأشخاص فيها الصالح والفاسد ويهمل النظر اليها كحزب له اسلوب ومنطق واتجاه ان يكن مستمداً من عقلية الأشخاص ومصالحهم واخلاقهم، فهو يعلو عليهم ويسيرهم جميعاً في طريق لايستطيعون الانحراف عنه، وإلى مصير لايقوون على تغييره او تجنبه.

ولكن التجربة الأخيرة التي جربها الشعب قبل اربع سنوات: فتحت عينيه على اشياء كثيرة، فأعاد النظر في تفكيره، واكتسب من الواقع خبرة عرف بنتيجتها ان الفساد هو في الحزب اكثر منه في الأشخاص وأن من طرق الفساد والغش في هذا الحزب انه اخذ يلجأ، بعد ان انكشف للناس زيفه وتتالت مساوئه وفضائحه، الى التستر وراء بعض اشخاصه الذين ظلوا ابعد من غيرهم عن الشبهات.

لقد عرف الشعب بالتجربة المرة القاسية ان الحزب الفاسد لايجديه ولا ينفع فيه وجود شخص او اشخاص يمكن اعتبارهم صالحين، لأن فساد الحركة يغلب على افرادها، ولأنه لايتبنى الحركة الفاسدة او ينضوي تحت لوائها ويستطيع التنفس في جوها الا من كان فيه استعداد كبير لمجاراتها في شرها وفسادها.

---

(١) أفتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٢٠٣ الصادر في ٢٦ حزيران ١٩٤٧.

فالمهمة الكبرى التي يستعد الشعب اليومَ للقيام بها هي تحطيم هذه الحزبية الفاسدة ـ الحزبية الكتلوية ـ التي امست قبراً تدفن فيه فضائل الأمة وتغيض كفاءتها ونزاهتها وكل استعدادات الخير والابداع فيها. اذن فليس المهم ابعاد شخص او اكثر من هؤلاء عن النيابة والحكم، اذ ان ذلك عديم النفع ومتعذر ما دامت حزبية «الكتلة» او «الحزب الوطني» قائمة لم تهدم وتحطم، لأن «الكتلويين» ليسوا اشخاصاً معينين بالذات، بل هم كل شخص قبل او يقبل الدخول في نطاق هذه الآلة الجهنمية، فيستمرىء اساليبها في الاستئثار والكذب والاحتيال، ويذوق حلاوة السيطرة والاستغلال، وتطبق عليه شبكة تبادل المنافع والتضامن على الضلال.

ان الشعب يدرك كل الادراك ان الخطوة الاولى في طريق الاصلاح وتنقية الجو السياسي وفتح باب الامل امام عناصر الخير في البلاد هي اقصاء هذا الحزب بمجموعه، حتى ولو كان لبعض رجاله مزايا وكفاءآت، لان في ذلك قضاء على حزب يحكم البلاد بروح العصابات، وبنفسية الشركات الاجنبية الاستثمارية.

واذا جاز ان ينظر في الأشخاص ويفرق بينهم من حيث شدة الخطر او ضعفه، فلا شك ان اشدهم خطراً هم اشدهم حزبية، ولقد تمثلت هذه الحزبية العاتية في وزراء المرسوم ٥٠، الذين كانوا اجرأ من غيرهم في الافصاح عن نوايا الفئة الحاكمة وتصميمها الاجرامي على حصر السلطة بيدها الى الابد بغية استعباد الشعب ونهب امواله وخنق مواهبه وقتل اخلاقه.

في معركة الانتخاب، كما في معارك الحرب، يقضي واجب حفظ البقاء بأن تحصر الجهود كلها في دفع الخطر الداهم. وقد عرف الشعب ان اكبر خطر يهدد بقاءه واستقلاله هو استمرار هذا الحكم الذي تنبع منه وتصدر عنه سائر الأخطار الأخرى، فلولا الحكم الحاضر ومساوئه لما دبرت المؤآمرات الاستعمارية على استقلالنا، ولما استطاعت الحركات الفاسدة ان تنتشر في ارضنا، مستغلة النقمة والاستياء، مستفيدة من الفوضى وتراكم الأخطاء، ولما استطاع الملوثون ان يعودوا من جديد ليظهروا، بالقياس الى رجال الحكم، بمظهر الطاهرين الأبرياء.

ان شعب سوريا العربي الذي رفعَ عن نفسه، بنضاله العنيد، وطأة الاستعمار

الأجنبي، يقف في هذه الأيام الحاسمة موقف الوعي والكرامة والارادة ليرفع عن حياته الاستقلالية الحديثة وصمة الاستئثار والاستثمار، ويقضي على آخر مخلفات الحكم الأجنبي بقضائه على «الحزب الوطني»!

ميشيل عفلق

٢٦ حزيران ١٩٤٧

# في معركة الدستور والحرية
## الشعب العربي بكامله يؤيد سورية

تحسب الفئة الحاكمة ان الشعب العربي في سورية سيكون وحيداً في المعركة القريبة التي الجأته الى خوضها دفاعاً عن حريته ودستوره[1].

ولكن الحوادث ستكذب حسابها هذه المرة كما كذبتها في الماضي، وكما كذبت حساب صالح جبر وحكومته في العراق، لأن الشعب العربي واحد في جميع اقطاره، يزداد كل يوم وعياً لوحدة مصيره ومصلحته، وشعوراً بضرورة التضامن للظفر بحريته وحقوقه فكل يوم يمر على نضال العرب يأتيهم ببرهان جديد على هذه الحقيقة الثابتة: وهي انهم لن يتحرروا من الاستعمار الأجنبي تحرراً نهائياً، ولن يتخلصوا في داخل وطنهم من الاستثمار والظلم والفقر والجهل، الا متى اتخذ نضالهم صفتين اساسيتين: بأن يصبح شعبياً حقاً، بعيداً عن سلطة الحكومات، وموجهاً ضد ظلمها واستثمارها، وان يصبح عربياً شاملاً لجهود الشعب وقواه في الأقطار العربية جمعاء فاذا فقد شرط من هذين الشرطين، فقد النضال قوته وأخطأ غايته، وليس كمعركة فلسطين مثال تتجسم فيه تلك الحقيقة، اذ ان اشتراك الأقطار العربية في هذه المعركة قد تحقق حتى الآن الى حد بعيد، ولئن لم يؤدِ النتيجة المطلوبة، فذلك لأنه لايزال بيد الحكومات وتحت اشرافها، ولم ينتقل بعد الى يد الشعب.

لو ان شعب سورية كان وحيداً في نضاله ضد الفئة الحاكمة، لما كانت له تلك القوة التي ضمنت له النصر بمثل تلك السرعة التي انتصر بها على اعداء حريته في معركة المرسوم رقم ٥٠، وفي معركة قانون الانتخاب على درجة واحدة. ولكنه كان

---

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٢٢١ الصادر في ٢٣ شباط ١٩٤٨.

في المعركتين السابقتين كما سيكون في المعركة المقبلة لانقاذ الدستور من التعديل، مدعوماً بتأييد العرب جميعاً، لأنه يعمل باسم العرب، ويدافع عن حريتهم ووحدتهم وعيشهم الكريم المنشود.

ان ما يشكو منه الشعب العربي في سورية من حكم الاستئثار ونزعة الأشخاص الى التحكم والاستبداد، هو عين ما يشكو منه الشعب العربي في مختلف اقطاره. وان الويلات التي تجرها هذه النزعة الشخصية الاستبدادية على سورية، انما هي صورة وخلاصة لما تعانيه بلاد العرب من اثر قمع الحريات وتجاوز القوانين والتلاعب بأموال الدولة ووظائفها، والتضحية بالأخلاق والوطنية ومستقبل الأجيال الصاعدة. فاذا وقفت سورية في وجه هذه السياسة المشؤومة، فان ارادة الأمة العربية لتتمثل في وقفتها. ولن يكون في مقدور شخص او عدة اشخاص ان يغلبوا هذه الارادة.

ميشيل عفلق

٢٣ شباط ١٩٤٨

# الجيل الجديد والمجتمع العربي المقبل

أيها الاخوان

قد تسمعون منا كثيراً ترديدنا للفظة الشعب ومناداتنا باسم الشعب في كل مناسبة ذلك لأننا نؤمن بأن الصفة المميزة للمجتمع العربي الجديد هو انه المجتمع العربي الشعبي. ونحن نريد لهذه الصفة الشعبية شيئين على غاية من الخطورة.

الشيء الاول: ظاهري خارجي، هو ان يعترف بالشعب مصدراً لكل سلطة وسيادة، وان يمارس الشعب فعلاً هذه الحقوق الطبيعية التي لايعترف له بها الا على الورق وبالاسم والشكل فقط. على ان هذه الحقوق لن تصل الى الشعب هبة وتبرعاً، او اتفاقاً ومصادفة، فهي شيء جوهري في حياة الأمم انتزعتها الشعوب انتزاعاً بعد كفاح عسير مرير. وكانت هي العامل الاساسي في استقرار الحياة، وفي امكان تطورها وتقدمها.

ان شعبنا لايمكن ان يبقى كتلة منفعلة سلبية مسيرة لأنه عندئذ لايجوز ان ينتظر منه اي عمل ايجابي مبدع انشائي.

ان الشعب اذا لم يتحول الى كتلة منتظمة متناسقة من افراد مسؤولين واحرار يكون وزناً ميتاً، وعبئاً ثقيلاً، وبالتالي يقضي على كل معنى وكل رسالة تطمح الامة الى ادائها. نقول هذا ونحن نسمع في كثير من الاحيان الادعاء بان بقاء شخص من الاشخاص للبلاد والامة امر جوهري وحيوي وانه اذا فقد هذا الشخص تعرضت البلاد كلها للخراب والفناء.

وقد يصح هذا الادعاء اذا بقيت النظرة الى الشعب بأنه هذه الكتلة الميتة المنفعلة

التي تتقاذفها الاحداث والظروف دون ان تستطيع تغييرها او التأثير فيها.

ثم ما قيمة الشخص او الاشخاص ما داموا دوماً معرضين للزوال؟!. اننا ما لم نبن للبلاد والامة حرزاً وحصناً من نفسها: من مجموع افرادها، ومن ترقية كل فرد وشعوره بهذه الحرية المرفقة بالمسئولية فالبلاد تبقى مهددة في كل لحظة ومناسبة بأدهى الاخطار.

ولا بأس ان نذكر حادث اليمن الذي هو حديث الناس في هذه الايام، وان نشير الى سيرة امام اليمن الراحل، ذلك الرجل العربي الذي كان بلا شك غيوراً على ارضه وتراث آبائه. وكان، في الظاهر يقظاً كل اليقظةمن تعديات الاجانب واطماعهم، اقام سدوداً وحواجز بينه وبين العالم الخارجي حتى لايمتد الى اليمن طامع او مستعمر ولكن هذا الرجل بعقليته البسيطة، وعزلته المخيفة التي عاش بها بعيداً عن تطورات العالم وعن مقتضيات الحياة الحديثة ـ لم يستطع ان يدرك بأن السدود والحصون كلها وهمية اذا لم يقم في نفس كل عربي من عرب اليمن حصن وسد وحرز تجاه اطماع الاجانب واعتداءآتهم. ولم يكن احد منا ليغتر بتلك المنعة التي كانت لليمن لأنا نؤمن اقوى الايمان بأن هذه السياسة العتيقة لاتعمل الا لتأجيل اليوم الذي يظهر فيه ضعفها.

ولا يقتصر هذا الاسلوب من الاعتقاد بالاشخاص ووضع الثقة بهم والتسليم اليهم تسليماً اعمى لامبرر له، على قطر واحد فحسب، بل انا نلمس آثاره ونتعرف الى مظاهره في مختلف البلدان العربية وفي هذا القطر العربي الذي نعيش فيه، فما يزال عندنا من يؤمن بأن البلاد بحاجة الى شخص دون آخر، وانها تكون مهددة اذا استغنت عنه.

ولكن الى متى يستمر هذا الاسلوب في الفهم وهذه العقلية الملتوية؟ الى متى نستعيض عن تربية الشعب بجميع افراده، وعن خلق القوة الحقيقية في نفس كل مواطن، وفي خلقه ايضاً، بقوة وهمية وبخرافة لم يعد جائزاً ان نستمر في القول بها والاستسلام لها خرافة الاشخاص بماض غير معروف او غير واضح.

بل لو صدّقنا كل ما ادعوه ونسبوه لأنفسهم فانا نقول: ان شخصاً او عدة اشخاص عاجزون كل العجز عن ان يعادلوا في المنعة والقوة والحصانة قوة شعب بأسره.

حتى لو كنا نعيش في عهد الانبياء لما جاز ان نسلم بخرافة الشخص ولما جاز ان نهمل تربية الشعب وتعويده على استعمال حرياته وممارسة حقوقه. ولكنكم كلكم تعرفون بأن مرحلتنا هذه ـ وهي تحمل اثقل التركات من الماضي، من ماضي الانحطاط والتأخر ـ ليست هي مرحلة انبياء بل العكس هو الصحيح. فكيف يجوز اذن ان نتساهل في امر حيوي كهذا وان نهمل امر التربية، السياسية، القومية ؟

**أيها الاخوان**

واما الامر الثاني، الذي تستهدفه الصفة الشعبية في تربية الجيل العربي الجديد، فهو شيء يمت الى الروح والحياة اكثر مما يمت الى السياسة والحقوق والحريات.

اننا نحمل ـ كما قلنا ـ تركة ثقيلة من الماضي فقدت فيها الامة شيئاً كثيراً من سجيتها الحرة ومن حركتها العفوية ونشاطها الحي وأختلّت فيها القيم والمقاييس، ونشأت على سطحها طبقات وقشور طفيلية زائفة، وليس ثمة مخرج من هذه الحال المعكوسة المشوهة، المشوبة بالفساد الا عن طريق اعادة الحياة الى الشعب، وفسح المجال امام الروح الشعبية لكي تنبع وتنفجر، فتتكسر هذه الطبقة من الجليد: طبقة الأوهام والجمود، وطبقة الاثرة والاخلاق الانانية المغموسة بالشهوات والقائمة على استغلال الآخرين واستعبادهم.

هذه الطبقة لايمكن ان تتكسر وان تنفذ الى نبع روح الامة الاصيل الحار الا اذا لجأنا الى هذا المجموع المبارك: هذا الشعب بأن نسمح لروحه بأن تنعتق بعد الكبوة والانحناء الطويل. وحين ذلك يجرف النفس الطويل السليم، كل ما تجمد وتراكم على وجه مجتمعنا من انانيات ومن فساد واستئثار ومن ضيق نظر وفقر مخيف في النفس.

واذا قلنا بأن الشعب عندما يسترد حقوقه وحرياته يشكل لبلادنا وأمتنا المنعة الحقيقية التي يعجز الاشخاص عن ايجادها: نضيف ايضاً انه من الناحية الايجابية: من ناحية الإبداع المتواصل وتحريك المجتمع بقوة، وبعث مواهبه الكامنة ليس غير الشعب يستطيع ان يهبنا هذه القوة المبدعة التي ضمرت وتقلصت وجفت في الطبقات الغنية المترفة التي قتلها استئثارها واستغلالها.

فاذا كان امر امتنا يعنينا بصدق واخلاص نظرنا نظرة جريئة نافذة الى حقيقة اوضاعنا. اننا اذا لم نقض بعمل جريء حاسم عنيد، واذا لم نضع حداً للعقلية القديمة التي تريد ان تعتبر الشعب قطيعاً من البشر يسير ويضلل ويخدر، اذا لم نضع نهاية فجائية عنيفة لهذه العقلية كنا معرضين للخطر: خطر العدوان الاجنبي لان الشعب الميت المحروم من فهم الحرية لايمكن ان يدافع عن ارضه. وخطر آخر قد يكون اهم من الاول وهو ان تبقى امتنا امة عقيمة ناضبة جافة عاجزة عن اي انشاء او ابداع.

٢٧ شباط ١٩٤٨

# محاولة تعديل الدستور
## خطر على الجمهورية والحرية والاستقلال

لقد شرعت الحكومة السورية بتطبيق حكمها الديكتاتوري بصورة علنية ولم تعد تحسب حسابا لا لقانون أو دستور يكفل حرية الكلام والتعبير عن الرأي. واكبر شاهد على ذلك مصادرتها جريدة البعث الدمشقية لسان حزب البعث العربي استنادا الى امر شفوي من وزير الداخلية ودون ان يصدر مرسوم بالتعطيل الاداري. والذي اغضبها حقيقة أردنا كشفها للشعب وأرادت هي طمسها واخفاءها عنه، تلك هي مؤامرة تعديل الدستور التي تحاك في «الاوكار المظلمة» لتفرض على الشعب دون ان يطلع على خطورة مراميها، واليكم هذه الحقيقة التي نشرناها في المقال الافتتاحي[1] والتي ننشرها الآن بمنشور:

فوجيء طلاب الجامعة بقرار من وزارة المعارف يقضي بتمديد عطلتهم ثلاثة عشر يوما بحجة اجراء «ترميمات» في بناء الجامعة، كأن أوقات الدراسة الغالية على نشيء البلاد المثقف يجوز اهدارها عبثا وباطلا في سبيل هذه الذرائع التافهة الرخيصة، وكأن الحاجة الى ترميم أبنية المدارس لاتظهر ملحة الا في ظروف ومناسبات سياسية خطيرة: في هذا الشهر الذي يزمع فيه المجلس النيابي ان يبتّ في قانونية الاقتراح الحكومي بشأن تعديل الدستور، وقبل ثلاثة اشهر عندما اصطنعت الحكومة «مضبطة» لتأييد اقتراحها ادعت انها جمعت توقيع ثلثي النواب، وقبل ذلك بمدة، عندما اراد المجلس

---

(١) بيان صادر عن حزب البعث العربي حول مؤآمرة تعديل الدستور، نشر في جريدة «البعث» كمقال افتتاحي في العدد ٢٢٢ الصادر في ٨ آذار ١٩٤٨.

ان ينظر في جريمة تزوير الانتخابات الشامل المفضوح الذي اشتركت وتسببت فيه السلطة التنفيذية بكاملها لتصل عن طريق التزوير الى مأربها في تعديل الدستور.

لقد فوجيء الطلاب، والشعب معهم، بهذه التصرفات الشاذة وامثالها، حتى لم تعد ثمة مفاجأة لأحد. وشاهد الجميع، خلال الشهور المنصرمة، من التعدي على حرمة العلم ومستقبل الناشئة، ومن العبث بوظائف الدولة وأموال خزينتها، ومن افساد للضمائر وتضحية للاخلاق والمصالح العامة، ما لم يشاهدوا جزءاً منه في أشد العهود البائدة سوءاً وفساداً.

فاذا تساءل افراد الشعب - ومن حقهم ان يتساءلوا - عن الغاية التي من اجلها تضحي الحكومة بأموالهم ومصالحهم ومستقبل ابنائهم وبلادهم، لما وجدوا ثمة الا غاية شخصية حزبية ضيقة، تكتنفها النفعية من كل جانب وتبرز فيها الانانية على ابشع صورة. تلك هي غاية تعديل الدستور، في سبيل تمديد اجل الاستئثار والانتفاع لزمرة السياسيين المحترفين وحواشيهم.

ان محاولة «التعديل» التي تسعى الحكومة الى تنفيذها في غفلة من الرأي العام، هي اخطر من ان تمر وتتم بأسلوب الحيل والاختلاس دون ان يتاح للشعب ان يقول فيها كلمته الحرة الجريئة، اذ انها في الواقع قضية مصالحه الحيوية المهددة بأدهى الاخطار. والتعديل شر على الشعب والبلاد، سواء اعتبرت فيه ناحية المبدأ، أم ناحية الاسلوب، ام الناحية الواقعية المجردة.

١ - لئن كان لايزال في البلاد عدد من الذين يستهينون بقيمة المبادىء الاساسية والاشكال القانونية، وينظرون الى السياسة نظرة مجردة عن هذه الاعتبارات التي تمس تربية الشعب واستقرار الحكم في الصميم، نقول: لئن كان هؤلاء يكتفون من الامور بنتائجها الظاهرية الجامدة ويرون في تعديل الدستور - على اي شكل تم - تحقيقاً لفائدة عامة تنتج عن بقاء شخص او اشخاص على رأس الحكم فاننا نجيبهم بأن الحكم الذي سينشأ عن «التعديل» لن يكون بحال من الاحوال الا استمراراً لا بل استفحالاً، لهذا الحكم المشوه المضطرب الذي عانته البلاد في السنوات الاربع الاخيرة، والذي لم يستطع

ان يبقى يوماً واحداً دون اضطهاد لحرية المواطنين، او استغلال لجهود الشعب، وارضاء للانصار والمحاسيب، وفتح باب الرشوة وسوء الاستعمال على مصراعيه، وتسخير جهاز الدولة والصحف والاذاعة لمصلحة رجال الحكم وأتباعهم. ولئن ظهر فرق بين العهدين في المستقبل، فسيكون في ان العهد «الجديد» سيزيده النجاح جرأة في الاستهتار، ويزيد أتباعه شرها في الاستثمار والانتفاع.

٢ ـ ولكن هذه الفئة المتعامية عن قيمة المبادىء الحقوقية في حياتنا القومية الناشئة فئة يقل عددها ويتضاءل شأنها يوماً بعد يوم امام تقدم الوعي الشعبي الجارف. ان الشعب بأكثريته الساحقة يدرك اليوم ان ما يميز سوريا ويؤهلها لقيادة الحركة العربية هو دستورها الجمهوري الديمقراطي الذي يضع سداً منيعاً في وجه الداء العضال الذي يئن منه المجتمع العربي منذ عصور، داء تحكّم الافراد في مصير الامة، واتخاذ السلطة والاستبداد سبيلاً الى استثمار الملايين من افراد الشعب لمصلحة الطبقة الحاكمة، فالقضاء على المادة الدستورية التي تمنع ان يخلد شخص واحد في الحكم، وان يستفيد من استمرار حكمه ليقضي على حرية الشعب ويجعله فريسة لاستثمار الاقلية الممتازة، كل هذا يذهب بفضيلة الجمهورية ويطوح بخيرات الحرية والديمقراطية، ويدفع ببلادنا دفعاً قوياً الى الرجعة والتأخر، بعد ان دفعت اغلى الاثمان والتضحيات ليفتح امامها طريق التحرر والرقي.

٣ ـ تلك هي المخالفة الصريحة لمبدأ التقدم والتحرر وسيادة الشعب الذي وضعته الجمعية التأسيسية في الدستور السوري، والذي تريد الحكومة بالتعديل ان تنسفه نسفاً، ولكن مخالفة الحكومة لم تقف عند حدود المبدأ بل تجاوزته الى الاساليب التي اصطلحت عليها الامم الراقية في حياتها العامة لتضمن للشعب حرية رأيه وعمله، وللحكم امكان استقراره وتطوره، فالدستور هو قوام الحياة في اي امة من الامم وتعديل الدستور احتمال يواجهه الدستور نفسه، ويضع له من الشروط والقيود القانونية ما يسمح له تحقيق الغرض العام المقصود من ورائه وما يمنع عنه سيطرة الاشخاص واغراضهم وشهواتهم. لذلك كان لابد عندما تلمس الحاجة الى التعديل، ان يطرح الموضوع على الرأي العام ليعالجه ويناقشه بمطلق الحرية في القول والكتابة والاجتماع. وبما ان اقتراح التعديل جاء على اثر الانتخابات النيابية مباشرة فقد كان اول واجب على الحكومة والسلطة التنفيذية ان تعلن عن رأيها قبل

الانتخابات لتجرى على أساس التعديل او مقاومة التعديل. ولكن هذه السلطة التنفيذية عمدت الى التضليل والتزييف بدلاً من مصارحة الرأي العام واحترامه، فكتمت قصدها وتدخلت في الانتخابات تدخلاً شنيعاً معروفاً لتأتي بأكثرية مزورة من النواب يماشونها في تآمرها على الدستور. وهكذا عطلت كل صحيفة ناقشت امر التعديل برأي مخالف لرأيها، وعملت ما هو ادهى، اذ منعت المجلس النيابي نفسه من بحث هذا الامر الذي هو اهم ما تتعرض له الحياة النيابية. وخالفت الدستور ونظام المجلس افظع مخالفة اذ استعاضت عن تصويت النواب ومناقشتهم، بعريضة مشبوهة تلاها رئيس المجلس وانسحب معلناً اختتام الجلسة.

تلك هي الاساليب الشاذة غير المشروعة التي تتبعها الفئة الحاكمة في مطلع حياتنا الاستقلالية الدستورية، متحللة من كل قيد قانوني، ورادع اخلاقي، مستبيحة لنفسها افساد تربية الشعب القومية وزعزعة الحكم الاستقلالي في سبيل شهوات وانانيات ومنافع شخصية.

ولكننا نؤمن اعمق الايمان بأن الشعب هو اقوى من كل هذه المؤامرات والعراقيل التي توضع في طريق تحرره ونهضته، وبأن مناعته الاخلاقية ووعيه المتزايد لحقوقه وكرامته ورسالة أمته العربية سيتغلبان على هذه السموم التي تنفثها في جسم الامة طبقة الحاكمين المستغلين قبيل انحلالها القريب.

عميد حزب البعث العربي
ميشيل عفلق
١٨ آذار ١٩٤٨

# تعديل الدستور فاتحة الدكتاتورية

بذلت الحكومة السورية[1] كل ما في وسعها لتخفي عن الشعب العربي في سوريا والاقطار العربية الاخرى حقيقة الازمة الدستورية الخطيرة التي تسببت فيها. وسعت بصورة خاصة ان تخفت صوت «البعث العربي» ولكن هذه المساعي والاساليب من قبل الحكومة لم تفعل اكثر من تقديم الشواهد والبراهين على التواء قصدها وصدق ما اتهمناها به من التآمر على حريات الشعب ودستور البلاد.

لقد عطلت الحكومة كل صحيفة خالفتها في رأيها في «التعديل» وعطلت صحيفة «البعث» لهذا السبب ثلاث مرات، كل مرة شهرا كاملا، ولم تكتف بذلك، بل صادرت مؤخرا اعداد الجريدة من مكتب ادارتها دون ان يكون في القانون ما يجيز المصادرة، ثم ارسلت رجال الامن فداهموا مكتب الحزب بحجة التفتيش عن متفجرات، واعتقلوا ستة من الشباب وأباحوا لانفسهم استعمال افظع انواع التعذيب مع احد هؤلاء الشباب لا لشيء سوى انه عامل. واعتقلوا شبابا في حمص، واغلقوا مكتب الحزب فيها، واحاطوا مكاتب الحزب في العاصمة والمحافظات بنطاق من رجال الشرطة السرية يلاحقون قادته واعضاءه اينما ذهبوا، ومنعوا المطابع في طول البلاد وعرضها من ان تنشر للمعارضين شيئا، بينما جندت الحكومة صحفها وكتابها ليهاجموا حزب البعث العربي ويردوا عليه اثناء تعطيل صحيفته.

وفي مساء الاحد الواقع في ٤ آذار دعا الحزب الى استماع محاضرتين للاستاذين ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في موضوع «الدستور والحرية» فأرسلت الحكومة

---

(١) بيان آخر حول مؤآمرة تعديل الدستور صادر عن حزب البعث العربي في ١٥ آذار ١٩٤٨.

بعض رعاعها ليعطلوا الاجتماع. وبينما كان الاستاذ البيطار في الربع الاول من محاضرته، انبرى له احد هؤلاء مقاطعا، وساعده رفاقه على احداث الشغب، ثم انفجرت مفرقعة في فناء مكتب الحزب تبين انها القيت من سطح البيت المجاور، وهجم على باب المكتب افراد مسلحون بالعصي والخناجر يعتدون على بعض الشباب الواقفين بالباب بمساعدة رجال الامن العام. ودخل على الفور عدد كبير من رجال الامن العام فاعتقلوا خمسين شابا من الطلاب الجامعيين واساتذة المدارس وتغاضوا عن الاشخاص المعتدين.

ففي الوقت الذي يجاهد فيه شباب البعث العربي في جبهة فلسطين تجيز الحكومة لنفسها استعمال هذه الاساليب البربرية لتمنعنا من تنبيه الشعب الى خطر الديكتاتورية المحدق به من وراء «تعديل» الدستور.

وما كان حزبنا ليقاوم «التعديل لو انه تعديل بالفعل. ولقد سبقنا غيرنا الى المطالبة لا بتعديل الدستور فحسب بل بوضع دستور جديد وذلك على اثر الجلاء مباشرة. الا اننا كنا وما نزال نطالب بتعديل الدستور او تبديله ليصبح اقرب الى نزعة الحرية واقوى على ضمان حريات الشعب وحمايتها من طغيان السلطات الحاكمة. في حين ان «التعديل» الحكومي يرمي الى تضييق هذه الحريات تمهيدا للقضاء عليها. وليس ادل على ذلك من الاسلوب الذي تتبعه الحكومة السورية لاجراء التعديل بالقوة والارهاب والتضليل وافساد الضمائر وبمخالفة القوانين والدستور نفسه. وقد جاء مشروع «التعديل» الحكومي نتيجة لمقدمات اظهرت بوضوح ما يهدف اليه رجال السلطة من وراء مشروعهم. اذ انهم هم الذين وضعوا قبل سنة ونصف مشروعا لاقامة الديكتاتورية عرف بالمرسوم (٥٠). كما ان اقتصار هذا التعديل على تجديد الرئاسة يظهر ان رجال الحكم يُسخرون دستور البلاد من اجل الاشخاص. ومن جهة اخرى انهم، بدلا من وضع مشروع كامل لتعديل الدستور باتجاه ديمقراطي تقدمي حر، اهملوا كل ذلك وتصدوا على العكس للمادة التي تكفل ترسيخ فكرة الجمهورية والحرية عند الشعب بجعل الرئاسة متداولة ومنع من يصل الى الرئاسة من سوء استعمال صلاحياته ليجدد انتخابه.

فالمسألة في نظرنا جد خطيرة لانها تتعلق بالمبادىء لا بالاشخاص، ولاننا نعتبر ان الفائدة التي يمكن ان تحصل من بقاء شخص بالذات في الحكم هي في ظروفنا الحالية اقل بها لا يقاس من الاضرار الجسيمة التي تلحق بالبلاد من جراء تضحية ذلك المبدأ الديمقراطي المتضمن في المادة االمنوي تعديلها والمتضمن في دساتير الديمقراطيات الناشئة.

تلك هي حقيقة الخطر الذي يتهدد البلاد وحرية الشعب ومصالحه، نعلنها بصراحة وجرأة، مستهينين في سبيل اعلانها بالأذى والاضطهاد، لان مستقبل سوريا بصورة مباشرة ومستقبل البلاد العربية بصورة غير مباشرة، معلق على هذه الخطوة التي ستقودنا اما الى الدكتاتورية المظلمة الغاشمة واما الى توطيد دعائم الحرية وانفتاح حياتنا للتطور والرقي.

ان مسؤولية الشعب خطيرة ومسؤولية النواب الشعبيين المعارضين اخطر، لان في استطاعتهم تجنيب البلاد هذه الكارثة، ولان الشعب لم ينتخبهم الا ليضعوا حدا لنزعة الاستبداد المسيطرة على الحكم الحاضر.

**أيها الشعب! أيها الجيل الجديد!**

ان نضالك ضد الاستبداد في السنتين الاخيرتين قد أوصلك الى نتيجة ثمينة، اذ اجبر رجال الحكم على ان يرفعوا عن وجوههم آخر برقع يجلل حقيقتهم. فحكموا الشعب عنوة بأساليب الاستعمار البغيض. واليوم تنتظرك معركة جديدة من معارك حريتك المقدسة وليس في خوضها لك الا الربح الاكيد. فالحرية عمل ونضال يزيدانك وعيا لقيمتها وتعلقا بنعمها ومرانا في الدفاع عنها الى ان تتحقق لك كاملة بعد ان تكون قد دفعت ثمنها كاملا.

**عميد البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**١٥ آذار ١٩٤٨**

# تبديل الحكومة واجراء انتخابات جديدة واجب وطني وقومي

لا تزال الفئة الحاكمة في سوريا[1] ، رغم الفضائح والنكبات التي تتالت على البلاد في عهدها وخاصة في قضية فلسطين، تصمم على الاستمرار في سياستها الاستغلالية الطائشة، متحدية ارادة الامة، ومعرضة أرض الوطن لأخطار أدهى مما تعرضت له في الماضي.

ان في تشكيل الوزارة الجديدة وفي البيان الذي ألقته هذه الوزارة أمام المجلس من مظاهر الاستهتار بارادة الشعب ووعيه. ومن دوافع الانانية الشخصية والمصالح الذاتية، ما لايجوز السكوت عنه او التردد في محاربته.

**الحكم في خمس سنوات**: لقد استأثر بالحكم في السنوات الخمس الاخيرة فئة من محترفي السياسة الذين يمثلون مصالح الاقطاعيين وعقليتهم. ويعتبرون الدولة ملكاً خاصاً لهم ولذويهم وحواشيهم. ويرون ان الشعب وجد ليكون مستثمراً مستعبداً، وليقنع بحياة الفقر والذل والجهل، هكذا أضاعوا على سوريا فرصة ذهبية لم تسنح لها منذ أجيال، وبدلاً من أن يفيدوا من الظروف الخارجية المؤاتية، ومن استعداد الشعب المعتز باستقلاله، المتفائل بمستقبله، لينشئوا الدولة على أسس حديثة عادلة، ويخلقوا نهضة متكافئة مع امكانيات الشعب وطموحه القومي، مدعومة بتضامنه وثقته ومساهمته الفعلية الحرة فيها، فقد تركوا الاوضاع الفاسدة على حالها، وأمعنوا في استغلالها حتى استفحل فسادها الى حد لم تعرفه البلاد في عهود الاستعمار المظلمة. وقد تعدى الفساد نطاق الشؤون الداخلية البحتة، وكانت معركة فلسطين مناسبة

(١) بيان صادر عن حزب البعث العربي في ٧ أيلول ١٩٤٨ يطالب فيه بتبديل الحكومة واجراء انتخابات جديدة.

لظهور بعض المؤامرات التي كان جيش البلاد أولى ضحاياها، ولا عجب، فالسياسة التي تقوم على الاستبداد والاستثمار الجشع في الداخل، لايمكن أن تكون الا تخاذلاً وتآمراً في الخارج.

**الوزارة الجديدة**: لقد كان ينتظر ان يكون للنكبة القومية الفادحة التي منيت بها البلاد في معركة فلسطين بعض الاثر في نفوس الفئة الحاكمة يحد من استئثارها وعنادها ونفعيتها، فتحسب لرأي الشعب ومصلحة الوطن العليا حساباً، وتحدث تبديلاً ملموساً في السياسة والاشخاص معاً.

ولكن الشعب فوجيء بتشكيل الوزارة الجديدة من أولئك الاشخاص الذين مثلوا طوال السنوات الخمس الاخيرة سياسة بغيضة مشؤومة. **(والذين عافتهم البلاد وخذلتهم في الانتخابات النيابية خذلاناً إجماعياً حتى اضطروا، لكي ينجح بعضهم في الانتخابات التكميلية، الى استعمال التزوير العلني بقوة السلاح)**. وكانت المفاجأة بالغة والتحدي مثيراً في تسليم وزارة الداخلية الى الوزير الذي كان استلامه لها منذ عامين سبباً في اراقة دماء المواطنين استنكاراً للمرسوم رقم ٥٠ الذي أراد هذا الوزير بواسطته أن ينفذّ أخبث مؤآمرة على دستور البلاد وحريات الشعب.

ان الذريعة الجديدة التي لجأت اليها الحكومة لتبرير بقائها، وتمديد أجل استغلالها، هي ذريعة التعبئة لمتابعة المعركة في فلسطين، ولكن هل في البلاد من يصدّق ان هذه الحكومة التي لاتستطيع البقاء، يوماً واحداً في الحكم الا اذا أباحت أموال الدولة للانصار والمحاسيب، والتي لايفهم أشخاصها من الحكم الا انه وسيلة للانتفاع وعقد الصفقات ، وتدعيم النفوذ الشخصي والعائلي على حساب المصلحة العامة، هل في البلاد من يصدق انهم هم الذين سيعملون بالتجرد الواجب. والكفاءة المطلوبة، على تحقيق التعبئة اللازمة لاحراز النصر هل يستطيع هؤلاء الاشخاص، في هذا الظرف الدقيق الحاسم، وبعقليتهم ومصالحهم التي لم تتبدل أن يرجعوا الى نفوس الشعب الثقة. ويوحوا له الايمان بالمستقبل، ويحققوا بين صفوفه التضامن، ويستثيروا فيه الجهود الخارقة والتضحية القصوى، وهم الذين أذاقوه الظلم والفقر، وعودّوه الكذب والتضليل، وقادوه الى النكبات والهزائم، وكادوا يفقدونه الثقة

بنفسه، والايمان بحقه ومستقبله!

اننا نحن أيضا نقدم قضية فلسطين على كل شيء آخر، ومن أجل ذلك نرى في بقاء الحكومة الحاضرة، وفي استمرار السياسة المتبعة، خطراً على مستقبل البلاد يفوق كل الاخطار السابقة، ولن يشغلنا في هذا الظرف ما ارتكب الحاكمون في الماضي من أخطاء الا بالقدر الذي يفيد في تلافي هذه الاخطاء في المستقبل، ويحول دون جعل المستقبل تكراراً لهذا الماضي المليء بالنكبات.

**علة الحكم**: فالعلة الاساسية في الحكم القائم كانت ولاتزال علة الافساد الدائم للنظام الدستوري، والاعتداء المتكرر على حرمة الدستور فالدستور قد وضع ليضمن للبلاد امكان التطور والتقدم. وذلك باطلاع الشعب على سياسة بلاده، ومشاركته في هذه السياسة، حتى يستطيع معرفة الاخطاء والارتكابات. وتعيين المسؤولين عنها. ومحاسبتهم عليها، وتقديم من هو أصلح منهم للحكم، ولكن حبّ الاستئثار عند رجال الفئة الحاكمة، وما يخفي وراءه من طمع في استثمار الحكم واحتكار منافعه، قد دفعهم الى افساد الحياة الدستورية، وسد الباب في وجه كل تطور واصلاح، حتى ظلت الاخطاء تتكرر وتتفاقم، والارتكابات تصل الى حد الخيانة، دونما مسؤولية او خوف من حساب.

ولقد كانت هذه النقطة ولا تزال أساس الخلاف بيننا وبين الفئة الحاكمة، فالواقع ان الدستور الذي يخرق باستمرار منذ خمس سنوات، لايخرقه الحكام عبثاً ولهواً، بل لستر الفضائح وتزوير الانتخابات، وحصر الحكم في أشخاص معينين رغم ارادة الشعب، وتسخير الدولة لخدمة مصالح الاقطاعيين والرأسماليين، وتحويل السياسة الخارجية الى أسرار ومؤآمرات تجري في معزل عن رأي الشعب وممثليه. ووفق انانية الحكام وأهوائهم ومصالحهم، وهذا كله ليس ـ كما تدّعي الفئة الحاكمة ـ من جزئيات الامور وثانويات الشؤون بل هو السبب الرئيسي في هدر جهود الشعب واضعاف معنوياته، وفي تخريب الجيش. وتباعد السياسات العربية، وهزيمة فلسطين، كما انه سيكون السبب الرئيسي في فشل التعبئة المطلوبة، اذا بقي الحكم على حاله.

**الحل**: ان ما وصلت اليه البلاد من فوضى وتأخر وانحلال في الداخل. ومن

ضعف أمام العدو الخارجي، ليس له من علاج فعّال غير ان تعود الى الشعب ثقته بنزاهة الحكام وكفاءتهم، ولا يكون ذلك الا اذا ساهم الشعب بملء الحرية في اختيار هؤلاء الحكام. فلا المجلس الحاضر الذي نجح أكثر من نصفه بالتزوير وقوة السلاح. ولا الحكومة الحاضرة التي تضم أبطال التزوير، وكبار المستغلين والوصوليين، بقادرة على اعادة الثقة التي فقدت، وتعبئة الجهود التي خنقها الضغط وبددها الاستئثار، فواجب الشعب وهيئاته المخلصة ان يناضلوا في سبيل اجراء انتخابات نيابية حرة تحت اشراف حكومة مضمونة الحياد والنزاهة، لكي ينشأ في البلاد حكم يقدر على مجابهة الاحداث والاخطار. ويأسو بعض الجراح التي خلفتها الحكومات السابقة في جسم الامة. ويمحو بعض آثار العار الذي لحق بسمعة العرب.

**عميد حزب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**٧ أيلول ١٩٤٨**

# محاكمة الاستاذ ميشيل عَفلق
## نَص دفاعه امام محكمة الاستئناف

يجدر ان تقتنع المحكمة الكريمة بأن مسألة الحكم والسجن وغير ذلك هي آخر ما أفكر فيه، والدوافع التي دفعتني الى نشر المنشور والى نشر عشرات المناشير قبله والى كتابة مقالات، هذه الدوافع كانت ولاتزال واحدة وهي التي تهمني الآن اكثر مما يلحق بي:

لقد مضى على اعتقالي شهر ونصف، وبالرغم من انني ما زلت انادي بهذه الافكار منذ تأسيس حزب البعث العربي منذ ثماني سنوات مع اخواني قادة واعضاء الحزب، فلقد

---

(١) في الساعة العاشرة من صباح السبت في ٣٠ - ١٠ - ١٩٤٨ نظرت محكمة الاستئناف في الدعوى التي اقامتها النيابة العامة على عميد حزب البعث العربي الاستاذ ميشيل عفلق بزعم اصداره نشرة من شأنها اشاعة الذعر وفيها قذف بالحكام بموجب القرار الصادر عن المفوض السامي عام ١٩٢٥ الذي يستهدف قمع الثورة.

وقد حضر للدفاع عن الاستاذ عفلق خمسة عشر محاميا وبينوا الاسباب التي تدعو الى فسخ الحكم وبراءة الاستاذ عفلق كما ان محكمة البداية لم تسمح بإثبات مفاد النشرة وما جاء فيها من وقائع واتهامات وهذا مخالف للقانون ولحق الدفاع.

وقد ارتجل الاستاذ ميشيل عفلق كلمة استغرقت اكثر من ساعة. ثم أُخليت المحكمة، وبعد المذاكرة قرأ رئيس المحكمة القرار الذي يقضي:

١ - بفسخ الحكم البدائي لعدم انطباق مفاد النشرة على الذيل الثاني للمادة ٦٦.

٢ - بحبس الاستاذ عفلق مدة ستة اشهر عملا بالقرار ٣٩٤٣ الصادر عن المفوض السامي عام ١٩٣٠ وتخفيف العقوبة الى شهرين باعتبار الاستاذ عفلق من الذين ناضلوا ضد الافرنسيين اثناء الانتداب. وعندما انتهت المحكمة من تلاوة قرارها هتف المستمعون للاستاذ عفلق وللبعث العربي وللحرية.

ومما يلاحظ في هذه المحاكمة حيرة القضاء في ايجاد مادة قانونية تنطبق على النشرة. فالنيابة وقاضي التحقيق رأيا مضمون النشرة معاقبا عليه بموجب القرار ٤٩١ ومحكمة البداية طبقت الذيل الثاني للمادة ٦٦، وأخيراً جاءت محكمة الاستئناف وطبقت قراراً جديداً هو القرار (٣٩٤٣). وقد ميّز المحامون هذا القرار لمخالفته الاصول والقانون.

وقد نشر دفاع الاستاذ عفلق امام المحكمة في جريدة «النضال» الدمشقية (صاحبها د. سامي كبارة)، العدد ٢٠٢٣، في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٨.

كان بالامكان ان ارجع الى نفسي واحاسبها وأعيد النظر فيها فكرت وكتبت خلال هذه المدة من الاعتقال. ولكني وجدت ان هذه المدة القصيرة (شهر ونصف) قد عملت اكثر من اي وقت مضى على تثبيت فكرتي وقناعتي وتوكيد ما اتهم به هذا الحكم منذ زمن طويل حتى الآن. لأن الحكومة قد قدمت لي في هذه المدة من البراهين الجديدة اكثر مما انا في حاجة اليه. ولن اطيل في هذا البحث بل اكتفي بالاشارة الى ماتم في هذه المدة من الفظائع التي ظهرت، والى أمور تتعلق بسلامة الوطن وبسلامة حياة الوطن..

كما أُشير بشكل اقوى الى ما تم في المجلس النيابي في تلك الجلسة المشهورة التي منع فيها النواب من الاعتراض على خرق الدستور. ومنعوا بالعنف والضغط وبأسلوب غير شرعي وغير مقبول، اسلوب تقديم عريضة لمنع البحث في ذلك الموضوع، أشير الى أمور كثيرة اخرى سواء ما اتصل منها بالمعارف او الامتحانات ونزاهتها او بما يشاع عن اتفاقية النقد او شركة البترول (التبلاين)، كل هذه الامور التي تهدد كيان الدولة جاءت هذه المدة القصيرة وفضحتها. وكان يجب علي أن انشر بيانات جديدة فأنبه فيها الشعب الى مساوىء جديدة تنتج عن العلة الاساسية الكامنة.

**وزارة التعبئة لاتعبىء**

لقد اخذت على الحكومة انها ابعد ما تكون عن القدرة على تحقيق التعبئة التي ادعت بأنها أُلفت من اجلها فسمت نفسها (وزارة التعبئة)، وأصدرتُ بياناً بأن كل شيء يجب ان يتلاشى امام هذه المشكلة الاساسية وهي مشكلة الوطن، وقلت بأنها اعجز حكومة تستطيع ان تضطلع بهذه المسؤولية. وها قد مرت مدة شهرين وانا اتساءل عن هذه التعبئة التي اعدتها الحكومة وماذا جرى بها. هل تبدل شيء في الشعب تبدلاً يتلاءم مع حالة التعبئة؟

لقد تعهدت الحكومة بأن تقلب اوضاع البلاد رأساً على عقب فهل انقلب شيء من حياة الشعب، وهل تغير شيء في سبيل الحرب؟

لا اعتقد.

**ذرائع للبقاء في الحكم**

لقد قرأت في السجن كتاباً مترجماً يقول فيه صاحبه (اندريه موروا) في فصل عنوانه

(فن الفكر): «اليكم مثلاً رئيس حكومة او رئيس مجلس نواب يتفوه بلفظة تعبئة فاذا هذه اللفظة التي لم يحتج صاحبها الى اكثر من تحريك الشفتين يقيم الدنيا ويقعدها فيحرك رجال اوروبا ويبعث باسراب الطائرات تدك المدن وتدمرها بل تخرب العالم اجمع وتجهز على الحضارة.»

ففي البلاد السوية الحال والمستقيمة الاوضاع تجد الكلمة التي تخرج من فم رئيس تقابلها حقيقة راهنة، لذلك قلت في تلك النشرة بأن لفظة التعبئة لم تكن بالنسبة الى الحكومة سوى ذريعة من الذرائع، لأن الذرائع عند الفئة الحاكمة لاتنتهي، فتارة معركة فلسطين وتارة الرجعية الدينية التي اتخذوها ذريعة لتزوير الانتخابات كما يعرف الجميع، وتارة الخوف من الاخطار الخارجية.

وما غرض الحكومة من اختلاق الذرائع الا المد في اجل حكمها للاستئثار والاستثمار والقضاء على كل مقاومة شعبية تحاول ان تنقذ البلاد من اوضاع ساءت الى حد الخطر المداهم.

**نحارب سياسة الاشخاص**

لقد كنا في كل وقت نعالج القضية في شكلها العام ولا يخطر لنا ببال ان نحسد او نكره اشخاصاً، امامنا فكرة، امامنا قضية. نحلم بمستقبل لبلادنا، ننظر الى الواقع الذي يعترض هذا المستقبل ويخالف الفكرة التي نؤمن بها، فنعمل ونثور ونتكلم ونكتب ولكن لاتهمنا الاشخاص.

والآن اذا تعرضت الى شخص وزير الداخلية فان تعرّضي له عارٍ عن كل شعور شخصي، لانني لا اعرفه ولم اجتمع به الا مرة واحدة خلال خمس دقائق منذ زمن بعيد، ولكنني اعرفه من سياسته ومن اعماله ولا اكرهه ولكنني أكره سياسته وأنقم على اعماله، وأمقت اسلوبه.

الذي يهمني في الموضوع هو ان حزبنا قد اصطدم بسياسة السيد صبري العسلي منذ اربع سنوات وحضرة رئيس المحكمة يعرف ذلك، اذ ان الحكومة احالت على القضاء الاستاذ صلاح الدين البيطار امين الحزب. فمنذ ذلك الحين نرى في الاسلوب الذي ينتهجه السيد صبري العسلي تجاه حرية الفكر والصحافة والدستور استخفافاً بهذه الامور

التي نعتبرها نحن جوهرية ويستسهل هو العبث بها والتحايل عليها، فكأنه يشق بصراحة وعزم طريقاً وسنّة في البلاد نحو حكم ان سميته دكتاتورياً اكون قد رفعت من مستواه. وانما هو اقل من ذلك اذ ليس فيه من الدكتاتورية الا تعطيل الصحف وخاصة (البعث) واعتقال المناضلين وخاصة مناضلي البعث العربي وأخيراً احالتي الى القضاء وسوء معاملتي التي تعرفون شيئاً عنها. وسحب امتياز جريدة «البعث» دون اي مبرر وبجرة قلم. حتى انه سعى ليمنع عني حق تخلية السبيل في امر لو كان جرماً عادياً لجاز فيه اخلاء السبيل فكيف وهو عمل سياسي لشخص معروف الاقامة ولا يمكن ان يفكر قط بالفرار. فهذه التعديات وهذا التحامل لو كان مقتصراً على شخصي او حتى على حزبي لكان اهتمامنا به اقل، ولكنها سياسة عامة، ولكنه اسلوب ونظرية ينتهجها السيد العسلي منذ زمن طويل، وهو يدعو في ايام الشدائد الى تطبيق هذا الاسلوب، ونحن نعتقد ان كل الخطر يكمن في سياسته واسلوبه.

لنحصر الكلام في الاتجاهات ولنترك الاشخاص، نعتقد بأن اتجاه الحكم الحاضر مناقض لما نريد نحن، ونعتقد بأنه مناقض لمصلحة الامة والوطن. هذا الاسلوب في خنق الحريات، وفي العبث بالدستور وفي تزوير الانتخابات وفي التأثير على القضاء.. هذا هو الذي يشوش الطمأنينة العامة وهو الذي يخل بالامن وهو الذي يفعل فعل التحريض على الفتنة والثورة.

فأذا سُدّت أمام الشعب كل السبل المشروعة فالسبيل الوحيد هو الثورة. فمن هو المحرض؟ أنحن المحرضون ام الحكام...

**تذرع بالواقعية**

انني أحرص ايضاً على ان اسجل بأن ما سميته أسلوباً لرجال الحكم ليس هو مجرد أجتهاد في الحكم وليس هو نظرية تحتمل الخطأ والصواب بل هو شيء مدبر، الدافع اليه اغراض بعيدة عن المصلحة العامة.

كيف لانختلف مع رجال الحكم، وسعي موجه (الحكومة) لمنافع لها ولرجالها وللبقاء في الحكم، وهي تشوه الحقائق والدستور وتنحرف بالحكم عن جادته. كثيراً ماوجهت الينا من رجال الحكم وحواشيهم وصحفهم تهمة البعد عن الواقع لان رجال الحكم

يبررون مايظهر في حكمهم، وان الواقع هو غير التفكير، وان هذا هو الممكن وحده، اقول ان شيئاً واحداً يبرر السياسة التي تسمي نفسها واقعية والتي تتذرع بالواقعية الا وهو النجاح، اذا كانت هذه السياسة ناجحة عندئذ نصدق انها واقعية واننا كنا نحلم، ولكنها هي الفشل بعينه ولم نر شيئاً ناجحاً منذ سنين سواء في الداخل او في الخارج لقد استلموا البلاد وهي في احسن وضع من حيث الاستعداد والقابلية: شعب متفتح الى النور كسب استقلاله بدمه، يريد ان يبني بعد ان ناضل كثيراً، وهو مستعد للتضحية الى اقصى الحدود في سبيل حياة سعيدة فماذا تمّ في هذه السنوات الخمس؟

لقد قال وكيل النيابة العامة في البداية بأن تطوراً عظيماً قد تم.

وانا اقول ان تأخراً عظيماً قد تم من الناحية المادية والمعنوية معاً، والناحية المعنوية هي دوماً اهم، ولا احسب ان احداً ينكر علينا ان نفسية الشعب ومعنوياته وثقته بنفسه وبالحكم وبالاستقلال والمستقبل قد تراجعت وتأخرت اشواطاً كبيرة الى الوراء في هذه السنوات الخمس.

هذا بالاضافة الى الامور الملموسة التي ظهر فيها كل شيء: ظهر البؤس والتأخر والانحطاط والجوع في اكثر طبقات الشعب، وظهر العجز في احراز النصر في فلسطين.

**القضاء ضحية كالشعب**

وهنا سرد الاستاذ الاسباب بصورة مفصلة ستنشر عندما يساعد الظرف على نشرها، ثم قال: احب وأتمنى على المحكمة الكريمة بأن تقدر وضعي حق التقدير، لقد قلت في بدء كلامي بأن ما يلحق بشخصي او بأي فرد من افراد حزبنا هو مستعذب لدينا فليس هذا ما اعنيه. انما يهمني علاوة على نشر الافكار التي نشرتها في البيان وعلى اصراري في هذا الدفاع الذي سجلته والحاحي على دعوة الشعب الى تلافي الخطأ قبل وقوعه، وان يناضل لكي يقي البلاد كارثة كبرى، انما يهمني علاوة على كل هذا الآن هو وضع القضاء، وهو سلطة اساسية في البلاد، وركن هام من اركان الدولة، واذا كنت ادافع وارافع رغم ما تبين لنا جميعاً من تحامل خلال مدة

اعتقالي وضغط وايحاء ومن تدخل السلطة التنفيذية في القضاء، فلأنني اصر ان اقف من القضاء موقفاً متفائلاً، لانني اعتقد ان القضاء في هذا الوضع ضحية مثلي ومثل الشعب، والشعب في مجموعه في صف المتهم للفئة الحاكمة، لذلك لايمكن ان اشعر نحو القضاء بضغينة ولكني لا ارضى لقضائنا ان يستسلم للواقع، فالقضاء سلطة قوية وتوجيهية وأشخاصه بمثابة الموجهين المربين للشعب في أحكامهم وفي حرصهم على العدل، ولهم بذلك صفة الاستاذ تماماً، ولا اعلم لماذا اطلب من نفسي التضحية ولا اطلبها من اخواني ورفاقي الذين وضعهم علمهم في مناصب القضاء، لماذا لا اطلب منهم ان يبرهنوا بأن في الامة روحاً جبارة لايمكن ان تستسلم للواقع!

**٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨**

# الانقلاب العسكري الاول في سوريا

## مذكرة اللجنة التنفيذية لحزب البعث العربي الى القائد العام للجيش والقوى المسلحة[1]

من دواعي الاغتباط ان نراكم تسجلون، في بيانكم الذي اذعتموه أمس على الشعب العربي في سوريا، ما كان لهذا الشعب من التأثير الاكبر في تحقيق الانقلاب الاخير. والحق ان الجيش الذي يتألف من ابناء الشعب لم يكن سوى الاداة الامينة المباركة التي نفذت رغبة قومية وارادة عامة طالما اعلنها الشعب، خلال السنوات الاخيرة في نضاله الجريء العنيد، وقدم في سبيلها الضحايا العديدة في مناسبات كثيرة.

ان هذه الحقيقة البارزة التي تعطي للانقلاب الاخير اقوى حجة لتبرير ماحدث، يجب ان تكون ايضا اقوى اساس لبناء المستقبل. فالشعب العربي في سوريا وفي

(١) قبيل حدوث الانقلاب كانت الدلائل تشير الى وقوعه لان الشعب لم يعد يطيق تآمر الفئات الحاكمة وتخاذلها امام السياسة الاستعمارية والذي ظهر بوضوح من كارثة فلسطين، فارتكز قائد الجيش «حسني الزعيم» على هذا الشعور الشعبي وقام بالانقلاب الاول، فصفق له الشعب وأيده الحزب ضمن شروط قدمها في مذكرة خاصة. وسعى لتشكيل جبهة سياسية تمنع قائد الجيش من الشطط والاستئثار فلم يثمر سعيه بسبب من انقسام رجال السياسة. فبقي الحزب وحده في الميدان يوجه المذكرات والتحذير. وقد كلف الحزب للاشتراك بالوزارة مرتين فرفض لعدم وجود الضمانات لقيام حكم دستوري حر، واخيرا عمد الحزب لمصارحة الرأي العام بتوزيع مذكرة شرح فيها سوء الوضع وانحراف قادة الانقلاب. ولكن السلطة اعتقلت عميد الحزب وعددا كبيرا من الاعضاء، واخذت تنكل بهم، كما منعت جريدة «البعث» من الصدور. وبعد ان خرج قادة البعث العربي واعضاؤه من السجون انصرفوا الى تنظيم المقاومة السرية بالشكل المتلائم مع حكم دكتاتوري عسكري، وتفاهموا على ذلك مع عدد من رجال الجيش والسياسة.

جميع اقطار العروبة، لايقنع من الانقلاب بان يكون نهاية عهد اسود فحسب، بل يريد ان يجد فيه نقطة انطلاق نحو الحياة الحرة المنتجة القوية.

ومن الواضح الجلي ان ضعف العهد السابق وانهياره كانا نتيجة السياسة التي قامت على خنق حريات الشعب وتزييف ارادته، وتسخير جهوده وموارد بلاده، لمصلحة الحكام وطبقتهم المستثمرة الجشعة. فلا بد اذن من قلب هذه السياسة من اساسها حتى يُقّدر للانقلاب ان يحيا ويدوم.

ولا يكون ذلك الا اذا اعتبر الشعب هو العنصر الاساسي الثابت في الحادث العظيم الذي تمّ، وان من حقه بل من أوجب مقتضيات المصلحة القومية، ان يتبنى هذا الانقلاب، يحميه ويقويه ويوجهه الوجهة الصالحة.

ولكي يستطيع الشعب ان يحمي انقلابه ويثبت دعائمه على الاسس الصحيحة المتينة، عليه ان يكون حراً في التعبير عن إرادته ورغباته، وأن يشارك عمليا في رسم منهاج العهد الجديد وتطبيقه. عندئذ يجد الشعب بقاء العهد الجديد مرتبطا ببقائه ومصلحته ويكون مستعداً للدفاع عنه بالنفس والنفيس، وعندئذ تكون لهذا العهد قوة لاتؤثر فيها الاخطار مهما عظمت ومن اي ناحية أتت.

ان حزب البعث العربي الذي قدّر في جميع مراحل نضاله، المسؤولية القومية التي ترتكز على فكرته الشعبية الاشتراكية الحرة يعتبر نفسه في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ سوريا العربية، مسؤولا ايضا عن بيان الخطوات الضرورية التي تحقق للبلاد ثمار نضالها الطويل. ولذلك فالحزب يرى ان تبنى السياسة على الاسس التالية:

١ ـ تشكيل حكومة مؤقتة حائزة على ثقة الشعب.

٢ ـ تطهير الجهاز الحكومي من جميع صنائع العهد البائد، ومحاكمة المسؤولين عن فضائحه وارتكاباته.

٣ ـ تأمين الحريات العامة التي نص عليها الدستور.

٤ ـ اجراء انتخابات حرة في المدة المحددة للدستور، وعودة الحياة الدستورية الجمهورية الى مجراها الطبيعي.

**عميد البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ٤ نيسان ١٩٤٩**

# الانقلاب والشعب العربي

هذه ساعات حاسمة في تاريخك[1] ، وعليك وحدك ايها الشعب يتوقف مصيرك ومستقبلك . لقد كانت تقوم في وجه اخلاصك وحيويتك ووطنيتك عقبات جسيمة وعراقيل دائمة ، هي عقبات متراكمة من الفساد والاستبداد والاستثمار والشهوات الدنيئة والمؤامرات والخيانات . وفي عمل واحد أزيلت من طريقك هذه العقبات ، فانفتح الطريق أمامك ، فلا عذر لك بعد اليوم لان ما سيقوم في هذه البلاد من سياسة واعمال ، انما انت الذي ستقوم به ، فلا ارادة فوق ارادتك ، هذه هي القناعة التي يجب ان تتمسك بها دوماً ، ان الذي قضى على العهد السابق وأوصله الى الحضيض ليس السرقات والخيانات والمحسوبيات فحسب ، بل عدم اعتماده على الشعب . لقد مات هذا العهد بفقر الدم لان الشعب لم يكن يمده بدمه الزكي .

أيها الاخوان

ليس من قوة في الارض تعادل قوة الشعب اذا كان الشعب حياً واعياً لحقوقه ، ان الاسلحة والاموال والدسائس ، تلك القوى الكاذبة التي اعتمد عليها العهد البائد . فأفسد الضمائر بالاموال وصوّب الرصاص الى صدور الشعب وفرض عليهم الخوف والقلق ، كل هذا لم يغن عن الحكم البائد الفاسد شيئاً ، ان القوة الحقيقية هي ملايين الشعب من الطلاب والعمال والفلاحين وبقية الجماهير العاملة .

فاذا كنا نستقبل عهداً جديداً فعلينا اولاً ان نعتبر بعهد قد مضى ، وانقضى الى

---

(١) الخطاب الذي ألقاه عميد الحزب في تظاهرة البعث العربي بدمشق في ٧ نيسان ١٩٤٩ بمناسبة الانقلاب . ونشر في العدد الرابع من النشرة الداخلية الدورية .

غير رجعة ، علينا ان نعتبر بأخطائه وعلينا ان نتدارك تلك الاخطاء ونبني حكمنا منذ اللحظة الاولى على القوة الحقيقية ، القوة الشعبية .

**أيها الاخوان**

ليس ماحدث في سوريا انقلاباً ، وهو في الواقع خطوة نحو الانقلاب ، اننا نستبشر بهذا الحادث ونعلق عليه الآمال ، ولكن علينا ان نوسع افقنا وننظم صفوفنا وان ننظر دوماً الى الامام ، الى العلاء . فالانقلاب الذي يطمح اليه الشعب العربي هو انقلاب شامل . الانقلاب الذي يجب ان نسعى اليه دائماً وان نجعل من انقلابنا الحاضر وسيلة وخطوة نحوه ، هو الانقلاب الذي يحقق للشعب العربي في جميع اقطاره الاشتراكية العربية والوحدة العربية .

ان الانقلاب الذي ننشده هو الذي يحول هذه البلاد العربية الواسعة من بلاد ضعيفة مشلولة الى بلاد يكون فيها كل عربي جندياً قوياً يدافع عن بلاده ، الى بلاد تقوم على (٧٠) مليوناً من العرب الاحرار الواعين المنتجين .

هذه هي الامة العربية التي نريدها والتي صممنا على بعثها . لا الامة التي تحتكر ثروتها طبقة اقطاعية وتضيع عليها سياستها وشرفها وكرامتها .

الامة العربية التي نريدها هي التي تجمع لنا كل اقطار العروبة ، لا الدويلات المجزأة التي اوجدتها انانية الحكام .

**أيها الاخوان**

اذا كان الانقلاب في سوريا سيكون على هذا المنوال فاننا مستعدون والشعب كله مستعد لان يبذل في سبيله الدماء .

**ميشيل عفلق**
**٧ نيسان ١٩٤٩**

# طريق الانقلاب الصحيح

تعلمون ولا شك[1] ان حزب البعث العربي كان قد أيد الانقلاب منذ يومه الاول تأييدا فعليا. وقام اعضاء الحزب في العاصمة ومختلف المدن والقرى بتظاهرات شعبية في صبيحة اليوم الثاني لتوطيد دعائم الانقلاب.

ان موقف حزبنا الايجابي من هذا الانقلاب كان مبنيا على الاسباب الآتية:

اولا: كان الحزب قد فقد آخر أمل بصلاح العهد الماضي مذ أشرف رئيس الجمهورية السابق على تزوير الانتخابات ووصم العهد بوصمة اللا شر عية. فاعتبرنا ان التخلص من ذلك العهد هو خلاص للبلاد من جميع الاخطار والكوارث التي تنجم حتما عن كل عهد غير شرعي. وايدنا الانقلاب لاعتبارنا اياه فرصة تعيد الى الحكم شر عيته والى الشعب حقوقه وسيادته.

ثانيا: ان تأييدنا للانقلاب كان ايضا بنتيجة اطمئناننا الى التصريحات الاولى والبيانات التي صدرت عن قيادة الجيش السوري الباسل والتي كان طابعها الصريح القوي مبادىء الحرية والدستور والتقدمية والاشتراكية وهي أقرب ما تكون الى مبادىء (البعث العربي).

ثالثا: لاطمئناننا الى ذلك العدد من ضباط الجيش الذين كانوا في طليعة الانقلاب، والذين نعرف فيهم العقيدة القومية الصادقة وتقدير المسؤولية.

رابعاً: لاقتناعنا بأن التفاف الشعب وهيئاته القومية الواعية حول الانقلاب هو في

(١) المذكرة التي تقدم بها حزب البعث العربي الى رئيس مجلس الوزراء والقائد العام للجيش والقوى المسلحة في ٢٤ آيار ١٩٤٩ والتي تتضمن رأي الحزب في الخطوات اللازمة لتحقيق الانقلاب الصحيح.

كل الاحوال أضمن لسلامة الحدث الانقلابي ومنع الانقسام الداخلي والاستغلال الخارجي، وادعى الى حسن توجيه العهد الجديد بحيث لايبقى للقائمين عليه عذر اذا هم ابتعدوا عن الاتجاه الشعبي الصحيح.

وهكذا كان حزبنا ايضا اول الاحزاب الذي اتبع تأييده الفعلي بتأييد رسمي عبرت عنه المذكرة الاولى التي قدمناها لكم وأشرنا فيها الى ضرورة اعتماد العهد الجديد على قوة الشعب وتأييده الحر الواعي، وبينا الشروط التي تضمن لهذا العهد التأييد الشعبي الصحيح وتأييد الحزب بصورة خاصة. وهذه الشروط تتلخص في تشكيل حكومة حائزة على ثقة الشعب وتطهير الجهاز الحكومي ومحاكمة المسؤولين واجراء انتخابات حرة لاعادة الحياة الدستورية.

وقد كان في تصريحاتكم الخاصة لنا وفي اذاعة مذكرتنا ما جعلنا نطمئن الى ان هذه الشروط ستكون اساسا لسياسة العهد الجديد، ولكن لانكتمكم اننا فوجئنا بعد ذلك بأعمال وتدابير مخالفة للتصريحات التي بدأ بها الانقلاب وهذا يظهر في الامور الآتية:

اولا: في التعيينات في وظائف الدولة الكبرى ولا سيما الالتجاء الى اشخاص كانوا من ابرز دعائم العهد الماضي الذي جاء الانقلاب ليمحوه.

ثانيا: في التسريحات التي لم تشمل الاشخاص الكبار المسؤولين.

ثالثا: في تشكيل حكومة مبنية على اساس تجاهل كل النزعات السياسية التي تحملها وتمثلها الاحزاب، وهو الشيء الذي كانت تشكو منه البلاد في العهد الماضي. مع ان الانقلاب لم يكن ليتحقق او يفكر فيه مجرد تفكير لولا وجود احزاب منظمة مثلت المطالب الشعبية طوال العهد الماضي، ويرجع لها وحدها الفضل في الابقاء على روح النضال في الشعب مما سهل حدوث الانقلاب.

رابعا: في الغاء امتيازات الصحف لاسيما صحف الاحزاب التي مثلت المعارضة في العهد السابق. ومع ذلك فقد قدرنا ظروف الانقلاب الاستثنائية اكبر تقدير. وفرقنا بين ماهو شكلي مؤقت وبين ماهو جوهري أساسي. وصبرنا بعض الصبر على تأخير اعادة الوضع الدستوري للبلاد، وبقينا أميل الى التفاؤل بان الامور ستأخذ بعد حين

مجراها الطبيعي المتفق مع اهداف الانقلاب.

ولم يفتنا العلم بأن من الخطأ ان ننكمش ونبتعد عنكم في هذه الظروف العصيبة الصعبة، وان علينا واجب الاتصال بكم وعرض ما نعتبره مطالب الشعب المشروعة والتنبيه الى الاخطاء والانحرافات، خاصة فيما له مساس بسيادة البلاد واستقلالها وبسيادة الشعب وحقوقه الاساسية.

هكذا جرت المقابلة ولفتنا نظركم الى جملة اشياء منها عدم المشروعية في تأليف لجنة الدستور من موظفين، وضرورة ترك ذلك للمجلس المقبل؛ كما اننا قدمنا لكم في مقابلة اخرى مذكرة عن اتفاقية التابلاين بعد ان فوجئنا بتصديقكم لاتفاقية النقد. وقد بيّنا لكم فيها من جهة الاجحاف الصارخ في شروطها الحالية ومن جهة اخرى ضرورة ابقاء أمر البت فيها الى المجلس النيابي المقبل لانه وحده صاحب الحق في ذلك.

ولم يفتنا ان نلفت نظركم اثناء هاتين المقابلتين الى مضار النهج العقيم المعكوس الذي سار عليه العهد السابق في علاقاته مع الاقطار العربية الشقيقة، واعربنا لكم عن املنا في ان نرى العهد الجديد يبتعد عن سياسة التكتل والتفرقة والمهاترة التي اوصلتنا في الماضي الى اسوأ النتائج.

وبينا نحن ننتظر نتيجة ايجابية لاتصالاتنا ومذكراتنا ونتوقع بفارغ الصبر ما يدل على انتهاء التدابير الاستثنائية والشروع في تحقيق الوضع الدستوري المشروع للبلاد، اذا نحن نرى بدل ذلك ايغالا في هذه التدابير حتى بتنا نظن انها احجار اساسية في العهد الجديد.

وبالرغم من ذلك فلم نقطع الامل، واحببنا ان نعرض عليكم في مقابلة جديدة وجهة نظرنا في امرين اساسيين نعتبرهما من أسس النظام الديمقراطي الصحيح الذي جاء الانقلاب لاقامته: نعني قضية الدستور وقضية قسم الموظفين.

وفي هذه المقابلة التي تمت مساء الاحد ١٥ ايار ١٩٤٩ لم نكتمكم دهشتنا من التصريح الذي نشرته الصحف على لسانكم، والذي يعلن بان النية متجهة لعرض الدستور الجديد على الاستفتاء الشعبي للمصادقة عليه. وقلنا آنئذٍ ان الدستور لايجوز ان تضعه لجنة معينة من الموظفين، كما ان الشعب لا يمكن ان يصادق مباشرة على امر

خطير كهذا، ولا بد من انتخاب مجلس نيابي تأسيسي ينتخب انتخابا حرا يضع هو الدستور بملء الحرية، ويكون للشعب وهيئاته السياسية وصحفه الحرية التامة في مناقشة هذا الدستور وابداء آرائها فيه، ويجوز بعد اقراره من قبل المجلس التأسيسي، ان يعرض على الاستفتاء الشعبي وهذا هو الطريق الوحيد المتبع في البلاد الديمقراطية كفرنسا وايطاليا، وهذا ما يجري حاليا في الهند وباكستان.

ثم ابدينا في هذه المقابلة استغرابنا من صدور مرسوم اشتراعي يقضي بان يؤدي الموظفون قسما يتعهدون فيه بعدم الانتماء في الحاضر والمستقبل لاي حزب سياسي، وقلنا بأن هذا التدبير لا يوجد له مثيل في البلاد الديمقراطية ولا في اي قطر من الاقطار العربية: وان فيه تجاوزا لابسط حقوق المواطن ومساسا بعقيدته القومية وكرامته الانسانية، فالحكومات مهما تطرفت وغالت في هذا الاتجاه (المعاكس للديمقراطية) فانها لاتصل الى ابعد من حظر النشاط السياسي على موظفيها اثناء قيامهم بوظيفتهم، وثمة ناحية اخرى لها مساس بصميم تكوين امتنا السياسي والاجتماعي هي ناحية الحياة الحزبية وضرورة احترامها واحلالها المقام الاول في سياسة الدولة في هذا العهد الجديد. ومما لاشك فيه ان حكومات الانتداب اولا، وحكومات العهد السابق ثانيا، قد عملت بكل الوسائل على اعاقة انتظام الشعب في احزاب عقائدية واضحة الاهداف مما جعل البلاد تتخبط في الفوضى والجهل وضياع المسؤولية، واوجد هوة متزايدة الاتساع بين الشعب وحكامه، ولقد خرجنا من هذه المقابلة بأثر طيب بعد ان استمعتم لملاحظاتنا وذكرتم بأنكم ستعيدون النظر في هذين الامرين وتهتمون بهما بالغ الاهتمام.

ومع ذلك فقد فوجئنا في اليوم الثاني بخبر تصديق اتفاقية التابلاين دون الاخذ بما جاء في مذكرتنا.

لقد ألمحنا في مذكرتنا الاولى التي قدمناها لكم الى حقيقة لايمكن نكرانها، وهي ان الجيش، بقيامه بالانقلاب كان اداة منفذة لرغبة قومية ولارادة عامة عند الشعب. وان الانقلاب لايقدر له البقاء الا اذا اعتبر دوما انه ثمرة هذه الارادة الشعبية وتلبية لها، فالجيش هو جيش البلاد، ولم تكن قوته بسلاحه ولكن بتجاوبه مع أماني الشعب وحاجاته، والشعب لم يشعر بهذا التجاوب العميق مع حركة الجيش لمجرد انها اقصت

عن الحكم شخصا بالذات بل لاعتقاده انها ستقضي على سياسة ضارة كان العهد السابق ينفذها.

ومن أبرز سيئات السياسة الماضية خنقها للحريات في سبيل ستر الفضائح والارتكابات وبقصد التلاعب بمقدرات البلاد وبمصير العروبة وفق مصالح الاشخاص وأنانيتهم. واليوم لايطمئن الشعب الى ان تلك السياسة قد زالت نهائيا ما لم تضمن له الحرية التي تمكنه ان يراقب الاعمال ويقيس مدى انطباقها على الوعود والتصريحات، ومدى انسجامها مع مصلحته واهدافه القومية في الداخل والخارج.

لهذا يرى حزب البعث العربي ان طريق الانقلاب الصحيح هو في تحقيق الخطوات الآتية:

اولا: تأليف حكومة من الاحزاب التي مثلت في العهد السابق المعارضة لانها هي الاحزاب التي تمثل الشعب.

ثانيا: اعادة الحريات كاملة ولا سيما لتلك الاحزاب وصحفها.

ثالثا: ثم الشروع في اجراء انتخابات لا اثر فيها للتدخل او الضغط ووضع دستور بالطرق المشروعة من قبل المجلس المنتخب او الابقاء على الدستور القديم وتعديله وانتخاب رئيس للجمهورية من قبل المجلس ايضا.

ان حزب البعث العربي، اذ يصارحكم برأيه في سياسة العهد الحاضر، يقدم اليكم المطالب التي بتحقيقها يعود الى الشعب اطمئنانه، والى العهد سلامة اتجاهه ليأمل ان تقدروا الدوافع القومية التي تدعوه الى هذه المصارحة ورغبته الاكيدة في ان يبقى متجاوبا مع هذا العهد، ليوجه جهوده نحو الانشاء والبناء، بعد ان كان يوجهها في المعارضة والنضال،

ان البلاد لم تقصر في تقديم اقصى ما تستطيع من حسن الاستعداد وصادق التشجيع لكي يكون الانقلاب بدء تحول جوهري في حياتها. وقد طال انتظارها لما يطمئنها على ان العهد الجديد يقدّر هذا الاستعداد ويستفيد منه الاستفادة المرجوة.

ويعتبر حزبنا انه يقدم للبلاد خير خدمة اذا هو استطاع ان يحفظ للشعب ثقته بالانقلاب ويوجه الانقلاب الى ما يؤهله لمثل هذه الثقة.

**عميد حزب البعث العربي**

**ميشيل عفلق**

**دمشق في ٢٤ أيار ١٩٤٩**

# عهد جديد
# بعقلية قديمة ومصالح ازلية

لن نعجل على هذا العهد ونصدر فيه منذ يومه الأول رأيا سلبياً نهائياً. بل لابد ان ننصفه في نقطتين ما زلنا نكررهما منذ حين وهما:

اولاً: ان الشعب كان صادقاً كل الصدق في انتفاضه على عهد ما قبل الانقلابات العسكرية، فهو اذن يطمح الى تجديد في حياته وأوضاعه، ولا يفكر في العودة الى القديم السقيم.

ثانياً: ان رجال هذا العهد الذين لايختلفون عن رجال العهد القديم من حيث العقلية الاجتماعية الجامدة والانقياد للمصالح الشخصية والعائلية، لايخلون من فضيلة واحدة سلبية تميزهم عن سابقيهم، وهي انهم لم يتبذلوا بعد الى حد المتاجرة بالجهاد المزعوم ولم يستحلوا في سبيل الحكم ومغانمه كل مقدس ومحرم، ولم يتصفوا بأسلوب الشقاوة ونفسية العصابات!

ولكن هذه المفاضلة ليست مضمونة الدوام، وقد لا تعمر طويلاً فلقد ظهرت حتى الآن بعض البوادر من الحكام الحاليين، رغم حداثة عهدهم بالحكم، تنبىء عن مدى ما يستطيعون الوصول اليه، في مستقبل قريب، من سوء فهم لمعنى الحرية، وأستهتار بارادة الشعب، وأستغلال للنزعات الرجعية، ومجارات للمصالح العائلية والاقطاعية. فهل في مقدور بعض المزايا الشخصية التي تظهر الآن عند بعض زعمائهم ان تحول دون تدهور هذا العهد وانتظامه في القانون العام الذي يسيّر جميع العهود القائمة على المصالح الاقطاعية والنفوذ العائلي؟.

اننا نؤمن ان قضية شعبنا ليست قضية اشخاص او فروق شخصية ثانوية في الكياسة واللباقة، وانما هي قضية حاجات اجتماعية حيوية، وأهداف قومية شاملة، وان كل حكم لايتفهم هذه الحاجات والاهداف بعمق، ولا يستجيب لندائها بحرارة وصدق، هو حكم مصطنع، مصيره الزوال السريع.

**ميشيل عفلق**

**١٠ ايلول ١٩٥٠**

# الارهاب السعيدي في العراق

اطلع الرأي العام العربي على الانباء التي توافرت منذ مدة عن حملة الاعتقالات التي قامت بها حكومة «نوري السعيد» ضد اعضاء البعث العربي الاشتراكي في العراق، وما رافقها من ارهاب وتعذيب وتشريد. وليس يضير حزبنا ولا أفراده أن يعتقل بعضهم وأن يساموا التشريد والجور، فهم كأعضاء في حزب نضالي مهيئون دوماً للتضحية، ويدركون تمام الادراك انها في هذه المرحلة من حياتنا القومية، ثمن لابد منه جد رخيص تجاه ما يسهم فيه من ايقاظ لوعي الشعب العربي، يبتعث فيه الشعور الكامل بحقوقه وبرسالته، ويدفعه إلى الاستبسال في نضاله من أجل حريته ووحدته. ولكن الاسلوب الذي اتبعته الفئة السعيدية في معاملة البعثيين الاشتراكيين يأتي دليلاً جديداً على جو الارهاب الذي ترى نفسها مضطرة إلى خلقه لكي تستطيع متابعة سياستها الممالئة للأجنبي والمخالِفة لارادة الشعب.

لقد اضطرت الفئة السعيدية إلى نكران رسالة الوحدة العربية التي طالما زعمت انها رسالتها، حين اتهمت البعثيين الاشتراكيين بالعراق بالاتصال بجهة اجنبية، ثم تبين من تفاصيل التهمة ان هذه «الجهة الاجنبية» ليست الا القيادة القومية للحزب، ومقرها دمشق كما هو معروف. وكثير على العروبة ان يعتبر كل قطر من اقطارها المصطنعة التجزئة اجنبياً عن الآخر. والبعث العربي الاشتراكي، يفخر بأنه أول حزب عربي ثار على هذه التجزئة، وجعل تنظيمه عربياً شاملاً لايفرق بين قطر وآخر. وحكومة السعيد تناقض كل ما تنادي به من تصريحات علنية حين تحارب في العراق حزبنا العربي القومي، بينما هي تؤيد وتحمي، في سوريا، حزباً آخر رسالته نكران

العروبة ومهمته خدمة اغراض الاجنبي .

ولقد حاولت الفئة السعيدية تبرير حملتها على البعثيين الاشتراكيين بالزعم بأنهم يهدفون إلى قلب انظمة الحكم في البلاد العربية . ان البعث العربي الاشتراكي حزب انقلابي حقاً، ولكنه لايؤمن بالانقلاب الا شاملاً جذرياً، صادراً عن الشعب نفسه وعن طريق النضال الشعبي . ان طريق الانقلاب لدى البعث العربي الاشتراكي واحد واضح : هو طريق ايقاظ الوعي في الشعب وتنظيم نضاله واعداده لمرحلة يتخلص فيها من الفئات الحاكمة التي لاتمثله ، بل تمثل اهدافاً مصلحية معينة تلتقي في الداخل مع اهداف الاستعمار الخارجي .

وتاريخ حزبنا يثبت ان الحكومة العراقية لم تأت بجديد حين اتهمته بالدعوة إلى مبادىء هدامة ، بل تبنت نفس الخديعة التي حاربته بها الفئة الحاكمة في سوريا أول نشأته قبل أن تضطر الى الاعتراف به نتيجة لاقبال الطليعة الواعية المخلصة على دعوته. لقد كانت مبادىء البعث العربي الاشتراكي أسس البناء الذي بدأ رغم العقبات الرجعية يرتفع ويظهر في نفوس الشعب العربي في معظم الاقطار. أما صفة (المنظمة السرية) التي وصف بها الحزب في العراق فهي صفة طبيعية لحزب يأبى التخلي عن النضال في بلد تنتهك فيه الحريات العامة وتحرّم فيه الحياة الحزبية، وتحل فيه حتى تلك الاحزاب الرجعية التي تلتقي اهدافها مع اهداف سلطات الحكم .

ان حزب البعث العربي الاشتراكي يدرك تمام الادراك ان الحكومة العراقية اذ تعتقل اعضاءه وتعذبهم وتطاردهم ، لاتحارب مبادئهم التي لاينال منها الاضطهاد، ولاتخشى حقاً من انقلاب يدبرونه عليها، وانما تهدف من وراء ذلك إلى خنق النضال القومي الذي يعارض سياستها في تقبل الاحلاف العسكرية التي تتنافى مع ارادة الشعب العربي . وهو، بعد، يدرك انها في هذا مسيّرة لامخيرة ولأن الأوضاع الزائفة المصطنعة لاتستطيع ان تضمن بقاءها الا بأساليب زائفة مصطنعة، وهي بهذا، وبالثورة المتعاظمة التي تتأجج ضدها في ضمير الشعب تحكم على نفسها سلفاً بالعقم والفشل، لأن ارادة الشعب هي التي ستنتصر.

**٢٧ تموز ١٩٥٥**

# حول الوضع في مصر

**في اجتماع ضم الامين العام للحزب الرفيق ميشيل عفلق وعدداً كبيراً من شعبة بيروت طرح بعض الحزبيين اسئلة متعددة حول بعض امور الحزب الداخلية وحول الاوضاع السياسية في الوطن العربي، وخاصة في مصر وموقف الحزب منها. وفيما يلي نص الحديث:**

* * *

لعل من الجواب على سؤالكم الأول عن الدستور المصري الجديد، وعن الحكم القائم هناك، ما يتيح لنا الجواب عن جميع الاسئلة الاخرى التي تقدمتم بها والتي تدور حول هذا الموضوع لأنها في الواقع تنبع من وجهة نظر واحدة أو من حالة نفسية واحدة معروفة لدى الأعضاء سواء هنا أو في أي قطر عربي آخر.

لعلكم تعرفون اننا بقينا سنوات متحفظين تجاه الانقلاب العسكري الذي حدث في مصر، نتخوّف ونحذّر من الاخطار الكامنة في الحكم الديكتاتوري، ثم اعتدل موقفنا وتبدلت نظرتنا بعض الشيء، وذلك لأننا جربنا في سوريا عدداً من الانقلابات العسكرية وكانت كلها متشابهة في إساءتها الى القضية العربية القومية إساءة مكشوفة مفضوحة. . وقد ساهم حزبنا مساهمة فعالة معروفة في مقاومة هذه الانقلابات وتخليص البلاد من الدكتاتورية العسكرية. . وكان من الطبيعي اذن ان ننظر الى الانقلاب الذي حدث في مصر - في نفس الوقت الذي كانت تحدث فيه الانقلابات في سوريا - نظرة الاشتباه والشك، وان نقف موقف الحذر. لكن ثمة فروقاً واضحة بين

الحالتين سأذكرها لكم باختصار. ان الانقلابات العسكرية التي حدثت في سوريا لم يكن هناك ما يبررها باستثناء الانقلاب الأول الذي لم يخل من بعض المبررات. هذا الانقلاب الأول في سوريا سنة ١٩٤٩ قوبل ـ كما تعلمون ـ بالارتياح الشعبي العام. وفي هذا دليل كاف على أنه لم يقم عبثاً، فالشعب كان مستاء كل الاستياء من وضعه لأن الحكم في سوريا حتى سنة ١٩٤٩ كان حكماً مستبداً استغلالياً، يهمل الشعب وجميع مطالبه وحاجاته الملحة الى الاصلاح والتقدم.. يتلاعب بالقضية العربية وبالوحدة العربية، حتى بالاستقلال نفسه ويعرضه للاخطار، حين يهمل تهيئة أسباب القوة للدفاع عن هذا الاستقلال، ويحاور الدول الاستعمارية في سبيل عقد معاهدات وغير ذلك، الأمر الذي أدى الى تزايد الاستياء وتفاقمه وإشاعة الريب والشبهات حول ذلك الحكم. وكان ان قام بعض ضباط الجيش، في هذا الظرف الملائم، بانقلابهم واثقين من ان احداً لن يدافع عن هذا الحكم. وكانت الشعارات التي استهلوّا عهدهم بها مغرية خداعة.. كانت شعارات تقدمية اشتراكية عربية، أي تجسيداً لكل ما كان يطمح اليه الشعب ويتحرك لبلوغه.

وموقفنا من الانقلاب الأول معروف. فنحن لم ندافع عن العهد السابق الذي كنا في طليعة المنددين به، ولكننا ـ في نفس الوقت ـ لم نتفاءل تفاؤلاً أعمى بالانقلاب العسكري، بل أصدرنا مذكرة في الأيام الأولى للانقلاب وضحنا فيها الشروط والضمانات التي بدونها لا يجوز للشعب ان يطمئن الى اهداف هذا الانقلاب، ومن بين هذه الضمانات ان تعاد الحياة الديمقراطية والحريات، وان يُحترم الدستور، وان تجري انتخابات جديدة، وان يُحافظ على النظام الجمهوري وان يُعمل للوحدة العربية. لكن رجال الانقلاب الأول كانوا اناساً مشبوهين وسرعان ما انفضح أمرهم وتبين انهم عاجزون عن القيام بأي عمل انشائي، وانهم ألعوبة في أيدي الدول الاستعمارية وشركاتها. وهكذا فشل الانقلاب الأول بعد أربعة أشهر، وحدث انقلاب آخر حاول أن يصحح ولكنه فشل في التصحيح، وقام الانقلاب الثالث في كانون الأول سنة ١٩٤٩ ـ هذا الانقلاب الذي أتاح لبعض ضباط الجيش وعلى رأسهم الشيشكلي

ان يتقاسموا السلطة مع المجلس وبعض السياسيين مدة سنتين وأن يهيئوا لانقلاب عسكري شامل يقضون به على كل أثر للحياة السياسية الحرة ويحكمون البلاد حكماً دكتاتورياً كاملاً أبتداء من أواخر عام ١٩٥١ ، وأستمر سنتين وبضعة أشهر . .

وبعد، لماذا قامت هذه الانقلابات في سوريا؟ وما الذي أتاح لها ان تستمر في الحكم؟ ولماذا فشلت؟ وما هي مراميها؟ أسئلة سوف نطرحها بالتتالي ـ كما هي بالنسبة لمصر ـ وستتضح لكم من خلال الاجابة عليها حقيقة الموقف .

مهما قلنا عن فساد الأشخاص الذين قاموا بالانقلابات في سوريا ومدى علاقتهم بالاستعمار وعن مطامعهم واغراضهم الشخصية فان مما لاينكر ان الشعب كان لديه بعض الاستعداد لحكم تقدمي ولو مصحوبا بالقوة وعلى حساب الحرية . وتفسير ذلك هو نقمة الشعب العميقة على نوع من الحكم ونوعية من الحكام : نوع من الحكم هو الحكم الديمقراطي المزيف المتستر وراء مبادىء نظرية هي في حقيقتها غاية الطموح الأنساني . هذا الحكم الديمقراطي المزيف، حكم الاقطاعيين والشركات الرأسمالية والسياسيين المحترفين وزبانيتهم وانصارهم، هؤلاء الذين يريدون ان يجعلوا الدولة مزرعة لهم فيزوّرون الانتخابات علناً ويتلاعبون بالدستور بكل جرأة ووقاحة ويقيمون حكماً بوليسياً ارهابياً بأسم الديمقراطية والدستور، هذا الحكم أفلس وفقد كل ثقة واعتبار حتى لقد أصبح الشعب ينظر الى ممثليه والمنتفعين منه والمدافعين عنه على أنهم لا يفضلون الاستعمار بشيء وأنهم حلوا محله في الاستغلال والسرقة والارهاب والتنكيل . . وعندما توجد هذه النفسية عند الشعب يسهل على المغامرين ان يقوموا بانقلابات عسكرية لأن الشعب لا يتحرك للدفاع عن الدستور والحياة الديمقراطية ما دام لم ير شيئاً من خيرهما ولم يذق منهما إلا الفقر والاستعباد . . والشعب يأمل أن يأتيه الخلاص بما يشبه المعجزة عن طريق تبدل الأشخاص والاوضاع وبذلك سهّل على المغامرين العسكريين ان يقوموا بانقلاباتهم .

ولكن لماذا لم ينجح هؤلاء المغامرون في إقامة حكم طويل الأمد متين الدعائم؟ ولماذا كان ينهار حكمهم بعد مدة قليلة من الزمن من قيامه ، فيضطرون الى إعادة الكرة

مرات متتالية حتى منوا بالفشل الذريع أخيراً بانتهاء دكتاتورية الشيشكلي؟ لقد فشلت الانقلابات العسكرية والقائمون بها في سورية بسبب وجود حركة شعبية انقلابية بالمعنى الصحيح . هذه الحركة المتمثلة في حزبنا لم تكن بعد قد بلغت حداً يسمح لها بأن تحول دون قيام الانقلابات، ولكنها كانت قد بلغت حداً يسمح لها بمقاومتها واحباطها، والآن رغم نمو حركتنا وازدياد قوتها عما قبل واتساع نطاقها، لا استطيع الجزم ان بامكاننا ان نمنع قيام انقلاب عسكري. ولكن من البديهي ان كل انقلاب من هذا النوع يمكن ان يقوم في سورية سيكون نصيبه الفشل لأن حزبنا سوف يتصدى لمقاومته.

ويمكن القول ان حزبنا ـ بمعنى من المعاني ـ شجع قيام هذه الانقلابات أو سهل مهمتها، ولكنه معنى واحد ارجو الا يساء فهمه وهو: ان حزبنا هو الحزب الوحيد الذي قاوم الحكم الوطني الفاسد (منذ سنة ١٩٤٣ عندما قام الحكم الوطني الى سنة ١٩٤٩ تاريخ الانقلاب) مقاومة جدية نضالية وفتح عيون الشعب على حقوقه ومطاليبه والأخطار المحيطة به سواء من الداخل أو من الخارج، سواء في داخل سورية أو في الاقطار العربية عامة . . وبصدد كارثة فلسطين كان حزبنا المنبّه الأول الى جريمة الفئة الحاكمة في سورية والاقطار العربية الأخرى لاهمالها الاستعداد لمعركة فلسطين ولتآمرها مع الدول الغربية المستعمرة وللنفعية التي أعمت بصائرها وحجبت عنها طبيعة الاخطار. كل هذا قام به حزبنا فهو الذي مهّد الطريق اذن للمغامرين العسكريين كيما يستغلوا النفسية الجديدة التي أوجدها الحزب. أما من الناحية الايجابية فان حزبنا هو الحزب الوحيد الذي خلق في جو الحياة العربية منذ خمسة عشر عاماً حتى اليوم هذه المفاهيم الانقلابية الجديدة (مفهوم الاشتراكية والحياة الكريمة والمفهوم الصحيح للحرية والديمقراطية، والتحرر التام من كل استعمار اقتصادي أو سياسي أو عسكري، والوحدة العربية بمفهومها الصحيح السليم العميق . . ) هذه المفاهيم نشرها الحزب وأشاعها في الرأي العام العربي خالقاً بذلك حاجات جديدة في نفس الشعب. منمياً نزعات كانت ما تزال ضعيفة أو غامضة . . لكن الحزب طريقه صعب طويل لا يستطيع أن يختصره ولابد له من أن يقطعه خطوة خطوة. وهو لايستطيع، لكي يؤدي رسالته

على أتمها، أن يخادع الرأي العام العربي ويتسلم زمام الحكم قبل أن يكون قد أعد هذا الرأي العام لأن يتقبله، وقبل أن يكون قد أعد الجهاز الحزبي المنظم المحكم الذي يستطيع أن يبني الأوضاع الجديدة السليمة. . ولقد كان عليه أن يتابع نضاله العنيد وان يبقى معارضاً ومناضلاً ـ وهذا ما سهل من جهة ثانية للمغامرين العسكريين في سوريا ان يتولوا دفة الحكم وان يزيفوا المفاهيم التي نشرناها نحن وان يستغلوا عند الشعب حاجاته الطبيعية الى الاسراع في تلبية رغباته وامانيه. فالشعب لايستطيع الصبر إلا إذا عودناه عليه وبينّا له ان الصبر بنضال وتنظيم هو وحده الكفيل بحل قضاياه جميعاً حلا صحيحاً، وان الاستعجال خليق بأن يجعله لا يحصل إلا على حلول سطحية وخادعة.

ولكننا حتى الآن لم نستطع أن ننظم الشعب العربي كله، ولا يزال هناك عدد كبير من الشعب لم يهضم بعد أفكارنا الانقلابية ولم ينتظم في حركتنا ليعرف بالممارسة والتجربة ان هذا هو الطريق الصحيح فإذا جاء ـ من ثم ـ مغامر ولوح بالاشتراكية وبالوحدة العربية الخ. . كان طبيعياً أن يصدقه كثير من أفراد الشعب العربي، وليسوا على ذلك بملومين، لأنهم بحاجة الى من يحقق لهم هذه المطالب الحيوية. وهكذا نكون بمعنى من المعاني قد قدمنا اسلحة فكرية للمغامرين العسكريين يستعملونها في غير موضعها ولغير غاياتها الصحيحة ويوجهونها لخدمة الاستعمار والاقطاعية والرأسمالية، ومساعدتها جميعاً على الاستمرار والبقاء على حساب مصلحة الشعب وكرامته، ولحرمان الشعب من الحرية. ان هذا لايشكل مأخذاً على الحزب بطبيعة الحال لأن الحزب الانقلابي معرض دوماً لأن يجد في طريقه الطويلة الشاقة أشخاصاً وفئات يزيفون انقلابيته مثل الأنبياء الكذبة، فعندما يظهر في التاريخ انبياء صادقون، لهم رسالتهم الحقيقية رأينا ذلك يغري بظهور انبياء كذبة، وهذا ما يحدث بالنسبة للحزب أيضاً، فعلى الحزب في مثل هذه الحال أن يحوّل النكسات الى خطوات تقدمية تضاعف ثقة الشعب به وبمبادئه وتقوي نضاليته وتجربته.

هذه بالنسبة الى سورية. أما في مصر فقد كانت الحالة مشابهة من الناحية السلبية لما هي عليه في سورية، أي أنه كان هناك حكم وطني فاسد يدعي ادعاءآت فارغة

لاينجز منها شيئاً، يدعي الديمقراطية وخدمة الشعب والمساواة للجميع، وهو في الواقع يستغل الحكم لصالح فئة معينة دون غيرها، فكانت النفوس اذن مهيأة لتقبل الانقلاب. وكان فساد الملكية المعروف في مصر العامل الأول في نجاح الانقلاب. ان الفارق الكبير بين حالة مصر وحالة سورية هو من الناحية الايجابية: ففي سورية كانت هناك حركة شعبية تستطيع أن تقف على قدميها ولم يكن في مصر شيء من هذا القبيل، ثم ان هذه الحركة الانقلابية في مصر لم تقم على أساس المغامرة الشخصية ولكنها قامت فعلاً نتيجة الآلام، آلام الشعب والتحسس العميق بها، قامت على أيدي ضباط من أبناء الشعب غمرتهم وألهبتهم النقمة الشعبية العامة ووجهتهم في طريق العمل الجدي. ولم يكن في سورية شيء من هذا لأن الفئات المخلصة الواعية والفئة الشعبية المناضلة كانت شديدة التعلق بحزبنا وكان من الصعب عليها ان تتوجه الى ضباط لم نؤيدهم نحن.. لم تكن في مصر حركة شعبية اذن، فليس بدعاً - والحالة هذه - ان تتجه آمال الشعب الى هذا الانقلاب العسكري وأن تعلق الآمال على هذه الفئة من الضباط التي أنقذت الشعب من حكم لم يكن له مثيل في الفساد. والشيء الذي حققه هذا الانقلاب في المرحلة الأولى هو في حد ذاته شيء كبير لأنه أطاح بالعرش، هذا الكابوس البغيض الذي كانت ترزح تحته مصر، وكان ذلك كسباً كبيراً لرجال الانقلاب. ثم تلت هذه الخطوة خطوة أخرى جريئة كان لها أثر لاينكر في تبديل أوضاع مصر وهي توزيع الأراضي. وعلى الرغم من أن هذه الخطوة لا تسمى اشتراكية بالمعنى الصحيح لأنها لم توزع مجاناً جميع الأراضي. الا انها كانت تلبية سريعة لحاجة ملحة ماسة ومن ثم كان لها هذا الأثر..

والهيئة الشعبية الوحيدة في مصر التي كان بأمكانها القيام بدور حقيقي في مقاومة الحكم الدكتاتوري هي فئة الاخوان المسلمين، ولكنها فئة ضد تيار التاريخ وأتجاه العصر، على الرغم من انها ليست كباقي الهيئات الدينية في أماكن أخرى من حيث النفعية والاستغلالية.. فالاخوان في مصر أرفع مستوى، ولكن مجرد عنوان الدعوة ونظرتها الرجعية المخالفة لنزعات التحرر العميقة التي تختلج في نفس الشعب العربي جعلها ضعيفة أمام حركة الانقلاب، وهي لم تقاومه كما هو معروف بل أيدته وتعاونت

**معه سنتين ثم راحت تندد به وتناهضه في السنة الاخيرة.**

والنتيجة التي أريد أن أصل بكم اليها هي ان ظروف الانقلاب في مصر تختلف عن ظروف الانقلاب في سورية. فقد كان للانقلاب الذي حدث في مصر مبررات معقولة، وكانت الساحة الشعبية فارغة، فاتجهت نفوس الشعب إلى الفئة العسكرية صاحبة الانقلاب، وقامت هذه الفئة جادة مخلصة ببعض الاصلاحات التي لاتنكر. ولكن هل يجوز أن يسمى الحكم القائم في مصر حكماً انقلابياً؟

الجواب كلا، فهذا الحكم يمكن تسميته حكماً تقدمياً، لا أكثر، والفرق بين الانقلابية والتقدمية هو كما يلي:

الانقلابية هي نضال الشعب المنظم القائم على نظرية وعقيدة، يستهدف قلب الأوضاع العامة كلياً ومن الجذور، وأبدالها بأوضاع جديدة صحيحة، أي انها تبديل في أسس حياة الأمة.

وبديهي ان التبديل لايمكن تحقيقه بواسطة الجيش وانما بنضال الشعب نفسه. قد يساهم الجيش مع الشعب ولكنه لايستطيع وحده ان يحقق انقلاباً بالمعنى الذي يفهمه حزبنا.

أما التقدمية فهي اصلاح وليست تبديلاً في الأسس، اصلاح في بعض نواحي الحياة العامة مع الاحتفاظ بالأسس القديمة، لاحرصاً على هذه الأسس بل عجزاً عن تبديلها. والذي تم حتى الآن في مصر لم يتناول الأسس لأنه لم يقض تماماً على الاقطاعية ولم يمس الرأسمالية بأي أذى، وانما الأمر على العكس، فالرأسمالية تلاقي التشجيع من الحكم وان كان تشجيعاً موجهاً، بمعنى أن الرأسمالية لم تعد مطلقة التصرف بل عليها أن تخضع للدولة وتنسجم مع مخططها الاقتصادي. أضف إلى ذلك أن الحكم لايتجه نحو الحرية ولا يعمل على أساس الوحدة العربية بالمعنى الصحيح، وان كان من هذه الناحية قد حقق خطوة لابأس بها. فالأسس القديمة البالية التي يجب إزالتها من الوطن العربي تتمثل في الاقطاعية والرأسمالية وحكم الطغيان وتقييد الحريات وواقع التجزئة القومية، وواضح ان الحكم في مصر لم تكن له القدرة على حلّ هذه المعضلات جميعاً دفعة واحدة لذلك أعترف بها كأوضاع قائمة،

وضمن هذه الأوضاع القديمة وجد منفذاً لأدخال اصلاحات جدية.

وما دام حزبنا لم يصل بعد في مختلف أقطار العروبة إلى مرحلة التوسع الكفيل بالحيلولة دون تزييف الانقلاب العربي المنشود الصحيح فهو لايستطيع أن يعارض خطوات تقدمية يؤمن بأخلاصها وجديتها. فالتفكير الواقعي اذن يقتضي منا ان نقبل مثل هذه الخطوات والخدمات في قطر لم تصل حركتنا اليه بعد. فعلينا اذن ان نسعى لكي يكون هذا الحكم خطوة مقربة من الانقلاب بدلاً من أن يكون خطوة مبعدة صارفة ذهن الشعب عن اهدافه الأساسية في سبيل أهداف غير أساسية.

التقدمية ـ ايها الأخوان ـ يمكن ان نتصورها موقفاً وسطاً بين طرفين: بين الرجعية الراهنة السائدة في مختلف ارجاء الوطن العربي وبين الانقلابية الصحيحة التي هي في طور النمو والتكوين. وبما ان طريق الانقلابية بعيد فثمة احتمالات دائمة لظهور محاولات تقدمية، ولكن هذه المحاولات على نوعين: نوع صادق ونوع زائف.

النوع الصادق هو ما حدث في مصر والنوع الزائف هو ما حدث في سورية، وقد بيّنت لكم ذلك آنفاً. الا ان هذه التقدمية التي هي حل وسط بين طرفي نقيض، بين الرجعية بكل ما فيها من استثمار داخلي واستعمار خارجي وامتهان للحريات وعرقلة لتوحيد الوطن، وبين الانقلابية العربية الشعبية التي لاتزال في طور التكوين تنمو وتتوسع ولكن طريقها شاق طويل ـ هذه التقدمية يتوجب علينا ان نكتشف حقيقتها: فهي عندما تظهر في أقطار بلغت فيها الحركة الشعبية حداً من النمو فأنها تكون تقدمية زائفة، ويكون للاستعمار شأن كبير فيها لأنها آنئذٍ بمثابة قطع الطريق على الحركة الشعبية، وهي عندما تكون في أقطار لم تصل اليها حركتنا بعد وعندما تبرهن في أعمالها عن جد وأخلاص وتجاوب نسبي مع حاجات الشعب فانها تكون صادقة ولكنها معرضة دائماً لخطر الزيف، لأن الاستعمار والأوضاع الرجعية التي تمسها هذه التقدمية، ولم تؤذها في أعماقها، ستحاول أجتذابها دوماً إلى جهتها فتصبح تقدمية معكوسة وتبعد عن الانقلاب. فواجبنا في مثل هذه الحال أن نرسم لها الطريق التي تكون خطوة جدية في طريق الانقلاب. وسأوضح لكم كيف تكون هذه الخطوة.

لقد تأثر الحكم القائم في مصر بأهداف حركتنا الانقلابية وليس ذلك بالضرورة

عن طريق مباشر وانما من الجو الذي خلقته حركتنا، من الشعارات والمبادىء، ومن الرأي العام الذي خلقته هذه الحركة طوال أعوام. ولقد عمل الحكم في مصر أول ما عمل على إلغاء الملكية، وهذه بلا شك خطوة تقدمية وضعت حداً للفساد في الحياة العامة. وتبع الغاء الملكية السير في توزيع الأراضي وانعاش الفلاحين وهم الكثرة الساحقة من أفراد الشعب، ثم تبنّي شعارات عربية كانت مهملة أو منسية أو موضع عداء وتنكّر في مصر، والسير في طريق استقلالية في وجه الاستعمار الغربي، وتبنّي سياسة الحياد التي كان حزبنا أول من نادى بها منذ تسع سنوات، وبذل محاولات جاهدة لانتهاج سياسة مستقلة تجاه الغرب بالرغم من ان هذا الحكم ما يزال مرتبطاً باتفاق مع بريطانيا يسعى للتخلص منه.

كل هذه الخطوات التي حققها الحكم في مصر تجعله خيراً من الماضي ولكنها ليست كل ما يرجوه الشعب لا من حيث الاصلاحات الداخلية، ولا من حيث الانفصال عن الاستعمار الغربي ولا من حيث التقارب العربي، انها بين بين، تسجل خطوة إلى الأمام ولكنها لاتنفذ إلى الأعماق ولا تصل إلى آخر الطريق.. فالخطر كل الخطر هو في أن نتصورها الطريق الصحيح، في ان نعتبرها السياسة الانقلابية الصحيحة، الخطر هو ان نجمّد الأوضاع على هذا الشكل ونحول دون تقدم هذه التقدمية.. انها ان أوغلت السير في طريق الدكتاتورية ستتجمد وتصبح عاجزة عن الاستمرار في تقدمها، إذ أنها ستمنع يقظة الشعب ونضاله.. ستقف حاجزاً في طريق هذا الدم الذي يجري من الشعب إلى الحكم، وهذا هو الخطر الماثل اليوم في الدستور الجديد. هذا الدستور سجّل ما قام به الحكم في الماضي ولكنه سجّل أيضاً ان الحكم سيصبح عاجزاً يوماً بعد يوم عن الاستمرار في القيام بالاصلاحات وبالخطوات التقدمية لأنه سجّل هذه النزعة الدكتاتورية التي تحرم الشعب من ممارسة حقوقه ومن الاشتراك الفعلي في تصريف حياته ومقدراته، ولذلك أصبح من العسير جداً على الحكم في مصر ان يخطو إلى الأمام إذا هو تشبّث بهذه النزعة الدكتاتورية. فالضمانة لكل حكم تقدمي هي أن ينفتح على الحرية، أن يساعد الشعب على ممارسة حقوقه وعلى الاشتراك في تصريف مقدّراته، ليعود الشعب فيستأنف نضاله ضد كل هذه الأسس القديمة التي

لم تغيرها التقدمية وانما غيرت بعض نتائجها فقط ولم تصل إلى أسسها وجذورها. فالاستعمار ما زال في مصر نفسها، وسينتهي احتلاله بعد مدة وجيزة، ولكنه حتى عندما تنسحب الجيوش البريطانية عن قناة السويس، أليست موجودة على مقربة منها؟ وأي فرق جوهري بين احتلال أرض الأردن أو العراق واحتلال أرض مصر؟ أليس الاستعمار موجوداً في العراق وليبيا وتونس والجزائر ومراكش؟ أليس موجوداً في المحميات؟ أليس موجوداً بشكل من الأشكال في كل قطر من الأقطار العربية؟ في سورية ولبنان مثلاً بشركاته وعملائه ونفوذه؟ فاذن نحن لم نتخلص من الاستعمار، ومصر وحدها لاتستطيع شيئاً إذا بقي الاستعمار في الاجزاء الأخرى من الوطن العربي، والاقطاعية لم تزل زوالاً تاماً من مصر وان تكن قد تلقت ضربة جدية. وفوق هذا فهي موجودة في الأقطار العربية الأخرى ووجودها في هذه الأقطار يشجعها في مصر على ان ترفع رأسها دوماً وان تحاول العودة.

والرأسمالية ما زالت في مصر على شكل واسع: وطنية وأجنبية، وتعمل بتشجيع الدولة. والتجزئة، وهي أكبر خطر ومرض في كياننا العربي، ما زالت كما هي لم تتبدل ولم تتراجع، فالحكم التقدمي في مصر لم يغير شيئاً من هذه الأسس وإنما غيّر أشياء جدية في بعض النواحي وفي قطر من الأقطار العربية له وزن كبير ويكفيه أن يؤدي هذه المهمة. أما إذا تحول الحكم في مصر إلى تجميد لهذه الخطوات لكي تبقى هذه الفئة من العسكريين وحدها دون استناد إلى نضال الشعب ودون توحيد للقوى النضالية العربية في الأقطار الأخرى.. إذا بقيت الفئة الحاكمة في مصر معتمدة على قوة الجيش وحده والشعب بمعزل عنها لايشارك ولايناضل، فان هذه الخطوات التي حققتها الثورة ستصبح مهددة بالخطر، ويمكن أن يحدث تراجع بدلاً من أن يحدث تقدم. لذلك آمن حزبنا بالحرية وألحّ عليها كثيراً لاتعلّقاً بمبدأ مثالي بل لقناعة عميقة بأن الحرية هي ضمانة عملية لكي يبقى النضال منطلقاً إلى الأمام دائماً لا أن يتراجع ويتجمّد وينتكس.

والملاحظ أن مفهوم بعض الأعضاء للحرية لايزال سطحياً، إلى حد أنه يلتبس بتلك الحرية الزائفة الكاذبة التي يتستّر وراءها الرجعيون المستغِلون للشعب المتعاونون مع الاستعمار، وهذا خطر يجب أن نكشفه وان نتفاداه. فالحرية مبدأ يجب أن تكون

له صيغة عملية في كل ظرف ومرحلة، إذ أن المبدأ يتخذ صيغاً مختلفة عندما يتجسد في العمل، لذلك يجب أن نبعد عن تفكيرنا هذا المفهوم المائع الأجوف للحرية النظرية التي لاتفرق بين الشعب وأعداء الشعب، بين ابناء الوطن وبين المستعمرين للوطن، بين الذين يؤمنون بهذه الحرية وبين الذين يستغلونها لمصلحتهم وهم ألدّ اعدائها. فلنبعد اذن المفهوم البورجوازي الرخو للحرية والديمقراطية.

ان الحرية التي ننشدها لاتتعارض مع تشريعات وتدابير وقوانين تحدّ من استغلال الاقطاعيين والرأسماليين والنفعيين والانتهازيين على اختلاف انواعهم. الحرية التي ننشدها لاتتعارض مع تدابير وقوانين تمنع تخريب الاستعمار في كياننا وانتشار عملائه بين ظهرانينا في صحافتنا وفي أجهزة الدولة، وفي كل مكان يتاح له فيه أن يتغلغل ليبث سمومه بأسم الحرية، يجب أن تكون نظرتنا دائماً إلى الحرية نظرة سليمة، انها حرية جديدة صارمة لا تؤمن بالقاء الحبل على غاربه. انها ليست سلبية تسمح بأن تترك الفساد يتابع سيره والميوعة تتفاقم وتستشري بل هي حرية إيجابية، حرية خلاقة، حرية تمنع الضغط والتشويش والدس على كياننا القومي من قِبل اعدائنا الداخليين والخارجيين ليبقى الجو سليماً ملائماً لتفتح هذا الكيان ونموه، الا إننا لن نطمع بأن تطبق الفئة الحاكمة الرجعية الموجودة الآن هذا المفهوم للحرية على وجهه الصحيح. فلو قلنا مثلاً، في لبنان أو في سورية يجب أن تُحّد الحرية، ان توجد قوانين لمنع الاستعمار من التآمر علينا ولمنع الفئات الرجعية من تسخير القوانين لمصلحتها فان الفئة الحاكمة، التي هي من الرجعية والمستغِلين للشعب، لن تضع قيوداً لتكبل نفسها بها، بل لتكبلنا نحن اعداءها المناضلين والعاملين لمصلحة الشعب. نحن اذن لانطالب بتقييد الحرية في ظل حكم رجعي فاسد، لأن الحرية البرجوازية بكل مساوئها خير من فقدانها. ولكن عندما يوجد حكم تقدمي كالذي في مصر يجوز تقييد الحرية بالشكل الذي بينته لاحباط مكائد الاستعمار ومكائد الرجعية، بالشكل الذي لايمنع الشعب من المشاركة في تقرير أموره والنضال في سبيل قضيته. فلو كانت هذه القيود التي نص عليها الدستور المصري الجديد لمنع الاستعمار والرجعية فحسب لكانت مقبولة، ولكنها قيود لمنع الشعب من الانطلاق،

لذلك فهي مرفوضة لأنها وخيمة العواقب.

لن أتوسع أكثر من ذلك لأن الوقت لايسمح، ولا حاجة الى تناول الدستور المصري من ناحية الوحدة والاشتراكية ما دمنا قد تعرضنا نوعاً ما في سياق الحديث لهذه الناحية، إذ لاشك أن نص الدستور على عروبة مصر هو خطوة طيبة تسجل تقدماً كبيراً بالنسبة الى العهد السابق في مصر، وتبشر بالخير وتدل على أن الرأي العام القومي العربي قد وصل الى حد من الضغط أثر على الحكام المصريين وحملهم على وضع ذلك الدستور، ولكن هذه الخطوة قليلة وليست هي غاية الأماني، إذ لاتزال هناك هذه الجفوة وهذه المخاوف من زيادة الالتقاء والتعاون مع البلاد العربية، فلم ينص دستور مصر كما نص دستور سورية بأن النواب مطالبون بالعمل للوحدة العربية. وليست هذه هي العلة الوحيدة، بل نستطيع أن نقول أن دستور مصر ككل دستور عربي آخر قائم على منطق التجزئة. وإذا كان لنا أن نلوم حكومة مصر التي وضعت هذا الدستور فإن علينا أن نوجه لوماً أشد وأكبر، وان تكون مآخذنا أظهر وأعمق على حكومات سورية والعراق التي تتباهى بالقومية العربية منذ القديم ومع ذلك فإن الدستور في كل من هذين القطرين قائم على منطق التجزئة، أي أنه يرتب سياسة القطر من كل النواحي: عسكرياً واقتصادياً وثقافياً. . على أساس أن القطر كل قائم بذاته، وهذا هو العيب الأساسي. فدستور سورية الذي يدعو للوحدة العربية ليست دعوته الا نظرية، إذ لو كان واضعو الدستور صادقين في إيمانهم بالوحدة العربية لما نظموا سياسة سورية على أساس انها مكتفية ومستقلة بنفسها. فعندما تنظم سورية والأردن ولبنان وليبيا والعراق وأي قطر آخر على أساس التجزئة، أي أن يكون لكل قطر من هذه الأقطار اقتصاد كامل، فكيف يمكن ان تتحقق الوحدة العربية؟.

ان الوطن العربي وحدة اقتصادية عدا عن كونه وحدة سياسية وعسكرية، أي أن هذا الوطن يكمل بعضه بعضاً. فما في سورية من موارد أولية ومن وسائل الانتاج ليس إلا جزءاً من هذه الوحدة الاقتصادية التي هي الأرض العربية كلها، وهكذا عندما ينظم الاقتصاد في سورية على أساس أن يكون لها صناعة كاملة تشمل كل

الصناعات التي تحتاج اليها دولة مستقلة، ومن تكون لها المرافق والسلاح الذي تحتاج اليه دولة مستقلة، وينتهج لبنان والعراق وغيرها الخطة نفسها، فلا تمضي بضع سنوات حتى يكون كل قطر قد غرق أكثر فأكثر في أوضاع التجزئة، وتصبح كل قوى العالم عاجزة عن انتشاله من هذه الأوضاع لكي ينفتح على الوحدة القومية، لكي يتعاون أو يتوحد مع غيره من الأقطار، وهكذا تُهدر وتضيع وتبذّر معظم قوى الأمة العربية وخاصة من الناحية الاقتصادية، ويمكن أن نطبق ذلك على جميع النواحي الأخرى إذ أن المجهودات التي تبذل في سبيل قطر واحد كان يمكن أن تكفي جميع الأقطار.

**٢١ كانون الثاني ١٩٥٦**

# الوحدة الوطنية والتهادن الحزبي

من حقنا وقد تعرض خطاب الرئيس في هذه المناسبة القومية العامة الى موضوع التهادن الحزبي وتوحيد الصف الداخلي، أن نوضح مرة أخرى رأينا المعروف الذي ما فتئنا نعلنه منذ زمن طويل[1].

صحيح أن «في قاعدة الحياة الديمقراطية مبدأ السلامة الوطنية». وصحيح بالتالي «ان الجلاء عمل من أعمال الوحدة الوطنية» وصحيح أيضاً - ولكن بتحفظ وحذر شديدين - «أن سبيلنا الى الوحدة الوطنية هي سبيلنا نفسها الى الوحدة القومية».

فكل خلاف بين الأحزاب يجب أن يقف أو ينتهي إذا تعرضت سلامة الوطن للخطر، هذا إذا لم تكن سلامة الوطن نفسها هي موضوع هذا الخلاف. والواقع اننا مختلفون مع غيرنا على كيفية تحقيق السلامة لوطننا، هل تكون هذه السلامة داخل سورية، في الابقاء على الأكثرية الساحقة من الشعب في حالة من الاضطهاد والاستثمار تسلبها إمكانية الدفاع عن أرض الوطن؟ وبالابقاء على المصالح الخاصة تسيطر على توجيه الدولة وتحول دون كل تعبئة جدية ودفاع متكافىء مع جسامة الخطر المحدق؟ وهل تكون في المجال القومي العربي، بالمقاومة الصريحة حيناً والمستترة أحياناً، لكل خطوة توحيدية وبالتلكؤ والمماطلة في هذا السبيل. حرصاً على المصالح الشخصية والطبقية والاقليمية؟ وهل تكون أخيراً في المجال القومي الخارجي، في مسايرة المصالح الاستعمارية والتبعية لها وفي الاستعانة على اسرائيل بمن أوجدوا اسرائيل وما زالوا يرون في بقائها ضمانة لبقاء مصالحهم في وطننا، وفي التذرع بوحدة مشبوهة للصف العربي

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢٧/ ٤/ ١٩٥٦.

تكون منفذاً للأستعمار الى الأقطار العربية المتحررة منه المقاومة له؟؟.

أن الوحدة القومية هي الغاية، وهي أيضاً الأساس والبداية، فكما نتصور هذه الوحدة يكون تصورنا وتصميمنا وتنفيذنا لوحدة الصف داخل القطر حتى تؤدي هذه الى تلك، فإن كنا نريد الوحدة العربية، وحدة حقيقية إيجابية، توحد قوى الشعب فعلاً وتضاعفها أضعافاً، وجب أن نختار لها طريق التحرر الخارجي والتحرر الداخلي، كما يتوافر ذلك اليوم لمصر وسورية، وعلى هذا الأساس فإن وحدة الصف الوطني (أي القطري) تشترط وجهة نظر واحدة في أمر أساسي كأمر التوحيد: أما أن يسير في طريق التحرر من الأستعمار أو في طريق المساومة والانسياق معه، وهل يسير في طريق رفع مستوى الشعب وتفجير طاقاته وإمكانياته، أم في طريق استعباده وافقاره وشل قواه المنتجة.

فنحن اذن متجاوبون مع دعوة الرئيس الى وحدة الصف في مثل هذا الظرف الذي يهدد فيه خطر العدو سلامة الوطن نفسها، وقد كنا أول من دعا إليها. ولكن لذلك كله شرطاً أولياً ضرورياً هو ان تكون وحدة الصف ـ كما جاء في خطاب الرئيس عن الاستقلال ـ «تحقيقاً لارادة الشعب الموحدة». وارادة الشعب الموحدة هي ان تعني وحدة الصف شيئاً إيجابياً خلاقاً وشيئاً صعباً يمتحن قدرتنا على التضحية وجدارتنا بالحياة لا ان تبقى تجميعاً سطحياً لقوى متناقضة، ولاتجاهات متعاكسة، بغية تحاشي أو تأجيل التغييرات الجذرية الملحة التي تتطلبها المرحلة، فينخدع الشعب بالمظهر وقتاً قصيراً ليفتح عينه بعد حين على كارثة جديدة!

**٢٠ نيسان ١٩٥٦**

# ألاعيب الرجعية ويقظة الشعب

كان تكليف أحد زعماء اليمين بتشكيل الوزارة[1]، وما يعنيه من تكتل رجعي ومن إعادة الاعتبار للرجعية وقيمها وأشخاصها تمهيداً لا نزال ضربة في الحركة الشعبية، كان هذا محاولة فاشلة، ولكنها نذير خطر وتنبيه عنيف للعناصر التقدمية التي لم يكتمل وعيها الثوري الصلب، والتي تحسن الظن من حين الى حين فتنم بذلك عن ميول غير تقدمية تغريها بالاستقرار والانتفاع والاستراحة من النضال. وما يشجع على حسن الظن في هذا الظرف هو مسايرة الحكومات في سورية في السنة الأخيرة للخطوات التحررية في السياسة الخارجية العربية، وكون العناصر الثورية لم توضح توضيحاً كافياً، ان تلك الخطوات التحررية قد فرضت على رجال الحكم فرضاً، ولم تخرج من قناعتهم، ولو أننا وفينا هذا الأمر حقه من التوضيح لأظهرنا للشعب أن السياسة لا ترتجل إرتجالاً، ولا سيما حين تكون في مثل مستواها اليوم، أي حين تمس مصالح ضخمة للاستعمار من جهة، وللشعب العربي من جهة أخرى، ذلك أن المسألة هي الآن: هل يستمر الاستعمار والرجعية في سيطرتها، أم يفقدان ما لهما من مصالح؟ أن سياسة لها هذه الخطورة، لا ترتجل ولا تدخلها العاطفة. ويجب علينا، حين يتراجع الرجعيون ويلبسون زياً جديداً أن نعرف أسباب هذا التراجع وانحرافه، وان نربط دوماً بين حاضرهم وبين ماضيهم، فندرك أنهم إذا تراجعوا خطوة الى الوراء، فلكي يتحفزوا للوثوب عدة خطوات الى الأمام، أو لكي لايضطروا الى التراجع خطوات كثيرة.

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١٥ حزيران ١٩٥٦.

إننا إذا استنرنا بهذا الوعي الانقلابي، واحتكمنا اليه ورجعنا الى مقاييسه، رأينا أنه من غير المعقول مطلقاً أن يحصل تراجع الى النقيض، وأن يكون هذا التراجع طبيعياً مخلصاً لا يخبىء مؤآمرات، ولا يبيت مكائد، لأن هذا المنطق يفرض علينا أن نربط بين المصالح الرجعية وبين ممثلي هذه المصالح من رجال الحكم الرسميين.

فإذا رجعنا الى ما قبل عشر سنين لم يصعب علينا أن نتذكر ماذا كانت سياسة هؤلاء الأشخاص ومواقفهم والوسائل والتدابير التي لجأوا اليها للدفاع دفاع المستميت عن تلك السياسة باضطهاد الشعب وقمع حرياته وتزييف الحكم الدستوري.

ان تبدل موقف الأشخاص لا يفسر الا بأحد شيئين: أما بتبدل في المصالح التي كانوا يمثلونها، وأما بتبدل في نفسيتهم وتفكيرهم. أما المصالح الرجعية فلم تتبدل في أساسها، لأنه لم يحصل أي تغيير في النظام الاجتماعي القائم على الاقطاعية والرأسمالية. وأما تبدل النفسية والتفكير فلا بد أن يعبر عن نفسه بانفكاك الشخص عن طبقته وخروجه على مصالحه. ولكننا نرى أن الطبقة الرجعية هي التي اعادت هؤلاء الى الحكم وهي التي لا تزال تضمن بقاءهم فيه. قد يتفق لشخص ينتمي الى الطبقة الرجعية أن يبدل تفكيره ويستوعب مقتضيات التطور فيتبنى بأخلاص حداً معتدلاً من السياسة التحررية التقدمية، ويحاول الاستفادة من رصيده لدى الطبقة الرجعية من أجل استدراجها شيئاً فشيئاً الى السياسة السليمة التي اهتدى اليها، فإذا تلكأت الرجعية في هذا السير أو قاومته وقع الاصطدام بينه وبينها، أو بينه وبين الشعب الذي ادعى هذا الشخص مسايرة مصالحه وتبني اتجاهه. ولكن الاصطدام الذي وقع أخيراً بمناسبة تكليف لطفي الحفار كان اصطداماً مع الشعب وممثلي اتجاهه التحرري، كما أنه لم يكن اصطداماً عارضاً عفوياً بل أمراً مبيتاً منذ أشهر، وظهر بشكل لايدع مجالاً للشك أن التظاهر بالسياسة التحريرية لم يكن سوى وسيلة لتخدير الشعب وأبعاد الظنون عما كان يعد في الخفاء لضرب الحركة الشعبية وهدم ما بناه الشعب بدمه ونضاله.

ما هي المصالح الرجعية، وما هي المصالح الشعبية، وما هي المناسبات التي يحصل فيها الاصطدام؟.

منذ عام والى اليوم، ثبت اتجاه عمل له حزبنا منذ سنين طويلة يتلخص في الانعتاق من طوق السياسة الاستعمارية والجرأة في رد هجماتها ومؤآمراتها ومشروعاتها، وفضحها للشعب العربي، وبالتالي التعاون والاتصال مع دول أخرى تلتقي مصالحها ونزعاتها مع مصالح الأمة العربية؛ ويتلخص أيضاً في السير العملي نحو الوحدة العربية من الناحية النضالية وناحية الخطوات الرسمية التي تحققها الدول العربية.

ومن البديهي ان هذا الاتجاه الذي ينصب في الظاهر على السياسة الخارجية وعلى العلاقات بين الدول العربية هو في جوهره متصل أعمق الاتصال بالسياسة الداخلية لكل قطر عربي، مرتكز عليها ومدعوم بها، يستمد منها القوة.

وقد كان هذا منطق حزبنا باستمرار منذ البدء. وهذا ما تجلى عملياً في سياسة حكومة الثورة في مصر التي بدأت بالاصلاح الداخلي أو على الأقل بشق طريقه وتهيئة الجو لتفتح امكانياته، ثم انطلقت في السياسة الخارجية التحررية والسياسة العربية التوحيدية. وليس الأمر على هذا النحو في سورية. ففي سورية ليس هناك اصلاح داخلي، ولكن هناك نضال ضاغط، خلفّه ونظمه المنطق الانقلابي الذي يدرك الصلة الحية الوثيقة بين التحرر الداخلي والتحرر الخارجي، والتحرر من التجزئة القومية، ويعمل دوماً على هذه الجبهات الثلاث معاً. وكان من الطبيعي أن يضغط لتحرير السياسة من النفوذ الاستعماري ولتوجيهها نحو التوحيد القومي حتى ولو لم يصل بعد الى القوة الكافية لبدء التحرر الداخلي ألاجتماعي...

ان سياسة الحكم في سورية منذ أكثر من عام، هي سياسة متناقضة تفصح عن تناقض الوضع الاجتماعي والقومي فيها، والواقع كما يعرفه الرجعيون ويصرحون به مراراً، أن الحكومات منذ عام هي رجعية بأشخاصها وأحزابها ومصالحها، ولكنها تنفذ سياسة التقدميين في المجال الخارجي والعربي.

وهذا الاعتراف وحده ليوجب على التقدميين الأرتياب والحذر والعمل للتعجيل في تخليص البلاد من هذا التناقض، وذلك بعدم فصل النضال التحرري الخارجي والوحدوي عن النضال في سبيل تحرير الشعب سياسياً واقتصادياً من استثمار الرجعية وطغيانها في الداخل. وإذا كان النجاح النسبي الذي سجلناه في المجال الخارجي

والعربي قد نتج عنه انتعاش معنوي للشعب وتراجع للطبقة الرجعية هو أيضاً معنوي، فإن تركيز نضالنا من أجل ضرب هذه الطبقة في مصالحها المادية هو الذي يوجد الركيزة الواقعية لسياستنا الخارجية والعربية الجديدة ويضمن تتابع خطواتها ويحميها من الانتكاس والتآمر.

ان الحركة العربية الانقلابية اليوم على مفترق طريقين: فأما أن يؤدي بها نقص وعي الموجهين لها وضعف روحهم الثورية وقابلياتهم التنظيمية الى الاكتفاء بهذه الخطوة التقدمية التي حققتها في بعض اقطار العروبة فتلتقي عندئذ هي وحكومات هذه الأقطار على صعيد واحد ( ولكن ليس على قدم المساواة لأن بعض هذه الحكومات - وخاصة في سورية - هي حكومات رجعية أرغمت على مسايرة التقدم ولم تنس مصالح طبقاتها وعقليتها، وسوف تكون أقدر من الحركة الانقلابية على استغلال السياسة الجديدة لكسب شعبية تمكنها من تخدير الشعب والتآمر على هذه السياسة نفسها)... وأما أن تفيد الحركة العربية الانقلابية من هذه التجارب وهذا النصر النسبي لترفع مستوى وعيها ووعي الشعب ومستوى نضالها الذي هو نضال الشعب، وأن ترفض المساواة مع هذه الحكومات أن لم ترفض الالتقاء الموقت بها فتبقى حريصة على الأهداف القومية البعيدة كاملة وواضحة، وأن توضح للشعب باستمرار المسافة التي ما زالت تبعده عن هذه الأهداف، والتي تفصله في الوقت نفسه عن الحكومات الحاضرة ليس من حيث إمكانية التحقيق فحسب بل أيضاً وبصورة خاصة من حيث الجد والاخلاص في التحقيق.

**١٥ حزيران ١٩٥٦**

# بمناسبة المؤتمر الشعبي العربي

لقد ضم المؤتمر الشعبي الذي أنعقد في دمشق بين أعضائه من جملة ما ضمّ،[1] رؤساء وزارات سابقين وممثلين عن جيش التحرير الجزائري. وكان موقف الجميع واحداً ومتقارباً من حيث شعورهم بالخطر الاستعماري المداهم وعزمهم على دفعه ومقاومته. ولسنا نجهل أن هذا التقارب بين فئات مختلفة في التفكير والأسلوب السياسي ومتفاوتة في الشروط والمصالح الاجتماعية إلى هذا الحد، مردّه بالدرجة الأولى إلى الظرف الحاضر وخطورته، وإلى شعورهم بأن الخطر إذا وقع فلن يستثني من شره أحداً، وأن مصلحتهم هي في التكتل والاتحاد. ولكن هذه الظاهرة تدل أيضاً على مدى التقدم الكبير الذي حققه الوعي القومي العربي في السنوات الأخيرة، والذي جعل نقاط الالتقاء والتقارب بين فئات الأمة الواحدة تنمو وتنضج وتربو على نقاط الفرقة والاختلاف. ولو أن المصالح وحدها هي التي تعرّف الأمة وتعيّن العلاقات بين أفرادها لما كان للأمم والقوميات وجود، فالصعيد القومي هو حقيقة واقعة، ولكن لابد له من بعض الشروط الأساسية. وأول شرط يطلب توفره حتى يوجد الصعيد القومي الذي يلتقي عليه الجميع ما عدا الخونة والمارقين، هو أن يكون هذا الالتقاء إيجابياً خلاقاً، يجمع القوى والامكانيات ويضاعفها لا ان يكون حيلة وذريعة من قبل فئة أو طبقة لفرض السيطرة وإخفاء الاستغلال وتضييع المسؤولية.

لقد كان «إجماع» جامعة الدول العربية خلال عشر سنوات مثالاً للصعيد القومي السلبي المزيف الذي يتخذ ذريعة لكبح اندفاعة الأمة العربية نحو حقوقها وأهدافها

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢١ أيلول ١٩٥٦.

في الحـرية والوحدة والتقدم. كما كانت كذلك كل دعوة سابقة إلى وحدة الصف الوطني أو وحدة الصف العربي. وكان القصد دوماً هو التستر على الضعف والتآمر والاستغلال.

ولكن الـدعـوة هذه المـرة إلى وحـدة الصف لـم تأت من الحكومات بل من الشعب، ولـم تصدر عن الطرف المكبل أو المتآمر أو المستعبد للمصالح الخاصة بقصد تكبيل الطرف المتحرر بالقيود، بل أتت الدعوة من الشعب العربي ممثلاً بجرأة عبدالناصر وانطلاقه نحو التحرر والكرامة، وممثلاً في الحركات الثورية والتحررية في مختلف أرجـاء وطننـا الكبير التي تجـاوبت أعمق تجـاوب وأسـرعه مع خطوة عبدالناصر، فكانت الدعوة هذه المرة نداء صادقاً صريحاً للمناضلين، واستنهاضاً للمترددين، وإحراجاً للمتآمرين.

فالصعيد القـومي يجب أن يكون صاعداً حتى يكون صادقاً غير مشبوه، وقد تحقق هذا الشرط أول ما تحقق في ثورة الجزائر العربية على أروع شكل عندما قبل قادة جيش التحرير أن ينضم إلى الثورة كل من يستطيع أن يؤدي قسطاً من الواجب القومي بصرف النظر عن آرائه وماضيه، لأن تنظيم الثورة وشمولها الشعبي يجعلان من هذا الاشتراك والتعاون شيئاً إيجابياً سليماً. كما تحقق هذا الشرط في أزمة القناة وما تبعها من توحيد للرأي العام العربي الشعبي، وحتى الرسمي.

كمـا تحقق قبـل ذلك في قيام الحكم القومي في سورية على أساس متابعة السياسة التحررية والحياد الايجابي وتحقيق الاتحاد بين مصر وسورية. وقد تمثل ذلك أيضاً وبشكل يدعو إلى التفاؤل الكبير في هذا المؤتمر الشعبي العربي الذي ضم هيئات وافراداً مختلفين في الاجتهادات السياسية والشروط الاجتماعية، وكانت كثرتهم من المناضلين الشعبيين وجميعهم لبّوا الدعوة بدافع التقدير للمسؤولية والثقة بمستقبل الأمة العربية.

**٢١ أيلول ١٩٥٦**

# الباب الخامس

## النضال ضد تشويه حركة الثورة العربية



# شروط العمل الشعبي القومي الصحيح

**الى مكتب اللجنة التحضرية للمؤتمر العربي العام ـ القاهرة**[1]

تحيـة عربيـة، وبعـد فان جوابنـا على رسـالتكم المحـررة بتـاريخ ٢٠ يناير سنة ١٩٤٧ ترحيب بالفكـرة الاسـاسيـة التي يرمي اليها المؤتمر، وتصميم على الاشتراك في مباحثاته حاملين اليه رأي حزب عربي خط لنفسه طريقا معينة في العمل القومي وعـرف ان العمـل الشعبي الصحيـح وتنظيم القـوى الشعبيـة للأمة العربية في صف نضـالي موحـد هو السبيـل الى انقـاذ البـلاد العربية من براثن الاستعمار، ومن مآسي الجهل والفقر والاقليمية والطائفية والاستثمار.

واذا كان حزب البعث العربي، اول من نادى بفكرة انشاء جبهة شعبية عربية او جامعـة شعبيـة تتخطى الحـواجز التي وقفت امام الجامعة الرسمية، فلقد كان له رأيه الصريح في كل التطورات التي مرّت على هذه الفكرة، والمحاولات التي قامت في سبيـل تحقيقهـا، كمـا عبّـرنا عن ذلك في صحيفتنا وفي نشراتنا الحزبية. واننا اذ نقر اليـوم مبـدئيـا فكرة عقد المؤتمر ملبين دعوتكم اليه، لنأمل ان نرى فيه تعبيرا صحيحا عن تلك الـدعـوة الشعبيـة المثمـرة، وعن الحـوافز الصميمة التي تدفع ابناء العروبة للعمـل الجـدي الـواعي في سبيـل تحقيق وحـدة العرب ورقيهم، حتى يكون عملنا

(١) كان حزب البعث العـربي قد تلقى دعـوة من اللجنـة التحضيـريـة للمؤتمر العربي الذي كان من المقرر عقده في القـاهـرة في نيسـان من عام ١٩٤٧ . وقـد ارسـل الحزب هذا الجواب على الدعوة في ٢٣ آذار ١٩٤٧، ونشر نصه في جريدة «البعث»، العدد ١٣٧ .

منتجا وقادرا على تمثيل ارادة الشعب العربي .
وتفضلوا بقبول خالص احترامنا .

**ميشيل عفلق**
**٢٣ آذار ١٩٤٧**

# لماذا انسحب البعث

# من مؤتمر الاحزاب العربية

كان حزب البعث العربي[1] اول من دعا الى فكرة جامعة شعبية تتألف من الاحزاب العربية ذات الاتجاه الشعبي الدستوري الصادق وذلك في نشرة له صدرت في شهر كانون الاول عام ١٩٤٥ .

وبعد عام من صدور تلك النشرة تلقى حزب البعث العربي دعوة من حزب الاستقلال بالعراق الى عقد مؤتمر من الاحزاب العربية ، فأجاب بالقبول شريطة ان تنحصر الدعوة بالاحزاب العربية الممثلة للاتجاه الشعبي الصحيح اي التي لاتمتّ الى الحكم القائم في البلاد العربية بصلة واضحة او متسترة .

ولكن عدم التقيد بهذا الشرط ، وتسرب الاحزاب الاقطاعية والحكومية الى لجنة المؤتمر التحضيرية في القاهرة أديا الى فشل المؤتمر قبل انعقاده .

ومنذ حين اراد حزب النداء القومي بلبنان ان يتبنى الدعوة الى عقد هذا المؤتمر. وجرت اتصالات بين حزب البعث العربي وحزب الاستقلال ثم بين حزب البعث العربي وحزب النداء القومي ، وكان حزب البعث العربي في كل مرة يوضح

(١) كان «حزب النداء القومي ـ لبنان» قد وجه الدعوة في صيف عام ١٩٤٨ الى عدد من الاحزاب القومية في العالم العربي لعقد مؤتمر لبحث القضايا القومية الكبرى ، وفي اواخر عام ١٩٤٨ سافر الى العراق ممثلون عن الحزب المذكور للاتصال بأقطاب الاحزاب القومية وبحث موضوع المؤتمر . وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٩ انعقد المؤتمر في بيروت بحضور ممثلي حزب النداء القومي ـ لبنان ، وحزب الاستقلال وحزب الشعب ـ العراق ، وحزب البعث العربي والحزب الوطني ـ سوريا ، وأعقب الجلسة الاولى انسحاب ممثلي حزب البعث العربي من المؤتمر . وقالت الصحف اللبنانية ان الاستاذين ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ، انسحبا بسبب اشتراك الحزب الوطني السوري بالمؤتمر . وقد نشرت مجلة «بيروت ـ المساء» هذا التصريح للاستاذ ميشيل عفلق في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٩ رداً على سؤال المجلة عن اسباب انسحاب الحزب من المؤتمر . ونشر في جريدة «البعث»، العدد ٢٣٠ .

فكرته ويلح على شرطه في حصر الدعوة في الاحزاب التي تتبنى الاتجاه الشعبي المحض.

ولكن هذا الشرط لم يتحقق في هذه المرة ايضا فأعلن حزب البعث العربي في جلسة الافتتاح وقبل المباشرة بأي بحث رأيه الذي كان اعلنه تكرارا في السابق وطلب من المؤتمرين ان يولوا هذا الرأي حظا اكبر من الاهتمام والدرس، ثم انسحب في هذه الجلسة نفسها لعدم استطاعته الاشتراك في اتحاد لايضمن سلامة العمل الشعبي النضالي من الانحراف والضعف.

والبعث العربي يعتبر أن الاحزاب القومية تتخلى عن مسؤوليتها التاريخية في انقاذ الامة العربية من الاخطار الداخلية والخارجية المهددة لصميم كيانها اذ لم تقر مبدأ الانفصال عن الطبقة الاجتماعية والفئة السياسية الممثلة لهذه الطبقة المسؤولة عما تعرضت وتتعرض له البلاد من اخطار متزايدة.

ان حزب البعث العربي الذي يؤمن بضرورة قيام حركة شعبية اشتراكية واحدة في جميع اقطار العروبة، ويعمل منذ تأسيسه في هذا السبيل، لايشك في ان التجارب والكوارث التي تمر بالعرب في هذه الظروف العصيبة ستقنعهم بهذه النظرة في المستقبل القريب وعند ذلك تظهر الفكرة العربية بوجهها الحقيقي وتقطع الطريق على جميع المؤآمرات الاجنبية والحركات الشعوبية والانفصالية المخادعة.

**١٩ كانون الثاني ١٩٤٩**

# مَوقفنا السياسي من الشيوعيَة

## موقفنا من الشيوعية[1]

ان فكرة البعث فكرة ايجابية لم يكن الدافع الى ظهورها مكافحة افكار او حركات اخرى بل الاعلان عن حقيقة والنضال في سبيل نشرها وظفرها. اما اصطدامها الدائم او العارض بأفكار وحركات وقوى تعترض سبيل انتشارها وتحققها فقد كان وسيلة لتوضيح ذاتها وشق طريقها لاغاية في حد ذاته. ومع هذا فقد كان لابد لحركتنا منذ التعبير الاول عن فكرتها ان تتخذ موقفا اساسيا محددا من الشيوعية كنظرية معدة للتطبيق وكنظرة الى الانسان وذلك لأن الشيوعية اظهرت نفسها كخلاصة للفلسفات التي عرفها البشر وكدين جديد لمستقبل الانسانية. فتحديد موقفنا منها كان مفروضاً علينا من هذه الاعتبارات ومن الاهمية الفكرية والعملية التي احتلتها الشيوعية في العالم الاوربي لامن تماسها المباشر مع واقعنا العربي اذ ان هذا التماس كان سطحيا واضعف من ان يشكل مشكلة جدية وعميقة بالنسبة الى حياة العرب. اذن فتحديد موقفنا من الشيوعية منذ ذلك الحين كان يعني في الدرجة

---

(١) صدر هذا البحث في صورة (نشرة داخلية) خاصة بالاعضاء في أوائل كانون الثاني عام ١٩٥٦، بالتعاون مع الدكتور جمال أتاسي. أي قبيل انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي.. فهو يتصدى للعقلية وللممارسات التي كانت تطبع الظاهرة الستالينية والتي كانت تنعكس على مواقف الاحزاب الشيوعية تجاه قضايا الوطن والامة. وقد جاءت التطورات في المؤتمر المذكور، منسجمة مع التوقعات الايجابية الواردة في النشرة. والمقال الذي يحمل عنوان (العرب والاتحاد السوفييتي - حول زيارة شبيلوف) في الباب الثاني من الجزء الثاني من الكتابات السياسية الكاملة - معركة المصير الواحد، يؤكد هذا الاتجاه.

الاولى اعترافنا وحرصنا على اتصالنا بالعالم وبالعصر ووضع مصير الامة العربية كجزء لايتجزأ من هذا العالم ومن مصيره كما هو متجسد في مشاكل هذا العصر الفكرية والاجتماعية. ثم ان اتخاذ موقف من الشيوعية هو ضمناً اتخاذ موقف من القيم والاوضاع التي جاءت الشيوعية في اوربا كثورة عليها.

ان مجرد كون حركتنا حركة عربية انقلابية يعني اننا رفضنا نهائيا الاخذ بالنظرية الشيوعية وبحركتها وان خلافنا مع الشيوعية خلاف مبدئي واساسي وهذا ما سنوضحه في بحث مقبل نفرده لتحديد موقفنا الفكري من الشيوعية ـ ونكتفي هنا بعرض موقفنا السياسي . . وهو وان كان مستمدا ككل مواقف حزبنا السياسية ـ من فكرتنا وعقيدتنا ـ الا أنه يتطلب كثيرا من الواقعية والمرونة ومراعاة الظروف . . لسببين الاول: هو ان الموقف السياسي يجب ان يعبر عن العقيدة من خلال ظرف واقعي معين وان يتكيف على الشكل الذي يضمن لهذه العقيدة أن تتابع انتشارها وتحققها ضد أهم الأخطار التي تعترض سبيلها مهادنة أو مرجنة الأخطار الأقل بروزا وضغطا. والثاني: ان الشيوعية كحركة وسياسة تطورت وابتعدت كثيرا عن التصميم النظري الذي وضعته الماركسية وذلك يفرض على موقفنا السياسي منها ان يأخذ هذا التطور والتبدل بعين الاعتبار وان يعبر عن مصلحتنا القومية تجاه الواقع الشيوعي في نفس الوقت الذي يعبر فيه موقفنا الفكري ـ وهو موقف ثابت في أساسه ـ عن مصلحتنا القومية تجاه النظرية الشيوعية الثابتة.

## الاسس التي تحدد موقفنا من الشيوعية

١ ـ ان ظهور حركتنا العربية الانقلابية بأفكارها ومبادئها وسياستها وأسلوبها النضالي الشعبي قد جاء تعبيرا عميقا عن انعدام المبررات الجدية الايجابية لقيام شيوعية وحزب شيوعي في بلاد العرب. ولكن هذه الحقيقة يجب ان تفهم على وجهها الايجابي أي ان مدى تجاوب حركتنا مع حاجات الشعب العربي ومدى النشاط الذي نبذله في نضالنا الاشتراكي هو الذي يقرر، بمقدار ما يحققه من الامكانيات الانقلابية في وطننا العربي، الى أي حد يبقى المجال مفسوحاً أمام

الشيوعية لكي تفيد من النواحي السلبية في حياتنا القومية وتبقى لها مبررات النمو في بلادنا. وينتج عن ذلك اننا في أساس موقفنا السياسي لانقبل التحالف مع الشيوعية ولكننا نريد ان نصل الى ذلك في الظروف والمراحل التي تكون فيها بلادنا معرضة لخطر أشد وهو الاستعمار عن طريق التنافس الايجابي بيننا وبينها لا ان نسلك طريقا مصطنعا يؤدي في النتيجة الى تقوية مبررات انتشارها اذا نحن انشغلنا عن مقاومة الاستعمار بمقاومتها ورفضنا الالتقاء والتعايش المؤقت معها في الظروف التي تكون مصلحتها هي أيضا في دعم النضال العربي ضد الاستعمار.

٢ ـ ان موقف حزبنا هو موقف قومي مستقل يستلهم دوما مصلحة الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها وهو يختلف كل الاختلاف عن موقف الأحزاب والفئات التي تعمل اما بوحي عقائد غير العقيدة القومية العربية ـ كالأحزاب الاقليمية والطائفية ـ واما بوحي المصالح الخاصة لأتباعها وطبقتها واحيانا بوحي الاستعمار نفسه اذ أن من هذه الأحزاب والفئات من يعادي الشيوعية دون أية مراعاة للظرف ولتفاوت الأخطار المهددة للوطن وهذا ما يشغل الشعب عن مقاومة الأخطار البالغة والمداهمة ويشتت تفكيره ونضاله ويسهل في بعض الأحيان مهمة الاستعمار في تثبيت أوضاعه وتنفيذ مآربه. أما موقفنا القومي المستقل فهو موقف مستقل عن الشيوعية مخالف لها ومختلف عنها أساسيا ولكنه ليس بالضرورة وفي كل حين معاديا لسياستها طالما ان هذه السياسة لاتشكل دوما أكبر خطر على مصلحتنا القومية وطالما انها هي أيضا ليست بالضرورة وفي كل حين مناقضة ومناوئة لمصلحتنا القومية وهذا ما يميز موقفنا عن الموقف السلبي الذي لايستمد مبررات وجوده الا من مكافحة الشيوعية وهو غالبا موقف الرجعيين والاستعماريين وأجراء الاستعمار.

٣ ـ وهذا ما يقودنا الى تفريق أساسي آخر. فسياسة الحزب الشيوعي في بلادنا تنطلق من السياسة الخارجية المستوحاة من السياسة الشيوعية العالمية ومن ظروف الاتحاد السوفياتي وصراعه مع المعسكر الغربي. وما معالجتها بالتالي للسياسة العربية عامة وللسياسة الداخلية لكل قطر عربي الا نتيجة وانعكاسا لسياستها الخارجية، أما سياسة حزبنا فتنطلق من السياسة العربية الداخلية لنقرر على ضوئها

خطوط سياستها الخارجية وبالتالي موقفها من الشيوعية والاتحاد السوفياتي.

٤ - ان سياسة حزبنا مستمدة من فكرته الانقلابية العربية التي تقوم على أساس البعث العربي أي على تحقيق الانقلاب والانبعاث من الداخل وعلى تحرير البلاد العربية وتوحيدها وعلى تجديد المجتمع العربي والنهوض به أولا. بينما تهمل الشيوعية كل هذه الاشياء أو تتهاون فيها وقد تجيز لنفسها احياناً عرقلة هذه الأهداف لكي تلقي بصورة متعسفة مصطنعة بكل قضايانا القومية الى الصعيد الخارجي أو الدولي وعلى الشكل الملائم لمصلحة السياسة السوفياتية.

٥ - ومن أسس موقفنا السياسي ان نميز تمييزا واضحا بين موقفنا من الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية وبين موقفنا من الاتحاد السوفياتي. فبالرغم من ان الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية - كما هي في سائر بلدان العالم - تعمل لمصلحة السياسة السوفياتية وتطرح قضايانا القومية من هذه الزاوية فحسب الا أنها تمثل في نظر شعبنا وبالنسبة الى قضيته القومية شيئا آخر لاينحصر في خدمة السياسة السوفياتية والترويج لها فهي مؤسسة قائمة في داخل بنياننا القومي وتأخذ عناصرها من أفراد شعبنا وتستقطع قسما من شبابنا المثقف وتتكلم لغتنا وتتداخل في شتى مناحي حياتنا عن طريق صحفها وكتاباتها وعن طريق الجمعيات والنقابات التي تتغلغل فيها. لذلك فهي تنافس الحركة القومية العربية من الداخل وفي صميم التكوين الفكري والتنظيمي للشعب أو لبعض فئاته على الأقل فصراعنا معها لايقتصر على السياسة. ولذلك لايمكن لهذا الصراع أن يتوقف حتى عندما تلتقي سياستنا بسياستها بل نكاد نقول ان خطر الأحزاب الشيوعية يزداد حين تقترب سياستها - وهي دوما خارجية - من المصلحة العربية. لأن هذا الاقتراب والالتقاء يخلقان التباسا خطرا في الأوساط السطحية الفهم والغير مزودة بتوجيه قومي متين اذ تتسرب الى هذه الأوساط - برفقة الشعارات السياسية الخارجية التي تلتقي مع شعاراتنا السياسية وبحجتها الأفكار والشعارات الشيوعية العقائدية التي هي أعمق وأبعد مدى من الالتقاء السياسي العارض وهذا ما يرتب على حركتنا واجب الحذر والحيطة والجهد المتواصل للتوضيح ولمنع أي التباس بين هويتنا وهوية الشيوعية.

في حين أن الاتحاد السوفياتي ، بالرغم من صفته كدولة شيوعية ومتزعمة وموجهة للأحزاب الشيوعية في العالم ومسيطرة عليها يبقى دولة تعمل بسياسة واقعية تراعى فيها مصلحتها وبقاءها والاحتفاظ بنفوذها وزيادته ضمن الظروف العالمية وتصارع القوى فيها، وان هذه المصلحة الواقعية للاتحاد السوفياتي لاتنصب في الدرجة الأولى ولاتقتصر على دعم الحزب الشيوعي في بلد ما بل هي أوسع وأكثر مرونة وتحرص قبل كل شيء على الافادة من وضع البلد بالنسبة الى القوى والظروف العالمية وقد يصل بها الأمر الى التضحية موقتا بالحزب الشيوعي ـ كما يجري الآن مع مصر مثلا ـ لتكسب صداقة هذا البلد وتتبادل المنفعة معه .

وفي ظروف هذه المرحلة التي يجتازها العرب في نضالهم للتحرر من الاستعمار الغربي يبدو من الطبيعي أن تلتقي مصلحتهم في أكبر من نقطة مع مصلحة السياسة السوفياتية . وما دامت هذه الظروف باقية فيبدو وعلى الأقل انه ليس من مصلحة العرب معاداة الاتحاد السوفياتي .

ومن أجل ذلك كله كان وجود الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية يحمل في طياته الى جانب الأضرار المعروفة ضررا آخر مباشرا هو تشويه نظرة الشعب العربي الى الروابط المصلحية التي يمكن ان تكون ويلتقي بها مع الاتحاد السوفياتي في سياسته الخارجية اذ لاشك أن النظرة الى هذه الروابط كان يمكن أن تكون أكثر تحررا وصفاء وجرأة لولا ما يلتبس به التقارب السياسي من الاتحاد السوفياتي من تهديد الكيان القومي بانتشار الشيوعية وهكذا نصل الى هذه النتيجة . . وهي أنه بمقدار ما ننشط ونحول بنشاطنا الايجابي دون انتشار الحزب الشيوعي وبمقدار ما تضيق وتتقلص رقعة هذا الحزب أمام توسع حركتنا بمقدار ما يسهل تكوين سياسة عربية مستقلة تستطيع الافادة من وجود الاتحاد السوفياتي في وجه الاستعمار الغربي والتفاهم معه على كل ما يخدم القضايا العربية .

٦ ـ ان النهج المبدئي لحزبنا يقوم على خلق وعي سياسي عند جماهير الشعب لتتلمس مباشرة قضاياها وهذا ما يتطلب الصدق والوضوح والتجاوب الدائم مع حاجاته ومطاليبه ويجعلنا نصرّ دائما على الابتعاد في سياستنا عن كل تهويش

أو مواربة وتغطية وعلى عدم اشغال الجمهور بقضايا بعيدة عنه وعدم صرفه عن النضال الداخلي في سبيل التحرر والتقدم لاشغاله بقضايا كاذبة أو قضايا لم يحن بعد وقت طرحها كما تفعل الشيوعية في طرحها لشعاراتها العامة في السلام والتعايش السلمي والانفراج الدولي ونزع السلاح، وفي سياسة البرقيات والعرائض لهذه الأغراض فماذا تعني هذه الشعارات وهذه القضايا بالنسبة لجمهور شعبنا وهو في كفاحه ضد الصهيونية وضد الاحتلال والتجزئة وضد نفوذ الاستعمار السياسي والاقتصادي في بلاد العرب وضد الرجعية والتأخر؟

ان هذا لايعني اننا ندعو لسياسة عزلة وانغلاق وان قضايا السياسة العالمية لاتعنينا فالوعي القومي العربي الحديث مطالب بأن ينفتح على المشاكل العالمية ويدخلها في حسابه ولكن بمقدار الضروري النافع وعلى أساس مصلحة الأمة العربية مع مراعاة ظروف مرحلتها الحاضرة التي تستوجب التركيز على خلق الشخصية العربية وتقويتها. وهذا مايدعونا الى مقاومة محاولة الشيوعيين لاغراق قضيتنا القومية في بحر من المشاكل العالمية الواسعة والحذر من منطقهم الخاص المتعسف الذي يعين أهمية الحوادث العالمية لابالنسبة الى مصلحة العرب ولاحتى بالنسبة الى الأهمية الموضوعية لهذه الحوادث بل بالنسبة الى مصلحة الحركة الشيوعية.

ومن هذه الفوارق المبدئية بيننا وبين الشيوعية ينتج أيضا اختلاف أساسي في الأسلوب السياسي الذي نتبعه في تنظيم نضال الشعب وفي طرح شعارات هذا النضال. واختلاف عن الشيوعية في المنطق والأسلوب الذي نعالج به قضايانا في السياسة الداخلية والعربية والدولية.

## بين منطق حركتنا وسياسات الحزب الشيوعي

ان الفرق بين حركتنا وبين الشيوعية هو الفرق بين ما هو وطني وما هو غريب، بين ما هو طبيعي وما هو مصطنع، خاصة اذا عرفنا ان ظروف البلاد العربية واوضاعها ونفسيتها في هذه المرحلة التاريخية هي جد مختلفة وبعيدة عن ظروف البلدان

الاوروبية المهيأة اقتصاديا وسياسيا وحضاريا لان تكون الشيوعية فيها اكثر من حركة غريبة توجهها سياسة دولة اجنبية. وهذا يعني ان الشيوعية في كثير من بلدان اوروبا استطاعت الى حد كبير ان تستوطن وتكسب حق المواطنة. وما ذلك الا لأن البلاد الاوروبية قد بلغت في هذا العصر، ولو بنسب متفاوتة حداً استوت فيه المشاكل الداخلية والمشاكل الخارجية حتى اننا نستطيع دون كبير تعسف في الاحكام ان نعتبر الشيوعية مظهرا ونتيجة لتطور اوروبا اكثر منها سببا ودافعا لهذا التطور وهذا مالا ينطبق على حالتنا نحن العرب، فبينما تتجاوب الشعارات الشيوعية رغم اصطناعها الظاهري وتعصبية نظرتها مع حاجات واقعية عند شعوب الغرب - كقضايا السلم العالمي مثلا والتعايش السلمي وتحريم السلاح الذري - تظهر هذه الشعارات في الحياة العربية الحاضرة كأنها هابطة من عالم آخر ومفروضة من خارج واقعنا وحاجاتنا لا لأنها عديمة الصلة اصلا بهذا الواقع بل لانها لاتعبر عن اهم شيء فيه وعن اشد حاجاته ضغطا والحاحا.

فحركتنا رغم انها وعت منذ بدئها ظروف العصر وخاصة ظروف اوروبا - البلاد الراقية المسيطرة - ظلت حركة عربية منبعثة من صميم الواقع العربي ومتصلة بأعمق الروابط مع شعبنا وماضيه ومشاكله الحاضرة واستعداداته لخلق مستقبل له. فنحن عندما قلنا ان حركتنا وطنية لم نقل ان الحركة الشيوعية لا وطنية ولكننا قلنا انها غريبة اي غير متجاوبة مع صميم حاجاتنا فقد تقف الشيوعية من قضايانا في بعض الاحيان مواقف وطنية ولكن هذا لاينفي عنها غربتها ولا يكون اكثر من التقاء عارض في المصلحة لا في النظرة والشعور، لذلك فهي في احيان اخرى تتراجع عن هذه المواقف او تناقضها بسهولة لايقدر عليها ولا يعقل ان يقدم عليها من ربط مصيره بمصير شعبه واستوحى افكاره وخططه من حاجات الشعب ومصلحته التي لايمكن ان تتبدل او تتناقض بين حين وآخر.

وتبعا لهذا الفارق المميز نفسه نستطيع ان نفهم كيف ان حركتنا المعتمدة على جذورها القومية و الواثقة من تجاوبها مع حاجات الشعب العميقة تظهر من الجرأة في طرح المشاكل ومعالجتها - ولو انها في بعض الاحيان غير متكافئة مع صعوبات هذه

المشاكل - وكيف ان الشيوعية الجريئة في تقلباتها السياسية تتردد كثيرا في اقتحام ميادين نضاليه لا تعطي مردودا سياسيا عاجلا ويتطلب اقتحامها ثقة في الشعب واعتمادا على قواه الكامنة وتضحية بالحاضر في سبيل خلق وعي عميق اوتبديل شيء اساسي في مستقبل هذا الشعب.

**في السياسة الداخلية:**

منذ خمسة عشر عاما، ومنذ تأسس حزبنا بفكرته العربية الانقلابية الاشتراكية، ركز نضاله الاساسي في سوريا على مقاومة الاستعمار الفرنسي دون ان ينسى ضعف القيادة الوطنية المتزعمة للنضال الشعبي والمستغلة له. فكان في نفس الوقت الذي يدعو الشعب فيه الى مقاومة المستعمر بكل قواه وبكل الوسائل، يحذره من الزعماء المستغلين ومن مساوماتهم وتراجعهم ويربط بين سياستهم الانتهازية الرخوة المترددة وبين عقليتهم كطبقة لا تحيا حياة الشعب ولا تشعر شعوره ولا تثق به ولا تستطيع ادراك المدى الذي يمكن ان تبلغه قدرته النضالية الهائلة كما يربط بين التناقض القائم بين ادعائهم مقاومة الاستعمار من اجل اجلائه التام وبين حرصهم على تلك المصالح الخاصة وما يقود اليه من لين وتراجع كلما هددهم الاستعمار في صميم مصالحهم علاوة على ان تشبثهم بهذه المصالح كان بصورة غير مباشرة يضعف الوسائل النضالية عند الشعب نتيجة افقارهم واستعبادهم له، وما ان خطت القضية الوطنية خطوة الى الامام سنة ١٩٤٣ عندما سلم الاستعمار الفرنسي لسوريا بنوع من الاستقلال مشوب بالنقص والاخطار وقام في البلاد من جديد حكم وطني دستوري حتى وجد حزبنا من واجبه ان يزداد جرأة في فضح مساوىء الفئة المتزعمة التي وصلت الى الحكم واستمرت في عقليتها واساليبها القديمة المعروفة باحتقارها للشعب وخوفها منه وترتيب سياستها ومساوماتها مع الأجنبي في معزل عنه وبالتالي باضطرارها لخرق الدستور وتزييف النظام البرلماني وقمع الحريات وافقاد البلاد القوة الوحيده التي تستطيع ان تقف في وجه الاعيب المستعمر وغدره وبطشه الا وهي قوة الشعب وهكذا اخذ تركيز الحزب ومقاومته يتوجهان الى هذه الفئة الحاكمة بنفس الدرجة التي كانا يتوجهان فيها الى الاستعمار دون خشية من تصديع لتلك الوحدة

الكاذبة المزعومة للصف الوطني . ودون خوف من ان يستغل الاستعمار نضالنا ضد الفئة الحاكمة طالما ان هذا النضال اقتصر اذ ذاك على التحذير والضغط في سبيل التشدد في مطالبنا وحقوقنا القومية وعدم التساهل والتفريط بشيء منها خاصة وان الحزب كان يقف من الفئات والاشخاص المتعاونين مع الاستعمار موقفا اشد واصلب من موقفه من الفئة الحاكمة . وكان يرفض اي التقاء او تعاون مع هذه الفئات ومع المعارضين المدفوعين بالاغراض والمصالح الخاصة . وبهذا الاسلوب المستمد من روح الشعب وحاجاته والواثق بقدرة الشعب على الاستمرار في النضال وعلى خلق قيادة جديدة لهذا النضال تخرج من صميمه وتكون خالصة من شوائب القيادة القديمة . . استطاع الحزب ان يفتح امام الشعب ابواب المستقبل بارتفاعه بمستوى النضال الى الصعيد الشعبي الانقلابي . . اذ طرح قضية سوريا كجزء لايتجزأ من تحرر الشعب السياسي والاقتصادي . ومن توحيد نضاله في جميع اقطاره ومن العمل على توحيد هذه الاقطار المجزأة . وبعد جلاء الفرنسيين عن سوريا ولبنان ازداد نضال الحزب شدة واتساعا في سبيل اشراك جماهير الشعب في الحياة السياسية والقومية . . وضد كل محاولة من الفئة الحاكمة لعرقلة استلام الشعب لقضيته فكانت مقاومتنا المعروفة للمراسيم الاشتراعية الخانقة للحريات حتى تراجعت الفئة الحاكمة عنها . . وكان نضالنا المشهود في سبيل جعل الانتخابات على درجة واحدة ودفاعنا المتواصل عن حرمة الدستور وسلامة الحياة البرلمانية والديمقراطية . . . كل ذلك لايماننا العميق بأهمية هذه الخطوات في طريق تكامل وعي الشعب وشعوره بشخصيته القومية ومسؤوليته التاريخية . ومن اعداده للانطلاق نحو مهمات ابعد واصعب تتناول تبديل اسس النظام الاجتماعي الفاسد وما يرافق ذلك او يليه من تبديل عميق لأسس حياة الفرد والمجتمع في نواحيها الفكرية والاقتصادية . . . وعلى هذا المنوال يمكن فهم المراحل التالية لنضال الحزب وكيف انه بعد ان سجل نصرا للحريات العامة اخذ يركز على الناحية الاشتراكية دون تناس او اهمال لمقاومة الاستعمار وللعمل في سبيل الوحدة العربية . وكيف ان الحزب قاوم بمفرده تقريبا الدكتاتورية العسكرية . . لا لأنها دكتاتورية فحسب بل لانتحالها الكثير

من شعاراته القومية التقدمية. ولانها بهذا التضليل كانت تبدد اصالة الانقلابية العربية التي يشترط في تحقيقها ان يحملها الشعب ويحميها بنضاله الحر الواعي وبمشاركته العميقة لا ان تفرض عليه من فوق وبقوة السلاح مع العلم بأن زيف تقدمية الانقلابات العسكرية كان مفضوحا اذ قامت كلها بقصد طرد حركتنا من الساحة وتطمين المصالح الرجعية والاستعمارية.

اما الحزب الشيوعي فكانت مواقفه تبعا لمنطقه الذي ينطلق من السياسة الخارجية مواقف معرضة لتقلبات كثيرة ناتجة عن تقلبات السياسة السوفيتية الخارجية. فبعد ان بدأ بداية عقائدية واضحة ادخل تعديلا كبيرا على سياسته منذ سنة ١٩٣٦ اي السنة التي تحولت فيها سياسة الكومنترن في العالم واتجهت نحو الاعتدال والتعاون مع الحركات الوطنية والاحزاب التقدمية. واوحت لتلك الاحزاب باقامة الجبهات الوطنية والدعوة لها. ومذ اصبح الحزب الشيوعي السوري اللبناني مرتبطاً بالكومنترن عن طريق الحزب الشيوعي الفرنسي.. كانت سياسة الشيوعيين في بلادنا سياسة تعاون ايجابي مع الفئات الحاكمة الرجعية. وانصرفت عن النضال ضد العدو المباشر وسكتت عن مقاومة الاجنبي المحتل لاشغال الشعب بقضايا بعيدة عنه، كقضية فرانكو مثلا والحرب الاهلية في اسبانيا. وعلى اثر اعلان الحرب العالمية الثانية وكنتيجة لتفاهم روسيا مع المانيا النازية عاد الحزب الشيوعي في سوريا الى عدائه الصريح للاستعمار الفرنسي والمعسكر الغربي عامة وظل على هذه الحال حتى اضطرت روسيا الى تبديل موقفها بعد ان هاجمتها الجيوش الالمانية فالتقت مع الحلفاء في حربهم ضد النازية وبالتالي عاد الحزب الشيوعي الى مسايرة الاستعمار الفرنسي وحلفائه.. وأخذ يشكل الجمعيات لمكافحة الفاشية ويجمع فيها الاسماء البارزة من السياسيين المأجورين للاستعمار والاقطاعيين وكبار موظفي الدولة الى جانب الكتاب والصحفيين وذابت قضية البلاد الأساسية في الاستقلال والحرية كما تضاءلت قضية الشعب بعماله وفلاحيه وظل هذا شأن الشيوعيين بعد قيام العهد الوطني للمرة الثانية سنة (١٩٤٣) فكانوا على صلات حسنة مع حكومات ذلك العهد ولم يرفعوا صوتهم لاضد الضغط على حريات

الشعب وخرق الدستور ولا ضد سياسة المساومة والتخاذل أمام الفرنسيين ولا ضد تصريحات الحكومة الامريكية المؤيدة للصهيونية في فلسطين. وعند نهاية الحرب وانتصارات الحلفاء كان الشيوعيون يحشدون أتباعهم في مظاهرات يحملون فيها صورة الجنرال ديغول الى جانب صورة ستالين. ولم يحركوا ساكنا أو يساهموا في مجهود البلاد للتخلص من الاحتلال الفرنسي لأن سياستهم كانت متأثرة بالخوف من امتداد النفوذ البريطاني الى سوريا في حالة جلاء الفرنسيين عنها. وكل هذا ينم عن ضعف ارتباطهم وضعف ثقتهم بالشعب. وبعد الجلاء واستفحال مفاسد الحكم الوطني وتزايد نقمة الشعب على الاستغلال والطغيان لم يكن الشيوعيون أقوى المعبرين عن مشاعر الشعب ومصلحته بل كانوا أحيانا ينقذون المظاهر برفع صوتهم في آخر المعركة وبعد ان يكون حزبنا وجماهير الشعب قد أدوا ضريبة النضال سواء بدفع خطر القوانين الجائرة أو بتحقيق قوانين تقدمية.

ولا حاجة لتكرار القول بأن تأييدهم الضمني لهذه الحكومات الاقطاعية أو سكوتهم عنها وتراخيهم في مقاومتها لم يكن معبرا عن موافقتهم على سياستها الداخلية الرجعية وانما كان نتيجة رضائهم عن سياستها الخارجية التي كان الشيوعيون يرون فيها حدا أدنى من الحرص على الاستقلال بمعناه الاقليمي والابتعاد النسبي عن النفوذ البريطاني والامريكي.

وفي عهود الدكتاتورية العسكرية لم تكن تعنيهم حرية الشعب المخنوقة وما كان يصيبه من ظلم بقدر ما كانوا يتخوفون ان تؤدي سياسة العسكريين الى تحالف مع دول المعسكر الغربي في أحلاف عسكرية يقصد منها اكمال تطويق الاتحاد السوفييتي لذلك خفت مقاومتهم عندما اطمأنوا الى عدم انجرار الدكتاتورية العسكرية زمن الشيشكلي وراء سياسة الأحلاف. مع العلم ان وعي الشعب ونضاله هما اللذان جعلا من المستحيل على الشيشكلي ان يسير في سياسة الأحلاف.

**في السياسة العربية:**

لقد سبق وذكرنا في معرض التمييز بين سياستنا والسياسة الشيوعية اننا ننطلق من

السياسة الداخلية القومية بينما ينطلق الشيوعيون على العكس من السياسة الخارجية. . ولكن هذا يحتاج الى توضيح ما نعنيه بالسياسة الداخلية في هذا المعرض. . فهي ليست الشؤون الخاصة بكل قطر عربي على حدة، بل الشؤون المتصلة اتصالا وثيقا بحياة الشعب العربي كشعب واحد في مختلف أقطاره. يجتاز مرحلة انبعاث قومي، وبتعبير آخر فان نقطة انطلاقنا هي النقطة المشتركة (القومية) بين جميع العرب التي ننظر على ضوئها الى تفصيلات الحوادث والمشاكل الداخلية بالنسبة الى كل قطر لتنتظم هذه الحوادث والمشاكل في منطق معين له اتجاه واحد وأهداف أساسية واحدة. وفي هذا نختلف كل الاختلاف لا عن الشيوعيين فحسب بل عن جميع الأحزاب العربية والفئات الحاكمة التي تعتبر المصلحة العربية المشتركة مقتصرة على عدد من القضايا العليا التي تلتقي عليها جميع الأقطار العربية أو أكثرها والتي هي من نوع القضايا التي تجمع بين بلدان عدد من الشعوب المختلفة والعائشة في منطقة واحدة من العالم أو المهددة بخطر واحد والمشتركة رغم اختلافها في روابط حضارية واقتصادية ودفاعية وغير ذلك دون ان يكون ثمة أية علاقة بين الأوضاع والمشاكل الداخلية لكل شعب منها وبين هذه الروابط المشتركة مما يؤدي عمليا الى تضارب واصطدام بين النهج المشترك والنهج الخاص بكل قطر. . وبالتالي الى تعذر أي توحيد فعلي مهما يكن بسيطا والى تخبط لا نهاية له في التناقض بين الوسائل والأهداف والأعمال والادعاءات. ذلك لأن قيام هذا الاشتراك في المصلحة بين شعوب تعرف وتعترف صراحة انها متمايزة مختلفة وتريد ان تجد نقاط التقاء فوق هذا التمايز والاختلاف هو أمر طبيعي وايجابي وممكن لايشوشه تناقض ولا يعترضه تضارب لأن هذا الاشتراك أريد له منذ البدء وصراحة ان يكون محدودا وسطحيا وان لايمس تكوين هذه الشعوب في الاعماق. في حين ان اتباع نفس المنطق مع أجزاء شعب واحد يعيش مشاكل واحدة وينزع الى أهداف واحدة ومصير واحد يؤدي الى عكس النتيجة لأن محاولة التقريب والتوحيد بينه على أساس المنطق السائد لدى الأحزاب والفئات الحاكمة العربية انما هي في الواقع محاولة لخلق التباعد وتقوية عناصر الاختلاف والتباين واعطاء مشروعية وقدسية لما هو

طارىء دخيل على حياة الأمة وجعله هو الأصل بينما تصبح الوحدة الأصيلة للأمة أمرا سطحيا يدخل في نطاق خطط السياسيين ومفاوضاتهم ومساوماتهم.

اذن فقصدنا من السياسة الداخلية هو المعالجة الحية لمشاكل الشعب العربي على أساس وحدة قوميته ومصيره. فقضية تحرر سوريا من الاستعمار الفرنسي وتحرر الشعب السياسي في صراعه من أجل الدستور والحريات العامة وقضية تحرر الفلاحين فيها من سيطرة الاقطاعيين وتجربة الحكم العسكري رفضح ما فيها من تزييف للحركة الانقلابية الشعبية.. كل هذه القضايا لم يثرها حزبنا بهذا التسلسل وهذا العمق لأنها قضايا خاصة بسوريا بل لاعتبارها جزأ ونموذجا من قضايا الشعب العربي كله ولاعتبار تأثيرها وتفاعلها في القضية القومية الكبرى.

وبالاستناد الى كل ما تقدم يسهل توضيح موقفنا من السياسة العربية وفهمنا لهذه السياسة بعد أن رفضنا المفهوم السطحي الزائف للأحزاب والفئات الحاكمة العربية نستطيع القول.. ان السياسة العربية هي التقاء وتضافر وتفاعل مستويين من النضال، مستوى النضال المنصب على المشاكل الشعبية التي تمس حياة الشعب العربي في كل قطر حسب أوضاع هذا القطر من حيث علاقته بالاستعمار والفئات الحاكمة والطبقة المستغلة والمشاكل الاجتماعية والفكرية الراهنة.. كل هذا مطروحا منذ البدء على أساس النظرة العربية، ومستوى النضال المنصب على الوحدة القومية كارادة وخلق وخطة. وبتعبير آخر ان ايقاظ القوى النضالية في الشعب العربي في كل قطر بمفرده وحسب ظروفه وتربية هذه القوى وتنميتها يجب ان يستغل ويحول باستمرار الى قوة شعبية نضالية تضغط من أجل توحيد أجزاء الوطن العربي مراعية ملاءمة الظروف السياسية العربية والدولية لتجسيد هدف الوحدة في خطوات انشائية حيث يكون ذلك ممكنا وفي تضامن قومي وسياسي ونضالي بالنسبة الى الأجزاء التي لم تتهيأ لها بعد ظروف التوحيد الانشائي. ولقد لحق بالقضية العربية أضرار جسيمة من جراء الفصل بين هذين المستويين من النضال اللذين يجب ان يظلا مترافقين متفاعلين متحدين. فثمة الذين يأخذون الوحدة العربية مجردة من لحمها ودمها كقشرة بلا لب وعنوان بلا محتوى عندما يفصلون جهلا وتجاهلا بين

وحدة العرب القومية وبين حاجات الشعب العربي الحياتية ثم يظهرون دهشتهم بعد ذلك لتعثر سير الوحدة وعقم محاولاتها متناسين ان هدفا ضخما وصعب المنال كهدف الوحدة لابد له لكي يتحقق من قوة ثورية نضالية لا تتوافر الا في جماهير الشعب الثورية المناضلة، والا اذا اندمج هذا الهدف بمطالب الشعب الاقتصادية والتحررية وارتكز على دعامتي الاشتراكية والحرية. وثمة أيضا الذين يناضلون ضمن القطر الواحد على أساس تجسيد حاجات الشعب في هذا القطر الاقتصادية والتحررية ويقفون عند هذا الحد، متوهمين ان ترابط أجزاء هذا النضال وتجمعها خلال الاقطار العربية المختلفة يتمان بصورة آلية ودون خطة منسقة لاجزاء هذا النضال ودون دمج هذا النضال في جميع خطواته وتفصيلاته دمجا عميقا بنضال الوحدة.

ان نظرتنا العربية لاتقتصر على وجوب طرح المشاكل القطرية الداخلية بمنطق معين هو منطق وحدة الأمة العربية ووحدة مصيرها، بل تؤدي أيضا الى اغفال أو تأجيل أو تضحية لبعض هذه المشاكل القطرية لكي نقدم عليها ماهو أهم وأوثق صلة بمصلحة العرب وما يمكن ان يحقق نفعا أساسيا للعرب كأمة واحدة.

وتتوضح نظرتنا هذه باستعراض سريع لبعض مواقف حزبنا... ففي بداية تاريخ حزبنا في مرحلته السرية، لم نكد نخرج من أوائل عام ١٩٤١ من معركة عنيفة ضد الاستعمار الفرنسي وحكومة المديرين في سوريا حتى حدثت ثورة العراق على الاستعمار البريطاني فتجند الحزب لدعم هذه الثورة. وكان توجيهه مركزا على موضوع الوحدة العربية واثر العراق فيها اذا تمكن بمناصرة الشعب العربي في الأقطار الأخرى من ان يحقق استقلاله التام ليعمل بدوره على تحرير الأقطار الأخرى ومنذ قيام الحكم الوطني بسوريا سنة ١٩٤٣ كان نضال الحزب يطرح دوما قضايا العرب القومية ويطرح قضايا سوريا على الصعيد العربي ويضغط على الحكومات فيها لتحريرها من النظرة الاقليمية. وهكذا أعلن الحزب مخاوفه وارتيابه من الجامعة العربية منذ اليوم الأول لتأسيسها وفضح الانحراف الأساسي الذي تضمنه ميثاقها ونقطة انطلاقه. وطالب الحزب بجامعة شعبية تضم الأحزاب العربية الأكثر اتصالا

بجماهير الشعب كخطوة نحو توحيد النضال العربي الشعبي. وفي سنة ١٩٤٥ عندما أثارت بعض الحكومات العربية فكرة مشروعات توحيدية أو اتحادية، كمشروع سوريا الكبرى ومشروع اتحاد سوريا والعراق.. قام الحزب بفضح المصالح الاقليمية والشخصية التي انطوت عليها مقاومة الفئة الحاكمة في سوريا لتلك المشروعات كما فضح الأغراض المبيتة للاستعمار من وراء طرح قضية الوحدة العربية على ذلك الشكل المنحرف لتشويه فكرة الوحدة من أساسها. ولكن الحزب لم يقف عند هذا الحد السلبي بل بين الشروط السليمة والواقعية التي يمكن أن تتوافر لتحقيق خطوات في طريق الوحدة.

أما قضية فلسطين فكانت معالجة الحزب لها واضحة جلية اذ بيّن عجز الحكومات العربية عن الصمود في وجه الصهيونية ما دامت هذه الحكومات كلها، ولو بنسب متفاوتة، مسلمة قيادها للدول الاستعمارية تسير بتوجيهها وتتحاشى مخالفتها واغضابها وطالما انها من جهة أخرى حكومات رجعية تمثل مصالح الطبقة المستغلة للشعب، فلا تستطيع الاطمئنان الى الشعب وفسح مجال النضال القومي أمامه.. وفضح حزبنا بصراحة تامة أسلوب الحكومات والزعماء التقليديين في تزييف قضية فلسطين وتغليفها بحجب كثيفة من الدعايات العاطفية والسطحية المضللة التي من شأنها ان تبلبل وعي الشعب وتشوش حماسته واندفاعه وتعطل بالتالي معظم امكانياته النضالية. وربط الحزب قضية فلسطين ربطا وثيقا بالقضية القومية الأساسيّة أي بتكوين المجتمع العربي وبوجود الاستعمار والتجزئة والاستغلال الطبقي وبيّن ان حلها لايكون الا بجزء من الحل القومي العام، ولكنه لم يستنكف عن دخول النضال العاجل والمسلح ودعا الشعب الى المساهمة فيه على أوسع نطاق رغم العراقيل التي كانت الحكومات تضعها في سبيله. وقصده من ذلك ان هذا النضال الشعبي علاوة على كونه تعبيرا عن حيوية الأمة وشعورها بوحدتها وتحسسها بحقوقها ومصلحتها فانه يساعد على فضح تآمر الفئات الحاكمة ويعجل في انهيارها واستلام الشعب لقضيته.

أما بالنسبة للمغرب العربي فقد حرص حزبنا منذ تأسيسه الى اليوم في جميع

مواقفه السياسية على تجسيد ايمانه بوحدة الأمة العربية وخاصة بكون المغرب العربي جزءا لايتجزأ من وطننا الواحد، ذلك لأن الحزب كان يعرف مدى الأثر السلبي الذي أحدثه الاستعمار والتجزئة والانشغال بالمصالح الاقليمية الضيقة والآلية حتى ضعفت الرابطة بين شطري الوطن الواحد فكان الحزب لايضيع مناسبة الا استخدمها للتذكير بقضية المغرب وادخالها في صميم النضال الشعبي. وكان الحزب في بياناته ومواقفه النضالية يحمل على الحكومات العربية والجامعة العربية لاهمالها قضية المغرب وتقاعسها في دعمها دوليا وامداد نضال الشعب العربي في المغرب بالمساعدات الجدية، وكان يحمل عليها بصورة خاصة لجعلها قضية المغرب في بعض الأحيان موضوع مساومة مع فرنسا وكان هذا الموقف جليا في عهد دكتاتورية الشيشكلي عندما كان هذا الأخير يساوم فرنسا لتزويد الجيش ببعض الأسلحة على حساب حرية شعبنا المكافح اذ ذاك كفاحا دمويا في تونس ومراكش. كما أن الحزب الى جانب محاولاته المستمرة لادخال قضية المغرب في صلب النضال العربي الشعبي في الشرق قد وقف دوما من نضال المغرب موقف الداعم للحركات الشعبية الثورية الصلبة ضد تخاذل السياسيين المعتدلين وضد الانتهازيين الذين يطعنون نضال الشعب بالمفاوضات والمساومات مع الاستعمار وبتجزئة نضال المغرب لنيل مكاسب سطحية لقطر على حساب الأقطار الأخرى.

وأخيرا لابد من كلمة موجزة عن موقف حزبنا من سياسة الحكومات العربية بعضها حيال بعض وحيال الغرب من بعد كارثة فلسطين... لقد أحدثت هذه الكارثة وقيام دولة اسرائيل أثرا مختلفا في كل من الشعب العربي ومن الطبقة الحاكمة المستغلة. فخطر اسرائيل قد نمىّ روح الثورة التحررية والاجتماعية بشكل عام وشعور الشعب العفوي وحاجته الطبيعية الى الوحدة القومية بشكل خاص بينما دفع الطبقة الحاكمة (وهي انفصالية بحكم وجودها ومصالحها) الى استسلام متزايد للاستعمار الغربي تتقوى به ضد توسع اسرائيل المحتمل وضد الثورة الشعبية على السواء. وكان الاستعمار يدرك هذه النفسية الجديدة ويسعى لاستغلالها بتقديم مشروعاته الدفاعية للحكومات العربية ليطمئنها بهذه المشروعات على بقائها أمام

خطر التوسع الصهيوني والثورة الداخلية. ولكن وعي الشعب العربي قد فضح هذه الخطط اذ أن الشعب لم يكن يجهل أن الاستعمار الغربي هو المستفيد الأول من تشجيع الصهيونية وانشاء دولة اسرائيل، وبالتالي فلم يكن الشعب يرى سبيلا للتخلص من الصهيونية واسرائيل الا بالتخلص من الاستعمار أولا. وهكذا فقد عجلت كارثة فلسطين في فضح الطبقة الحاكمة المستغِلة وفضح تآمرها مع الاستعمار ونتج عن ذلك تطور نسبي للحكم في بعض الأقطار المعرضة بصورة مباشرة لخطر اسرائيل كمصر وسوريا حيث اتجه الحكم نحو التقدمية في الداخل والتحرر التدريجي من تبعية المعسكر الغربي. أما في العراق حيث خطر اسرائيل أقل تهديدا مباشرا. فقد حاولت الفئة الحاكمة المستسلمة للاستعمار ان تستر رجعيتها الداخلية وتبعيتها الخارجية لتوجيه أنظار الشعب الى مظهر فارغ للوحدة القومية مستغلة حاجة الشعب العربي التي تضاعفت مع ظروف الخطر الجديد الى تحقيق وحدته.

الا ان الخطوات التقدمية والاستقلالية لم تعط في مصر كل ثمارها الايجابية ولم ترتكز حتى الآن على أسس شعبية مضمونة البقاء بينما بقيت في سوريا شكلية في حدود الشعارات لأنها في كلا البلدين ما زالت تفتقر الى دعامة أساسية هي الوحدة التي تحميها وتغذيها. كما ان محاولات الفئة الحاكمة في العراق في السنوات الأخيرة لتحقيق خطوة اتحادية باءت بالفشل وانتقلت الى عكسها فعزلت العراق عن بقية الأقطار العربية لأن الخطوات التوحيدية تشترط الخطوات الاستقلالية والتقدمية ولا تتفق مع الأحلاف الاستعمارية والحكم الرجعي الاقطاعي.

وكان على حزبنا في وسط هذه الالتباسات المعقدة ان يقف الموقف القومي السليم فيشق للحركة الشعبية بشعاراتها وأهدافها التحررية التقدمية القومية طريقها، ويحارب محاولات الاستعمار والحكومات الرجعية المؤتمرة بأمره، ويقاوم انحراف المحاولات التحررية والتقدمية التي لاتقوم على النضال الشعبي ولا تعمل على أساس وحدة المصير العربي، أي أنه كان على الحزب في نضاله ضد الاستعمار وأحلافه والحكم الرجعي واستغلاله، وفي نضاله من أجل التحرر والتقدم ان ينقذ

مطلب الوحدة القومية التي كادت تضيع بين دعاتها المشبوهين وخصومها التقدميين والمتسترين بالحرية والاستقلال ليحافظوا على مصالح التجزئة ويعرقلوا كل توحيد. فالحزب يعرف ما تنطوي عليه مشروعات التوحيد المزيفة من أغراض رجعية ومقاصد استعمارية ولكنه يعرف أيضا ان مجالا كبيرا ينفسح لخطوات توحيدية جريئة وجزيلة النفع ليس بمقدور الاستعمار ان يمنعها أو يتدخل فيها وان الحائل الوحيد دون تحقيقها هو عرقلة الحكام والمصالح الشخصية والاقليمية. ويحرص الحزب أخيرا بالنسبة الى الأقطار التي لم تستطع بعد ان تتحرر من الاستعمار والرجعية ان يبقيها وثيقة الاتصال مع غيرها من الأقطار الأكثر تحررا سواء اكان اتصالا شعبيا نضاليا أم تعاونا رسميا في مجالات الاقتصاد والثقافة اذ ليست الغاية عزلها ومعاقبتها، بل على العكس امدادها بكل القوى التي تعجل في تحررها.

وان الخطوة الايجابية الجدية الوحيدة التي سارت على صعيد التوحيد العربي والتي أيدها حزبنا ودعمها هي خطوة الميثاق العربي، فلأول مرة ظهرت في أقطار عربية امكانية تحقيق خطوة توحيدية سليمة الشروط ومستقلة عن تدخل الاستعمار ومصالح المستعمرين، وكان في مواقف الحزب من حكومة الائتلاف السابقة وفي البيان الذي رد به على البيان الوزاري لحكومة السيد سعيد الغزي القائمة والذي حجب به الثقة عن هذه الحكومة. . . توضيح للموقف الايجابي الذي يقفه حزبنا من القضية العربية ومن كل خطوة توسع نطاق التعاون العربي بشكل جدي وتقوي بالتالي وتوسع قاعدة النضال الشعبي في البلاد العربية في سبيل الوحدة الصحيحة.

وأخيرا لئن كان حزبنا يعالج قضايا السياسة العربية بهذا المنطق وبهذا الاسلوب فلأن ذلك مستمد من صميم فكرته ومن أساس تنظيمه الذي قام على اعتبار البلاد العربية وطنا واحدا ومجالا واحدا لنشاطه ونضاله[1] ولأن فروعه في البلاد العربية تكون وحدة نضالية هي التعبير الأول عن فكرة الوحدة التامة في المصير العربي.

**والآن لننتقل لعرض مواقف الحزب الشيوعي من قضايا السياسة العربية من خلال نظرته الأساسية لهذه السياسة.**

---

(١) أنظر المادة «١» والمادة «٢» من المبادىء العامة لدستور الحزب.

فالحزب الشيوعي يرى البلاد العربية بالدرجة الأولى مسرحا للتنازع الاستعماري ومنطقة استراتيجية تسيطر عليها دول المعسكر الغربي وتقوم مهمته الأولى على الافادة من تضارب مصالح هذا المعسكر ومن نقمة الشعب العربي عليه وارادته في التحرر، ليصل من ذلك الى فك الحصار الذي تسعى الدول الغربية الى ضربه حول الاتحاد السوفييتي ولشق طريق لدخول النفوذ السوفييتي الى هذه المنطقة. . ولا نقصد بذلك ان الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية تهمل كل اهتمام بقضايا هذه البلاد الاجتماعية والسياسية الداخلية، بل نريد القول ان كل هذه الأمور تأتي في درجة ثانوية جدا وان معالجتها من قبل الشيوعيين تخضع دوما لمنطق النظرة الأولى أي الصراع بين المعسكر الغربي والاتحاد السوفييتي وان هذه المعالجة يجب ان لا تتضارب بشكل من الأشكال مع المصلحة الرئيسية التي هي مصلحة السياسة السوفيتية، وهذا ما يفسر تقلبات مواقف الاحزاب الشيوعية في بلادنا من مختلف قضايانا القومية، ويفسر أيضا السكوت المتعمّد والاغفال المقصود لكثير من القضايا التي تهم العرب سواء في داخل الأقطار أو في العلاقات بينها كلما اقتضت المصلحة الشيوعية ان يضحى بهذه القضايا أو ان يرجىء طرحها لكي لاتستأثر بالاهتمام الذي يريد الشيوعيون ان يوجهوه كله نحو القضايا الخارجية.

الأحزاب الشيوعية منتشرة في أكثر الأقطار العربية ولكنها على ما بينها من وحدة مبدأية وسياسية وتنظيمية قوية تأبى ان يكون لهذه الوحدة تعبير على الصعيد العربي وتأبى ان تنظم نضالها وتوحده على أساس وجودها في وطن عربي واحد ولا تلتقي فيما بينهـا الا كما تلتقي مع الأحزاب الشيوعية في البلاد الأجنبية أي على صعيد السياسة الدولية.

ويمكن توضيح الفوارق المميزة لمواقف الحزب الشيوعي من السياسة العربية في ثلاث قضايا.

* قضية فلسطين:

منذ طرحت قضية فلسطين والوطن القومي اليهودي وتدفق هجرة اليهود الى بلادنا، لم يكن للأحزاب الشيوعية أي موقف واضح جدي من هذا العدوان على

قوميتنا وأرضنا وسلامة مستقبلنا، بل كانت تكتفي عندما تضطر الى ابداء رأيها بأن تفرق بين زعماء الصهيونية المشبوهين بالمصالح الرأسمالية والصلات الاستعمارية وبين الشعب اليهودي الذي لم تنكر عليه الشيوعية حق هجرته الى فلسطين والاستيطان فيها.

وعندما طرحت قضية فلسطين في شكلها الجدي والحاسم منذ عام ١٩٤٧ ووقف الاتحاد السوفييتي موقف الدول الاستعمارية من اقرار تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها.. سارعت الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية الى تبني سياسة التقسيم ووقفت من نضال الشعب العربي في هذه القضية موقفا سلبيا انهزاميا، لأنه لم يكن يعنيها من كل هذا الأمر الا خدمة السياسة السوفيتية في ان تجلو بريطانيا عن قاعدة من قواعدها الاستراتيجية في الشرق الاوسط وان يكون للاتحاد السوفييتي مجال التدخل في هذه المنطقة عن طريق انشاء دولة اسرائيل.

*** قضية المغرب العربي:**

كانت الأحزاب الشيوعية في أقطار المغرب العربي حتى عام ١٩٣٦ أحزابا ثورية تناهض الاستعمار والبورجوازية المتعاونة معه، ولم يكن للحزب الشيوعي الفرنسي اذ ذاك الا اثنى عشر نائبا في البرلمان الفرنسي، ولكن بعد نجاح الجبهة الشعبية وحصول الشيوعيين على أكثر من سبعين مقعدا من هذا البرلمان وتعاونهم مع الاشتراكيين والراديكاليين بدلوا سياستهم تجاه المغرب ولم يعودوا يدعمون حقوقه ومطالبه في الحرية والاستقلال بحجة ان مصلحة الشعب في المغرب تتحقق باستمرار ارتباطه بفرنسا اذا كان الحكم الفرنسي تقدميا أكثر مما تتحقق في استقلاله عنها وما يتبع هذا الاستقلال من سيطرة للطبقة الاقطاعية والبورجوازية على جمهور الشعب وكان هذا هو أيضا موقف الحزب الشيوعي في سوريا من قضية المغرب ومن قضية سوريا نفسها وقضية استقلالها.

وقد تقلبت سياسة الأحزاب الشيوعية في قضية المغرب مع تقلبات السياسة السوفيتية كما هو شأنها. وفي سنة ١٩٤٥ اشترك الشيوعيون الفرنسيون في الحكم وسكتوا عن سياسة الحكومة الفرنسية من المستعمرات وعن المجزرة الهائلة التي

ارتكبها جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر وقتل فيها ما يقرب من خمسين ألف عربي وسكتت الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية أيضا.

ثم بعد ان تكتلت القوى الرجعية في فرنسا وأمسى الشيوعيون فيها معزولين ومعارضين للحكم اعتدل موقفهم من قضية المغرب وأصبحوا مؤيدين لحرية الشعب فيه، ولضرورة تنفيذ الاصلاحات الملحة دون ان يصل بهم ذلك الى حد تبنى مطلب العرب في الاستقلال التام، وهذا النقص في تجرد السياسة الشيوعية وفي تجاوبها مع المشاعر والحاجات الشعبية القومية جعل الأحزاب الشيوعية في المغرب العربي عنصرا ثانويا في حركة النضال التي تقوم على جماهير الشعب العربي نفسه وفي ظل قيادة وشعارات قومية.

*** قضايا الوحدة والتوحيد:**

اذا كان الشيوعيون يتحاشون في المجال النظري والمبدئي مقاومة فكرة الوحدة العربية أو يضطرون أحيانا بدافع مسايرة المشاعر الشعبية ان يعترفوا بمبدأ الوحدة ويضيفوا الى شعاراتهم بعض التعابير القومية العربية حسب الظروف والمناسبات فانهم في المجال العملي. . كانوا حتى الآن مقاومين لكل خطوة توحيدية ومستنكفين عن المطالبة أو المساهمة في أي عمل انشائي في سبيل الوحدة. ذلك لأن الوحدة العربية ـ من وجهة نظرهم ـ تعتبر في الدرجة الأولى توحيدا للسيطرة والنفوذ الاستعماريين في هذه البلاد. وبالفعل كانت مشروعات التوحيد حتى الماضي القريب تطرح بشكل مشبوه من حكومات وفئات منقادة للنفوذ الأجنبي، ولكن هذا لم يمنع الشعب العربي من التعلق المتزايد بهدف الوحدة وبكل خطوة تقرب منه، ومن البحث عن الشروط السليمة الواقعية التي يمكن ان تتحقق فيها خطوات في هذا السبيل، وهذا ما يعبر عنه حزبنا اذ وضع شرطا أساسيا لهذه الخطوات يقضي بأن تكون مقوية ومنمية للنضال الشعبي وسليمة من التدخل الأجنبي. ولكن الشيوعيين يقفون عند الرفض والتجريح والتشويه والاتهام لكل خطوة من هذا النوع ولا يعنيهم في شيء أمر تلبية هذه الحاجة الحيوية التي تدفع الشعب العربي نحو الوحدة وقد ظهر ذلك واضحا في موقفهم من مشروع «الميثاق العربي» وهو أول مشروع للتوحيد

يأتي خاليا من كل اثر للنفوذ الاستعماري وموضع هجوم ومقاومة المعسكر الاستعماري بكامله. . ورغم ذلك فقد تجاهله الشيوعيون ولم يرفعوا صوتا لتأييده واكتفوا بتأييد السياسة الخارجية لحكومتي سوريا ومصر في مقاومة الأحلاف العسكرية الاستعمارية وخاصة الحلف «العراقي التركي».

وحقيقة الامر أن الشيوعيين في هذا الموضوع لايكتفون بانتهاج السياسة الموافقة لمصلحة السياسة السوفييتية من حيث نزاعها مع دول المعسكر الغربي في منطقة الشرق الاوسط. . بل يراعون أيضا في سلبيتهم من قضايا الوحدة والتوحيد مصلحة وجودهم كأحزاب شيوعية في البلاد العربية ويعرفون أن تحقيق الخطوات التوحيدية ينمي امكانيات الحركة العربية الانقلابية وامكانيات الانبعاث من الداخل ويضيّق بالتالي مجال عمل الشيوعيين وانتشارهم.

**في السياسة الدولية:**

ان نظرة حزبنا الى السياسة الخارجية تختلف عن النظرة الانتهازية والنظرة الشيوعية معا. ففي حين تبيح النظرة الانتهازية شتى الارتجالات والتناقضات والمعالجات الجزئية القصيرة النظر، وتفرض على السياسة الغموض والتذبذب الدائم، وتسمح بتسخير السياسة القومية للأغراض والمصالح الشخصية، وفي حين تنطلق النظرة الشيوعية من نقطة مذهبية مصطنعة هي خارج دائرة الامة العربية وجو روحها ومصلحتها وظروفها، فنظرة حزبنا مستمدة من عقيدة، ومتقيدة بالتالي بمبادئه الاساسية ونظرته الانسانية، فهي مرنة في حدود هذه المبادىء متجددة متجاوبة مع الحاجات الواقعية في نفس الوقت الذي تعمل فيه على تغيير الواقع وتجسيد مبادئها فيه. . أما نقطة انطلاقها فقومية عربية تعمل بوحي مصلحة الامة العربية وحاجاتها ورسالتها الانسانية.

وقد كانت مواقف الحزب في السياسة الخارجية والدولية تعبيرا عن هذه النظرة. . مقاومة عنيدة للاستعمار في أرض العرب في الدرجة الاولى ومقاومة واستنكار للاستعمار في كل بقعة من العالم ودفاع عن حرية الشعب العربي وجميع الشعوب المستعمرَة. ولكن الحزب لم يقع في درك سياسة الحكام والاحزاب

المتهاونة مع المستعمر أو المسخرة له والتي تبرقع تهاونها وتآمرها ببرقع الواقعية، ولم يقع كذلك في تناقضات الاحزاب الشيوعية في بلادنا عندما كانت تهادن المستعمر او تماشيه لان في ذلك مصلحة بعيدة لجميع الشعوب حسب ادعائها وللاتحاد السوفياتي في حقيقة الامر. ونحن نعتقد أن مصلحة الشعوب هي في أن يدافع كل شعب عن حريته واستقلاله وأن يناضل ضد كل معتد عليه وأن يقوم بين الشعوب المناضلة في سبيل حريتها تساند وتعاون حر لايفرض فرضا ولايضحي بمصلحة بعضها في سبيل مصلحة بعضها الاخر.

وليس ثمة ما يثبت أن كل دفاع عن مصالح الاتحاد السوفياتي وكل تقوية له يعودان حتما بالنفع على حرية الشعوب بالشكل الآلي المتعسف الذي يفترضه المنطق الشيوعي خاصة اذا عرفنا أن الاتحاد السوفياتي رغم كونه دولة اشتراكية تقدمية، فان سياسته تخضع لمقتضيات مصلحته القومية ولمقتضيات الدولة المستقلة التي لاتنسجم دوما مع حاجات وظروف الشعوب الثائرة. فقد كان من مصلحة السياسة السوفياتية أن يعتدل الشعب اليوغسلافي في حركته التحررية أثناء الحرب الاخيرة وبعدها وفي تلبية حاجاته الاشتراكية الملحة، كما كان في مصلحة تلك السياسة أن يؤجل الشعب الصيني ثورته عقب الحرب الاخيرة ولكن اليوغسلافيين مضوا في طريقهم واضطرهم ذلك الى الانشقاق عن المنظمة الشيوعية، كما مضى الصينيون في طريق ثورتهم واضطر الاتحاد السوفياتي أن يتبناها ويوافق عليها بعد أن وجد نفسه أمام الامر الواقع.

ويمكن القول أيضا أن الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية بالرُغم من كونها أحزابا معارضة بعيدة عن الحكم وفي بعض الاحيان مضطربة وملاحقة. . فان سياستها نتيجة لتقيدها بالسياسة السوفياتية تعالج بعض المواقف معالجة انتهازية معتدلة، ذلك لان الشيوعية في الاتحاد السوفياتي حزب حاكم يراعي بعض الاعتبارات التي تراعيها كل حكومة. . وعندما تنعكس السياسة السوفياتية على الاحزاب الشيوعية في بلادنا يظهر أحيانا هذا التناقض أو التباين بين عقيدة الحزب الشيوعي الثورية وبين سياسته الانتهازية أو التطورية.

أما حزبنا فلا يحتاج في أي حال من الاحوال الى مثل هذا التباين بين العقيدة والسياسة لانه لايتقيد بسياسة خارجة عن نطاق الامة العربية ولا يستلهم الا حاجات الشعب العربي وهي حاجات ثورية لاتقبل المساومة والاعتدال.

وتبعا للملاحظات السابقة فقد نظر حزبنا الى سياسة المعسكرات التي ظهرت على أثر الحرب العالمية الاخيرة والى التناحر بين المعسكر الغربي والمعسكر الشيوعي نظرة استقلال وحياد، فاعتبر أن لامصلحة للعرب ولا لشعوب العالم في الانجرار وراء هذه السياسة والانحياز الى أحد الطرفين، مع التفريق الدائم بين موقف العرب القومي، الذي هو موقف نضال عنيف ضد دول المعسكر الغربي المستعمر لبلادهم، وبين موقفهم الدولي الذي عبروا عنه بالحياد الايجابي والذي يقصد منه. . «من الناحية المبدئية». . عدم الاقرار بمشروعية الانقسام على أساس الحلين الرأسمالي والشيوعي وضرورة تجاوزها الى ماهو أعلى وأكثر حرية وايجابية «ومن الناحية العملية» عدم تشجيع التناحر الدولي وذوبان جميع الشعوب في معمعة هذا الصراع، بل فسح المجال لتعايش الشعوب ضمن مختلف الانظمة الملائمة لحاجات وميزات كل منها. وقد التقى الشيوعيون مع دول الغرب الاستعمارية في مقاومة الاتجاه الحيادي وأتهامه طوال سنوات. . الى ان فرض هذا الاتجاه نفسه وخاصة بين شعوب آسيا وأفريقيا، وسلمت الشيوعية بمشروعيته اذ وجدت فيه خطوة نحو تقليص النفوذ الغربي في هذه البلاد بينما لايزال المعسكر الغربي يقاومه بمحاولاته المتكررة لربط هذه البلاد بأحلافه العسكرية. وكان نجاح الاتجاه الحيادي تعبيرا قويا عن ارادة الشعوب في التحرر من سيطرة الدول الكبرى، وبالنسبة الينا تعبيرا عن ارادة الشعب العربي في التحرر من الاستعمار وبناء المجتمع العربي الاشتراكي على أسس قومية متلائمة مع روح أمتنا ومتجاوبة مع حاجاتها.

وتحسن الاشارة هنا الى أن **سياسة الحياد التي قال بها حزبنا بعد الحرب الاخيرة تتصل بموقفنا العقائدي الذي عبرنا عنه منذ تأسيس الحزب والذي يؤمن باتجاه ثالث فوق الاتجاهين البارزين في هذا العصر ينظر الى علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة الشعوب بعضها ببعض، نظرة تختلف عن الديمقراطية الشكلية للمجتمعات الرأسمالية، وعن**

**التنظيم الشيوعي المصطنع وتجد تعبيرها الحي في النظام الاشتراكي القومي المقدس لكرامة الانسان وحريته والموصل الى تعاون حر بين شعوب اشتراكية حرة.**

وعندما نقارن بين موقف حزبنا وموقف الاحزاب الشيوعية في السياسة الخارجية فهذا يعني أننا نقف موقفا معينا من سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية لانها هي منبع السياسة الخارجية لتلك الاحزاب. ولنقل منذ البدء، بأننا رغم استقلالنا عن هذه السياسة، لم نضعها في يوم من الايام في صف واحد مع سياسة الدول الاستعمارية، بل وجدنا فيها دوما معدلا كبيرا لطغيان الدول الرأسمالية، كما وجدنا في الاتحاد السوفياتي عاملا مهما في تشجيع قوى التحرر في العالم (في الاعداد الاولى من جريدة البعث سنة **١٩٤٦** كنا نطالب الدول العربية بايجاد علاقات تعاون مع الاتحاد السوفياتي ضد الاستعمار المتسلط على بلاد العرب. كما نريد أن نذكر في هذا المعرض ما كان عليه موقف الاتحاد السوفياتي من دعم قضية استقلال سوريا ولبنان أمام هيئة الامم المتحدة..).

أما سياسة الاتحاد السوفياتي بالنسبة الى البلاد العربية. فكانت حتى الفترة الاخيرة لاتقيم وزنا للشعب العربي كقوة نضالية في العالم، بل تكتفي بالنظر الى بلادنا من خلال وضعها الجغرافي وكونها محتلة من قبل الدول الغربية وفي الحرب الاخيرة وبعد دخول روسيا في حربها ضد النازية كان موقفها موقف الحليف للدول المستعمرة لبلاد العرب، وبعد الحرب كان اهتمامها بالبلاد العربية لايتعدى الحرص على بقاء الاوضاع الراهنة ومنع زيادة توسع الدول الغربية فيها. وان ضعف الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية وبعدها عن التأثير الجدي في سياستها، وبعد الاتحاد السوفياتي عن الاتصال بواقع البلاد العربية وما يتركز فيها من نضال شعبي قوي وتقدمي ضد الاستعمار، ومن ثم نظرته الخارجية وغير الجدية لمستقبل هذه البلاد ولتطورها.. كان يلجؤه الى مثل هذه السياسة التي لاتقيم وزنا للشعب العربي في السياسة الدولية ولاتعتبرَ الا الوضع الاستراتيجي للبلاد العربية كبلاد خاضعة للمعسكر الغربي.

ولكن تبدلا جديا ظهر في السياسة السوفياتية تجاه البلاد العربية في الآونة الاخيرة. وذلك ليس في مجرد الاهمية التي بدأت تأخذها القضايا العربية في السياسة الدولية.

بل لان الاتحاد السوفياتي بدأ يدرك مدى طاقة الشعب العربي النضالية. كقوة تحررية وتقدمية، ضد الاستعمار الغربي، كما يدرك ما أخذ يفرضه هذا الوعي الشعبي في النضال على سياسة حكومات بعض الاقطار العربية من استقلال عن توجيه وسيطرة دول المعسكر الغربي من رفض للتحالفات العسكرية معها، فتبدل سياسة الاتحاد السوفياتي نحو الاقطار العربية ـ خاصة مصر وسوريا ـ وما تظهره دول المعسكر الشيوعي من استعداد للدعم الاقتصادي والتزويد بالعتاد الحربي، ثم ما الزمت به هذه السياسة الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية من تبديل في خطتها، في تقريبها من الاحزاب التقدمية وفي تبنيها لبعض الشعارات القومية العربية. . كل ذلك انما جاء نتيجة لبروز نضال الشعب العربي في مختلف أقطاره بشكل تحرري ومعاد للاستعمار الغربي. فالتقاء المصلحة السوفياتية مع النضال العربي ضد استعمار المعسكر الغربي هو الذي جعل الاتحاد السوفياتي يقف هذا الموقف الايجابي من بعض الاقطار العربية، الموقف الذي ليس له من علاقة بوضع الاحزاب الشيوعية في هذه الاقطار.

## الشيوعيون وسياسة التعاون:

عندما ظهر حزبنا قابله الشيوعيون بالعداء الشديد وكالوا له الاتهامات بالنازية والرجعية وركزوا عليه هجومهم متناسين الاستعمار وعملاءه والطبقة الاقطاعية والرأسمالية وناظرين اليه على أنه العدو الاول. واستمروا في هذا الموقف حتى نهاية الحرب ثم اعتدلت دعايتهم الرسمية بعض الاعتدال ولكن توجيههم الداخلي لاعضائهم لم يتبدل. وكانوا الى زمن قريب جدا يصنفون حزبنا مع الاحزاب البورجوازية التي لاتنوي جديا أن تقاوم الاستعمار ولاتستطيع أن تمثل مطالب الشعب تمثيلا ثوريا. فمواقف الحزب القومية ضد الاستعمار الغربي زمن الحرب وبعده، ونضاله في سبيل الوحدة العربية. . كانت تفسر بأنها خدمة غير مباشرة للاستعمار. ونضال الحزب في سبيل قضية الفلاحين فسر أيضا بأنه خدمة للاقطاعية والرجعية كيما تبطش بالشعب. وكانوا وما زالوا يفرقون بين قيادة الحزب وقاعدته وبين أشخاص وأجنحة من الحزب الى آخر هذه الاساليب المعروفة.

وتزول الدهشة عندما نعرف أن هذا الاسلوب ليس مقتصرا على الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية، بل هو أسلوب الاحزاب الشيوعية في كل بلاد العالم، وهو موقفهم من الاحزاب الاشتراكية والتقدمية بصورة عامة، لانهم يرون فيها منافسا لهم على قيادة الشعب والطبقة العاملة، ويشتد هذا العداء والهجوم اذا كانت بعض هذه الاحزاب الاشتراكية قومية في نظرتها وسياستها.

ان سلوك الشيوعيين مع الأحزاب الاشتراكية والثورية غير الشيوعية ينبع من منطق فكرتهم الثورية الذي لايجيز تجزئة الحركة الثورية، والتجزئة الوحيدة التي يجيزها بل يفرضها فرضا، هي الانقسام بين الحركة الشعبية الثورية وبين أعدائها الرأسماليين والبورجوازيين. وهذا المنطق يعمل على توسيع الانقسام وزيادة حدته، ومن الطبيعي اذن أن ينظر باستياء واتهام الى الأحزاب التي تنافسه على تزعم هذا الانقسام، لذلك يركز عليها هجومه وضغطه لكي لايبقى أمامها الا أحد مخرجين. . اما أن تذوب في صف الشيوعية واما أن تنحاز الى صف أعداء الشعب.

الا أن بعض التبدل في السياسة الشيوعية قد حصل في الأونة الأخيرة سواء في المجال الدولي أو المجال الداخلي، أي ان الاتحاد السوفياتي بعد أن قطع شوطا بعيدا في تركيز ثمار الثورة الروسية الاشتراكية وتدعيم كيان هذه الدولة القومي، وبعد أن برهنت له الوقائع على ان امكانيات الثورة العالمية ليست وشيكة التحقق، أقر أخيرا بامكان التعايش مع الدول الأخرى ذات النظم المختلفة، وذلك دون أن يهمل دعوته العالمية. وانعكست سياسته الدولية هذه على سياسة الاحزاب الشيوعية بالنسبة الى مواقفها من الأحزاب اليسارية داخل البلدان التي تنتشر فيها هذه الأحزاب، وأدى أيضا الى نوع من التعايش لايتنازل فيه الشيوعيون عن مراميهم المكتومة في طرح الحركات الثورية غير الشيوعية من الساحة والاستئثار وحدهم بها.

الا أن الأحزاب الشيوعية قد هجرت سياسة العزلة منذ نحو عشرين سنة ووجدت مصلحتها في الانبثاث بين الأحزاب الأخرى، والتقدمية منها بصورة خاصة، ودعوتها بين الحين والآخر الى تكتلات لدفع خطر مشترك أو ترويج شعار أو تحقيق هدف آني. وهي تعلم ان اشتراكها مع أحزاب لا تدانيها في ضيق المذهبية ودقتها وفي قوة

التنظيم وبراعة الدعاية والاستغلال يعود عليها دوماً بالربح، بينما يفقد الأحزاب المتعاونة معها شيئا من وضوح هويتها وسلامة أسلوبها وعدد أتباعها. وهذا ما حدث أيضا بالنسبة الى الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية وخاصة في سوريا. ففي زمن الحرب العالمية اغتنم الشيوعيون فرصة محالفة الاتحاد السوفياتي للدول الغربية، وسكوت هذه الدول عن نشاطها في البلاد العربية، وأخذوا يوسعون صلاتهم في أوساط السياسيين الانتهازيين وكبار موظفي الدولة تحت ستار تكتلات لمكافحة الفاشستية والانتصار لقضية الحلفاء والدول الديمقراطية. . وبعد الحرب حولوا شعاراتهم نحو الدفاع عن الاستقلال والسلام العالمي ونحو مقاومة المشاريع الاستعمارية في الشرق الأوسط وهم في هذه المحاولات الرامية الى الانبثاث والانتشار وترويج الشعارات، لايمتنعون عن التعاون مع أية فئة وشخص من أي لون كان، لأن نتيجة هذا الأسلوب أن يظهر الشيوعيون أمام الرأي العام على قدم المساواة مع الفئات الوطنية فتزول عنهم صبغتهم القديمة التي كانت تعزلهم عن الشعب باعتبارهم حزبا يستمد سياسته وتعليماته من خارج البلاد.

وليس مستغربا أن يلاقي هذا الأسلوب في مجتمعنا رواجا ونجاحا بسبب كثرة العناصر الانتهازية التي لاتصدر عن عقيدة ولا تتقيد بمبدأ، والتي يقدم لها الشيوعيون مجالا للشهرة والبروز وتبادلا في المنفعة الآنية. يضاف الى هذه العناصر فئة غير قليلة من الأفراد الذين لايقوون على تحمل مسئولية النضال الجدي في سبيل تحرر البلاد وتقدمها، ومن أفراد ذوي وجاهات ومصالح تتعارض مع مصلحة الاتجاه الشعبي فيأتي الشيوعيون ويقدمون لجميع هؤلاء فرصة الاصطباغ بالصبغة التقدمية دون أن تكلفهم هذه الصبغة أية تضحية بمصالحهم وأي تبديل في سلوكهم بل على العكس تتيح لهم مجالا لتقوية وجاهاتهم وتغطية مصالحهم وتصرفاتهم الرجعية بستار التقدمية ومن هؤلاء عادة تشكل جماعات أصدقاء الاتحاد السوفياتي والشباب الديمقراطي وأنصار السلم وما الى ذلك من تسميات، وتفتح أمام هؤلاء أبواب الرحلات المجانية الى المؤتمرات العالمية والسياحات الدورية مقابل توقيعهم على العرائض والبرقيات واعطاء التصريحات والتبشير بالشعارات الشيوعية.

ومن مرامي هذا الأسلوب أيضا تجميد قسم من الطبقة المثقفة، المهيأ بحكم ثقافته لأن يكون مناضلا في صف الحركة الشعبية التقدمية، والذي لم يختر بعد طريقه ولم يقبل بالحزبية الشيوعية مجالا لعمله ونضاله، وعزل هذا القسم عن الانضواء في حركة أو اتجاه آخر واشغاله بهذا النوع من النشاط وفي هذه الاشكال من المنظمات ولصبغه عن هذا الطريق تدريجيا بالصبغة الشيوعية.

أما موقف الشيوعيين من حزبنا بصورة خاصة فقد اتخذ بعد الحرب شكل الهجوم المرفق بالضغط في سبيل التعاون، ويجري هذا الضغط من قبل الشيوعيين مباشرة ومن قبل أنصارهم في وقت واحد. . وواضح ان الشيوعيين يحرصون منذ سنوات عدة على هذا التعاون مع حزبنا ويسعون اليه لأسباب عديدة أهمها:

١ - صفة حزبنا العقائدية، وهويته الاشتراكية الانقلابية، وقاعدته الشعبية النضالية التي تريد الشيوعية بث دعوتها وشعاراتها فيها ومنازعتنا قيادتها وتوجيهها.

٢ - التقاء الشيوعيين مع حزبنا في بعض الشعارات السياسية. . مقاومة الاستعمار وأحلافه العسكرية، مقاومة الشركات الأجنبية، وبعض الشعارات التقدمية الداخلية انتصارا لقضايا العمال والفلاحين.

٣ - قوة حزبنا الجماهيرية والثقة القومية التي يتمتع بها، تشعران الشيوعية بالحاجة الى التعاون معنا لأن قوتهم الخاصة بهم لاتكفي بمفردها حتى لمجرد فتح معركة نضالية. . فضلا عن عدم كفايتها لنجاح هذه المعركة.

٤ - ويرمي الشيوعيون من وراء سعيهم للتعاون معنا، فضلا عن تأييد شعار أو انجاح مطلب، الى تشويه وتشويش حركتنا وافقادها استقلالها واسبقيتها في قيادة الشعب وخلق الالتباس لدى الرأي العام بين حركتنا والحركة الشيوعية وخلق التشويش والاضطراب في داخل حزبنا من امتزاج أسلوبنا وشعاراتنا بالأسلوب والشعارات الشيوعية، والتعاون بهذا المعنى هو شكل آخر مغطى من أشكال العداء الذي تضمره الشيوعية للأحزاب والفئات التقدمية والثورية.

### موقف حزبنا من الجبهات الائتلافية ومن التعاون مع الشيوعيين

لنتساءل أولا عن نظرة حزبنا الى التعاون مع الفئات الأخرى بصورة عامة. . ان

حزبنا هو حركة قومية انقلابية وجدت لتوجد انقساما عميقا في حياة العرب تكون نتيجته بناء أسس جديدة صحيحة لهذه الحياة يرتفع عليها بناء البعث العربي الجديد. هذه هي الغاية للحركة، ولكن المراحل العملية الموصلة الى هذه الغاية لايمكن أن تكون كلها متماثلة ولايمكنها الا أن تراعي ضرورات العمل الواقعي بصورة عامة، أي الحد الأدنى من الاعتراف بالواقع كيما تستطيع فكرتنا التفاعل مع هذا الواقع والتأثير فيه وبالتالي السيطرة عليه وخلق المجتمع الجديد من داخله، والا أن تراعي أيضا الضرورات الخاصة بكل ظرف متوخية في ذلك كله أن تحقق تقدما متينا صلبا للفكرة لاتراجع بعده.

قلنا ان حركتنا قومية انقلابية، وهذا يعني ان انقلابيتها محصورة في نطاق الامة العربية ومتوخية بعث قوميتها لاطمس هذه القومية ومحوها، ولا تعتمد في تحقيق انقلابنا - كما تعتمد الشيوعية على الثورة العالمية وتضامن الطبقة العاملة في جميع البلدان ضد الطبقة الرأسمالية - وانما أهم اعتمادنا على قوة شعبنا وشعوره بشخصيته ووعيه لمتطلبات تحرره ونهضته، هذا مع العلم بأن فكرة حزبنا لاتفهم الانبعاث القومي بأنه مستقل ومنفصل عن اتجاه التاريخ، بل تحرص باصرار على الانسجام بين الشيئين وبالتالي تعتمد أيضا على الحركة التحررية التقدمية عند شعوب العالم الا انها تعتبر أن مساهمتها في هذه الحركة العالمية تتحقق بتركيز جهودها على ايقاظ وتحرير القوى الانقلابية في الشعب العربي، وليس كما يعتبر الشيوعيون أن هذه المساهمة يجب أن تكون بالخضوع لتوجيهات ومصلحة المنظمة الشيوعية العالمية المتجسدة عمليا بالاتحاد السوفياتي.

وهذا الاعتماد على الشعور القومي يفرض أن يكون الانقسام الذي يعمل حزبنا على خلقه في المجتمع العربي انقساما قوميا بالدرجة الأولى، وأن تكون المصالح الطبقية مثل الجسم والثقل الواقعي لهذا الانقسام القومي وأن يمكن بالتالي توافر صعيد قومي تلتقي عليه الأمة في بعض الحالات التي يكون فيها الكيان القومي مهددا بخطر استعماري وخارجي كبير واضح يكون فيه الالتقاء على الصعيد القومي المشترك مساعدا في النتيجة على توسيع هذا الانقسام القومي الذي نريده وزيادته وضوحا لمصلحة اتجاهنا

الانقلابي لا أن يحصل العكس فنسمح للطبقة المستغلة والتي يختبىء وراءها الاستعمار نفسه، أن تتذرع بين الحين والآخر بالأخطار الاستعمارية والخارجية لتضعف الحركة الانقلابية وتطمس اتجاهها وتستدرجها الى مستوى التعاون الانتهازي والمساومات المصلحية. ويمكن أن يقال الشيء نفسه بالنسبة للوحدة العربية وواقع التجزئة التي تشكل خطرا لايقل عن خطر الاستعمار ولا ينفصل عن سياسة الاستعمار. وفي هذه الحالة أيضا تكون مشروعية الالتقاء على الصعيد القومي مشروطة ايضاً بان تكون حصيلة هذا الالتقاء تقوية للحركة الانقلابية واتجاهها لامجالا لاستغلال الفئات الحاكمة لقضية الوحدة بقصد ضرب الحركة الانقلابية. والضمانة في جميع هذه الحالات هي أن يكون حزبنا هو الذي يختار الظرف والزمن لمثل هذا الالتقاء وأن يدخل التعاون وهو مسلح بنضال القوى الشعبية التي تضغط وتهدد وتفرض بقوة نضالها منع استغلال الفئات الرجعية لهذا التعاون.

فانه لايفترض تكتل جميع الاحزاب والفئات، بل من واجب الحزب أن يسعى لقصر التعاون، عندما يكون ضروريا على الأحزاب والفئات المتوسطة بينه وبين الطبقة المستغلة ذات المصالح الكبرى ويسعى الى أن يجر هذه الفئات المتأرجحة الى طرفه وأن يبث شعاراته بين قاعدتها الشعبية، ولكن ذلك يشترط شروطا واضحة وحسابات دقيقة وظروفا ملائمة لكي يكون الحزب دوما في هذا التعاون المحتمل هو الموجه والمسيطر وأن يحتفظ ضمن هذا التعاون بصفته الانقلابية فلا تجرفه مصالح الفئات الأخرى وأن يخرج دوما من هذه العمليات وقد ازدادت انقلابيته وضوحا وقوته النضالية نموا وتماسكا.

وأخيرا يجيز حزبنا التعاون كوسيلة للدفاع عن النفس عندما تتكتل جميع القوى الرجعية المدعومة بالقوى الاستعمارية بقصد القضاء على الحركة الانقلابية، يغدو من واجب الحزب أن يفك الحصار المضروب حوله ويفيد من تناقض المصالح بين هذه القوى ليجتذب اليه أقلها خطرا ورجعية في سبيل تفريق تكتلها.

ومن الضروري الملاحظة أن التعاون لايعني تعاونا في الحكم، بل يجب أن يبقى في نطاق المعارضة والنضال ما دام الحزب لم يبلغ حدا من الانتشار والتنظيم يضمن دعم

أكثرية الشعب له دعما نضاليا واعيا منظما يمكنه من توجيه الحكم حسب برامجه وأهدافه ومن تحقيق اصلاحات أساسية فيه.

كما انه لابد لنا من التمييز أيضا بين التعاون العارض، الذي يقع حتى بين أكثر الهيئات والأحزاب عداء وتعارضا نتيجة التقاء في بعض الظروف والشروط وحول شعار أو في سبيل مطلب أو مصلحة، وبين التعاون المنظم والمرسوم الذي له شروطه وأهدافه ومداه وهو ما نسميه بالجبهة والتكتل والائتلاف.

واذا كانت الأحزاب والهيئات السياسية القائمة تدعونا دوماً للائتلاف والتعاون والتكتل في شتى المناسبات، وخاصة بعد أن أصبح لحزبنا قوته الشعبية وممثلوه في البرلمان، فان حزبنا أيضا قد سبق ودعا الى قيام تكتل وتعاون بينه وبين بعض الأحزاب والهيئات السياسية في مواقف وطنية وقومية وفي قضايا داخلية أساسية وحاسمة، كما اشترك حزبنا في تكتل وائتلاف مع أحزاب وهيئات بهذا القصد.

ولقد كان نضال حزبنا دائما ضد الفئات الحاكمة والأحزاب الرجعية والمسايرة لسياسة الاستعمار والمستغلة لجماهير الشعب والمعرقلة لتوحيد أجزاء الوطن، نضالا جذريا عنيدا، ولكن هذا كله لم يمنعنا من تقدير الظروف تقديرا واقعيا ومن التعاون في مناسبات قليلة وواضحة مع بعض هذه الأحزاب، اما لتقوية نضالنا ضد الاستعمار - وهو أكبر خطر على وطننا في المرحلة الحاضرة واما لتقوية نضالنا الداخلي ضد الرجعية المتحكمة وضد تآمرها على الحريات العامة والحياة الديمقراطية، ولكي نحقق بهذا التعاون المؤقت كسبا للوعي الشعبي الثوري وضمانة لبعض النظم الملائمة لانتشار هذا الوعي. وكان هذا التعاون الذي نادى به حزبنا يمكّن الحزب من فرض توجيهه وشعاراته على الفئات المتعاونة معه ويتيح له الاتصال والانتشار بين أوساط وجماهير جديدة ويحفظ له رغم ذلك وضوح هويته واستقلال شخصيته.

والفرق واسع بين هذا النوع من التعاون وبين التعاون الذي تدعو اليه وتمارسه الأحزاب الرجعية والانتهازية، اذ ان هذه الأحزاب قائمة في أساس تكوينها على التجمع المصلحي لتقاسم المنافع. ولئن كانت تدعو دوما لوحدة الصف فليس لدعوتها هذه أي مبدأ أو شعار واضح، بل ان الغاية منها على العكس انما هي الحيلولة دون

بلوغ القضية القومية حدا من الوضوح يعجل من سير الحركة الثورية وحل التناقض القائم في صميم حياتنا القومية. وقد تدعو هذه الأحزاب الى تعاون عام في صف وطني واحد ضد الاستعمار واسرائيل، وهذا يعني المحافظة على السياسة والأوضاع الراهنة التي هي من مصلحة هذه الأحزاب، والحيلولة دون أي تجديد أو تبديل أساس يخلق من الشعب قوة جدية في وجه الاستعمار واسرائيل، فكأنهم بهذه الدعوة يريدون أن يبقى الاستعمار وأن يستغل خطر اسرائيل، وان هم هذه الأحزاب هو في حقيقة الأمر عرقلة سير الحركة الانقلابية المهددة لمصالحهم ووجودهم وتأجيل الانقسام القومي العميق الذي تخلقه هذه الحركة رامية من وراء خلقه الى رفع الظلم والاستغلال عن كاهل الشعب وتفجير الامكانيات الشعبية الهائلة التي لاتزال مخنوقة. وكأن الأحزاب المحافظة بهذا المنطق تنكر على حركتنا مبررات وجودها في هذه المرحلة التي لاتزال فيها البلاد العربية خاضعة للاستعمار ومعرضة لخطر اسرائيل، في حين اننا نعتبر ان وجود حركتنا وسيرها في طريقها الانقلابي النضالي ومحافظتها على شخصيتها المستقلة هي من أكبر العوامل المساعدة على تحرير الوطن العربي من الاستعمار واسرائيل وان التعاون الذي نجيزه بالتالي ونرى فيه نفعا للقضية القومية ليس هو الذي تدعوننا اليه، بل هو الذي يفرضه حزبنا على هذه الفئات او على بعضها والذي يضطرها فيه الى توضيح هويتها وفضح تناقضها والتخلي عن بعض مصالحها للانقياد لشعارات الحركة الثورية ودعم النضال الشعبي، حتى اذا كانت خسائرها من جراء هذا التعاون تربو على مكاسبها وتراجعت عن السير فيه كان ذلك شاهدا على ضعف وطنيتها ورسوخ نفعيتها وعامل تهديم لها وتقوية لنضال الشعب.

وليكن دوما واضحا في أذهاننا اننا بالرغم من اعترافنا بامكان التقاء الأحزاب الوطنية في ساعة الخطر لدفع غزو أجنبي. التقاء مؤقتا تضمنه يقظة الشعور القومي وسيطرة الروح الشعبية الجماعية، اننا نقف دوما موقف الحذر سواء من دعوة الأحزاب المحافظة أو من دعوة الأحزاب الشيوعية الرامية كلها الى خلط الحابل بالنابل وطمس وجه الحركة العربية الانقلابية. وخلافا لما يحاول الرجعيون أن يوهموا به الناس بأن نضال هذه الحركة يفرق كلمة الامة ويهدم قواها في أوقات الخطر، نؤمن نحن بأن نضالنا لايفرق

الا الخونة والدخلاء والنفعيين عن مجموع الشعب السليم، وان نضالنا لايهدم الا عراقيل الظلم والفساد والاستغلال المانع لانطلاق شعبنا فهو اذن نضال موحد وبناء.

وبديهي أن التعاون في نظرنا ليس الا أسلوبا سياسيا تقتضيه قضية وطنية أو مطلب شعبي أو مرحلة قومية معينة، وليس هو غاية في ذاته أو مبدأ نسعى اليه، لأن المبدأ يقوم على الأسس الدائمة الثابتة، وهذه بنظرنا تكوّن حزبا لاجبهة أحزاب. وما ذلك الا لان حزبنا حزب انقلابي، والحزب الانقلابي هو الذي يؤمن بحل وحيد لمشاكل الأمة لايرضى عنه بديلا ولايقبل المساومة فيه، لذلك فهو يحرص على الاحتفاظ بهويته الخاصة وتكوينه المتين الذي لاتضيع حدوده وتلتبس بأحزاب وهيئات أخرى. وبذلك ايضا فهو يحرص على الصفة الموقوتة والعارضة للتكتل والتعاون مع غيره كما انه لايقبل اطلاقا ان يكون التعاون على حساب مبادئه ولا ان يكون التكتل انحرافاً به عن اسلوبه وتنظيمه.

والحزب الانقلابي الذي يؤمن بأنه هو الضمانة بالنسبة للشعب وهو المستقبل يحرص أيضا ان تكون نوعية الجبهة وهوية الهيئات المشتركة فيها منسجمة مع شعارات الجبهة. «فالحزب مثلا في دعوته ومشاركته في تآلف وتعاون مع أحزاب وهيئات أخرى للنضال في سبيل مطالب وطنية ضد الاجنبي أو في سبيل مطالب عربية وداخلية، ظل خلال الحرب وفي السنوات الاولى التي تلتها يرفض مساهمة الشيوعيين ويعتبرهم غرباء عن هذه القضايا... لأن موقفهم من هذه القضايا كان بالفعل سلبيا اذ كانوا يعارضون صراحة الدعوة للقضية العربية كما كانوا حلفاء لمستعمري بلاد العرب.. كما ان حزبنا رفض دائماً التعاون مع الحزب القومي السوري ورفض اشراك هذا الحزب أو الالتقاء معه في أي تعاون أو تكتل». فحزبنا يفضل اذن أن يعمل مستقلا الا في ظروف خاصة تقتضيها مصلحة الأمة ومصلحة الحزب فالحزب مثلا عمل في جبهات من عناصر وأحزاب بعيدة عن أهدافه وأسلوبه لمقاومة الحكم الدكتاتوري البوليس في عهد الشيشكلي للاخطار الكبيرة التي كان يهدد بها استمرار هذا الحكم لكيان البلاد وكيان الحزب. كما ساهم حزبنا في التعاون مع الاحزاب والهيئات البرلمانية التي دعمت حكومة الائتلاف الماضية، وذلك لمقاومة سياسة معينة واتجاه خطر عند بعض الهيئات

والاحزاب السياسية الاخرى في محاولتها جر البلاد لسياسة التعاون مع الدول الاستعمارية والانضمام لتحالفاتها العسكرية. ولكن عوامل تكوين هذه الجبهة وهذا الائتلاف والأسس التي قاما عليها، كانت في أكثرها سلبية وموقوتة اذ تتخلى العناصر المحافظة والرجعية عن المشاركة في مثل هذا التعاون عند أول خطوة ايجابية، لأن الايجابية تعنى دائما بالنسبة الينا طرح حلول تقدمية وشعارات وأهداف شعبية بناءة وهذه تتعارض كل التعارض مع تكوين وأخلاق هذه الهيئات والاحزاب السياسية المحافظة.

لنعد هنا الى جبهة ميثاق حمص، وهي التعاون الجدي الوحيد الذي اشترك فيه حزبنا مع أحزاب وجماعات أخرى على أساس التكتل في جبهة لها شروطها المعينة وأهدافها المحددة وميثاقها الواضح. ولنتوقف قليلا عند هذه الجبهة كمثال للتعاون، لنرى أسس ومبررات قيامها وفائدة الحزب منها.. في المرحلة الاولى من حكم الشيشكلي خلت ساحة النضال ضد الدكتاتورية والاستبداد الا من العناصر النضالية لحزبنا، بينما اعتزل العمل والمساهمة القسم الكبير من السياسيين والاحزاب ليبقوا خارج المعركة وعلى هامش الحوادث يترقبون النهاية، وبقى حزبنا لوحده يعاني التنكيل والتشريد والسجن والاضطهاد، بينما كان الشيشكلي يسعى من جهته لاستدراج قسم من هؤلاء السياسيين والهيئات للتعاون معه وللسير مع حركته.

وأمام هذه الاخطار الكبيرة التي كانت تهدد حزبنا وتهدد شعبنا من استمرار هذا الحكم البوليس الارهابي، وقف حزبنا يدعو للتعاون وتجميع القوى بين كافة العناصر الخارجة عن حكم الشيشكلي والمتعارضة معه، للنضال ضد هذا الخطر المشترك وليقف بهذه الفئات والاحزاب موقفا معارضا يمنعها من الانزلاق نحو سياسة التعاون مع حكم الشيشكلي وليخرج بها عن موقف التفرج والانتظار ولكن طبيعة هذه الاحزاب والهيئات وعدم استعدادها للتضحية وللسير مع حزبنا في عمل نضالي جرىء، جعلها تستنكف عن مثل هذا التكتل والتعاون طيلة المرحلة الاولى من نضالنا السري، حتى اذا كان الظرف الذي أعلن فيه الشيشكلي دستوره واضطر معه الى تخفيف جو الضغط والارهاب في الفترة التي سبقت انتخاباته اهتبل الحزب هذه المناسبة وقام باتصالات

واسعة مع عدد من الاحزاب والهيئات السياسية لتوحيد الجهود والقوى ضد حكم الشيشكلي. وكانت الخطوات التي سرنا بها نحو جبهة الميثاق، الجبهة التي كانت شعاراتها ـ زوال الحكم العسكري ـ اطلاق الحريات العامة وعودة الحياة الدستورية للبلاد ـ ودعت الجبهة الى مقاطعة الانتخابات «ولم يخرج عن اجماعها في هذا الموقف الا الحزب الشيوعي الذي اشترك في الانتخابات وبدل موقفه من حكم الشيشكلي منذ ذلك الحين وقد تعرضنا لهذا الموقف في بحثنا هذا». وكان من نتيجة ذلك كله تأزم الاوضاع والظروف حول حكم الشيشكلي واحداث العصيان والانقلاب عليه.

ففي جبهة ميثاق حمص كان حزبنا هو الداعي والموجه، كما احتفظ دائما بهويته وبشعاراته النضالية حتى ضمن الجبهة، وانصب جهده الناجح على تكتيل هذه العناصر الى جانبه وعلى شق تعارض وافتراق كبير بينها وبين حكم الشيشكلي بالزامها باتخاذ مثل هذا الموقف. كما حاول الحزب جر جماعات الميثاق نحو خطوة ايجابية في ان تتبنى في ميثاقها موقفا تقدمياً واضحاً في السياسة الداخلية والعربية والدولية، وهنا ظهر تردد هذه الجماعات، واحجامها وحرصها على التعمية والغموض في بحث هذه القضايا، ولم تقبل في أكثريتها بمثل هذه الخطوة، الشيء الذي ظهرت نتائجه عند سقوط حكم الشيشكلي ودعوة جماعات جبهة الميثاق لوضع حل لقضية الحكم في البلاد وما رافق ذلك من مشاكل وأزمات.

والآن وبعد ان بينا موقفنا من التعاون مع الاحزاب والهيئات السياسية المحافظة والتقليدية.. لنعد لتحديد موقفنا العملي من التعاون مع الشيوعيين ومن دعوتهم التي يلحون علينا بها للاشتراك معهم في (جبهة وطنية).

يجب ان نفرق أولا بين الالتقاء والتعاون، وقد بينا في هذا البحث ان السياسة الشيوعية بعد الحرب العالمية الاخيرة لم تعد تصطدم بالمصلحة القومية العربية ذلك الاصطدام الفاضح الذي نتج أثناء الحرب عن تحالف الاتحاد السوفياتي مع الدول الغربية المستعمرة لبلاد االعرب، وبينا انه باستثناء موقف الشيوعيين من تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، فان سياستهم الخارجية في بلاد الشرق العربي على الاقل، كثيراً لما تلتقي مع سياسة حزبنا بالرغم من اختلاف الدوافع والاهداف. وقد يحدث هذا الالتقاء

أيضا في بعض المواقف الداخلية ولكن هذا كله لايعني اننا نتعاون مع الشيوعيين ولايعني ان من واجبنا التعاون معهم. وكل ما يتطلب منا هذا الالتقاء هو ان نتجنب الخصومة مع الشيوعيين في هذه الظروف لكي لاتتناحر أو تتبدد جهود القوى المقاومة للاستعمار. ويجب أن يعرف بوضوح ان السياسة الشيوعية هي التي تلتقي بين حين وآخر مع سياستنا القومية لا العكس. ذلك لان سياستنا تسير دوما في خط واحد وتتبع مقياسا واحدا هو المقياس الانقلابي للمصلحة العربية، في حين ان استناد السياسة الشيوعية الى مقاييس خارجة عن نطاق الحاجات العربية يجعلها متقلبة. وهذا ما يطلب من الحزب توضيحه باستمرار منعا للالتباسات التي يتعمد خلقها الاستعمار وعملاؤه والرجعية الحاقدة على حركتنا، لكي يظهروا هذه الحركة بمظهر التابع المنقاد للشيوعية. وهذه الالتباسات يتعمدها أيضا الشيوعيون أنفسهم ليظهروا بمظهر الحزب المسيطر في التوجيه ولينالوا أيضا من هوية حزبنا القومية المستقلة.

وما دامت السياسة الشيوعية في التقائها مع سياستنا تنشد مصلحتها الخاصة فالتقاؤها هذا مفروض عليها من طبيعة مصلحتها ولا يتوقف على موافقة منا أو قبول بالتعاون معها لذلك لاتكون ثمة مبررات للتعاون مادام النفع حاصلا من مجرد هذا الالتقاء. وتقتضي الظروف أحيانا نوعا من التفاهم والاشتراك في بعض الامور الجزئية كما جرى حتى الآن في مظاهرات الطلاب وكما تم في انتخابات حمص الاخيرة للكرسي النيابي الشاغر حيث التقينا مع بعض الهيئات السياسية ومن جملتها الشيوعيون لدعم مرشح حيادي تقدمي ضد التكتل الاقطاعي العائلي الذي كان يسيطر على مدينة حمص ويعوق تقدم الحركة الشعبية فيها. ولكن الشيوعية لاتكتفي بهذا الالتقاء وهذا التعاون الجزئي المحدود، بل تنادي دوما بقيام جبهة وطنية لمرحلة طويلة حول شعارات عامة كمقاومة الاستعمار وأحلافه العسكرية.

فلننظر الآن الى الغاية التي تتوخاها الشيوعية من وراء تشكيل جبهة وطنية ثم الى الفارق الاساسي بين هذه الجبهة وبين الجبهات التي يمكن تشكيلها مع الاحزاب الوطنية والتي تعرضنا لذكرها وأعطينا كنموذج عنها جبهة ميثاق حمص. وأخيرا وعلى ضوء فهم مرامي الشيوعية، وعلى ضوء التفريق بين هذين النوعين من الجبهات نستطيع

ان نحدد موقفنا من دعوة الشيوعيين.

**أما غاية الشيوعيين من تشكيل (الجبهة الوطنية) فهي:**

١ ـ كما سبق وبينا ذلك في أكثر من مجال من هذه النشرة فرض توجيهها على أحزاب وهيئات أكثرها فاقد التفكير المنظم والجدي والتنظيم الحزبي المتين.

٢ ـ ان تكسب الشيوعية أكثر فأكثر اعتراف الاحزاب الوطنية بشرعية وجودها وأهميته الشيء الذي يزكيها لدى الرأي العام ويقويها.

٣ ـ ان تتصل بمختلف الاوساط والجماهير الشعبية عن طريق تعاونها مع هذه الاحزاب وان تتوسع بالتالي على حساب هذه الاحزاب.

٤ ـ ان تصل بنتيجة جمع مختلف الاحزاب والهيئات في جبهة واحدة، الى تشويش هذه الاحزاب والهيئات في تفكيرها وأسلوب عملها واظهارها كلها أمام الرأي العام في مستوى واحد لافرق بين العقائدي منها والمصلحي الانتهازي، وبمظهر الاحزاب غير الممثلة للشعب وغير القادرة على مواجهته وتوجيهه دون واسطة الشيوعية.

٥ ـ وترمي الشيوعية بصورة خاصة الى خلق هذا الالتباس حول حزبنا بالذات لطمس هويته الشعبية الانقلابية ووضعه في زمرة الانتهازيين والبورجوازيين.

ويقودنا هذا التحديد لمرامي الشيوعية الى التفريق بين الجبهات التي يمكن ان تدعو اليها الاحزاب المحافظة، في الظروف وضمن الشروط التي حددناها سابقا (والتي تضمن لحزبنا تفوقا في التوجيه وقوة في الانتشار والنضال دون ان تعرض هويته واتجاهه لأي التباس أو ضعف أو تضع عقيدته في صراع واصطدام مع عقائد أخرى، بل على العكس تضطر الاحزاب المتعاونة معه الى التخلي عن بعض مصالحها والسير في الاتجاه الشعبي التحرري) وبين الجبهة الوطنية التي يدعو اليها الشيوعيون والتي يؤدي اشتراكنا فيها الى أخطار والتباسات لابد من توضيحها..

ان حزبنا حزب انقلابي قومي يطرح حلا وحيدا ويرفض كل ماعداه. والشيوعية هي أيضا انقلابية لها حلها الذي لاتتنازل عنه. الا أنه حل أممي يرتبط بمبادىء وأهداف الشيوعية العالمية وهذا هو أول اصطدام وتعارض أساسي يحول دون اشتراكنا مع الشيوعية في سياسة طويلة الامد. ولئن قيل بأن هذا الاختلاف العقائدي لايؤثر في

تعاون سياسي مؤقت. . فنجيب بأن له نتائج عملية خطيرة، اذ لايمكن فصل العقيدة فصلا تاما عن العمل السياسي، فكل كسب في العمل السياسي ينعكس على العقيدة الموجهة له ويقويها. اذن فمجرد اشتراكنا في جبهة مع الشيوعيين هو توجيه ضمني من قبلنا للشعب كي يتشكك في عقيدتنا وفي كونها الحل الوحيد الملائم لحاجاته. ونحن لايضيرنا أن نتخوف من اتاحة الفرصة للشيوعية كي تكسب عطف الشعب وثقته على حسابنا ما دمنا نعرف أن الشيوعية تستند الى قوى خارجية تفوق قوتنا بكثير، وان القوة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها لنشر عقيدتنا وتحقيق ظفرها هي في بقاء هذه العقيدة واضحة مستقلة بعيدة عن الالتباس ومتجسدة في نضال حزبنا وتنظيمه. ونحن لم نخف من التنافس الايجابي بيننا وبين الشيوعية، أي أن نعمل نحن والشيوعيون كل من جهته على كسب ثقة الشعب على أساس العقيدة والنضال الواضحين. ولكن الجبهة الوطنية التي يريدها الشيوعيون ترمي الى خلق الالتباس حول عقيدتنا والى تجميد نضالنا أو تشويشه بقيود وأساليب ليست من طبيعته.

والواقع أن أكبر خطر يكمن في الجبهة هو احتمال تجميد نضالنا أو تضييق مجاله ثم تبديل أسلوب هذا النضال. فالحزب الشيوعي لايتضرر من تجميد نضاله أو تضييقه لأنه يبقى دوما مستفيدا من نفوذ الشيوعية العالمية وقوتها ورصيدها الثوري والنضالي لذلك يجيز لنفسه أن يساير أدنى المستويات النضالية وأن يساير سياسات الحكومات والاحزاب المحافظة وأن يسكت بالتالي عن كثير من الحاجات الشعبية دون أن يفقد صفته الانقلابية. أما حزبنا فليس له رصيد غير نضاله فاذا توقف عنه أو حد منه فانه يخسر شعبيا بنسبة هذا التوقف والحد. وأخيرا فالصفة الأممية للحزب الشيوعي واعتماده الرئيسي على قوته الخارجية يجيزان له ويدفعانه الى التساهل والتقلب في أسلوب العمل فلا يتورع عن الانتهازية والمسايرة والمغالطة دون أن يعرضه ذلك لخسارة جدية في نفوذه وشعبيته. أما الصفة القومية لحزبنا، واعتماده الكلي على قوة الشعب العربي وامكانياته الانقلابية، فيوجبان عليه أن ينتهج أسلوبا منسجما مع عقيدته الانقلابية وهذا فرق أساسي بيننا وبين الحزب الشيوعي. اذ أن حلنا الانقلابي القومي لايكون قابلا للتحقيق الا اذا حرك في داخل الامة العربية الوعي الانقلابي والارادة الانقلابية

والقوى الشعبية التي تجسد هذا الوعي وتنفذ هذه الارادة. وبتعبير آخر لايكون لانقلابنا أي أمل في النجاح ما لم نسلك طريقا عقائديا واضحا يتجاوب مع النفسية الانقلابية، ولو أدى ذلك الى اطالة الطريق وزيادة العقبات، لأن شعبنا هو وسيلة الانقلاب وغايته في آن واحد.

**فما هو اذن موقفنا من دعوة الشيوعيين الى جبهتهم الوطنية؟..**

يهمنا أن نؤكد حرص الحزب على النظرة العلمية الواقعية في رسم سياسته وخطوات نضاله، وعلى تجنب المذهبية الضيقة وما ينتج عنها من أفكار سابقة تباعد بين الحزب وبين تفهم الواقع الحي. وان كل ما أوردناه في صدد الجبهة لاينفي نفيا باتا قاطعا امكانية استجداد ظروف ووقوع أخطار في المستقبل تجعل تشكيل مثل هذه الجبهة مفيدا للقضية القومية رغم جميع المحاذير التي ذكرناها. ولكننا نجزم بعد ذكرنا لهذه المحاذير وتوضيحنا لخطورتها أن الظروف الحالية لاتبرر قيام هذه الجبهة واشتراكنا فيها بشكل من الاشكال. كما أننا نعتقد أن مبررات قيامها في المستقبل ستبقى ضعيفة ومستبعدة ما دام التقاء الشيوعية العارض مع بعض أهدافنا القومية العربية يؤدي الفائدة المرجوة من الجبهة دون أن يعرضنا لمحاذيرها وأضرارها.

ولابد هنا من الاشارة صراحة الى أن الرأي الذي يشجعه بعض الانصار وبعض الاعضاء من القناعة باكتمال الشروط والظروف اللازمة لدخولنا مع الشيوعية في جبهة وفي عمل مشترك انما مصدره تشوش في فهم قضايانا وشعور بالنقص أمام النشاط الشيوعي في العالم وأمام الغزو الفكري للشيوعية، والحزب مسئول الى حد كبير عن هذا النقص اذ عليه أن يوضح دائما نظرته وأفكاره، وأن يعلل بوضوح كل موقف من مواقفه. فالشيوعية لاتستفيد الا من العامية ونقص الوعي لفرض أفكارها وتبريراتها. ولابد أن نشير أيضا الى الرأي الخاطىء عند بعض الاعضاء والانصار الذي يعتبر أن مهمتنا الاولى عداء الشيوعية ومقاومتها ومبادرتها الخصومة، فهذا ناشىء أيضا عن رد فعل لشعور أكبر بالنقص وعن فهم خاطىء لمهمة حزبنا وللمرحلة التي نجتازها في نضالنا ضد الفئات الرجعية الحاكمة وضد الاستعمار المتسلط على بلاد العرب. اذ يتبين من كل ما تقدم بأن ايجابية حزبنا الاصيلة تمنعه وتقيه من أن يضيق ويفقر في الانحصار

في مكافحة مذهب أو حركة مهما كان شأنها لأن الاصل في حزبنا أن يبدع فكرا ونضالا وأن يكون هذا الابداع ذاته المانع لنشوء وانتشار الافكار المنحرفة أو الخاطئة أو الضارة. واذا كان الحزب قد وجد ضرورة في بعض المناسبات في الماضي والتي قد تتكرر أيضا في المستقبل لمهاجمة الشيوعية والاصطدام بها فليس يعني ذلك أنه يرضى لنفسه ان يحمل مهمة مكافحة الشيوعية باستمرار وان تكون هذه أولى واجباته. لأن هذا الموقف في حقيقة الامور هو موقف الاستعمار وأجرائه. لذلك نحرص كل الحرص على أن نفرق بين موقف الحزب، وهو موقف سليم مستمد من رسالته ومن مصلحة الامة العربية وحاجاتها وبين الموقف المعادي والمكافح للشيوعية الذي هو موقف مصطنع لايعبر عن الواقع ولا عن الحاجات القومية الجوهرية وانما يستر عدا ضيق النظرة وسطحية الفكر، مصالح رجعية واستعمارية مفضوحة.

ولا بأس من أن نعود في النهاية الى ما قلناه في مطلع بحثنا عن وجود مستويين لموقفنا من الشيوعية الفكري والسياسي. **أما الفكري**.. فهو موقف اختلاف أساسي مع النظرة الشيوعية لايتساهل فيه الحزب قط وان كان لايتجاهل بعض النواحي الايجابية البالغة الاهمية في النظرة الشيوعية وأهم واجب على الحزب في هذا المستوى ليس هو الصراع والمكافحة والتهويش بقدر ماهو التوضيح الخصب الشامل بفكرة حزبنا وتعميم هذا التوضيح على أوسع نطاق ممكن اذ أن فيه وحده درءا لخطر التفكير الشيوعي وكل تفكير آخر خاطىء أو منحرف. **وأما الموقف السياسي**.. فيرسم على أساس الاخطار القائمة في الوطن العربي وتسلسلها في الاهمية ومادام ثمة استعمار فلن تكون الشيوعية عدو العرب الاول بل قد تكون في بعض الظروف وفي هذه المرحلة التحررية الكبيرة عنصرا يستفاد منه مع الروية والحذر.

ولكن لابد من التساؤل.. هل يجوز أن نفصل فصلا تاما بين موقفنا الفكري وموقفنا السياسي؟.. والجواب هو أن الفصل التام غير جائز في منطق فكرتنا واننا ما دمنا نؤمن من جهة بأن العرب لايستطيعون أن يعتنقوا الفلسفة الشيوعية ونظرتها الى الانسان دون أن يتخلوا عن أثمن شيء في انسانيتهم، ومن جهة أخرى بأن هذه الفلسفة الشيوعية حتى بالنسبة الى غير العرب ليست الحل الايجابي الذي يمكن

للانسانية أن تطمئن اليه وتبنى عليه علاقاتها على أساس ثابت والى مدى بعيد بالرغم من خطورة الدور الذي مثلته الشيوعية في حياة الشعوب في هذا العصر، ومن القفزة التقدمية التاريخية التي كانت أهم عامل في تحقيقها، نقول أن واجبنا القومي والانساني وهما في حقيقة الامر واحد، يدعواننا ألا نسترسل في سياسة واقعية بحتة هي عين الانتهازية فنتصرف في موقفنا العملي من الشيوعية على أساس المصلحة القريبة فحسب، واضعين اتجاهنا الفكري (على الرف) دون استلهامه والاهتداء به في أعمالنا السياسية ودون أن نحاول باتزان وجهد تجسيد هذا الاتجاه في السياسة بشكل يوفق بين مبدئية فكرتنا وقابليتها للتحقيق وبُعد هذه الفكرة عن خطر الانتهازية والخيالية على السواء. . وبتعبير آخر يجب أن نعتبر أنفسنا مسئولين ليس عن المستقبل القريب فحسب بل وعن المستقبل البعيد أيضا وان لانسمح للشيوعية أن تصبح في يوم من الايام منافسة جدية لحركتنا عند جمهور شعبنا.

**عام ١٩٥٦**

# برقية تهنئة بقيام ثورة ١٤ رمضان

باسم حزب البعث العربي الاشتراكي، أشاطركم روعة اللحظات التاريخية الكبرى التي تحياها ثورتكم العربية، وإشراقة المعاني السخية التي يفجّرها قيام عراق عربي أصيل، يستعيد دوره القومي الطليعي الذي عطّلته رجعية نوري السعيد وشعوبية قاسم.

إن ثورتكم في العراق هي الثورة المعبرة أعمق تعبير، عن طبيعة المرحلة التي تجتازها الأمة العربية. . إنها ابنة ثورة الرابع عشر من تموز، وتصحيح الانحراف الذي عطّلها، والثأر لانتكاسة الوحدة بين مصر وسوريا. لقد قامت نتيجة عمل شعبي واعٍ شامل، أسهمت فيه جماهير الشعب العربي في العراق من مدنيين وعسكريين متحملة بجد ومسؤولية مهمة الانطلاق نحو الأهداف التي تمليها هذه المرحلة، تلك الأهداف التي تلتقي فيها مصالح الجماهير المتجلية في الاشتراكية والديمقراطية الشعبية مع المعاني القومية الملازمة لها، متمثلة في توحيد الأقطار، هدف الجماهير في جميع الأقطار العربية، من أجل تصحيح الانحراف القومي، والقضاء على الردة الرجعية، والنهوض من نكسة الانفصال، وتحقيق سائر الأهداف القومية.

وستظل المشاركة الشعبية الواعية التي انطلقت منها ثورتكم، وسيظلّ العمل في سبيل توسيعها وتعميقها على صعيد النضال والبناء معاً، الأداة الثورية الفعالة التي تحفظ لحركتكم سلامة سيرها وحيوية اندفاعها.

وأصدق تعبير عن هذه المشاركة الشعبية انفتاح الثورة في العراق على سائر الحركات العربية الثورية في الوطن العربي، والتفاعل بين القوى العربية المتحرّرة

ضمن جبهة عربية تقدمية واحدة، تحطّم المحاولات التي يقوم بها الاستعمار والصهيونية وإسرائيل والرجعية العربية العميلة والحاقدون على العروبة من أجل صدع الركب العربي الزاحف، وتسير في طريق تحقيق يوم النصر الكبير.

لقد وعت ثورتكم السمة الأساسية للمرحلة التي تجتازها الأمة العربية وأدركت بأصالتها وثوريتها أن الذي يحدد هذه المرحلة ويمنحها معناها التاريخي، هو تبني رسالة الوحدة العربية تبنّياً فعّالاً جاداً، والانطلاق من منطق الوحدة والعمل لها عملاً إرادياً مخطّطاً. وأدركت أن السير في طريق النضال من أجل الوحدة هو الأصل، وان معاكسة هذا الطريق أو مجرد تجنبه يطعن ثورية أية حركة.

إن ثورتكم تأتي بعد التجربة الثورية العميقة في الجزائر وبعد المدّ العربي الثوري في اليمن، لتعبّر عن تدافع الأعضاء للحاق بجسم الأمة الواحدة بعد الهزة التي أصابت الكيان العربي نتيجة انفصال الوحدة.

فالى ثورتكم الشعبية الاشتراكية العربية تحية إكبار، وعهد تعاون ونضال مشترك من حزب البعث العربي الاشتراكي ومن الجماهير الشعبية، التي يسير معها في طريق تحقيق أهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية.

**بيروت في ١١ شباط ١٩٦٣**

# الحزب وتجربة الحكم

**أيها الاخوان**[1]

إن الظروف العصيبة التي يمرّ بها وطننا العربي استدعت الاتصال بين ممثلي القيادة القومية ومنظمات الحزب في أوروبا لكي نوضح لرفاقنا مالم يستطيعوا معرفته نظراً لابتعادهم عن وطنهم ولقلة المعلومات المتوفرة لديهم. . ولسبب آخر حصل هذا الاتصال هو أن نطلب من الرفاق الذين أنهوا دراستهم أو قطعوا شوطاً بعيداً فيها يمكنّهم من المساهمة في خدمة الحزب سواء في العراق أو في سوريا، سواء في العمل الشعبي أو العمل الحكومي لأن الظرف يستدعي تعبئة جميع الامكانيات ولأن الحزب مضطر أن يعبىء جميع إمكانياته وأن يضع كل طاقات أعضائه في هذه المعركة التاريخية التي هي مصيرية بالنسبة للحزب وبالنسبة للأمة كلها. فالحزب الآن مسؤول مسؤولية مباشرة عن الحكم في قطرين عربيين هما في طليعة الأقطار العربية. والحزب مطالب بأن يبرهن على جدارته في الحكم كما برهن على جدارته في النضال، مطالب بأن يعطي لشعاراته معناها العملي وكل أبعادها النظرية والعملية، والحزب مسؤول مسؤولية تاريخية أن يشقّ طريقاً جديدة جريئة للثورة العربية، لثورة الوحدة والحرية والاشتراكية، ولو كلفّه ذلك أقسى المشاق والتضحيات. إن الحركة التاريخية لايمكن أن تكون سهلة الطريق ولايمكن أن تؤدي مهمتها بالجهود اليسيرة بل لابد من التضحيات الجسيمة. هذه هي سنّة التاريخ

(١) حديث في اجتماع المنظمة الحزبية في برلين بتاريخ ١ تموز ١٩٦٣.

وقانون الثورات وأنا مؤمن بأن شباب الحزب في كل مكان واعون هذه الحقيقة، مقدّرون مسؤوليتهم حق قدرها وانهم يشعرون ويدركون أن أفكار البعث وطريق البعث ليست أشياء للتغني أو انها ترف يضاف، بل إنها هي حياة الملايين من أبناء الشعب العربي، هي مصير أمة بكاملها. وأن هذه الأفكار وهذه الطريق إذا وجد من يدافع عنها ومن يستبسل في سبيل تحقيقها بأمانة، فإن مستقبلاً كريماً وناصعاً وسليماً يتوفر لهذه الملايين من أبناء شعبنا. وإذا لم يوجد من يدافع عنها ومن يستبسل من أجل إخراجها الى العمل فإن آلاماً كبيرة وطويلة يمكن أن تنتظر أمتنا وأن ذلاً كبيراً يمكن أن يلحق بهذا الشعب الكريم وبهذه الأمة العظيمة. فإذا نحن استهزأنا بمهمتنا التاريخية وإذا لم نكن في مستوى المسؤولية . . فهذه الأفكار وهذه الطريق، طريق البعث، عليهما يتوقف مستقبل عظيم، ولم يعد جائزاً لأحد من أفراد الشعب العربي فضلاً عن أعضاء حزب البعث. . لم يعد جائزاً لعربي واعٍ أن يتجاهل النتائج التي تنتج عن التهاون في مثل هذه الأفكار الكبيرة والقضايا الكبيرة المتعلقّة بوحدة الأمة العربية وبالطريق السليمة لتحقيق هذه الوحدة وبحرّية الشعب العربي والمواطن العربي وبطريق الاشتراكية وبالأسلوب الذي يضمن ثوريتها وسلامة تحقيقها وضمانة بقاء الانجازات الاشتراكية وصمودها لكل حادث. فالمسألة إذن هي بهذه الخطورة. .

**أيها الاخوان**

لاشك أن مايجول في خواطركم من أسئلة تدور كلها أويدور أكثرها حول الأزمة الحالية، الأزمة التي ظهرت بعد ثورة العراق سوريا والمساعي التي بذلت من أجل تحقيق بداية جديدة سليمة للوحدة العربية بين الأقطار العربية الثلاثة: مصر وسوريا والعراق.

إن حزبكم أيها الاخوان حمل هذه الأفكار منذ أكثر من عشرين عاماً وناضل في سبيلها نضالاً صادقاً وانتشر وتوسّع حتى انه اليوم يكاد لايخلو قطر عربي من تنظيم بعثي مهما كان صغيراً، وأعطى الحزب للوحدة العربية المكان الأول في تفكيره الثوري وفي نضاله، ولقد ضحّى كثيراً حتى أخرج هذه الفكرة من عالم الأماني الى

عالم الانجازات في أول تجربة للوحدة عام ١٩٥٨. وكان مبرر تساهله في عام ١٩٥٨ ـ مبرر الخطأ الذي وقع فيه الحزب عندما قبل بحل تنظيمه بسوريا ـ هو هذا الحرص على الوحدة العربية وعلى أن تصبح في ذهن كل عربي وفي ضمير كل عربي.. أن تصبح حقيقة واقعة وأن تصبح شيئاً قابلاً للتحقيق.. أن تصبح حركة تاريخية بعد أن ظلّت عشرات السنين في هذا العصر لفظة فارغة المعنى وألعوبة بأيدي محترفي السياسة ورجال الحكم، حتى كاد اليأس يدب في نفوس العرب من هذا الهدف القومي الكبير وحتى كادت دعاية أعداء القومية العربية تجد آذاناً صاغية، تلك الدعايات التي كانت تسمي الوحدة العربية حلماً وخيالاً.

أراد الحزب في عام ١٩٥٨ أن يقضي دفعة واحدة على هذه الحالة النفسية وأن يثبت للشعب العربي في كل مكان أن الوحدة حقيقة حية قابلة للتحقيق. وكان الحزب عندما انتكست الوحدة بعد أشهر من تحقيقها وبعد أن ظهرت الأخطاء والانحرافات الضخمة بالحكم، وحتى بعد أن أدّى كل ذلك إلى الانفصال ـ وكان الانفصال كارثة قومية عامة ـ وحتى أثناء الانفصال وما جرى فيه من تجنّ على القومية العربية وتآمر على فكرتها ومن أراجيف وأباطيل.... حتى في تلك الظروف القاسية السوداء كان الحزب يشعر ويعرف أنه حققّ عملاً عظيماً تاريخياً عام ١٩٥٨. وان كل الأخطاء والانحرافات والمآسي التي نتجت عنها لاتعادل جزءاً صغيراً من الكسب الكبير الذي نتج عن تحقيق الوحدة.

ولكن بعد أن قطعنا هذا الطور من نضالنا وبعد أن دخلت الوحدة في عالم الحقائق، بعد أن كانت في عالم الأحلام والأماني، أصبح أمامنا واجب آخر، واجب جديد هو أن نبني الوحدة على أسس سليمة، أن نضع الوحدة في الطريق السليم الذي لا ضلال فيه ولا انحراف ولا انتكاس. في عام ١٩٦٣ لم تعد الغاية الأولى لنضال الحزب أن يحقق الوحدة بأي شكل وأي ثمن، بل أصبحت الغاية أن يحسن تحقيق الوحدة بأحسن شكل وأن يستفيد من تجربة الوحدة بكل ظروفها وملابساتها لنبرهن على أن نضالنا جدي عميق متكامل وانه ينمو في الخبرة والتجربة والوعي واننا حقاً استفدنا من التجارب.

هكذا كان موقف الحزب بعد ثورتي سوريا والعراق يتجلى بحرص قوي على الوحدة وخاصة انه كان القوة الشعبية الأولى زمن الانفصال التي دافعت عن الوحدة والتي صمدت للانفصال والتي أعطت للنضال الوحدوي قيمته ونفوذه وهيبته. لأن الانفصال كان قد جمع كل القوى المضادة لوحدة الأمة العربية والتي تعمل ضد فكرة القومية العربية: جمع الاستعمار بكل أطرافه، مع إسرائيل، مع الرجعية العربية، مع الشعوبية والانتهازية وكل ما هو فاسد ومتعفن فجمعها لينقضّ على فكرة القومية العربية التي هي فكرة ثورية ولكي يعمل فيها الهدم ولكي يشفي منها أحقاده. في تلك الأيام السوداء، أيام الانفصال، لم يكن غير حزب البعث العربي الاشتراكي بقادر أن يعطي لفكرة الوحدة ولشعار الوحدة حرمة او هيبة لأن وراء هذا الحزب نضال عشرين سنة في سبيل الوحدة. لم تكن الفئات الانتهازية والعميلة التي كانت ترفع شعار الوحدة بدافع نفعي هي التي إستطاعت أن تقضي على عهد الانفصال ولكن الحزب هو الذي استطاع، بينما كانت تلك الفئات وهؤلاء الأشخاص الذين برزوا بعد الانفصال متوارين مختبئين. وهكذا فإن الحزب قدّم للوحدة كثيراً وسيظلّ الرسول الأمين لهذا الهدف القومي.

بعد ثورة العراق أخذ الحزب المبادرة وذهب وفد الى القاهرة ليزيل كل ماكان بين الحزب وبين الجمهورية العربية المتحدة من خلافات، ولكي تعود القوى الثورية من جديد الى التعاون في سبيل تحقيق الوحدة. وبعد شهر من ثورة العراق قامت الثورة في سوريا وذهب ممثلوا الحكم الثوري في سوريا مع ممثلي الحكم الثوري في العراق إلى القاهرة بنفس الدافع ولنفس الغرض. وتتابعت الاجتماعات والرحلات التي أوصلت الى ميثاق القاهرة. هذا الميثاق الذي لم يجيء على أسلم وجه وأحسن شكل والذي يتخللّه شيء من الغموض وشيء من الضعف، ولكن على كل حال سجّل حداً أدنى من الضمانات لسلامة تحقيق الوحدة الجديدة: الوحدة الثلاثية. لقد اعتبر الحزب أن تحقيق الوحدة بين ثلاثة أقطار عربية متحررة خطوة تأريخية كبيرة وان هذا الشيء، أي تحقيق الوحدة بين أكثر من قطرين ووجود العراق بالذات في هذه الوحدة يعطيها قيمة وضمانة، وان الوحدة الثلاثية تسمح أكثر من

الوحدة الثنائية بالتكافؤ بين الاقطار وتسمح بالتفاعل بين الاقطار وتسمح بارساء الوحدة على أساس سليم متين من التنظيم الشعبي طالما أن الحزب قائم ومتحمّل للمسؤولية في قطرين من هذه الأقطار الثلاثة. ولكن كلّ الآمال التي علّقها الشعب العربي على هذه الوحدة الجديدة عصفت بها الأنواء بعد قليل من عقد ميثاق القاهرة دون أن يكون للحزب أي دخل بهذه الحملة المخربة التي صوُبت على الوحدة وعلى الحزب ودون أن يتزعزع إيمان الحزب بالوحدة وبميثاق القاهرة أو يتراجع شعرة واحدة عنه، ولكن يجب أن نتساءل ونوضح ماهو السر في هذه الأزمة المفتعلة وفي هذه الحملة الجائزة وفي هذه المعركة الطائشة التي تخالف كل منطق قومي. فالمنطق القومي يقضي بأن تتقارب القوى الثورية العربية وأن تتعاون وأن تتحد لا أن تتصارع ويفني بعضها بعضاً. الشيء الذي يجب أن يكون واضحاً لكم أيها الاخوان هو أن الحزب قَبِل عن رضى وقناعة ووعي باستئناف السعي للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبد الناصر. فالحزب يعرف أن مصر عنصر أساسي في بناء الوحدة العربية ويعرف أيضاً بأن النظام القائم في مصر (نظام عبد الناصر) هو نظام لايمكن تغييره في يوم وليلة وهو نظام له نواحٍ إيجابية تقدمية ونواحٍ سلبية، ولابد من الصبر عليه وانتظار التطور البطيء السليم حتى يتعدّل هذا النظام، وان كل تعديل سريع له لايكون في مصلحة العروبة ولا في مصلحة الثورة. لذلك كان الحزب قابلاً عن وعي ومسؤولية هذا التعايش والتعاون الصادق بينه وبين عبد الناصر من أجل الوحدة العربية من أجل إنجاح الوحدة. كل هذا بشرط أن يقبل هذا النظام من جهته التعاون مع الحزب، إذ أن الحزب هو الضمانة الرئيسية الجدّية لتحقيق الوحدة بشروط وأسس سليمة. إذن كان الحزب مصمماً على الوحدة ومصمماً بنفس الوقت على عدم تكرار الأخطاء السابقة. ولكن ظهر بأن هذا النظام القائم في مصر لايقبل بالحزب ولايقبل بالتعايش معه وبالتالي لايقبل أن تقوم الوحدة على أسس سليمة وأن تتوفر فيها ضمانات لحمايتها من الخطأ والانحراف. وكان النجاح الذي أحرزه الحزب في العراق بعد تضحيات بطولية قدّمها خلال سنين وتوّجها بتضحيات كبيرة في يوم الثورة. . كان هذا النجاح الذي كان نجاح الثورة العربية كلها والقوى الثورية

العربية كلها، كأنه كان نذيراً لنظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة بأنه يجب أن يزاح هذا الحزب من الطريق وأن يلغى من الوجود، لأنهم لم يروا فيه الأخ والصديق، بل رأوا فيه المنافس والمزاحم، وهذه نظرة بعيدة كل البعد عن الثورية. فالثورة العربية بقناعتنا وبمنطقنا هي مجموعة التجارب الثورية في جميع أجزاء الوطن العربي. حتى حزبنا ما ادّعى في الماضي ولن يدّعي أنه التجربة الثورية الوحيدة وأنه التجربة القدوة المثالية التي تغني عن كلّ تجربة ثورية أخرى. فمنطلق تفكيرنا منطلق حر واقعي أصيل لأنه شعبي، لأنه منطلق النضال والثورة لا منطلق الحكم ومصالح الحكم ودوافع السيطرة والاستئثار. فنحن لن ننكر حتى على هذا النظام القائم في مصر الذي كان المسؤول الأول عن انتكاسة الوحدة في عام ١٩٥٨ والذي أوصل الى كارثه الانفصال وما فيها من مآس ـ هذا النظام لم يحكم عليه الحزب حكماً سلبياً نهائياً بل اعتبره قبل كل شيء حكماً عربياً تقدمياً فيه نواحي سلبية تبرزّها ظروف محلية لقطر عربي هو مصر وانه بالتالي لابد من التعاون معه وانتظار التفاعل البطيء الذي يكفل تحرير هذا النظام من نواحيه السلبية.

مقابل نظرتنا الواسعة الحرة ظهرت تلك النظرة الضيقة المتعصبة التي ترفض التعايش مع حزبنا وفي الواقع ترفض أن يبقى حزب البعث في الوطن العربي لأنها تشن على حزب البعث حرب إفناء ـ ولكن ماذا يمكن أن ينتج فيما لو قدّر لهذه النظرة المتعصبة أن تنتصر. . . هل ينتج عن ذلك تحقيق الوحدة؟ كلا! لأن الشعب العربي لايمكن أن يقبل بتجربة للوحدة تكون تكراراً للتجربة السابقة ـ ولا يوجد مايمنع من أن تكّرر التجربة السابقة إذا زال حزب البعث من الوجود أو إذا ضعف حزب البعث بشكل لايستطيع معه الصمود والدفاع عن مبادئه وأفكاره ولايستطيع بالتالي أن يضمن سلامة تحقيق الوحدة. الوحدة السابقة إنتكست وفشلت لسببين رئيسيين لم يعودا سراً من الأسرار: الحكم في التجربة السابقة للوحدة كان حكماً فردياً، والحكم في التجربة السابقة كان حكماً تسلّطياً إقليمياً، وإذن كان لابد في الوحدة الثلاثية الجديدة من أن توضح الضمانات ضد الفردية بالقيادة الجماعية وضد التسلط الاقليمي بالتكافؤ بين الأقطار وأن يضمن كل تنظيم شعبي حقيقي لا صوري مزيّف.

**أيها الاخوان**

لم تكن في عام ١٩٥٨ وحدة لقطرين فحسب، وإنما كانت نواة للوحدة العربية الكبرى، وليست الوحدة الثلاثية التي وضعنا أسسها قبل أشهر هي وحدة لثلاثة أقطار فحسب وإنما هي بداية لكي تضم جميع أجزاء الوطن العربي. لذلك يشعر المسؤولون الشعبيون في هذه الأقطار بأنهم مطالبون بأن يبنوا وحدة تتسع للأمة العربية كلها تتسع للأقطار العربية كلها وتتجاوب مع ضمير كل عربي.. تتجاوب مع إرادة العرب جميعاً، أي تتسع للمستقبل وان تحسب حساباً له.. أن تبنى على أسس سليمة متحررّة تصمد للتطور أي أن تكون خالية من التحكمّ والتفرّد والارتجال والتعصب، أن تتسع لكل التجارب الثورية في أجزاء وطننا الكبير. هذه المسؤولية التي تفرض علينا أن نراعي ظروف ونفسية الأقطار العربية كلها هي التي تدعونا وتدفعنا الى الصمود في هذه المعركة التي لم نردها والتي فرضت علينا فرضاً. في هذه المعركة غير المتكافئة في هذه المعركة التي لا أجد لوصفها إلا أنها معركة القوة الغاشمة.. معركة وسائل الدولة الضخمة التي تجيز لنفسها بالاستناد الى قوتها أن تحول الحق الى باطل وأن تفتري على الحقيقة بكل الأشكال والألوان غير عابئة بمصلحة الأمة وغير عابئة بمستقبل الشعب ومستقبل القضية وبأنه لاتبنى أمة ولا يبنى لها مستقبل على الكذب والافتراء وعلى اعتماد القوة فحسب. والحزب رغم ذلك كله لم يفقد صفاء تفكيره ولم يفقد هدوء أعصابه ولم يفقد شعوره بالمسؤولية وبالمصلحة القومية، فهو يتجنّب الانزلاق في هذه المعركة وإن كانت سهامها تصوّب عليه في كل يوم وفي كل ساعة، ولكنه مطالب أيضاً أن يكون واقعياً وألا يكون كالنعامة.. مطالب بأن يصمد وأن يقوّي نفسه حرصاً على المبادىء والقيم التي يمثلها ويدافع عنها، مطالب بأن يعبىء جميع إمكانياته وأن يستغلها على أحسن شكل وأن يبرهن على أنه فعلاً الحزب الشعبي، أي الحزب الذي يمدّه الشعب كل يوم وكل ساعة بدم جديد، بروح جديدة، وبكفاءة جديدة وبطولة متجددة. انه يعرف أنه يمثل نضال المستقبل العربي نضال الأمة العربية كلها مع إصراره على تجنب الانزلاق في المهاترات وفي الخصومة حتى يكسب الرأي العام العربي إلى جانبه،

وحتى يدفع هذا الرأي العام الثوري الى تحملّ مسؤوليته لكي يتدخل ويحول دون هذا التدمير الاجرامي وأن يحول دون هذه المعركة التي لاتستند الى حق بل الى قوة الوسائل فحسب. الحزب أيها الاخوة فيه نواقص عدة، ثغرات كثيرة، لم يتمكن في الماضي من معالجتها وتلافيها، أما الآن فالظرف قد يسمح بذلك. علينا أن نكون في مستوى الظرف وأن نوفّر للحزب كل الوسائل التي تمكّنه من التخطيط العلمي الواقعي البعيد المدى الشامل الأفق ومن تنفيذ مايخططه بنجوع وإحكام. ترون أن الوسائل حتى الآن لازالت يسيرة للغاية، وللحزب صحيفة في دمشق وصحيفة في بغداد، وهذه الوسائل المتواضعة إلى أبعد الحدود استطاعت أن تعلن عن حقائق كبرى، استطاعت جريدة «البعث» على ضعف مستواها، أن تعلن عن حقائق كبرى يمثلها الحزب وتتجسد في صمود الحزب في هذه المعركة، وعلينا أن ننمي هذه الوسائل الى مسافات أبعد وإلى إعداد أكبر والى طبقات من الشعب أوسع. علينا ان نوسع اتصالاتنا بالرأي العام العالمي التقدمي، ولا نغترّ من أن الجميع يعرفون حقيقة نوايانا وماضينا ويعرفون النقاط الأساسية التي نتمسك بها حرصاً على الوحدة والثورة - فيجب أن نوسع هذه الاتصالات، ولقد حصلنا في كل مرة اتصلنا فيها بالرأي العام الغربي الثوري التقدمي على نتائج طيبة لأن قضية الحزب قضية عادلة وواضحة لاتحتاج إلا لأن تُعرف وإلا لأن يُسمع صوتها.

**أيها الاخوان**

أعتقد بأن من الأغراض الأساسية لهذه الحملة الظالمة التي تشهر على الحزب أن يُشل الحزب ويشغل الحزب حتى لايستطيع أن يعمل عملاً جدياً فيفقد ثقة الشعب به كحزب ثوري. ولذلك فإن الجواب الجدي والجواب السليم على هذه الحملة لا يكون بمقابلة السب والافتراء بالافتراء وإنما يكون بأن نمكّن حزبنا من تحقيق الثورة، والانجازات الثورية. لقد قام حزبنا بثورتين عظيمتين في العراق وسوريا فعلى الحزب في هذين القطرين أن يحقق الثورة فعلاً، أن يحقق الانجازات الاجتماعية والاشتراكية حسب مخطط مدروس ومنهاج مرحلي، وأن يحقق الديمقراطية الشعبية بأن ينظم الشعب للدفاع عن قضيته وأن يحمي ثورة الشعب من

الاستعماريين والرجعيين والشعوبيين. فعلينا أن نمضي دوماً الى الأمام. الوحدة لاتتحقق الا في ظروف ثورية، وعندما نقوم بالانجازات الثورية يتهيأ الجو وتتهيأ الشروط للوحدة، وهذا كله يتطلب مساهمة الجميع فالظرف ظرف مصير. . . مصير الحزب ومصير الأمة ومصير الثورة العربية. . وكل الاعتبارات يجب أن تخضع لهذا الهدف: هدف المحافظة على مصير هذه الحركة الثورية التاريخية.

وإني أترك لكم الآن مجال الأسئلة. .

● **ماهو موقف الحزب المقبل تجاه الوحدة وبالذات تجاه الاستفتاء؟**

الحزب ماض في طريقه ينفذّ ماتعهد به في ميثاق القاهرة. الحزب أو الحكم في العراق وسوريا يشكل اللجان التي نص عليها الميثاق وسوف يطلب من حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تجتمع لجانها مع هذه اللجان لوضع الدستور الاتحادي وتنسيق الأعمال الأخرى في النواحي العسكرية والقضائية. . .، وسيجري الاستفتاء في الموعد المحدد. الحزب هو الذي طرح شعار الوحدة الثلاثية وطالب باتحاد الأقطار الثلاثة بعد ثورتي سوريا والعراق. الحزب من عقيدته ومن منطقه ومن مصلحته أن تقوم هذه الوحدة لأنه لايخاف على نفسه من النظام القائم في مصر، بل يؤمن بأن التعايش والتعاون بين مختلف التجارب الثورية العربية هو الذي يوصل الى وحدة الثورة العربية والى قوّتها وإلى ظفرها، وهذا ماسيحققه الحزب.

والحزب رغم أنه لم يبلغ بعد مستوى الجمهورية العربية المتحدة في ضخامة الوسائل، فهو صاحب قضية وهو يعرف ذلك، وبالتالي لايخاف على نفسه ولا على مستقبله. قد يؤذى منه أشخاص وأفراد شرط أن يبقى أميناً على مبادئه يتجاوب مع الشعب. فلو أخذنا بالوساوس الزائدة عن عبد الناصر لوصلنا الى مواقف بعض أعضاء الحزب السابقين في سوريا ولبنان . نحن نعتبر أننا أقوى من عبد الناصر ونظامه والمستقبل لحزبنا، ونحن مسؤولون عن القطر المصري في تصحيح سيره وتأكيد عروبته. . وليست تساهلات الحزب بضائرة له بل انها تنم عن حرصه القومي. ثم ان قبولنا التعايش مع عبد الناصر، هودليل لقوتنا ورفض عبد الناصر لهذا التعايش دليل الضعف والخوف من المستقبل ولثقته بأنه لا يستطيع التنافس مع حركة

شعبية أصيلة. إن القوى التي ظهرت خلال الشهور الأخيرة هي في جانب الحزب وحملة الافتراءآت الأخيرة خدمت الحزب، وان قوى الحزب تتقدم يوماً بعد يوم، ومن الواضح انه لايمكن أن تقام وحدة بدون حزب البعث العربي الاشتراكي.

١ تموز ١٩٦٣

# البعث تعبير عن
# أفكار الجيل العربي الجديد

في الواقع لم يبق لي ما أقوله بعد كلام الرفاق إلا القليل،[1] لأني وجدت أفكاري وخواطري متمثلة في ما ورد في هذه الجلسة من كلمات، وهذا في نظري وبالنسبة إليّ شيء مطمئن ومريح يؤكد شعوراً ليس بالجديد عندي وهو أنني أستطيع أن أطمئن إلى مستقبل الحزب، وإلى دوره الطليعي المستمر.

المهم أيها الرفاق هو أن نكون في مستوى الظرف التاريخي الذي يعيشه حزبنا وتعيشه أمتنا الآن. أن ننظر بصفاء وموضوعية الى الحاضر والمستقبل. المهم أن نعترف بمشروعية الحاجة العميقة الملحة في حزبنا، وعند شعبنا الى التجديد، والى تجديد هذا الحزب بالذات، في فكره وتنظيمه ونضاله، لأنه ملك للأمة العربية وللمستقبل العربي، وليس ملكاً لفرد أو أفراد ولا حتى ملكاً لأعضائه المنتمين إليه. هو تعبير عن مصلحة شعب، وعن مستقبل أمة وحضارتها وعن مصلحة الانسانية إذا جاز القول. لأننا جزء أصيل وأساسي من الانسانية، شرط أن نحرص على المستقبل - فالمستقبل هو الأساس - وأن الماضي جزء من هذا المستقبل وصلته به وثيقة، وأن

نحن في ظرف تاريخي خطير يجابه حزبنا بتحدّ ليس كالتحديات، يخوض معركة ضد أعداء كثيرين ليس أقلهم شأناً ووزناً وخطراً، ذلك الاتجاه المشوّه الثورية، والذي غدا مزيّفاً للثورة والثورية. وعلى حزب البعث العربي الاشتراكي أن يصمد في هذه المعركة، ولا يصمد إلّا بالعمل الايجابي، إلّا بالبناء، إلا بتحقيق الثورة، وبالسير دوماً الى الأمام. فمن هذه الزاوية وعلى هذا المستوى، وفي هذا

---

(١) كلمة في الجلسة الثانية في جلسات المؤتمر القومي السادس (مناقشة مقدمة التقرير العقائدي).

الجو، كلّ تجديد يحظى، أو يجب أن يحظى بالتأييد. فالثورة لاتستطيع أن تنتظر ولا أن تتجمد، والخطأ جائز ويمكن أن يُصلَحَ، ولكن الجمود هو الخطر الكبير الذي يجب أن نتحاشاه.

**أيها الرفاق**

في هذا البحث الفكري العقائدي، ومن خلال أقوالكم، ظهرت ملاحظات وانطباعات وتقديرات، هي صحيحة وعميقة وواقعية، إذا جُمعت بعضها الى بعض وتكاملت. فالحزب بحاجة الى تجديد، ولكن للحزب اسماً وماضياً وتاريخاً، ولا يمكن ولا يجوز أن يُبتر وأن يُنسى. كما أن لهذا الشعب الذي وجُد الحزب من أجله، اسماً وماضياً وتاريخاً. وإذا ظهرت في أقوال بعضكم بعض المخاوف فهي أيضاً مشروعة، ويجب أن ننظر إليها في تروّ وبجديّة ودون استخفاف. فبعض المنطلقات الفكرية قد تؤثر على شخصية الأمة نفسها، على وجود الأمة، وعلى وجود الشعب نفسه وعلى قوميته إذا لم ندقق ونتروّ في صحة ودقة هذه المنطلقات.

كذلك في بعض المنطلقات الفكرية، أو بالأصح كل منطلق فكري له نتائج عملية، أخلاقية، بالاضافة الى النتائج الاجتماعية والسياسية، وانه ينعكس على أسلوب العمل وعلى أخلاقية العمل. فالشيوعية لها أخلاقها الخاصة بها والذين تثقفوا بالماركسية لهم نظرتهم وسلوكهم المتأثر بهذه النظرية وهذه الفلسفة. . ولشتى الأنظمة أساليب في العمل والأخلاق خاصة بكل منها. وأمامنا نظام عبدالناصر الذي لم يعطِ في أعماله وممارساته، وفي علاقاته بالقوى التقدمية الثورية، ومن خلال أجهزة إعلامه، صورة صادقة ونموذجاً محبباً للأمة العربية وللمستقبل العربي.

كذلك أيها الرفاق لاتنسوا أن حزبنا عندما تأسس قبل ثلاث وعشرين سنة لم يظهر في الصحراء ولم يظهر من العدم وإنما وجُد في ظروف تاريخية، وجُد في بلاد معينة وفي زمن معين، تنمو فيه حركات وأحزاب عالمية، تصطرع فيها المذاهب الاجتماعية. وكان الذين بدأوا هذه الحركة، هذا الحزب، يتفاعلون مع معطيات تلك المرحلة، وهنا لابد أن أقول ما كنت دوماً أكرّره طوال تاريخ الحزب بأن هذه الحركة ـ حركة البعث ـ ليست من عمل فرد أو أفراد، هي صنع جيل عربي، حتى في

الفكر نفسه كان التفاعل مستمراً بين أعضاء هذا الحزب منذ بدايته. والفكر الذي سُجل في الأحاديث الحزبية وبعض الكتابات الحزبية لم يكن في الواقع اجتهاداً شخصياً، بقدر ما كان ترجمة لأفكار هذا الجيل. ولعلكّم تلاحظون في الكتابات - في كتاباتي أنا شخصياً - بأني ما استعملت قط ضمير المتكلم المفرد، وكل الكتابات تتكلم باسم الجيل العربي الثائر، وهذه حقيقة ظاهرة.

كنت أقول بأن هذا الحزب ظهر في زمن معين، في مكان معين، وظهر في وقت كانت فيه الشيوعية ترشحّ نفسها كحركة ثورية وحيدة في العالم، وفي البلاد العربية أيضاً. ومن البديهي أن أمة تعيش في مرحلة ثورية لايمكن أن تنحاز أوتتبع الحركات الوطنية التقليدية التي كانت قائمة إذ ذاك، أو الحركات الدينية أو الحركات الاقليمية المصطنعة.. وكل ذلك التفكير السقيم المتخلّف الذي كان سائداً في ذلك الوقت والذي كان ينكر المشكلة الاجتماعية ويتجاهلها عمداً وتآمراً منه على مستقبل الأمة.. فكان من الطبيعي إذن أن تلقى الشيوعية التأييد، وأن تُعتبر المنقذ، مالم تظهر من أعماق الأمة العربية ومن صميم روحها ومصلحة شعبها والطبقات المحرومة منها، ما لم تظهر الفكرة، العقيدة، الحركة التي تعبرّ عن الحاجات الثورية الجديدة وتواجه الحركة الشيوعية بما يحفظ للأمة العربية شخصيتها وتوازنها ومستقبلها الحضاري، إذ لا حضارة مع التقليد والتبعية.

هذا ما حققته حركة البعث العربي أو ما استهدفت تحقيقه بظهورها، مدفوعة ومحمولة على سواعد الشباب العربي المناضل، كان ظهور الحزب إذن، بحدّ ذاته تحديد موقف من الشيوعية، موقف رفض، دون أن يكون هذا الموقف رفضاً أعمى أو رفضاً كلياً أو رفضاً سلبياً، لأن الذين وضعوا الأسس الأولى لهذا الحزب كانوا ممن درسوا الفكر الماركسي وأُعجبوا ببعض نواحيه وبكثير من نواحيه، وكانوا في الوقت نفسه أبناء زمنهم وأبناء بلدهم وأمتهم فلم يتجمدوا عند الصيغة الأولى للماركسية بل اطلّعوا وشاهدوا أكثر الاعتراضات التي وجُهت الى الماركسية سواء من ضمنها أو من الآخرين وشاهدوا واطلّعوا على الردود والتكذيبات العملية التي أتت بها الأحداث كدليل على خطأ أو نقص في التفكير الماركسي.

وكل ذلك ما كان يبدو كافياً، لو لم يكن لهؤلاء الأشخاص صلة صادقة بأرضهم وبشعبهم ساعدتهم كثيراً على أن يتحرّروا من التفكير النظري ويستلهموا الواقع الحي، فاهتدوا ببساطة وبعمق الى تلك الصيغة، وهي صيغة تاريخية، كما أعتقد وأؤمن، الصيغة التي مثلّت عقيدة البعث العربي، أي ذلك الترابط بين الثورة القومية والثورة الاشتراكية. . ذلك الاكتشاف الجديد لحقيقة القومية. فالقومية التي كانت رائجة وسائدة في ذلك الجو، لم تكن إيجابية في شيء، ولا جذابة في شيء، وفي هذا يكمن الخطر. . لأن الشباب العربي كان مهدّداً أن يكفر بها، وأن ينصرف إلى الشيوعية تخلصاً من ذلك الجمود ومن تلك المفاهيم البالية.

وكان من أهم أسباب ودوافع رفضنا للشيوعية، بالاضافة الى تجاهلها للعامل القومي، كان رفضنا لها بدافع النفور العميق، النفور العضوي، لأساليبها التطبيقية.

**أيها الرفاق**

قلت قبلاً بأن كثيراً مما كنت أريد قوله، سمعته منكم في هذه الجلسة. سمعت رفيقاً يسأل أين كان الشيوعيون في البلاد العربية وحتى في البلاد المتخلّفة والمناضلة ضد الاستعمار والتخلّف في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية؟؟ أين كان الشيوعيون والماركسيون أنفسهم عندما دعت الحاجة التاريخية الى التحرر من هذه الأمراض وهذه العقبات، عقبات الاستعمار والرأسمالية. . الخ؟؟ لم يقُم الشيوعيون بدور تاريخي في هذه البلدان. وفي الوطن العربي بصورة خاصة برهن الشيوعيون وبرهن الماركسيون على فشل في فهم الواقع، وهذه ليست حقيقة بسيطة نمرّ بها. صحيح اننا لانستطيع أن نتجمدّ عندها ونكتفي باجترارها والاعتداد بها إلى الأبد. ولكن من الصحيح أيضاً أنه لايجوز أن نغفلها لأنها بداية تدل على شيء كثير، تدل على حقيقة ساطعة. ولا يُعقل أن تفشل الشيوعية والماركسية في فهم الواقع من سنة ١٩٤٠ إلى ١٩٦٠ أو ١٩٦٣، ثم فجأة تصبح قادرة على فهم هذا الواقع. . وعندها نوليها ثقتنا التامة. كما وأن تفكير البعث يكون صالحاً لفهم هذا الواقع مدة عشرين سنة، ثم تفسد هذه الحاسة وهذه القدرة وتبطل. هذا شيء فيه تناقض.

وكما قال عديد من الرفاق، كان حزبنا منذ اليوم الأول لتأسيسه ولبدء عمله

الكثيرون من أفراده ـ لا فرد ولا اثنان ولا ثلاثة وربما الكثيرون ـ الذين انضموا إليه، كانوا مطلّعين على الأفكار الماركسية وكانوا ينظرون إليها بحرية تامة وبدون أية عقدة وبدون أي تحرّج، ولكنهم كانوا يعرفون مواقفها أيضاً ويتجنبون ما فيها من خطأ.

من أهم مميزات هذا الحزب، أن فكره كان دوماً فكراً حراً، فكراً منفتحاً وواقعياً، ومن الظلم وعدم الفهم اتهام الحزب بالمثالية الفكرية وبالخيالية وبالغيبيات وغير ذلك. في اللجنة العقائدية شعرت بهذا التجني على فكر الحزب وعلى تاريخ الحزب، فاعترضت دون أن أغمط واضعي التقرير حقهم فيه وجهدهم المشكور. ولكني استوضحت منهم أين وجدوا الأفكار المثالية والغيبية والقدرية وغير ذلك؟؟.. أين وجدوا أن الحزب كان يتجنّب الصراع الطبقي؟ أين وجدوا أن أفكار الحزب فيها ما يوصل الى جعله وسيطاً بين الطبقات كما جاء في الصيغة الأولى للتقرير؟.. أين وجدوا في أفكار الحزب ما ينفي التطوّر العلمي لمفهوم الأمة وأشياء من هذا القبيل؟.. لقد أشرت إلى أن صيغة التقرير وضعت بتسرّع وبخفةّ، وربما بدوافع هذا الاستسهال، للطعن بماضي الحزب وبنضاله والذي، كما يبدو، قد أصبح مركباً سهلاً يتجرّأ عليه وينال منه أيٌ كان.

قلت للاخوان في اللجنة العقائدية، أن هذه الأفكار التي جاءت في التقرير، فيها الكثير من الصحة وفيها الكثير من النفع للحزب، وفيها أيضاً تجاهل لتراث الحزب وبتر لبعض جوانبه الايجابية، وفيها بعض الغربة عن جو الحزب وجو نشأته الأولى. أن يكون واضع أو واضعو التقرير العقائدي بعيدين نسبياً عن الحزب، هذا نقص، إلا أنهم في الوقت نفسه يمكن أن يبدوا ملاحظات قيّمة قد لايراها الذين يعيشون باستمرار في جو الحزب ويصعب عليهم أن يروا فيه أي نقص وأي خلل. فالنظرة من بعيد لها حسنات وهذا ما قدّرته في التقرير. ولكن النقص أيضاً يجب أن نشير إليه. لا أعلم إذا كان الحزب عاجزاً عن أن يضع هذه الدراسة من خلال تجربته الكاملة، وأن يضعها وأن يشترك فيها الذين عاشوا هذه التجربة..؟

وعلى أية حال، إنه لخطأ القفز الفجائي إلى أفكار ومبادىء وقيم دون التمهيد لها، ودون التوقف والتوسع بالمنطلق الأول للحزب، وفي المميزات التي تميزّ بها

حزبنا والتي كانت عاملاً أساسياً من عوامل بقائه واستمراره طوال هذه السنين، ونجاحه في جميع المعارك النضالية التي خاضها، لأنني لا أعرف أن حزبنا قد فشل في معركة من المعارك. وإذا ما ذُكرت وحدة ١٩٥٨ وذُكر حل الحزب كشيء سلبي في تاريخ حزبنا وخطا كبير، فأنا قد أوافق على أنه خطأ، ولكني في الوقت نفسه أقول بأن هذا الخطأ كان أعظم وأمجد من كل الأعمال الصائبة التي قام بها الحزب، وانه لم يكن خطأ بسيطاً ولم يكن مجرّد خطأ. إذ أن حزب البعث العربي الاشتراكي هو حزب للوطن العربي كله، وكان منتشراً في أقطار عديدة. . . والموافقة على حلّه اضطراراً في سورية أو في الجمهورية العربية المتحدة آنذاك، لم يكن يعني بشكل من الأشكال أن حزب البعث قد حُلّ وانتهى وجوده، بل كان ذلك اعتماداً على وجوده في الأقطار الأخرى. وانه بالتالي لايمكن أن يُحَلّ حزب البعث طالما انه موجود في العراق وفي الأردن وفي لبنان وفي شتى أقطار الوطن العربي، وهذا كفيل بارجاعه الى الجمهورية العربية المتحدة نفسها. لقد كان حلّ الحزب في ج.ع.م. مجرّد تسهيل لتحقيق عمل تاريخي، هو إقامة الوحدة بين قطري مصر وسورية آنذاك، وإذا كان الحزب جديراً بالحياة، وجديراً بفكرته ورسالته فلن يعجز عن إعادة تنظيمه.

إن بقاء حزبنا حتى هذا اليوم واجتماعنا في هذا المؤتمر ونجاح الثورة في العراق وفي سورية لدليل على أن ذلك الخطأ في عام ١٩٥٨ كان يتضمن أيضاً، إلى جانب الخطأ، رؤية واسعة ثاقبة عميقة، رؤية تاريخية. وان المستوى الذي ساهم حزبنا، عندما حقّق وحدة ١٩٥٨، في نقل النضال العربي إليه، قد عاد بالنفع على الحزب نفسه. وقد برهنت الأحداث على صحة ذلك. فالحزب الذي يقدّر الضرورة التاريخية لتحقيق بداية للوحدة العربية، لايمكن أن يستكين للانفصال. . لقد وقف المواقف المشرّفة وناضل النضال الأصيل، حتى قضى على الانفصال وحتى حقق الثورات واستلم الآن مسؤوليات تاريخية تجاه الشعب العربي كله.

**أيها الرفاق**

عندما نذكّر بماضي الحزب وبنشأة الحزب لانعني أن حزبنا في فكره وفي تنظيمه وحتى في نضاله، نضاله الصادق العنيد الدؤوب، لانعني أنه بلغ الكمال، بل

بالعكس، أنا أكثر الناس شعوراً بالفارق الكبير بين ما تمنيناه وبين ما تحقق. كنا وما نزال نتمنى مصيراً أعلى وأعظم لحزبنا. ومن ناحية الفكر أقول: بأن الفكر البعثي أصيل، ولكنه بحاجة الى توسيع وإلى تفصيل وإلى صياغة علمية تنقله من هذا الشكل العفوي الذي ظهر فيه ـ وأسباب ظهوره بهذا الشكل معروفة ـ فنشأة الحزب الطبيعية الصادقة جعلته مختلفاً عن الأحزاب التي تنشأ بعد مؤتمرات ونتيجة مقرّرات وتبادل آراء. أو تنشأ بعد كتابات تُكتَب في الغرف ووراء المكاتب. إن كل شيء كُتب أو قيل في هذا الحزب كُتب وقيل أثناء النضال، ولم نعرف في حزبنا كاتباً لم يكن مساهماً في النضال، لم نعرف مفكرّاً إلّا كان في الوقت نفسه واحداً من المناضلين الذين دفعوا من راحتهم وراحة ذويهم ثمن كل كلمة قالوها أو كتبوها.

يجب أن نتذكرّ دوماً ما هي الميزات الروحية والخلقية التي ساهمت في دعم نضال الحزب وصموده واستمراره. منذ بداية عملنا قبل عشرين سنة، ومن الأحاديث التي قيلت في بداية تأسيس الحزب والتي كانت في منتهى البساطة، لا صناعة فيها ولا براعة، حديث عن التفكير المجرّد. لعلكّم تذكرونه. كان هذا مستمدّاً من واقعنا ولم يكن ترفاً فكرياً وإنما كان يعبرّ عن واقع، ويعبّر عن حاجة، ويعبّر عن خطر، وعن مرض كان متفشياً. تعرّضنا فيه للثقافة المجرّدة، وقصدنا الثقافة الماركسية، بصورة خاصة، والثقافة الغربية بصورة عامة. منذ ذلك الحين كنا نصطدم بنوع من الثقافة غير المتفاعلة مع واقع بلادنا وشعبنا. تبدو أنها مضبوطة، صحيحة، موضوعية، علمية، دقيقة. الخ. ولكنها في المحك وفي التجربة تبدو أنها مغلوطة وفيها نقص خطير. في ذلك الحديث تحذير من الثقافة المجرّدة، والمثقفين المجرّدين الذين كانوا يجهلون كل شيء عن بلادهم وعن شعبهم وعن تاريخهم وتاريخ أمتهم، عن تقاليد شعبهم، عن جو الشعب. ثم يؤسرون أسراً لنظريات غريبة يمكن أن يكون فيها فائدة عظمى لقضيتنا وقضية شعبنا إذا تناولها أناس مرتبطون بهذه الأرض وبمصلحة هذا الشعب. وتصبح هذه النظريات خطراً كبيراً إذا تسلّمها أشخاص فاقدون لهذه الصلة الحية بالأرض والشعب.

وهذا أيضاً جدير بأن نتذكّره اليوم خاصة واننا نشعر فعلاً بحاجتنا إلى مزيد من

الاستفادة، من الماركسية وغير الماركسية. والى جانب ذلك يجب أن نتذكّر الشروط الأساسية التي تقينا الوقوع في خطر التفكير المجرّد، وخاصة أن بيدنا مسؤوليات ضخمة، فالخطأ البسيط في مثل هذه الظروف قد تكون له نتائج سلبية مؤذية.

ليس من الأمور الكمالية، ليس من الأمور الثانوية أن نطلب من الذين يتسلّمون مقدرّات شعب وبلد أن يكونوا متصلين ومنغمسين بروح شعبهم وبتاريخه ولغته وآدابه، لأن في هذا ثروة نفسية روحية أخلاقية تعصم من كثير من المزالق وتدفع الى كثير من المواقف المشرّفة والبطولية والأعمال المجيدة. أما التفكير الذي لادم فيه ولا لحم ولا روح فهو تفكير خطر، تفكير لا إنساني. وميزة هذا الحزب أنه لم يأخذ القشرة السطحية من قضية الشعب، من قضية الأمة العربية، لم يأخذ فقط الناحية السياسية والناحية السياسية والناحية الاقتصادية والوحدة العربية وغير ذلك، وإنما تناول الانسان العربي، لأن الانسان العربي هو الأساس وهو البنّاء والمحقق لكل هذه الأهداف... الانسان العربي له روح وعاطفة وأخلاق وذاكرة وأواصر، وبالتالي كان الحزب على تواضع إنتاجه الفكري - وهذا مؤسف - لايقتصر على تناول النواحي السياسية والاجتماعية، وإنما كان يتعرضّ، ولو بغير إسهاب، لمشاكل الفرد العربي، الانسان العربي: تعرّض للدين وتعرّض للأخلاق وتعرّض للثقافة وللفن، وهذا مطلوب الآن أكثر من أي وقت مضى.

وهنا أريد أن أصححّ قولاً سمعته ولم أقتنع به، قول أحد الرفاق، بأن الغموض الفكري في حزبنا كان سبباً للانشقاقات التي حصلت فيه! فما قول الرفيق في الانشقاقات التي لا نهاية لها التي حصلت وتحصل في الأحزاب الشيوعية والماركسية؟ فهل هذا نتيجة غموض فكري في الماركسية، أم أن هناك أسباباً وعوامل اخرى؟؟

**أيها الرفاق**

في اللجنة العقائدية حاول أحد الرفاق أن ينسب لي شيئاً من الادعاء عندما ذكر عن لساني اني قلت: أنا الذي وضعت أفكار الحزب أو عقيدة الحزب. والذي حصل، أيها الرفاق، أننا في اللجنة العقائدية، بعد أن قرأنا التقرير ورأينا بعض

الأفكار التي أشرت إليها الآن، أي اننا رأينا تزويراً وتحريفاً وابتعاداً عن الانصاف، قلت: أين توجد هذه الأفكار في الحزب؟ . . أين هي الكتابات التي تستوجب مثل هذه الأحكام؟ لنأت بشواهد. . لنأت بأدلّة. أنا أعرف ما كتبت وأعرف أيضاً بأن الرفاق الحزبيين في استناداتهم العقائدية إنما يستندون إلى كتاباتي، من كتابات الأربعينات وما قبلها، الى الكتابات الأخيرة، وذكرت لكم أمثلة وشواهد: عناوين مقالات وبالتحديد عبارات في هذه المقالات ليس فيها ما يدلّ على تفكير مثالي وابتعاد عن النظرة العلمية وإنكار للتطور. بل على العكس، من المقالات الأولى هذه في سنة ١٩٤١ مقال معروف: «القومية العربية ليست لفظاً مجرداً بل هي حقيقة حية» وفيه تحطيم لكل تفكير مثالي أو إنكار وتنصلّ من كل تفكير مثالي. فبهذا المعرض ذكرت القول، وعندها سمعت أحد الرفاق يقول بأن المقصود هو الدستور، الذي عبرّ عن فكر الحزب والذي وردت فيه بعض الأحكام الغيبية. وعندها أجبت أن الدستور هو العمل الوحيد الجماعي في الحزب، من الناحية الفكرية طبعاً، وان عدة أطراف ونزعات قد أثّرت وسجلت أفكارها في هذا الدستور.

وختاماً، أيها الأخوة، أقول بأن الخط العقائدي أمر خطير لايجوز الاستخفاف به. هناك حاجة ماسّة في الحزب إلى بعض المنطلقات الفكرية وبعض التسهيلات التي تساعد الحزب على العمل، ولايجوز أن نتجاهل هذه الحاجة، ولا يجوز أن نتأخر في تلبيتها، ولكن لايجوز أن نتسرّع في بعض الأفكار الأساسية التي قد تهددّ قوميتنا بوجودها أو تهددّ أخلاقية الحزب.

**١٢ تشرين الأول ١٩٦٣**

# لقد نفذ حزبنا الى ضمير الشعب

**أيها الرفاق[1]**

إنني أشعر بواجب ملحّ نحو الحزب. ان الذي يدعوني إلى الكلام في هذا الموضوع قد يختلف بعض الشيء عن الاعتبارات والنظرات التي يراعيها بقية الرفاق. ذلك اني رافقت هذا الحزب منذ بدايته، رافقته عمراً، وكانت لي مساهمة في وضع أفكاره ـ وهذا لا أقوله على سبيل الفخر ولكن من قبيل تقرير واقع. وقد يعتبر بعضكم أن هذه الأفكار لم تعد تلائم المرحلة الجديدة، ولكلّ رأيه. على أية حال هنالك واقع حي وهو أنني رافقت هذا الحزب منذ بدايته وكانت لي من الناحية الفكرية بصورة خاصة مساهمة أساسية. فمن الطبيعي إذن، ومن المشروع، عندما أرى أن الحزب قد انتقل من مرحلة إلى مرحلة جديدة في بعض الأقطار، وهي مرحلة الحكم، ومرحلة البناء الاجتماعي، والبناء القومي وانه تبعاً لذلك يريد أن يتجدد وأن يلبي حاجة التطوير والتجديد في أفكاره وفي أنظمته، وانه عندما تلتقي إرادة تلبية هذه الحاجة مع وصول الحزب الى الحكم في هذين القطرين، أعتقد انه من المشروع لواحد مثلي، في الظروف التي ذكرتها، أن يتنبّه ويَحذَرْ، وأن يشعر بالواجب الملحّ لتحذير رفاقه واخوانه، فأنتم ستتابعون نضال هذا الحزب، وقد لا ترونني بعد اليوم بينكم. هذه إذن مناسبة لكي توجهوا أنتم إليّ الأسئلة وتستوضحوا عن الأشياء التي تخفى عليكم وتترك التباساً في أذهانكم، لا أن يضيق بعضكم ذرعاً بكلامي.

---

(١) كلمة في الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر القومي السادس (تشرين الاول عام ١٩٦٣) ـ مناقشة عامة للتقرير العقائدي. وجدير بالذكر ان المؤتمر قرر ترك الصياغة الجديدة لمقدمة التقرير العقائدي للرفيق الامين العام الاستاذ ميشيل عفلق.

أيها الأخوة

أكرّر وأقول انني عندما تكلّمت في هذه الجلسة لأول مرة، تكلّمت وأنا أقصد مقدمة هذا التقرير. لم أقصد الباب الذي يتحدث عن الاشتراكية والذي أقول بصراحة انني لم أطلع عليه الاطلاع الكافي. حضرت في اللجنة العقائدية قسماً من المناقشة في هذا الباب ولم أعترض على شيء أو ربما كانت لي اعتراضات بسيطة، لا أذكر. واليوم أقول لكم، أنه ليس لي اعتراض على هذا الباب، باب الاشتراكية. قد يكون في كليته وفي تفاصيله مطابقاً لأفكاري. ولكني أعترض اعتراضاً جدياً على المنطلق الذي انطلق منه هذا التقرير، والذي سُجّل في المقدمة. فأنا اعترضت اعتراضاً عاماً في اللجنة العقائدية على المقدمة، وعلى روح التقرير بصورة عامة وجئت الى المؤتمر وأعدت اعتراضي بنفس الشكل.

واني بصورة عامة، مع تقديري للجهد المبذول في التقرير ولكثير من الأفكار الواردة فيه إلّا أن المنطلق الذي انبثق منه اعتبره مختلفاً عن المنطلق البعثي. لذلك عدت مرة أخرى الى إثارة هذا الموضوع خوفاً من أن يمر دون الاهتمام اللازم. لأني لاحظت في الجلسات السابقة أن التعب حيناً واعتبارات أخرى أحياناً، تدفع المؤتمر الى التسرّع بإقرار أشياء دون التدقيق المطلوب.

ولقد صارحتكم، وقلت لكم، أن المسألة هي مسألة قومية شعب، مسألة تاريخ أمة، حضارة أمة، حياة شعب عظيم مجيد مناضل. يجب أن توسعوا أفقكم وأن تنظروا الى شعبنا والى الأقطار والأجزاء التي ما زال الاستعمار مسيطراً عليها وما زالت الرجعية فيها تضطهد الشعب وتعذّبه، وما زال النضال فيها عسيراً جداً. ماذا يربط هذا الشعب المتناثر في أراضي واسعة وأجزاء عديدة. . ماذا يدفعه ويحفزه ويجدّد إيمانه بالنضال غير هذه القومية؟؟ لقد عاش حزبنا تجربة عشرين سنة وهو يحرّك الجماهير العربية بأسم القومية، وبأسم العامل القومي بالدرجة الأولى، وبالاشتراكية - أسمح لنفسي أن أقول - بالدرجة الثانية. ونأتي في هذا المؤتمر لنُقرّ مبادىء وأفكاراً تنفي عن القومية صفة العلمية! فماذا بقي من القومية إذن؟ هل هي عاطفة فقط؟ أو هي خرافة؟ أم انها رواسب ستزول؟ إذا كانت الاشتراكية فقط هي العلمية!.

هل يكفي، أيها الأخوة، أن نقفز مثل هذه القفزات متوهمين أن التضحية بشخصية الأمة، بقوميتها، أو مجرّد تعريض هذه الشخصية، هذه القومية للاهتزاز، وللشك؟ هل تكفي ضرورات الحكم، الضرورات التي يواجهها المسؤولون الآن في القطرين اللذين يحكم فيهما الحزب لكي نُقدْم بخفة واستخفاف على القفز من فوق هذه المبادىء الأساسية التي هي بالنسبة الى شعبنا بمثابة الروح للجسد؟ أو هل هذا هو شرط حقيقي لكي ينطلق الحزب ويبني الثورة الاشتراكية؟ هل الحزب لايستطيع أن يبني الاشتراكية إلّا إذا ضحىّ بالقومية؟ لا. هذا وهم، هذا تقليد سطحي، هذا عجز مع الأسف، عجز عن بذل أي جهد ثقافي وفكري، وتهويل وانقياد لآراء الآخرين، وتأثّر باتهام الشيوعيين لنا بأننا متخلّفون وأن أفكارنا غير علمية، أو التأثر بدعاية أجهزة عبدالناصر. أنه بسهولة وبدون تقدير دقيق لخطورة هذه الأمور نظن أننا لا نستطيع أن نكون اشتراكيين إلّا إذا جرّحنا قوميتنا، لا نستطيع أن نلبي حاجات الجماهير إلّا إذا غيرّنا منطلقاتنا. لماذا؟ ألم ينجح هذا الحزب في كسب ثقة الجماهير طوال هذه السنين؟ ألم ينفذ الى قلب الشعب الى ضمير الشعب، وأفكاره هي هي؟؟

أقول بصراحة، أيها الأخوة، اننا حتى في نضالنا السابق لم نصل الى أعماق الشعب العربي كما كان يجب أن نفعل ذلك. بقينا مقصرين عن ولوج أعمق أعماق شعبنا. كان واجبنا أن نقرن ثوريتنا الأصيلة العميقة الحاسمة، التي لاتدانيها ثورية، والتي تظهر ثورية الشيوعيين أمامها مصطنعة، كان يجب أن نقرن ثوريتنا بمعاناة حيّة لجميع أشكال وأنواع الحياة التي يعيشها شعبنا العربي. لقد حاولنا نصف المحاولة، وقصّرنا عن النصف الآخر.

لا أعتقد أني أبالغ إذا قلت أن في ضمير كل واحد منا ومن أعضاء حزبنا غصة كبيرة، لأننا لم نندمج اندماجاً تاماً بالشعب خلال نضالنا. بقي الشعب ينظر إلينا، مع ثقته بنا، بأننا طبقة أرقى منه أو مختلفة عنه. هذا الشعب ذو التاريخ العريق، والذي يريد أن يبني له مستقبلاً أعرق وأمجد، له ككل شعب. تقاليده ومعتقداته، له حياته الروحية ولغته وآدابه. وقد قلت في كلمتي الأولى في هذا المؤتمر بأننا لم نحسن الاندماج

في كل ذلك وقصرّنا عن الدخول في الجو الشعبي الأصيل!!

**أيها الأخوة**

روى لي مناضل ونقابي عاد مؤخراً من الصين الشعبية حديثاً عن تجربة الصين قال: تستغربون أن ماوتسي تونغ وزعماء الصين يحافظون على الطب الشعبي الى جانب الطب العلمي. والطب الشعبي أكثره مداواة بعيدة عن العلم، فلقد بلغ بهم حبهم للشعب وتغلغلهم في نفسيته وأعماقه وروحه هذا الحد، حتى لايصدموه، ولا يجرحوه في أعمال ومواقف تبدو وكأنها جرح لكبريائه. لا بل أرى في هذه المحافظة على الطب الشعبي عندهم، أكثر من الحب للشعب، أرى فيها تقديراً للشعب ولقدرته الابداعية، وقد يكون في هذا الطب الشعبي من القواعد العلمية ومن الأشياء التي إذا دُرست، لتكشفت لنا جوانب من العلم.

أنا أفهم النضال الثوري بهذه الروح. ليس بالروح السطحية، ولا بالاطلاع على السياسة، وعلى بضعة ألفاظ وبضعة أساليب، وليس بالتناحر وبأسلوب السب والشتم للأعداء وللخصوم، ثم لايلبث الأمر حتى ينتقل هذا الداء إلينا ويتفشى في أوساطنا، ويبدأ سوء الظن والشك الى غير ذلك من الأمور.

ثورة البعث أرادت منذ البدء أن تأتي بعنصر روحي. الى أي حدّ توفقت؟ هذا شيء آخر. وأقول أن هناك تقصيراً، وكلنا مسؤولون، ولكن هل هذا يكفي لكي نيأس من ذلك الطموح الذي غذّى نضالنا منذ البدء؟ هل يجوز لنا أن نتخلى عن ذلك المطمح الأول؟

**أيها الأخوة**

إذا أردنا إذن أن ننظر للمسألة بجوّها الصادق الصحيح، الحزبي، اللائق بحزبنا، فلننظر إليها بعيداً عن الاعتبارات الأخرى، عن الانفعالات أو الانقسامات أو أي شيء آخر، لأنها مسألة حيوية.. مسألة شخصية هذه الأمة، مسألة روح النضال لأجزاء من شعبنا هي اليوم جديرة باهتمامنا أكثر من الماضي. إذا كان حزبنا قد وصل إلى الحكم وأصبحت لديه وسائل، فهذا يلقي على عاتقه مسؤوليات كبيرة هي أن يضاعف اهتمامه بالأجزاء غير المتحررة، بالأجزاء التي لا زالت تناضل وتقاسي وتقاتل

الاستعمار.

وباعتقادي أننا نستطيع أن نتفق على أفكار وتعديلات ضرورية ومفيدة، نُدخلها على عقيدة الحزب وأفكاره، وتكون مساعدة لنا في عملنا المقبل دون أن نتعرّض، أو نمسّ، هذه القضية الأساسية. ولست مبالغاً إذا قلت أن بعض هذه المنطلقات يهدد قومية الحزب، وقد ظهر ذلك في المقدمة، وظهر أيضاً في كلمات بعض الاخوان.

لقد أشرت قبلاً الى الكلام الذي ينفي العلمية عن القومية، وهناك قول آخر ورد في المقدمة ومفاده أن تعديل الشروط الاقتصادية هو نقطة انطلاق لتغيير الجوانب الأخرى من الحياة الانسانية. وأنا لا أقول أن نضال عشرين سنة يدحض هذه الفكرة، وإنما أقول أنه يجعلها ناقصة. لو كان العامل الاقتصادي هو المحرّك الأساسي الوحيد، لما كان هناك حزب البعث، لأن حزب البعث منذ اليوم الأول لتأسيسه، وكتاباته تشهد كما يشهد نضاله، نظر الى العوامل الأخرى لتطور المجتمعات، مع أنه يعتقد أن العامل الاقتصادي هام جداً وأساسي، ولكنه ليس العامل الوحيد. وقد ذكر أحد الرفاق في تحليله لثورة الجزائر أنها هي أيضاً ثورة اقتصادية. وفسّرها هذا التفسير المادي، واعترض بعضكم على هذا القول، فإذا نحن استعجلنا، ولم نتأنّ، فقد تتغلّب بالتالي أفكار تؤدي الى نفي القومية بعد أشهر أو بعد سنة!!

أقول أخيراً للاخوان الذين انتقدوني، اني أشكرهم على نقدهم وأتقبّله منهم، أعذرهم إذا بالغوا أو أخطأوا التعبير. فأنا في اللجنة العقائدية لهذا المؤتمر، وبالضبط في التعديلات الأخيرة للتقرير لم أشترك فيها، ولم أرَ الصيغة النهائية. وفضلّت أن أوضح أفكاري وملاحظاتي في المؤتمر، لأنها تستوجب أن يهتم بها، وينتبه إليها ويشترك في مناقشتها الجميع، وليس لجنة مؤلفة من خمسة أو ستة أعضاء فقط.. هذا إلى جانب أن الأفكار لا تحضرني دفعة واحدة، بل أنتبه الى بعض الأشياء وأقولها، ثم أنتبه الى غيرها في حين آخر فأقوله. وما آمله من هذا المؤتمر أن يعتبرني كما قلت وطلبت شاهداً على نموّ هذا الحزب، وسوف لا أكون مرتاحاً إذا أبقيت شيئاً لم أقله، وربما أنتم أيضاً

ستأسفون في المستقبل، إذا لم تسمعوا مني نتيجة تجربتي في هذا الحزب.

**١٦ تشرين الأول ١٩٦٣**

# الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية

أيها الرفاق[1]

عندما اعترضت على القول بأن التعديل[2] كان يقصد منه تعديل النظام الداخلي والدستور أيضاً، فإني في الحقيقة اعترضت على أسلوب المناقشة في هذا المؤتمر، الذي هو أسلوب غير رصين في إعطاء المعلومات الحزبية، ولم أقصد مطلقاً الشق الثاني من الموضوع وهو حاجة الحزب الى تطوير وتجديد أفكاره النظرية، فهذا موضوع آخر. لقد قلت عندما علقّت على التقرير العقائدي بأن هذه حاجة صادقة وعميقة ولا يجوز أن نتجاهلها.

إلا أنه في الوقت نفسه، من واجب المؤتمر القومي وواجب كل حزبي أن يقدّر خطورة أي تعديل يطرأ على عقيدة الحزب. التطوير والتعديل والتجديد، أشياء مشروعة ومطلوبة. ونظراً لخطورتها ولأنها تتناول أهمّ شيء في الحزب، وهو عقيدته فقد نص دستور الحزب على قيود استثنائية صارمة لكيفية تعديله. فالتطرق لهذا الموضوع إذن ليس إلاّ للفت انتباه المؤتمر إلى خطورة القضية وإلى أنه، مع شعورنا التام بضرورة تجديد العقيدة، يجب أن نتأنى في هذه القضية وأن ندقق وألاّ نسمح بأن تمرّ أفكار غريبة عن الحزب، بحجة التجديد.

لقد قال أحد الرفاق بعد أن رجع الى الدستور: أن المبادىء الأساسية والعامة لا تُعدّل. ومن هذه المبادىء العامة: ان حزب البعث العربي الاشتراكي (وكان أسمه

(١) كلمة في الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر القومي السادس (مناقشة باب الاشتراكية من التقرير العقائدي.)
(٢) الاشارة هنا تتعلق بقرار المؤتمر القومي الخامس حول الاكثرية المطلوبة للتعديل.

البعث العربي) حزب أشتراكي وأن الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية[1]. هذا الشيء الذي وجده الرفيق في الدستور ويريد أن يتذرع به للمضي في الموافقة على الأفكار الجديدة، هو نفسه يدعونا الى مزيد من التأني والتروّي. فالدستور يقول بأن الاشتراكية هي من صميم القومية العربية، والتقرير العقائدي لا يقول ذلك. مقدمة هذا التقرير لاتقول بأن الاشتراكية هي من صميم القومية العربية، بل يكاد الأمر أن يكون معكوساً. وفي هذه المقدمة قول آخر هو أن حركتنا علمية لأنها اشتراكية، أي أنه نفى صفة العلمية عن القومية، وهذا شيء خطير. فالاشتراكية ـ حسبما ورد في المقدمة ـ هي وحدها العلمية، ونحن نعلم أن حزبنا هو حزب قومي اشتراكي. لو أن الرفيق طرح لنا المادة التي تسبق هذه المادة، وهي عن القومية العربية[2]، لرأينا الفرق أيضاً بين بعض الأفكار المطروحة الآن وأفكار الحزب التي سجلها وثبّتها في الدستور. فالمادة عن القومية العربية تقول بأن القومية العربية حقيقة حية خالدة. وطبيعي أن ثمة فرقاً أساسياً بين أعتبار القومية مرحلة، وبين أعتبارها حقيقة خالدة.

وأعتقد أننا نستطيع جميعاً أن نواجه الضرورة المشروعة، الملحّة، لتطوير عقيدتنا، دون أن نمس الأسس، التي إذا مسسناها وأضعفناها لانضمن بقاء هذا الحزب بعد مدة قصيرة من الزمان.

وأخيراً أريد أن أنبهّ الرفيق إلى هذا الأسلوب في تفسير النوايا، وفي التعريض واتهام الآخرين بعرقلة تطوير عقيدة الحزب. فهذا باب لايجوز أن يُفتح في المؤتمر. ومن واجب رئاسة المؤتمر أن تمنع كل عضو من الكلام عندما تخرج منه مثل هذه الألفاظ، لأنه لو فُتح مثل هذا الباب لكان من السهل جداً أن نكشف النوايا الانتهازية والوصولية والنزّاعة الى السلطة، والمتسترة بأمر العقيدة وتجديد العقيدة.

**١٦ تشرين الأول ١٩٦٣**

---

(١) المادة الرابعة من المبادىء العامة.

(٢) المادة الثالثة من المبادىء العامة.

# الاشتراكية والحرية

إن التساؤل[1] الذي وجه في هذه الجلسة من المؤتمر حول: أي من الشيئين هو تابع للآخر.. القومية أم الاشتراكية؟.. وأيهما يأتي قبل الآخر؟ يشبه مناقشة اللاهوتيين...

يكفي أننا اكتشفنا حقيقة أساسية وأعلنّاها، والتجربة برهنت على أن القومية حقيقة حية، وانها عندما تُدغم بالاشتراكية تعطي نتائج ثورية هائلة، لم تعطها الاشتراكية عندما كانت منفصلة عن القومية.

وفيما يتعلّق بالتسمية: اشتراكية عربية. لم تكن هناك نظرية خاصة عن الاشتراكية.. هي النظرية العربية، وإنما أردنا من هذه التسمية التأكيد على حقيقة القومية. وهذا شيء أساسي وخطير، وشيء سبقنا فيه الجميع. يجب أن يعرف الحزب هذه الميزة فيه... ولقد كان المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي في سنة ١٩٥٦، أول من اعترف بهذا الخلاف فيه، ويوغوسلافيا عملياً كانت أول من واجهت هذه العقبة في سنة ١٩٤٨ منذ نشوب خلاف بينها وبين الاتحاد السوفياتي في عهد ستالين. ولكن الحزب، حزب البعث أعلن هذه الحقيقة منذ سنة ١٩٤١، لم يأت بها من كتب الفلسفة ولا من الفلسفات النظرية ولكنه استمدّها من الواقع الحي، لأن الحزب الشيوعي كان يحاول أن يجعل من القضية العربية تابعاً لمصلحته، أن يجعل تحرّر مائة مليون عربي من الاستعمار، وتحرّرهم من التخلّف ومن الرجعية أمراً تابعاً لقضية الشيوعية العالمية. ولقد استطعنا أن نحل مشكلة حية، ومشكلة خطيرة في حياة

---

(١) كلمة ثانية في الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر القومي السادس عند بحث باب الاشتراكية في التقرير العقائدي.

أمتنا العربية، وهي اننا استطعنا أن نكون اشتراكيين، واشتراكيين ثوريين وصادقين وأن لانكون تابعين للحزب الشيوعي. إلّا أنه بقي فراغ لم يُملأ - تُرك فراغ لكي تعطي التجربة العربية مفهوماً جديداً ومعمّقاً للاشتراكية. والملاحظة التي أشار إليها الرفيق شبلي ملاحظة جوهرية، وقد أشير إليها في بعض كتابات الحزب، وهي علاقة الحرية بالاشتراكية. كانت تجارب الدول الاشتراكية وخاصة في الاتحاد السوفياتي أمامنا منذ تأسيس الحزب ثم أعقبتها تجارب الاشتراكية في دول أوربا الشرقية، وكانت هناك مأساة إنسانية كبيرة في هذه التجربة، ولقد كان شعورنا بأن من واجبنا كجزء من الانسانية، أن نبحث ونفتش ونجرّب لنوفّق بين الاشتراكية والحرية، حتى لا تكون الاشتراكية على حساب الحرية، وحتى لاتكون سعادة المجموع على حساب حرية وكرامة الفرد، ففي ذلك تناقض غير مقبول. فلا يعقل أن تصل الانسانية الى السعادة، السعادة الانسانية، إذا كانت حرية الانسان وكرامة الانسان ممتهنة.

بقي إذن فراغ، كما قلت، فراغ ليملأه التجربة، وتملؤه العبقرية العربية النضالية باعطاء التفصيلات والشروح التي تربط الحرية بالاشتراكية. وان مجرّد ترك هذا الفراغ، مجرّد الاشارة الى ضرورة الموضوع من الناحية الانسانية يميّز الحزب، حتى لو لم يصل الحزب في كتاباته الى أفكار جديدة في هذا الموضوع. ولكن الالحاح على هذه الناحية يميزه فعلاً.

حتى أني في مباحثات القاهرة مع عبدالناصر قلت: اننا نحن نقيم للحرية وزناً أكبر وأهم النظام الناصري. ويظهر من بعض المقاطع في «الميثاق الوطني» وفي كتابات بعض الناصريين أن الحرية أو الديمقراطية تأتي نتيجة لتطبيق الاشتراكية، في حين أن الحزب يضع الحرية مع الاشتراكية، وكشيء مستقل. وهذا يفرّق في الواقع نظرتنا عن النظرة الماركسية والشيوعية. وهذا لاينفي التفاعل بين الحرية والاشتراكية. بالعكس، أكدّ الحزب دوماً على هذا التفاعل.. أي أنه عندما نمضي في التطبيق الاشتراكي تتطور الحرية. فالحرية الملازمة للاشتراكية، شيء معترف به، ولكن تبقى الحرية شيئاً مستقلاً، شيئاً قائماً بذاته.

وفي سؤال لأحد الرفاق: هل نقدر أن ننسب الاشتراكية الى القومية؟ هل نقول

الاشتراكية العربية أم الطريق العربي للاشتراكية؟

جواب: أنا أفهم من الاشتراكية العربية الطريق العربي الى الاشتراكية.

**١٦ تشرين الأول ١٩٦٣**

# القطرية وشهوة السلطة خطران على الحزب

كنت دوماً أقول أن الذي يهدد الحزب خطران أو نزعتان،[1] وهما: القطرية، وشهوة السلطة أو الوصول إلى الحكم. ولقد ظهر هذان الخطران أو المرضان منذ سنين. وأستطيع أن أقول أن النزعة القطرية في الحزب أي تمرد القيادة القطرية على الاشراف القومي، أي إشراف القيادة القومية، هذه النزعة تتصل بالمرض الثاني أي النزوع إلى السلطة. فعندما تبدأ القيادة في قطر ما تضيق ذرعاً بإشراف القيادة القومية، لا بل تضيق ذرعاً بالمنطق القومي للحزب، فهذا يدلّ بشكل صريح أو ضمني على أن في القيادة القطرية وفي العمل القطري استعجالاً في الوصول الى الحكم قبل الأوان، لأن إشراف القيادة القومية وتطبيق المنطق القومي يحتم اجتياز مراحل معيّنة من النمو في القطر ومن الالتزام بخط الحزب القومي حتى يصبح الوصول الى الحكم بشكل صحي، بشكل طبيعي.

وأذكر بأن نشرة قومية كتبتها في أوائل عام ١٩٥٣ عن الوحدة العربية وقدمت لها بمقدمة تصوّر هذه الأعراض في الحزب، وكنا نقصد بالواقع الريماوي في الأردن، ومحاولاته الاستئثار بالعمل القطري بغية الاستعجال للوصول إلى الحكم. وكانت تلك النشرة أول نشرة للقيادة القومية إذ قبل ذلك كانت قيادة قطر سورية هي القيادة القطرية والقومية في آن واحد..

إلاّ أن الذي كان يتجلى دوماً، أو أحياناً، أن الأعضاء الذين كانوا يشتركون في

---

(١) كلمة في الجلسة الحادية عشرة من جلسات المؤتمر القومي السادس (مناقشة تقرير اللجنة التنظيمية).

الحكم كانوا يريدون أن يعوّضوا عن ضعفهم في أمور أخرى. وهذه ظاهرة مرضية وتفكير متناقض، لأن الحزب الضعيف لايمكن أن يوصل إلاّ إلى حكم ضعيف. من هذه التجربة أستطيع أن أستنتج أن من الواجب الآن أكثر من أي وقت مضى، أن نلحّ على السلطة القومية، على سلطة القيادة القومية، وأن نتخذ جميع الاحتياطات التي تقي الحزب هذين الخطرين: القطرية، وطغيان الحكم على الحزب أو إلحاق الحكم للحزب.

وأستطيع القول أيضاً أنه حتى الذين يرفعون شعار محاربة إلحاق الحكم للحزب معرّضون مثل غيرهم أن يفعلوا الشيء نفسه، وفي أقرب وقت ممكن، إذا استلموا زمام الحكم. . فالمطلوب أن يكون على رأس الحزب قيادة قومية قوية، تدرأ هذين الخطرين عن الحزب، فلكونها قومية، تدرأ القطرية أولاً، ولأنها بعيدة عن الحكم، تدرأ إلحاق الحكم للحزب ثانياً. ولكي تكون القيادة القومية قوية يجب أن لاتضم إلاّ الأعضاء الأقوياء حزبياً، أي الذين لا يتأثرون بالقطرية وبالحكم حتى لو لم يكونوا مشتركين هم شخصياً فيه. إذ يستطيع الحكم أن يكوّن لنفسه أعضاء تابعين له في القيادات القطرية.

فالكفاءآت التي لا تقترن بالشروط الحزبية الأساسية ـ والكفاءآت شيء ثمين في الحزب ـ موقعها في المكاتب الحزبية، وليس في القيادات وخاصة في القيادة القومية. وقولي بأن القيادة القومية يجب أن تكون قوية لايعني مطلقاً أن القيادة القطرية يجب أن تكون ضعيفة، هذا شيء متناقض. المطلوب من القيادة القطرية في كل قطر من أقطار الوطن وفي القطر الذي يحكم فيه الحزب خاصة أن تكون قيادة جماهيرية موثوقة من الشعب متصلة به اتصالاً وثيقاً، وأن تكون خاضعة لاشراف القيادة القومية، أي أن تكون القيادة القومية أقوى منها.

هذه بعض الملاحظات التي أردت أن أقولها حول الموضوع.

**١٩ تشرين الأول ١٩٦٣**

# عقليــة التكتل

أيها الرفاق[1]

إننا مطالبون بأن ننظر إلى الحزب نظرة جدية لنخدم المستقبل، لنساعد الحزب على التخلّص من كل ما فيه من ثغرات، من نقص، من شوائب، لكي يكون في مستوى المسؤولية التاريخية، ومستوى تحقيق أهدافه في الوطن العربي كله.

الكلام خطير، وأي خلل فيه أو ابتعاد عن الحقيقة أو مبالغة أو نقصان يرتب مسؤولية كبيرة.

عندي ملاحظات، وسأقولها بدافع الحرص على الحزب بصورة خاصة.. أقولها مستهدفاً البناء والاصلاح.

ولكي أساهم في خلق الجو، الجدير بمؤتمر قومي لحزب البعث ينعقد في ظرف تاريخي هام، أحببت أن أسوق هذه المقدمة البسيطة.

في الحزب بوادر عقلية ونفسية ليست من طبيعته.. وخوفاً من أن تتضخم هذه الأشياء في المستقبل، كان من الواجب أن أشير إليها وأن أنبّه لكي نعالجها قبل فوات الأوان، لأنها سوف تشوّه الحزب.

وليس من السهل التعبير عنها بكلمة واحدة.. أسميها عقلية التكتل، أسميها أحياناً عقلية أو نفسية لاتعتمد على الايمان بالانسان العربي، بالشعب العربي، أسميها استهتاراً..

---

(١) كلمة في الجلسة الرابعة عشر من جلسات المؤتمر القومي السادس (مناقشة الوضع في سوريا والعراق).

وأحاول أن أجدِ لها تفسيراً: هل هي قسوة الظروف في عهد عبدالكريم قاسم؟ هل هي ظروف عهد الوحدة وحكم المباحث وخداع الجماهير والتلاعب بعواطفها؟ هل هذه الظروف التي لم يعتدها الحزب هكذا من قبل أوجدت فيه ضعفاً وتراخياً، نوعاً من السلبية. . وفقدان الروح التي ظللّت دوماً هذا الحزب؟

هذا أيها الرفاق كان موجوداً قبل ثورة رمضان. ووصول الحزب الى السلطة ضخّم هذه الانحرافات. وإذا كنا الآن نتخوّف ونقلق، فلأن السلطة سلاح ذو حدّين، قد يحسن الحزب استخدامه لمصلحة عقيدته وأهدافه، وقد يسيء استعماله فينقلب وبالاً عليه.

لذلك اتخوّف من إساءة استعمال السلطة. أتخوّف إذا نحن لم ننتبه، بكل تفتحّ، بعيوننا وعقولنا، وبتقديرنا لدورنا التاريخي، أن تورّطنا السلطة في أعمال واتجاهات متعسفة متسرّعة، تلعب فيها الأنانية الشخصية وربما المصلحة الشخصية الدور الأول. تلعب فيها الانفعالات والأحقاد والمنافسات دوراً كبيراً. . دون أن يكون لنا ضوابط ومقاييس واضحة نسترشد بها لتصحيح خطنا التاريخي.

**أيها الرفاق**

قبل شهر عقد المؤتمر القطري لحزبنا في العراق، ودعيت مع أعضاء القيادة القومية لحضوره وللمساهمة في حل مشاكل أنذرت بالخطر، كنا مطلعين عليها قبل ذلك بأشهر، وكنا نحاول أن نجد لها حلاً، أو نساهم بوضع حل لها، ونظن اننا توصلنا إلى شيء من هذا القبيل، ونعود بعد شهر أو شهرين لنرى بأنها لا زالت دون حل.

ومنذ بداية المؤتمر ظهرت لنا جوانب لم نكن نعرفها من قبل أو كنّا نعرفها بشكل مبسّط. ظهر لنا أن عناصر من خارج الحزب تحاول أن تستغلّ الخلافات الداخلية على حساب الحزب. . فكان الموقف الطبيعي أن نبادر إلى تدعيم الحزب ومنع أية محاولة، مهما تكن صغيرة، يمكن أن تمسّ قوة الحزب. . لذلك لزمنا السكوت عن الأخطاء. . فالمحافظة على الحزب تأتي أولاً. . لأنه إذا حافظنا على الحزب نستطيع أن نصححّ، وإذا سمحنا بتفككّ الحزب وإضعاف الحزب يصبح أي شيء آخر مستحيلاً. . الرفاق الذين نأخذ عليهم هذه الأخطاء وهذه العقلية هم من طليعة الحزب المناضلة. . كما

أن الحزب في العراق هو حزب مناضل وأساسي . .

قلت أيها الرفاق أن هذا الأسلوب، أو هذه العقلية، كانت موجودة قبل الثورة، وقد لمستها في أكثر من مناسبة، سميتها عقلية التكتل، عقلية الوصاية. ليس تكتّلاً لدوافع شخصية أو نفعية، على الأقل في ذلك الحين قبل الثورة. وكما لمست فإنهم ينطلقون بدوافع عقلية الوصاية، من تفاهم شخصي على شيء، ثم يتحوّل النظام الحزبي الى أداة للتبرير . .

وهنا أسمح لنفسي بالمبالغة لكي أتمكّن من التوضيح ، هذا لم يحصل مائة بالمائة، ولكنه حصل شيء منه: تفاهم شخصي ربما بدوافع طيبة، أعمال فردية . . وجرّ هذا إلى نوع من العلاقات من نفس الطبيعة، مع أعضاء آخرين دوافعهم مختلفة . .

المهم أن هذا الأسلوب من حيث المبدأ والنتائج خطر جداً . . يبدأ أحياناً بدوافع طيبة ومن عناصر جدية نشطة، ولكن طبيعة التكتل تفرض حتماً أن تدخل فيه عناصر من نوع آخر . . طالما أن التكتلّ يكتفي من الآخرين بأن يوافقوه، ومصير التكتلّ بعد زمن، الانحدار المتزايد في النوعية . .

إني آسف لأن أشير إلى حادثة لاحظتها، ولا بد أنكم لاحظتموها أيضاً في هذا المؤتمر . . عندما انبرى أحد الرفاق ليؤكدّ أن المؤتمر القومي الخامس قد عدل المادة التي تنص على الأكثرية المطلوبة لتعديل الدستور، وكان ذلك في إحدى الجلسات الأولى . . واندفع أعضاء آخرون، بدون تفكير ولا تروّ، يؤكدون صحة قوله، مع أن المؤتمر القومي الخامس لم يعدّل تلك المادة . . هذا مثال على عقلية التكتل . .

**أيها الرفاق**

إن الشيء الهام الذي نرجوه هو: ما الذي يستطيع أن يقدمه هذا الحزب للأمة العربية في المستقبل القريب؟

**٢٢ تشرين الأول ١٩٦٣**

# مهمة المؤتمر القومي

ان المؤتمر يحتاج لأقصى ما يمكن من التريث والموضوعية[1] البعيدة عن الانفعال حتى يستطيع أن يقوم بدوره، في هذا الظرف التاريخي، وإلّا فإنه يعجز عن القيام بهذا الدور.

المؤتمر القومي يمثل الحزب، فكرة الحزب ونضال الحزب وأسلوب الحزب في العمل، يمثل جميع الأقطار التي يوجد فيها الحزب، يمثل الأكثرية والأقلية، يمثل الحزب في الحكم، والحزب في النضال، وتحت وطأة الاضطهاد. فلكل هذه الاعتبارات نحتاج إلى ما طلبت.

إني أطالب نفسي وأطالب الرفاق بأن يَزِنُوا كل كلمة ويقدّروا مسؤوليتها، نظراً لخطورة الموقف. لذلك أعتقد بأني طرحت مشكلة لم يتعرّض لها أحد الرفاق. . فكيف يمكن إذن للمؤتمر أن يحكم ويستنتج ويصل إلى تقرير خطة، تقرير خطوط في سياسة الحزب إذا لم نعالج كلنا نفس المشكلة. فالمشكلة التي طرحها الرفيق. . أنا أول من يؤيده فيها، والمؤتمر كله وفي مثل هذا المؤتمر أريد أن أعتقد أنه لا يوجد من يدافع عن الرجعية أو الاقطاعية أو سياسة المهادنة أو أي شيء من هذا القبيل. . هذا المؤتمر يمثل ذروة الثورية في الحزب. فالمشكلة التي طرحتها والتي أعاني تخوفاً وقلقاً من أجلها منذ زمن، وأتحدّث عنها، هي في العيوب والأخطاء التي يمكن أن ترافق هذا الاندفاع الثوري في الحزب، والتي يمكن أن تهدّد عملنا الثوري بالفشل أو بالضعف.

فعندما نطرحها بشكل آخر بأن الرجعيين يريدون منا كذا، أو غير الثوريين في

---

(١) كلمة ثانية في الجلسة الرابعة عشر من جلسات المؤتمر القومي السادس.

الحزب يريدون منا مثلاً أن نراعي اعتبارات غير ثورية . . نقول مرة أخرى، بعد المؤتمر القطري تجنّبنا المشكلة المطروحة، لنهتم بمشكلة أخرى هي أيضاً مطروحة، ولكنها مطروحة بيننا وبين خصومنا، بيننا وبين أعداء الحزب، واننا هنا نطرح مشكلة في داخل الحزب. وقد قلت عندما ظهر هناك من يستغلّ خارج الحزب مثل هذه الأمور أننا امتنعنا عن طرح أي شيء في المؤتمر القطري.

المؤتمر القومي عليه أن يعالج سلامة تركيب وانتظام وسير هذه الآلة الثورية التي هي قيادات الحزب والتي هي بالدرجة الأولى مسؤولة عن نجاح الثورة، عن تحقيق الأهداف. فهل إذا كان في البلاد رجعيون ومتآمرون وشعوبيون وانتهازيون وغير ذلك، يمنع أن يكون للثوريين أخطاء؟ أو يمنع من أن يقع الثوريون في أخطاء؟ أظن لا. ماذا يريد الرفيق من كلامه؟ . . قلت بأن هذه الفئة هي فئة مناضلة. هذا لايمنع أن تكون سرَت إليها عدوى، أو تورطت في عقلية فيها تكتل، فيها فردية، فيها - ربما - إرهاب للأقلية، إرهاب يحرم الحزب من شروط الحرية التي تساوي وجوده. إذا فقدت الحرية من هذا الحزب فقد الحزب معها شيئاً ثميناً جداً. وقلت: هذه علائم نخشى أن تتضخمّ في المستقبل، ومن واجبنا أن نشير إليها منذ الآن.

فأول وأهم ملاحظة أحب أن ألفت انتباه المؤتمر إليها هي أن المشكلة لم تُطرح طرحاً صحيحاً. هناك مشاكل، وما طُرح يعتبر مشكلة كبيرة، وكل ما قام به المؤتمر حتى الآن هو دليل على أن المؤتمر أوجد الحلول للمشكلة التي طُرحت، سواء المنطلقات العقائدية التي أقرّها المؤتمر، سواء التقرير السياسي، سواء التقرير التنظيمي وعلاقة الحزب بالحكم، كلها تضمن لحزبنا أن يبقى في الخط الثوري الحاسم الذي لا لبس فيه، والذي لايمكن أن يميل أو يحيد عن الثورية. وهذا لايمنع أن هذه الأمور التي طرحت في المؤتمر والتي هي وقائع وقطع حية من التجربة النضالية وتجربة الحكم، تجربة الحزب في الحكم في هذه الأشهر التي مضت على الثورة، هذه الوقائع كما قلت هي قطعة من الواقع الحي يجدر بنا أن نلمّ بها. ولكني أعود فأقول: المؤتمر غير حائر، ولا متردد، في اتخاذ موقف من هذه المشكلة. للمؤتمر موقف اتخذه أثناء مناقشاته العديدة لجميع التقارير. لقد حدّد المؤتمر، مؤتمر حزب

البعث العربي الاشتراكي، خطاً ثورياً كان دوماً خط الحزب، والآن يحتاجه الحزب أكثر من أي وقت مضى. هذا يضفي كل دواعي الاطمئنان على المستقبل. لكن هناك مشكلة اخرى، وفي اعتقادي أهم، إذ ما نفع الخط الثوري الذي لايجد من يحسن تطبيقه؟ أهم من الثورة هي الأداة التي يوكل إليها التنفيذ والتحقيق. فالمشكلة هي هذه: علينا أن ندقق في إيجاد هذه الأداة. وإذا لم يكن هذا أهم شاغل للمؤتمر القومي فما عسى تكون مشاغله في ظرف كهذا؟ علينا أن ندقق في هذه الأداة، في النظام الذي يجمعها، في الأسلوب الذي نتبعه في العمل.. هذه الأشياء التي نضعها في نظام الحزب كمواد، وعلينا أن نسأل دوماً لنتحقق فيما إذا كانت تطبق في العمل، وخاصة عندما تتغير الظروف، تصبح المسؤوليات خطيرة جداً. وقد نبّهت في عدة مناسبات خلال جلسات المؤتمر الى بعض النقاط، نقاط فيها خطر الحكم على الحزب، خطر السلطة على الحزب عندما يستلم الحزب السلطة في قطر أو أكثر.

**أيها الرفاق.**

من الصعب دوماً عليّ أن أتعرّض لشخصي، إلّا عندما لايكون مناص من ذلك. وأجدني مرة أخرى في هذا المؤتمر مضطراً أن أكرّر وأؤكدّ شيئاً، هو أن الذي يتكلّم فيّ هو هذا الشخص الذي رافق الحزب منذ يومه الأول، هذا الشخص الذي بلغ من العمر حداً هو أقرب الى السن المتعبَة، وهذا الشخص قد مرّ بتجارب عديدة، ولم يعد له فعلاً في هذه الحياة من مطمح، غير أن يرى هذه الحركة التي ساهم فيها - وأقول هذا بكل تواضع - إن هذا الشخص لم يعد له إلا مطمح واحد أن يرى هذه الحركة ناجحة النجاح الصحيح، النجاح الصادق، أي النجاح المتفق مع القصد الأول من نشوئها، مع المبادىء التي أعلنتها، والآمال والمطامح التي وضعها الشعب العربي فيها، وأن كل تهديد لهذا النجاح الصادق يشكّل قلقاً وقلقاً عميقاً بالنسبة لي. وانني خاصة بعد ثورتي رمضان وآذار، عندما أنظر الى الأمور أستطيع بما عندي من تجربة أن أقول أننا نقترب أو نبتعد عن الخط الذي رسمناه لحركتنا. بعد هاتين الثورتين أراقب الأحداث وانعكاساتها العالمية والعربية والداخلية، أراقب تصرفات الحكم والحزب الذي يساهم مساهمة جزئية أو كلية في هذا الحكم. في سورية أصبح الحزب رسمياً

وإسمياً هو كل الحكم. في العراق كان في البداية له رجحان كبير ثم ظهرت عوامل وتقلّص دوره نوعاً ما.. على أية حال هذا الحكم القائم في العراق وفي سورية يتحمل الحزب مسؤوليته شاء أم أبى. ولأقُل أيضاً أن أشخاص القادة يتحملّون هذه المسؤولية أكثر من غيرهم، شاءوا أم أبوا، - يتحملّون مسؤولية موضوعية، تاريخية، فأنا مثلاً قد أكون لا علم لي مطلقاً بما يجري في الحكم في العراق أو حتى في بعض نواحي الحكم في سوريا، ولكنني أحمّل مسؤولية هذه الأشياء في نظر القريب والغريب وهذا ممكن أن يقال بالنسبة للقياديين ثم بالنسبة الى الحزب، لذلك يشعر كل منا بهذا الواجب أن يبقى الحزب أقرب ما يكون الى الصورة التي رسمها لنفسه. المسألة ليست مسألة خسارة شخصية عندما أقول كل منا يتحمل مسؤولية، ليست مسألة سمعة مثلاً: ان سمعة الشخص قد تلوّثت أو أسيء إليها، وليست بالأحرى مسألة مصلحة، إنما هي مسألة قناعة داخلية وجواب على تساؤل: هل فعلاً ان الحزب يبتعد عن خطه، هل هو مسيطر على نفسه وعلى إرادته، هل يعمل خلاف ما يعتقد مضطراً نتيجة الارتباك، نتيجة الفوضى، نتيجة الفردية، نتيجة الارتجال، نتيجة عجز؟ كيف يكون هذا الحزب إنسانياً في أعماقه ودوافعه ونُتّهَم بالفاشية وبكل المعزوفة المعروفة. هل هذا تجنّ خالص أم أن له بعض الأساس من الحقيقة - وهذا لايعني أننا إذا وجّدنا أن بعضنا أخطأ فسنيأس من أنفسنا، وسنيأس من شعبنا أو من الحزب، ولكن يجب أن نعرف بأننا أخطأنا ويجب أن نعرف بأن هذا الخطأ تقييمه بهذا الحجم، وذاك بذاك الحجم. يجب أن لا نقول أن التجربة مليئة بالأخطاء ويجب أن تعالج، بل أن نميّز بين أخطاء خطيرة وأخطاء صغيرة. وعندما نقول أخطاء كبيرة، فأعود وأكرر ليس من أجل أن نيأس أو ليس من أجل أن نحطّم بعضنا أو أن نتخذ ذلك ذريعة لأن نحطّم اندفاعات الشباب، ولكن من أجل أن تهتزّ ضمائرنا وأن تصحو عقولنا، فنعرف أن ذلك خطأ مسيء وبالتالي نفكر في طريقة تلافيه.

بعد قيام ثورة رمضان ذهبت القيادة القومية إلى بغداد، وحاولنا هناك أن نذكرّ بسياسة معروفة، بخط معروف في الحزب: ان حزبنا لايمكن أن يكون حزباً معادياً للشيوعية، كما يُفهم من هذا التعبير في العالم، اننا نحارب الشيوعيين عندما يحاربوننا،

ولكننا لانحارب الشيوعية بشكل منتظم ونهائي. وبالتالي يجب أن نحترس من أن تطول مدة القمع خاصة أن الصدى السلبي بدأ يظهر منذ ذلك الحين ونحن في بغداد، أي في الأيام العشرة الأول لثورة رمضان. بدأ الصدى السلبي العالمي يظهر بعد أسبوعين من قيام الثورة في الدعاية السوفياتية ودعاية الأحزاب الشيوعية، وحتى في الدعاية الاستعمارية تريد أن تلوّث سمعة الحزب بأي شكل حتى عندما يكون ذلك لمصلحة الشيوعيين. بعد شهر، وشهرين، بدأنا نلمس أن الشقة آخذة بالاتساع بدلاً من أن تعالَج وتُتلافى، إلى درجة أن الانعكاس في الرأي العام الدولي العالمي بدا وكأن حزب البعث انحاز الى الغرب ضد الاتحاد السوفياتي، وضدّ الأحزاب التقدمية، أي أن شيئاً أساسياً من سمعة الحزب في الحياد الايجابي أخذ يُهدّد، كل هذا نتيجة الاستهتار بالمستوى القومي والتخطيط القومي حتى بمجرد الاستشارة، مجرّد أن نعترف بأن جزءاً من الحزب لايغني عن الأجزاء الاخرى، واننا دوماً وفي كل ظرف محتاجون الى كل الحزب وإلى كل أفكار الحزب وإلى كل تجربة الحزب لنقرّر عملاً ويكون هذا القرار صائباً وصحيحاً.

وأذكر انني أكدت لأحد الرفاق وكان في دمشق ويزمع السفر إلى بغداد، بأن يراجع الاخوان هناك وينبّههم الى خطورة هذا المحذور، المحذور بالنسبة لسمعة الحزب: أي مفهوم الحياد الايجابي الذي أتى به حزب البعث، ولماذا الاستمرار في هذه العمليات؟.. كنا نسمع من الاخوان تبريراً لهذه السياسة، سياسة تعذيب وتقتيل الشيوعيين، ثم في المدة الأخيرة، منذ شهرين، أمسينا نسمع بأن الذين كانوا يلحّون على القيادة بالاستمرار في هذه السياسة، هم من غير الحزبيين أو من الحزبيين الذين لم يعيشوا تقاليد الحزب، وبالتالي كانت تشوب أفكارهم نزعة الفكر القومي اليميني الذي يعتبر أن القومية هي التي تحارب الشيوعية.

هذا مثال. وهناك أمثلة اخرى على ضرورة مساعدة الحزب في الأقطار العربية المناضلة، أو ضرورة مساعدة النضال العربي في أقطار لا يوجد فيها الحزب أو ما زال في بدايته. منذ البداية طالبنا بأن يكون للعراق دور في مساعدة اليمن، منذ البداية طالبنا بأن يكون له أثر في مساعدة الجزائر، من البداية قلنا بأن بغداد يجب أن تصبح؟

هي مركز التوجيه والانجاز للنضال العربي في الخليج وفي الجزيرة. هذا شيء طبيعي، يجب أن تلعب هذا الدور. منذ البداية طالبنا بأن تكون بغداد في توجهها القومي، البعثي، نموذجاً ثورياً صحيحاً مصحِّحاً لنموذج القاهرة، في الاذاعة وفي التوجيه وفي الاتصال بالحركات الشعبية والنضال الشعبي ليظهر الفرق بشكل إيجابي.

أورد هذه الأشياء لا لأقول أن رفاقنا كانوا ضد ذلك أو شيء من هذا القبيل، وإنما رغم اقتناعهم لم يحلّوا هذا المحل الأول وبالتالي لم ينفّذوا أشياء تُذكر في هذا الخصوص اللهمّ إلاّ مساعدات جزئية للحركة الشعبية في المغرب.

إن قصدنا من هذا الكلام أن لا نرضى عن أنفسنا بسهولة، أن نحذر مراعاة أنفسنا ومجاملة أنفسنا، أن نعترف بتقصيرنا الذاتي، ليست الظروف السياسية، والعقبات الخارجية هي دوماً السبب في منعنا من تحقيق ما نريد، وإنما في بعض الأحيان الاستخفاف، والغرور، والفردية، هي التي كانت السبب، وعدم تقدير أهمية أي شيء خارج العراق، والانغماس في المشاكل المحلية. وقد سمعت أنا وغيري بعض الرفاق يقولون: ماذا يهمّ الرأي العام العربي، ماذا يهم الرأي العام الدولي؟ وأقوال أخرى مشابهة. فعندما نقف إذن وننبّه، فلكي نتفادى هذه الأشياء.

وأنا قلت في هذا المؤتمر كلمة، ولا أملّ من تكرارها، وقلتها كثيراً في الماضي لأنها تنبع من جرح في أعماق نفسي نتيجة تجربتي الحزبية - قلت بأن حزبنا شكا دوماً من مرضين وتعرّض دوماً لخطرين: خطر الاقليمية أو مرضها، ومرض الحكم أو الانغماس في جوّه. وبتعبير أدقّ أقول: بأن القصد من الاقليمية ليس نزعة - فكرية أو عملية - لتقديم إقليم على آخر، أو إقليم على بقية أجزاء الوطن، وإنما الأصحّ أن أقول المحليّة، الاهتمام بما هو محلي، وبالدرجة الثانية أو الثالثة أو الخامسة بالأمور القومية. وهنا فإني أتبنى كلام الرفيق مائة بالمائة عندما يقول بأننا مطالَبون بأن نعطي ليس فقط من دخلنا، بل من ثروتنا للأقطار الأخرى، وهذه ليست فقط عاطفة خيّرة وسخية ودليل محبة لبقية الأقطار وبقية الأجزاء من شعبنا، وإنما هي تعبير عن منطق ميّز هذا الحزب، هي في نفس الوقت فكر وأخلاق. فكر لأن حزبنا انطلق من هذا التفكير منذ اليوم الأول، بأن ما يفيد القضية القومية يفيد كل قطر، وأن المصلحة القومية العليا هي أولاً وتأتي

بعدها المصلحة القطرية. وفي كل مرة طبقّنا هذا المنطق نجحنا، وفي كل مرة خالفناه فشلنا. وهي مسألة أخلاق إلى جانب كونها فكراً ومنطقاً حزبياً، لأن الاخلاص لهذا المنطق يتطلب تضحية، تضحية من الحزب في القطر، من كل قائد فيه. وكل شخص عادة يُدفَع بشكل غريزي إلى أن يفضّل الأشياء القريبة منه، لأنها تؤمّن له نجاحاً شخصياً قريباً، كما أن الحزب في القطر مدفوع أيضاً ـ ما دام هو مجموعة أشخاص ـ لأن يراعي المصلحة القريبة. وهنا تظهر ميزة البعثي فكرياً وأخلاقياً في آن واحد، عندما يمدّ بصره الى بعيد، وعندما يرتفع فوق المصلحة القريبة. ولولا هاتان الميزتان لتراجعَ حزب البعث، ولولا أن وجد دوماً في هذا الحزب أعضاء كباراً وصغاراً، والصغار أكثر من الكبار، أقولها وأعترف بها، كانوا مندفعين وراء هذا المنطق بكل براءة، لكان هذا الحزب تشوّه وانتهى منذ زمن طويل. لو لم يوجد دوماً أشخاص ـ كبار وصغار ـ يفكرون في الجزائر، يفكرون في المغرب، يفكرون في اليمن، يفكرون في أبعد قطر وأصغر قطر، قبل أن يفكروا في القطر الذي ينتمون إليه، دون أن ينتقص هذا من نضاليتهم في قطرهم ودون أن يتخذوا ذلك ذريعة لكي يتهربّوا من النضال فيه. ولقد مرت علينا تجارب وفيها الشيء الكثير مؤلم، يوم كان للحزب نواب كثيرون في سورية، ولم تكن تثار قضايا الوطن العربي كما يجدر بحزب البعث أن يثيرها ـ قضية الجزائر بصورة خاصة ـ ولكن كانت قاعدة الحزب، وكان العمل الشعبي في الحزب مخلصاً لهذا الخط.

أحب أن أكرّر الفكرة الأساسية، والتي تتلخص بأن الفئة القيادية المناضلة في الحزب، ترتكب أخطاء منها الجسيم ومنها المتوسط ومنها الصغير، وتحدثّت عن عقلية التكتلّ وما يتبعها. . وقلت بأن الظرف الذي نحن فيه، خصوصاً بالنسبة للوصول الى السلطة يجعلنا نقلق كثيراً فيما إذا تركنا هذه الأخطاء تتضخّم دون أن نكشفها ونضع لها حداً أما المشكلة الأخرى فهي أيضاً مشكلة حقيقية وحادة، مشكلة الحزب وخصوم الحزب وأعداء الحزب ـ الحزب مقابل الرجعية، مقابل الشعوبية، مقابل البرجوازية، مقابل بقية الأعداء. ولقد واجه المؤتمر هذه المشكلة، ومن خلال إقراره التقارير، حسم الموضوع، ولم يكن هناك أي خلاف على ذلك. كان في التقرير العقائدي خلاف، هل تكون الصفة القومية واضحة وأكيدة، أو تكون كالبخار والوهم؟ ولقد حسم المؤتمر

الموضوع واختار أن تكون هويته القومية حقيقة واضحة وأكيدة.

قلت في المؤتمر بأن المشكلة، هي في كيفية تكوين الأداة الممثّلة للثورة، والتي تشرف على تحقيق الثورة وبرنامج الحزب. وليست المشكلة هي الحزب وخصوم الحزب. فهل ننجح إذا وضعنا الخط السليم، ولم يوجد من يطبّق هذا الخط السليم؟.

إن المخاوف المشروعة بأن يطغى الارتجال، تطغى الفردية، والروح العاطفية اللاموضوعية، أن تطغى عقلية التكتّل، جو الارهاب للأقلية، أن تُفقد الحرية ـ عن حسن نية أو سوء نية سيّان ـ المهم يجب أن نحافظ على الحزب. ولا يجوز أن نتذرّع بأخطار أعداء الحزب، من أجل أن نرهب الأقلية ونتخلّص من الحرية ومن جو الحرية في الحزب. إن هذا خطر كبير وخطأ فادح.

**٢٢ تشرين الأول ١٩٦٣**

# الثورية الصحيحة... واليمين واليسار

قلت في الكلمة الأولى[1] في هذا المؤتمر أن الحزب بحاجة ماسّة لأن يجدّد نفسه، وهذا يعني أن حالة الحزب غير مرضية، وأن فيه عللاً وأمراضاً وشوائب، وكنت في هذا واضحاً: طالما الحزب هو المستقبل فكل جهودنا يجب أن تتجه لبناء هذا المستقبل.. وطالما الحزب يرشّح نفسه لهذه المهّمة، فمن حق الحزب كله أن ينظر ويدقق في أهلية هذه الفئة للمهمة التي ترشّح نفسها لها. ومن حق الحزب أن يكون رقيباً وأن ينبّه الى الأخطاء وفي هذا اعتراف بجدارة هذا الجيل، هذه الفئة، إن لم تكن بكل أعضائها فعلى الأقل في بعضهم. على كلّ لا يداوى المرض بالمرض، لا نريد أن نتحرر من أساليب وعادات وأمراض في هذا الحزب لنقع في مثلها. فموضوع التكتل هو في الواقع الموضوع الخطير الذي يجب أن يسترعي اهتمام المؤتمر: يصف الارشادات ويعين الحدود التي يجب أن يتم ضمنها تجديد الحزب، دون أن نتورط في مخاطر..

هذا شيء وهناك شيء آخر: لقد أثار أحد الرفاق عبارة ثوري أكثر من اللزوم، الخ.. وفي اعتقادي أن الانسان لايمكن أن يكون ثورياً أكثر من اللزوم، إلاّ إذا كان القصد من ذلك: أن هناك ثورية مبالغات وتطرّف، هي في الواقع ليست ثورية صحيحة. المهم أن تتوضح في المؤتمر بعض الأمور: هل هناك فعلاً في الحزب يمين ويسار هل هناك يمينية ويسارية؟ هذا ليس مستحيلاً، بل هو ممكن. في الأحزاب الثورية يمكن أن يوجد ميل نحو اليمين أو تطرّف نحو اليسار، ولكننا نريد أن نعرف إلى أي حد توجد هذه النزعات في حزبنا، الى أي حد توجد مبالغات في هذه

---

(١) كلمة في الجلسة الخامسة عشر من جلسات المؤتمر القومي السادس.

الأوصاف، ماهي الأغراض من وراء هذه المبالغات فيها إذا ثبت أنها موجودة؟

في الحياة الاجتماعية يمكن أن يوجد يمين ويسار، أما يمين ويسار في حزب ثوري اشتراكي كحزبنا لا يعقل أن يكون، بمعنى أن في الحزب اقطاعيين ورأسماليين، إلاّ أنه يمكن أن يكون هناك اشتراكيون ثوريون واشتراكيون معتدلون، لنحدد ذلك: إلى أي حدود توجد هذه النزعة اليمينية وعلى من تنطبق؟ وما هي البراهين؟ وهل هناك مصلحة في تضخيم هذه الأشياء: بقصد كسب، وصول الى القيادات، والى الحكم. هل كل ما يقال عين الحقيقة وهو كلام نزيه موضوعي أم أن فيه الكثير من الاختلاقات والمبالغات؟ من هم الذين يتهمون الآخرين باليمينية؟ من هم الذين يتهمون البعض بالتطرّف والثورية أكثر من اللازم؟ يمكن أن يلقي ضوءاً.

أما منطقي أنا فهو أن يتشدّد الحزب مع المناضلين، مع الذين يعلّق عليهم الآمال، الذين فيهم كفاءآت نضالية يجب ألا يسمح لهم الحزب بأن يغترّوا، وأن يسترسلوا بالفردية وأن يشتطوا في الأحكام وأن يسلطوا الارهاب على من يخالفهم في الرأي، لأن هذا عاقبته وخيمة.

أكثر من ذلك وبصراحة أكثر، الحزب كان لمدة طويلة حزباً بعيداً عن هذه الأشياء والأساليب، انه حزب نضالي يعيش في حالة توتر دائم ضدّ أعداء الأمة، أعداء الثورة، ويعيش في أجواء الكفاح المتزمتة النضالية الثورية، ثم تسلّم السلطة وجسمه ليس فيه المناعة اللازمة للتحصّن ضدّ أمراض السلطة، وإلا لما كانت كل هذه الاجتهادات الشخصية والتحليلات والمغالاة من قبل بعض الأعضاء بالنسبة للأوضاع السياسية. هذه الأشياء قد تتحملّها أحزاب أخرى، ولكن حزب البعث لا يتحملها لقد قلت بأن هناك مبالغات كثيرة وأكثر من مبالغات: تشويه للحقائق. لقد سمعت كلمة في جلسة من الجلسات، فتذكّرت أشياء، سمعت اقتراحاً بمعرض بحث قضية فلسطين، انه يجب على المؤتمر أن يقرر تهديم الزعماء التقليديين الفلسطينيين لمصلحة القادة البعثيين الجدد. الدوافع قد تكون لمصلحة الحزب والمصلحة القومية، وقد لاتكون، ولكن الأسلوب غير صحيح. إذا اعتبرنا أن هذه القيادة الجديدة هي القيادة التي تتوافر فيها الحيوية وكل الشروط الثورية، يجب أن تصل، وترتقي، وتجتاز المراحل التي لابد من

اجتيازها. . إذا كان لها هذه الكفاءآت يجب أن تفرض نفسها تباعاً، ومن خلال النضال وخلال المواقف، لا أن نقرر انه يجب أن نحطّم فلاناً ونهدم فلاناً، حتى لايبقى إلّا الحزب!

**٢٣ تشرين الاول ١٩٦٣**

# كلمة في مهرجان نصرة احرار اليمن المحتل

أيها الاخوة العرب

عرفت عدن، هذا الجزء النائي العزيز من الوطن العربي، وهي القطر المحتلّ من قبل الاستعمار البريطاني، عرفت حركة شعبية منظّمة تمثّل تجربة من أغنى التجارب الثورية العربية، فلقد نشأت فيها حركة عمالية مناضلة، لم تلبث أن توسعت وشملت الحركة الوطنية كلها واندمجت في هذه الحركة الأهداف الوطنية للشعب مع الأهداف الاجتماعية، ثم ما لبثت هذه الحركة أن تجاوبت مع الشعارات العربية الثورية في الأقطار العربية الاخرى. ومنذ سنة ١٩٥٦ كانت الحركة الشعبية في عدن ترفع شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية. عرف هذا الجزء المناضل النائي من وطننا الكبير، نفس المشاكل التي مرت بها الأقطار العربية الأخرى فوجد من شوّه الحركة القومية في عدن والجنوب وأراد أن يجعل من حركة التحرر والاستقلال سبيلاً الى الانفصال وترسيخ التجزئة، بدلاً من أن تكون معركة الحرية جزءاً لا يتجزأ من معركة الوحدة والحرية، ولكن ارتباط الحركة الشعبية بالشعارات الثورية في الأجزاء الأخرى من الوطن العربي قد حمى هذه الحركة ضد الانحراف ومنع هذا النضال الجبار من أن يتورط فيما أراد له الاستعمار من استمرار للتجزئة تحت ستار الاستقلال المحلي، فتهافتت دعوة القائلين بكيان الجنوب العربي، وتغلب الشعار الثوري الصحيح الذي يربط معركة الحرية في مناطق الجنوب المحتلة بمعركة الاشتراكية ومعركة الوحدة، أي إعادة انضمام جنوب اليمن إلى شماله. وقد عانت عدن في الآونة الأخيرة من القمع الاستعماري الوحشي ما لم

تعرفه في كل تاريخها مع الاستعمار البريطاني وهذا مظهر من مظاهر النكسة التي شجعت الاستعمار والرجعية والشعوبية بأن ترفع رؤوسها من جديد في الأقطار العربية، لا بل في المنطقة كلها. ولا بد من أجل وعي الظروف العربية الجديدة، ومن أجل تهيئة الشروط للتغلب على ما فيها من ضعف ونكسات، لابد من نظرة سريعة نحلّل بها بوادر وأسباب هذه النكسة. فقد بدأت النُذر الأولى من النكسة في الأردن لما تجرّأ الملك حسين وقام بحملة اعتقالات واسعة ضد حزب البعث العربي الاشتراكي يشجعه في ذلك مهادنة العناصر القومية الأخرى له، فقد رافق اعتقاله للبعثيين إفراجه عن الذين كانوا يشكلّون مع البعث العربي الاشتراكي صفاً واحداً في الماضي من قوميين عرب ومن جماعة الحزب الوطني الاشتراكي، فاعتمد الملك في هذه الضربة على تفرّق الصف العربي الثوري. وتبع هذه الظاهرة حوادث القمع والارهاب في المغرب فبطش الملك الحسن بمناضلي الاتحاد الوطني للقوى الشعبية والذين يمثلون وحدهم في المغرب في وسط النزعات والاتجاهات الرجعية والاقليمية والشعوبية فكرة العروبة الثورية ويربطون بين نضال الشعب العربي في المغرب ونضاله في الشرق، ويربطون بين الأهداف القومية الكبرى في الوحدة والحرية والاشتراكية، كذلك فقد استغلت الرجعية المدعومة من الاستعمار الثغرات التي ظهرت في الصف العربي فافتعلت حرب الحدود مع الجزائر في بقعة تمركزت فيها مصالح الشركات الاحتكارية الاستعمارية، وبعد ذلك بقليل تمكنّت العناصر اليمينية ومن يحتمي وراءها من مصالح رأسمالية وطنية وأجنبية وبمساعدة وبتشجيع من أجهزة القاهرة، من أن تضرب الحكم الوحدوي الاشتراكي الذي كان يمثله حزب البعث في العراق، مستغِلّة أخطاء وانحرافات بعض قياديي الحزب الذين أصابهم الغرور بعد الانتصار التاريخي الذي حققه حزب البعث في ثورة الرابع عشر من رمضان، فاستسلموا للأهواء الشخصية والتصرفات الفردية، فقاموا بأعمال طائشة أو شاذة وسكتوا عن مثل هذه الأعمال التي قام بها غيرهم، أوتركوا العناصر الدكتاتورية واليمينية تورطهم فيها دون أن يقدّروا خطر ذلك، وهكذا شملت النكسة العراق بعد أن كان على أبواب وحدة عربية سليمة الأسس تحمي عروبته من خطر الشعوبية وتآمر

الرجعية ومآسي العهود الفردية الدكتاتورية. لقد شبّه الكثيرون أحداث الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣ بحدث الانفصال في الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٦١، ولئن حاول المسؤولون عن انتكاسة الوحدة في ذلك الحين أن يتنصّلوا من المسؤولية، ويلقوها كلها على الذين قاموا بمؤامرة الانفصال، فإن حزب البعث العربي الاشتراكي وشعوراً منه بأنه مُلك للشعب العربي بأسره وللأجيال العربية الصاعدة وبأنه لا يمثل مصلحة إقليم معيّن أو زعامة لأفراد وبأنه بعيد عن الاعتبارات التي تقيّد غيره وتمنعهم من مصارحة الشعب ومن ذكر الحقائق، فالحزب بكل شجاعة يصارح الشعب العربي بالأخطاء ونواحي الضعف التي وقعت فيها قيادة الحزب في العراق وتعذّرت معالجتها ووضع حد لها قبل أن تؤدي إلى النكسة، أعني الغرور والفردية وإخفاء الحقائق عن قاعدة الحزب وعن مؤتمراته العليا، فالحزب يدينها ويدين تصرّفاتها الغريبة عن عقيدته ونضاله، ويعتبر ذلك شرطاً أساسياً للمحافظة على سلامة تكوينه ليبقى دوعاً جديراً بحمل رسالته التاريخية.

إن هذه المظاهر المتعددة للنكسة العامة التي أصابت النضال العربي والتي كانت حوادث القمع الاستعماري الغاشم في عدن آخر مظاهرها حتى الآن، إنما تعود بالدرجة الأولى الى ذلك الانقسام الهدّام المفتعل الذي فرضه نظام الحكم في القاهرة على الثورات العربية بدافع الاستئثار والتعصّب والنظرة الفردية والاقليمية التي لا ترى للثورة العربية إلّا صورة واحدة ضيقة جامدة لايمكن أن تتسع لما تتفجّر به الأقطار العربية من تجارب ثورية غنية، ولكن لها مظاهر متعددّة تنبع من التجارب الصادقة الأصيلة التي يولّدها نضال الشعب العربي وانطلاقته التاريخية ضد الاستعمار والاستغلال وضد التجزئة، وضد كل مظاهر التخلّف والتعصّب والعبودية في الداخل والخارج، وليست هي شيئاً يفرض من فوق بواسطة السلطة والحكم، فلقد أدّت هذه النظرة الفردية الاقليمية الضيقة الى تبديد القوى والطاقات الثورية والى تضييع ثمرات نضال طويل وتضحيات جسيمة قدمها الشعب العربي وطلائعه المنظّمة في مختلف الأقطار. وكان الحسّ الشعبي الصادق والمنطق القومي السليم يتوقعان ويتطلّبان أن تلتقي القوى المناضلة وتتجمّع وأن تلتقي التجارب

الثورية وتتفاعل والا يقوم أي عائق في وجه هذا التلاقي وهذا التجمّع والتضامن والتوحيد مهما تكن العقبات والصعوبات ومهما يقُدم من ذرائع وأعذار. . ولكن الذي حدث أن السياسة التي اتبعتها البيروقراطية الاقليمية اللاعقائدية والتي تحكم القاهرة كانت مع الأسف سياسة إقليمية توسعية قصيرة النظر تخطّط وتعمل لاضعاف الاقطار العربية الأخرى لتبقى هي المتفوّقة والمسيطرة، فلا تقوم ثورة إلا وعملت هذه الأجهزة على ضربها وانتكاسها متجاهلة أن ضعف الأقطار العربية الاخرى ينعكس عليها ويضعفها، ومتناسية أن الأعداء الذين يتربّصون بالأمة العربية ويتآمرون لاجهاض نهضتها وقتل مستقبلها ما زالوا أقوياء لم ييأسوا ولم يلقوا السلاح. . فلا الحس الشعبي الصادق يتقبّل ولا المنطق القومي الثوري يجيز أن تتحالف ثورة عربية مع النظم الملكية العميلة ضد ثورة عربية اخرى ولا أن تتحالف مع الشعوبيين والعصاة والانفصاليين ضد ثورة تؤمن بالوحدة والحرية والاشتراكية، ولا أحد يصدّق أن القطر الصغير المتواضع الامكانيات هو الذي أراد أن يسيطر ويتحكّم وهو الذي فرض الانقسام والفرقة وهو الذي أرسل الدعايات المسمومة والافتراءات والأضاليل تملأ الجو العربي من الخليج الى المحيط حقداً وكراهية وانقساماً، في الوقت الذي يعرف العرب وقادتهم وحكامهم أن العام الجديد يخبىء لهم أخطر مؤامرة على وجودهم القومي منذ نكبة فلسطين قبل ١٥ عاماً، ألا وهي مؤامرة تحويل مجرى الأردن.

**٢٦ كانون الأول ١٩٦٣**

# البعث اشتراكية علمية زائداً روح

**أيها الرفاق**[1]

مع الأسف وصلنا إلى حالة من التشويه أصبحت معها الأعمال الشرعية النظامية التي تتطلّبها مصلحة الحزب، بل مصلحة البلاد والأمة، تستصرخ الضمائر لكي يظهر من ينقذ البلاد وينقذ الحزب من الكوارث والهاوية، أصبحنا نسمّي الدعوات المشروعة تصرّفات فردية، بعد الكارثة التي حلّت بحزبنا وأمتنا في العراق. . أليس من البديهي أن يتنادى أعضاء هذا الحزب إلى الاجتماع ليروا لماذا حلّت الكارثة؟ . . ليدرسوا وليضعوا خطة ينهضون بها ويجنّبون الحزب والبلاد كوارث جديدة إذا استمرت الأخطاء بدون محاسبة، وقد جاءت نكسة العراق بعد زمن قصير جداً من مؤتمر قومي عقد في هذه المدينة، ودامت اجتماعاته خمسة عشر يوماً وأكثر، وقيلت فيه كل الأشياء التي تحذّر الحزب من عواقب سياسة وأسلوب لا بد أن يوصلا إلى ما أوصلا إليه، ولكن لم تنجح التحذيرات لأسباب من هذا القبيل وللتذرع بالشكليات: يضحىّ بمقدرات الشعب بحجة شكليات النظام الداخلي، فليأت إذن أعضاء هذا الحزب بعد وقوع النكسة ولينظروا نظرة جديدة الى شكليات النظام، وإلى واقعهم، ولينظروا إذا كانوا يرضون لحزبهم ولشعبهم أن يستمرا في هذا الطريق. من يجادل في ضرورة اجتماع مؤتمر قومي بعد أحداث كتلك الأحداث؟ . . هذه بديهية، وقد حاولنا أن نخرج بقرار من القيادة القومية ـ وهنا أعضاء في القيادة القومية يشهدون على العراقيل التي وضعت لمدة خمس ساعات

---

(١) كلمة أولى في المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في ٢ شباط ١٩٦٤.

من المماحكة لتعطيل اتخاذ قرار ـ وقيل ان المؤتمر القومي لايجتمع بهذه السرعة، ولا بد من التحضير، ودراسة التجربة بكل تفصيل ودقة، وأن تؤلّف المؤلفات، ونحن نشعر أنه إذا لم ندعُ المؤتمر القومي فليس من سلطة، لم يعد سلطة بالحزب. وقيل أيضاً لماذا؟ . . هذه القيادة القومية منسجمة، ولم لا تستمر في القيادة، ولم يعرف الحزب كفاءة مثل كفاءة هذه القيادة، هذا كلام قيل في الجلسة التاريخية [1] التي حاولوا بها تعطيل اتخاذ قرار ودعوة المؤتمر القومي، لأن فيها من كانوا يستلمون مسؤوليات، فعليهم أن يمثلوا أمام أعلى مؤتمر في الحزب. . وكيف، وبأي عرف، وبأي عقل، تبقى قيادة بلاد ومقدرات بلاد، مقدرات حزب، يوجد في عديد من الأقطار، وهو على رأس حكم في سوريا. . بأي عرف، وبأي شرع تستمر قيادة لم تستطع أن تجنّب الحزب والبلاد النكسة التي وقعت؟ فيجب أن يعود الأمر إلى الحزب، وفي قناعتي أن على أي عضو في هذا الحزب أن يبادر إلى دعوة المؤتمر. . فكيف بالأمين العام، وهو لم يحدّد أشخاصاً معيّنين في دعوته، بل وضع قواعد موضوعية لمؤتمر يضمّ أكثر ما يكون من الحزبيين، فالمؤتمرات القطرية في الأقطار تجتمع، وقيادات الفروع والشعب التي هي على مستوى المؤتمر القطري تجتمع، وكلها منتخبة، وفي ظرف خطير مثل هذه الخطورة. . يجب أن يمثّل الحزب أوسع تمثيل، لأن الحق لا يضيع حينما يجتمع أكبر عدد. يمكن أن يلعب التكتل لعبه في نطاق ضيّق، ولكن لا مجال لتأثير التكتل حينما يرسل الحزب من انتُخبوا انتخاباً شرعياً. قال الرفيق حمدي أن الدعوة غير شرعية، وأنه سبق وأن اقترح تشكيل لجنة تحقيق، وأنه يحتجّ الآن على تشكيل قيادة قطرية في العراق. .

**أيها الرفاق**

لاأريد أن أستبق المؤتمر القومي، ولكن لابد من أن أوضح ما قاله الرفيق حمدي. كانت هناك أزمة قوية في العراق، ظهرت بوادرها من الأشهر الأولى. . والرفيق حمدي بالذات، وهو أقلّ المسؤولين مسؤولية عن هذه الأزمة، لأنه كان في

---

(١) عقد اجتماع القيادة القومية المقصود هنا مساء ١٠ كانون الثاني ١٩٦٤، وحضره ٩ اعضاء من اصل ١٣.

سوريا بينما كانت الأخطاء تتراكم في العراق، ولم يرجع إلّا بعد أن قطعت الأزمة شوطاً بعيداً، هو أعرَف برأيي وقناعتي وتحذيراتي، ومنذ البداية قد كلّفته مرة وضغطت عليه كي يسافر إلى بغداد، وكنا في شهر أيار أو قبل، ورجوته أن يذهب ويصحّي الأخوة هناك من عواقب الارتجال، فقد كان في ذلك الحين - أي بعد ثلاثة أشهر من الثورة - كان المعسكر الشرقي برمته يقف ضدنا، وأضاع الحزب إحدى مقومات سياسته التي ارتكز عليها دوماً: الحياد الايجابي، فقلت له: إذهب وقل للرفاق ماذا بقي من سياسة الحياد الايجابي بعد السياسة التي تنتهجونها؟. وكذلك يعرف الرفيق حمدي بأنني كنت أحذّر دوماً من سياسة التقتيل والتعذيب ضد أي كان، لأن الخلاف بيننا وبين الشيوعية لايمكن أن يجيز هذه الأساليب.. الثورة لها حق مشروع في الدفاع عن نفسها ضد من يحمل السلاح ضدها في الأشهر الأولى، ولكن بعد استمرارها - وفي الصحف لايمضي شهر أو أسابيع حتى نقرأ ونسمع بتنفيذ إعدامات - فقلت له بأن هذا يسيء جداً. وذهب الرفيق حمدي، وعاد دون أن يؤثر. وقد يقال بأن هذه السياسة كانت العناصر غير الحزبية في الحكم تشجعّ عليها، وهذا صحيح، ولكن كيف يتحملّ حزب البعث مسؤولية الثورة والحكم في بلد عربي إذا كان من الخفّة لدرجة أن تورِّطه العناصر اليمينية؟.. فكيف يكون في مستوى المسؤولية والحكم والثورة؟.. هل هذا جائز أن نترك العناصر غير الحزبية أو الضعيفة الوعي، سواء التي كانت لها أغراض سياسية من تقتيل الشيوعيين لاسترضاء اليمينيين، أو الذين كانت عقولهم وتربيتهم توحي إليهم بهذه السياسة ولا يعرفون مضارها وعواقبها على البلاد؟ الحزب في النهاية هو المسؤول وهو الذي يُحاسب أمام الرأي العام في الداخل والخارج.. ثم اطلعت من القيادة القومية السابقة للمؤتمر القومي على وجود أزمة بشكل واضح منذ أوائل شهر حزيران.. أذكر أنّ رئيس مجلس الوزراء العراقي الرفيق أحمد حسن البكر طلب أن يجتمع بي في ذلك الوقت، ولأول مرة أسمع منه حديثاً طويلاً يعدّد فيه الأخطاء في الحكم، وكيف انه يسير نحو العزلة، وكيف أن المشاكل تزداد في داخله، وفي داخل مجلس الثورة. كانت له آراء وملاحظات صائبة في طريقة التعامل مع الناس، في طريقة الادارة والتوظيف، في

التغـاضي عن أخطـاء الحـزبيين في الـوظـائف والحـرس القـومي ، في الاهمـال والارتجال، وفقدان الخطة، في التناحر الشخصي . . كل هذه الأشياء كانت واضحة وبارزة منذ أوائل حزيران لدرجة أن هذا الرفيق الذي يجمع الكل على احترامه، وأن الـرفيق البكـر رجـل مشهود له بالاخلاص، وبالأخلاق القويمة وبالتجربة والحكمة، وكـان قد انتسب إلى الحـزب في عهـد قاسم، ونسمـع أخبـاره بأنه الرجل الأول بين الحـزبيين العسكـريين وبأنـه مهيّاً للقيادة نظراً لما يتمتع به من إخلاص، هذا الرجل قال لي منذ حزيران: «انني كنت ألمح علائم الحب في عيون الناس، أما الآن فإنني ألجأ إلى الطـرق البعيـدة عن البشـر عنـدمـا أقصد مكتبي لكي أتحاشى أنظار الناس لأني لم أعـد أرى إلا الكـره في عيونهم. . ». وكانت تطرح هذه المشاكل في القيادة القـوميـة، وأزيـدكم علمـاً بأن القيـادة القطرية العراقية التي حكمت العراق بعد ١٤ رمضان إلى وقت النكسة لم تجتمع أكثر من ٣ ـ ٤ اجتماعات في ١٠ أشهر، وبشكل أوضـح لـم تكن تجتمـع إلاّ عنـدمـا كانت القيـادة القومية تذهب إلى بغداد وتجمعها بالضغط، وبعد سفرها تنتهي القيادة القطرية كقيادة، ولا يعود هناك إلا أفراد بعضهم متجانس ويعمل بتفاهم، والآخر مشتت. ودرسنا مع القيادة القطرية في ذلك الوقت كيفيـة إصـلاح الحـال، فوجـدنـا أن السبب الـرئيسي هو عدم وجـود خطـة للحـزب وللحكم، وكان بعض الرفاق قد أعدوّا مشروع خطة، وقرئت في اجتماع قيادة قومية مع القيـادة القطـريـة، ونوقشت وأُقرت، وبقي على القيادة القطرية أن تطبقها، ولكن بعـد رجـوع القيـادة القومية بيوم أو يومين انتهت الاجتماعات، وانتهت الخطة، وقيل من قبل أحد أعضاء القيادة القطرية لمنظمة حزبية، وكان هذا العضو مكلّفاً بأن يشرح للمنظمـة الخطـة لكي تتبنـاهـا وتعمـل على تطبيقهـا والدعاية لها بين الشعب، قال للمنظمـة هذه خطـة ولكنـه غيـر قانـع بهـا، وعنـدهـا انتهت ودفنت في اليـوم الثاني لعـرضهـا. وعـاد كل واحـد منهم إلى ديـدنـه في التفرد والارتجال، وسمعت مرة من الـرفيق حمـدي يسمي دعـوة المؤتمـر القـومي إلى إنقاذ الحزب والبلاد عملاً فردياً، ولكني لـم أسمعــه يشجب تلك الأعمـال، لم أسمعـه يسمي تلك الأعمـال فرديـة، وعلى الأصـح سمعت ذلـك بيني وبينـه، ولكنه لم يواجه بها المؤتمرات. . هذه هي

الشجاعة، لا أن نطمس الحقائق على أفراد حزبنا وشعبنا ونحن نتصرّف بمقدّراته . .
نعم غبنا شهرين، وعدنا وإذا الحال أسوأ من السابق، وفي المرة الثانية ـ أي بعد شهرين، في تموز وآب ـ سمعنا نغمة جديدة: نغمة يسار ويمين، بينما سمعنا في الأول انه لا خطةّ هناك. وبعد شهرين، فإذا بكتلتين في القيادة وعددها (٩)، أضيف إليهم عضو خلافاً للنظام، والمهم أن (٢) من (٩) كان لهم رأي وموقف عدا الآخرين، وكان هذا كافياً ليؤخذ مبرراً لعدم الاجتماع، اجتماع قيادة طوال عشرة أشهر. اثنان يخالفان سبعة، لماذا لا تجتمع القيادة، وتبتّ، وتأخذ قرارات بالأكثرية، وتفرض قراراتها؟ . . سيقال لكم أن المسألة ليست بهذه البساطة : هناك الحكم، والحزب لم يكن مسيطراً كلّ السيطرة، وبالتالي القرار الذي يتخذ بالأكثرية في القيادة لا ينفذ في الحكم، ويمكن بعد هذا الحل السليم لحلّ المشاكل كي نلف ونحتال ونتهرّب فنتخذ قراراً ونقول للحكومة وللمجلس هذه سياسة الحزب . .
طالما هناك اثنان يخالفان رأي الآخرين، فلا موجب لاجتماع القيادة. هذا مريح جداً كي لا تكون هناك قيادة وقرارات، بل كتلة أفراد يجتمعون حسب أهوائهم.
ومنظمة العراق، وهي أعلى مستوى تنظيمي بقيت عدة أشهر بلا توجيه، بلا نشرة، بلا انتخابات، ففوضت القيادة نفسها بدون شرعية. . فأين الشرعية التي يتذرعون بها؟ . . ولكن عندما أصبح الحزب حاكماً لا تجري انتخابات، والقيادة لا تجتمع، بل الأفراد كل واحد يعمل على هواه، فإنني أيها الرفاق، أقول لكم بأننا، وأنا شخصياً، كنت أشعر بالخوف والقلق والذعر على مصير الحزب في العراق. كنت أعتزّ بحزبنا في العراق قبل ١٤ رمضان أشدّ الاعتزاز، وهذا معروف لدى الجميع، وكنت أعتبره الحصن الحصين للحزب في جميع الأقطار، ولكن بعد ١٤ رمضان بدأت أشعر بالقلق للتصرفات الفردية الطائشة . . رأيت أن المستوى ليس مستوى قيادة بلد وشعب، بل كان متناسباً مع ظروف النضال السلبي، وكم مرة صارحت الرفيق حمدي خاصة بذلك، ولأنني أعرف رصانته، بمخاوفي هذه، ولذلك طلبت من القيادة القومية السابقة أن تسارع إلى عقد مؤتمر قومي في ١٧ أيار. اتفقنا على ذلك ـ أي بعد ١٤ رمضان بثلاثة أشهر ونصف ولكنهم جاؤونا في د ١ أيار ليقولوا إنهم

لم يستطيعوا إجراء انتخابات - كانت هناك مشاكل أخذت بوادرها تظهر، وأخذت تشير إلى أن هذا المستوى من القياديين لا يكفي لكي يحسن تسيير الثورة إلى الشاطىء الأمين، ولأن هؤلاء الرفاق لم يعودوا يسمعون رأياً أو نصيحة من أحد، ولا من القيادة القومية - أعلى قيادة في الحزب - فكانوا بكل صراحة يقولون انهم في غنى عن أي رأي آخر، وكل رأي يقابَل بالاستخفاف. قلت لهم: ان الرأي العام العالمي لايُستخّف به، وأن الرأي العام العربي يجب أن نهتم به. كنا نسمع: وماذا يهم ذلك علينا في العراق؟.. ولكن كيف كان يساس العراق؟.. بالارتجال، بالأعمال الفردية، وبدون جدّ.. وأنا أفهم من الثوار ومن الثورة أن يقضوا الخمس سنوات الأولى في سهر دائم، أن لا يأخذوا نفساً في السنوات الأولى، أن يناموا ويقوموا في مراكز عملهم، حتى لو لم تكن لهم الكفاءة والخبرة المطلوبتين، إنما الغيرة الثورية إذا كانت جدية فتقتضي بهذا.. لم نشاهد شيئاً من هذا بالعراق، بين اخواننا، فاغتروا بالنصر. ويجب أن نصارح بها أنفسنا.. وطالما أن القيادة القومية لا يُسمع رأيها، والزمالة ليس لها حساب أيضاً، فلم يبق إلّا العودة إلى المؤتمر القومي. ضغطنا على اخواننا مرة ثانية وثالثة بأن يجروا انتخابات حتى نعقد المؤتمر القومي، ووافقوا على ذلك، وأجريت الانتخابات وخرج منها مؤتمر قطري، ولأول مرة في تاريخ الحزب تبتدع بدعة بأن تجرى الانتخابات على دفعتين، فانتخب مؤتمر عام من (٥٤) عضواً، وهذا بدوره انتخب سبعة وعشرين عضواً. أهذا أصولي ونظامي جداً؟ أما دعوة المؤتمر القومي في ظروف رهيبة فهو عمل فردي من قبل الأمين العام.. وأخيراً اجتمع المؤتمر القطري..

**أيها الرفاق**

هناك أعضاء القيادة القومية السابقة، بعضهم موجود هنا في هذا الاجتماع، ويشهدون على القلق الشديد الذي كان يساورنا من استمرار هذه السياسة وهذا الأسلوب، وليسوا هم وحدهم، لا بل وجدت من واجبي ألّا أترك القيادة في سوريا.. فالحزب واحد والمصير واحد، وما يصيب العراق يصيب سوريا بالدرجة الأولى، فدعوت بعض أعضاء المجلس الوطني إلى اجتماعات، وهم حاضرون

بينكم، وكنت أحـذرّهم، وأقـول لهم بأننـا يجب أن نبـادر إلى تفـادي النكسـة قبـل وقوعها، يجب أن ننصح اخواننا وأن نردعهم، وأن نعاونهم ونكمّل ما في تجربتهم من نقص، لأن استمرار هذه الأخطاء سيزيد في عزلة الحزب والحكم.

في المؤتمـر القطـري العـراقي تكلمت، وحـذرّت، وكلمتي كتبها بعض الرفاق هناك. . حذرّت من هذه الأخطاء، ولكن ربما قصّرت ولم أستعمل الكلمات القاسية الجارحة، ولم أصرخ بكل صوتي في البعثيين أن يتداركوا حزبهم وثورتهم وقضيّتهم، كي لا تضيـع. . قصّـرت، لم أتكلّم بهـذه الصـراحـة، وإنمـا أشرت إلى الأخطاء، وقلت بأن الحزبي الأصيل يستطيع أن يتغلّب على هذه الأشياء ويتداركها، ولا حظنا في المؤتمر أسلوباً غير سليم، لا يدعو إلى الاطمئنان. . لم يكن مؤتمر حزب بعث، إذ لم أعـرف مؤتمـرات كهـذا، بل كان برلمـاناً للمرافعة، لتسقّط الهفوات اللفظية، للمحاسبة على شكلياتها، كما في المحاكم أو البرلمانات، حيث التكتل والأحزاب المختلفـة، ولم نر كلامـاً صريحـاً إلاّ من القـلائل جداً، ومن جهة واحدة. . لاحظنا بعض أعضـاء القيـادة القطـريـة أو اثنين ـ حدثّتكما عنهما بأنهما كانا يخالفان السبعة الآخـرين، وينتقـدان هذه الأساليب والأعمال من أشهر ـ لاحظنا روحاً تنذر بالخطر: إنهما يحرّضان العسكريين على الحزب، ولذلك لم نسترسل في انتقاد الأخطاء وفي شرحهـا الشـرح الكـافي، لكي لا تُستغَلّ ضد الحزب، وقد حذرّت هذين العضوين أثنـاء المؤتمـر، ونبّهت بعض الـرفاق العسكريين، وخاصة الرفيق البكر، ذهبت إلى مكتبـه أثنـاء المؤتمـر واجتمعت به بحضور رفيقين من القيادة القومية وكان كلامي في ساعـة أو أكثـر ينصبّ على الفكـرة التالية: الحزب أولاً. . هذا الحزب لم يُرتجل في يوم، ولـم يُصنـع في يوم أو سنـة. . هذه حركـة تطلّبت سنين وسنين حتى تأسست وفـرضت نفسهـا من خلال الصبـر والثبات والتضحيات وسقوط العديد من الشهداء، فليس كل يوم تصنع الأمة العربية حزباً بهذا المستوى، ولذلك يجب أن تنتبهوا، فلا يجوز الاستعانة بقوة من خارج الحزب على الحزب، بل يجب معالجتها ضمن الحزب.

ورفاقنا يشهدون وسيقولون لكم ذلك، كنت أقول لهم أخطاء الرفاق هي أفدح بكثير من تآمر الآخرين، لأنها هي التي ستدفع إلى التآمر، وتبرّره. فالحزب إما أن يكون فعلاً قد وصل إلى الثورة وحققها عن جدارة، فعليه أن يحمي نفسه ضدّ كل المتآمرين، عليه أن لا يترك لهم ذريعة ليطعنوا به، وإلاّ فيكون وصوله غير طبيعي، وفي غير أوانه، لأنه لم يحقق المستوى القيادي اللازم لقيادة ثورة وشعب، وهي تختلف عن قيادة فرق وشُعَب. . كنت أقول لهم، هؤلاء الرفاق، كنت أحدّثهم عن نضالهم، وطالما سمعوا إعجابي بهؤلاء الرفاق، وبنضالهم السابق، ولكن ما العمل؟ . . انهم لا يبرهنون عن جدارة في الحكم، وفي تحمّل المسؤوليات في مرحلة البناء والثورة. . ليس عندهم الشروط لذلك، وأنا أتمزّق بين وفائي لهم ولماضيهم، وبين خوفي وقلقي من حاضر أعمالهم. . فعليكم أنتم أن تساعدوني في الضغط عليهم، لكي يلتزموا ويتوقفوا عن هذا الأسلوب. . وفي المؤتمر القومي بقيت لنا فرصة أخيرة، وكنت أقرب إلى التشاؤم في هذا المؤتمر، وقبل أن يبدأ، لأني لمست شيئاً في أسلوب هؤلاء الرفاق تكرر وتكرر، فعرفت أن أسلوبهم هو التأزيم المتزايد. . التأزيم، إذا حققوا نصراً فيزدادون إمعاناً في الأخطاء نفسها، إمعاناً وغلوّاً، بدلاً من أن يستفيدوا من الدروس، وأن يجعلوا هذا النصر للحزب، ولكنهم بدلاً من أن يعتبروا ويبدأوا صفحة جديدة، ويحاولوا أن يروا نصيب الحقيقة في آراء خصومهم ـ لأن كل معارض عنده نصيب من الحقيقة ـ بدلاً من أن يضعوا الحزب فوق أشخاصهم. . بدلاً من أن يفتحوا صدورهم ليتغلّبوا على عاداتهم، وليرعوا ذمة الحزب ومصير الحزب، وليغيروا من الأعمال المتطرفة التي أساءت وعزلت الحزب. كلّ هذا لم يحدث، ولم يغير الرفاق شيئاً من أسلوبهم بعد المؤتمر القطري، لأن التصويت دلّ على عدم رضى كامل عن مثل هذه السياسة، ومثل هذه القيادة. . وكانت القيادة القومية بالقياس إلى ما قبل الثورة تخص الحزب في العراق بنسبة كبيرة من التمثيل في المؤتمر القومي، بنسبة نضاله، وكان له رجحان وعدد كبير من الممثلين، واستمرت القيادة القومية على هذا المنوال، وأعطت الحزب في العراق

٢٥ ممثلاً، بينما أخذت سوريا أقل من ذلك بسبعة مقاعد. . وتعرفون ـ أيها الرفاق ـ مرضاً آخر من أمراض العقلية الضيقة: هو أن هؤلاء الرفاق جعلوا العضوية في العراق بالحزب أشبه بالعضوية في الجمعيات السرية، فكان حزب البعث يضمّ الآلاف من شباب العرب في العراق من المناضلين الذين تعرّضوا إلى التجارب، ولكن هذه الآلاف حرُمت من حق العضوية، وتحصر في مئات فقط. . وهؤلاء يحكمون الملايين في العراق، في حين انه لايمكن أن تخرج إرادة صحيحة من هذه الفئة السرية. لا. . ليس هذا من روح نظام حزبنا. . ولكن هذا كان الواقع في المؤتمر القومي. . جاء رفاقنا بنسبتهم الكبيرة في التمثيل، ونعرف أيضاً بأن لهم في سوريا من هم متأثرون بهذا الأسلوب إلى حدّ ما. . كان منتظراً إذن أن لا يؤدي المؤتمر القومي إلى حلّ صحيح وجدي لأزمة الحزب، ومع ذلك بذلنا الجهود. وقد نبّهت بعض الرفاق في الأيام الأولى للمؤتمر إلى ذلك، وطلبت منهم أن يتكلّموا ويقولوا ما يعرفونه عن هذه الأخطاء كي يستطيع أعلى مؤتمر في الحزب أن يجد حلاً. . وتكلّمت كثيراً في هذا المؤتمر، وحذرّت كثيراً، وقد عدت لأقرأ الكلمات التي قلتها في المؤتمر القومي، إلاّ أنها كانت ضائعة، والتسجيلات التي سجلّت في المؤتمر القومي لا أعرف ماذا حلّ بها. . قلت للمؤتمر القومي أنّ هؤلاء الرفاق ناضلوا وتعبوا، ولكني أشرت بوضوح إلى أسلوب دخيل على الحزب، أو هذه هي قناعتي، سأقولها دائماً، هذا أسلوب تكتل واحتراف لصنعة استغلال النظام الداخلي. . خذوها مني هذه الكلمة: صنعة وحرفة، بشكليات وفقهيات وبيزنطيات، لا يعقل أن يتحوّل البعثيون إلى أشخاص من هذا النوع، وهم يستلمون مقدرات الملايين من أبناء أمتنا، والأمة تنتظر تجربة البعث لكي ترى هل هي جديرة بالحياة؟. . ثم بعد إصابتنا بالنكسة تستمر هذه الشكليات بالمماحكة، كي ينفردوا بالسلطة، بالقيادة، لكي يُطمس الرأي المعارض والمخالف، لكي تُطمس الحقيقة. . ماذا حلّ بنا حتى نصل إلى هذا المصير؟. أسلوب هجين غريب، فقد بدأ حزبنا بالصدق والبساطة ولا يستطيع أن يستغني عنهما هذا الحزب، هذه العقيدة البسيطة التي سمعت في الأشهر الأخيرة من التهكّم عليها، ومن التعريض بها، ما يدمي القلب من كبار

القيـاديين. . هذه العقيـدة بفضلهـا وصلتم إلى القيادة والحكم، لأن الشعب العربي حينما أعطاكم الثقة، اعطاكم إياها بالنسبة للكلمات البسيطة التي عبّرت عن عقيدة الحـزب لا للتكتـل والسـرّيـة. حذرّت في المؤتمر القومي بكل محبّة، وفي اعتقادي وضميـري أن المحبـة فوق كل قيمـة. البعث هو اشتراكية علمية زائد روح. . لذلك راجعـوا كلمـاتي في المؤتمـر القـومي. خاطبت هؤلاء الـرفاق بكلّ محبة، ولم يجد ذلك. كنت أقول لأعضاء المؤتمر القومي، بالحرف الواحد: إني وضعت عمري في هذا الحـزب، ومن الطبيعي ألّا أطمـح إلّا إلى أن أرى الحـزب ينمو وينجح، نجاحاً صادقـاً، لذلـك فإني أقلق وأحذر. . أقول لهم عليكم أن تسألوني. وفي اليوم التالي قلت خلاصـة تجـربتي، وخلاصة تحذيراتي. ولما حان موعد انتخاب القيادة القومية الجـديدة، ورشُحّت، قمت واعتذرت. . وكان الكثيرون في المؤتمر القومي يعرفون من أيام انعقاد المؤتمر بأنني لن أرشح نفسي. . لأنني سأستغل كستار لا أكثر، لأنني لم ألمس أي تراجـع عن الأسلوب، بل لمست الاستـرسـال والتمـادي. . وأنا أعرف بأنهم سيرشّحونني، وسينتخبونني بالاجماع لحاجتهم لي. ولماذا أساعد على إخفاء الحقـائق عن الحـزب؟. . واعتذرت، وحدث الضغط علّي من كل جانب، ومنهم - من هؤلاء الـرفـاق أنفسهم - من يعلم بأن المؤتمـر يفشـل، وبأن الحـزب ينقسـم، وبأن. . لا أعلم ماذا يحدث؟ فأصغيت وسكت، وذهبت وبقيت يومين في حالة من التمـزق، وأنـا أرى الأخطـار، فكيف أنبّـه الحـزب؟. . استقـالتي كانت واجبـة، أو اعتـذاري عن التـرشيح كان واجباً. ففكرّت في الاستقالة واعتذرت يومين عن حضور الاجتمـاع، وتأخـر الاجتمـاع، ثم ذهبت وبقيت ساعـة أو ساعتين، وأعضـاء القيادة ينتخبون وأنا صامت ذاهل: أبقى أو لا أبقى. . ومن ثم صارحتهم. قلت لهم أن هذه القيـادة خرجت نتيجـة تكتل، وإذا كان هو الذي سيقود الحزب فسينهار. لأن التكتل يغلب عليه العصبية وروح التكتل، أما إذا استطاعت هذه القيادة، رغم خروجها عن التكتـل، أن ترتفـع إلى مستـوى المسؤوليـات، وأن تنسى أنها متكتلة، فأنا مستعد، وإلّا فدعوني وشأني. . ويعرف بعض الرفاق اني فكرّت في السفر بعيداً، كي يتساءل البعثيون في كل مكان عن سبب انسحابي وسفري. . قلت لهم: ليس من السهل أن

يتـرك واحـد مثلي حزبـه. لذلـك عندما أكدّوا لي بأن القيادة لن تعمل بروح تكتل بل بروح المسؤوليـة تابعت العمـل. . وفي جلسـة تاريخيـة، قبـل أحداث العراق بأيام معـدودة حضـرهـا كل أعضـاء القيـادة عدا الـرفيق البكـر، اجتمعنـا يومين، ساعات وساعات، ليلاً ونهاراً، وعالجنا مشكلة العراق. . وطرحت أسئلة على الرفاق، وقلت لهم، ان جوابكم عليها سيكون تاريخياً: هل هناك احتمال انقلاب ضد الحزب؟. . فكـان الجـواب: لا. . لا يوجـد واحد على ألف من هذا الاحتمال. . لم يكن هناك أي شيء يخفى من تآمر عارف. . كل هذا كان معروفاً أو مفترضاً، وهذا واجب القيادة أن تفترض أن المؤامرات لن تنتهي. فالجواب كان من البعض بالتردد، ومن الآخرين بالنفي، وهؤلاء الرفاق كلهم حاضرون. .

**أيها الرفاق**

لن أذكـر أمـام هذا العـدد من البعثيين. . أمام هذا العدد من المواطنين العرب ـ بصرف النظر عن كونهم بعثيين ـ فإنهم مواطنون عرب، بشر، لن أذكر أمامهم كل ما قيـل بحقي من افتـراءآت واتهـامـات بعـد نكسـة العراق من رفاقي في الحزب، وفي القيادة القومية، وفي قيادة العراق، كانوا في المؤتمر القومي الأخير، وكانوا في السنين المـاضيـة يقـولـون عني أشيـاء، وحتى في المؤتمر القومي الأخير قاموا وذكروا أشياء نسبـوا إليّ الفضـل فيهـا بدون أن أستحقهّـا. . ولكن هذا الأسلوب ـ ليس المهم أن أجرّح شخصياً ـ المهم هذه العقلية، والشريعة العجيبة التي تجيز مثل هذه الأحكام والتبـدلات السـريعـة والمفاجئة، بالأحكام على الأشخاص. . التي تجيز في حزب يضم عربـاً ويضمّ أنـاسـاً أسـويـاء. . هذا الأسلوب الذي يجيز أن يتهم شخص بلغ الرابعة والخمسين من العمر، وقضى في هذا الحزب أربعاً وعشرين سنة منذ اللحظة الأولى لتأسيسـه، واستعـدّ سنين قبلهـا للقيـام بهـذا العمـل، أن يقـال بحقـه من الافتـراءآت ما لا يقـال، وذلـك فقط، لأني كنت دائماً ومنذ أشهر عديدة أنبّه بمحبة، وبـدون أن أجـرح أحـداً، وأقسى كلمـة قلتهـا: «الطيش، الارتجـال»، كنت أقولها لتألّمي على هذا الحـزب. . لا أعلم ماذا سيقـول الشعب البسيـط عنـدمـا يجـد أن حصـيلة أربـع وعشـرين سنـة في هذا الحـزب المنظّم هي هذه الطعـون والتهم

والمكـافـآت الـرائعـة التي تقـدم لشخص يعـرف ـ قبـل أي إنسـان آخـر ـ انه بسيط متواضع . . بل عربي وبسيط اراد أن يتحدى كثيراً من الأشياء في هذا الوطن . كل ما قلتـه اقتنعت به، وصلت ثقـافتي إلى هذا الحـد، ووقفت عنـد هذا الحد . . وأقولها صادقاً: اني أعرف نفسي وحدود إمكاناتي، ولكن أعرف نفسي اني صادق . . وقلت للشبيبـة التي وجـدت فيّ الصـدق ان لديّ أيضـاً نواقص كثيرة ومواطن ضعف، ولولا إيمـاني بالله . . إني أؤمن به، وذكـرت ذلـك في كتـابـاتي . . الايمـان بالله . . بالأمة العـربيـة . . بالشباب العربي . . الذي أعطاني الثقة وأكثر مما أستحق . . تغلّبت ولم أيأس، بل تابعت الطـريق إلى هذه السن . . هذا، بكـل بسـاطـة، ما أريد أن يُعرف عني إذا عاش هذا الحزب، وسوف يعيش لأنه صادق، وفيه بذرة صدق تكفي لانقاذ أمة . . أعرف كل شيء . . أعرف الظروف القاسية وما طرأ على الحزب من تشويه . . أعرف، ولا أحب أن أسترسل أكثر من ذلك، ولكني أقول أن الذي يعيش بين عشرات ومئـات وألـوف من شبـاب العـرب ربـع قرن أو أكثر ـ وكنت قبل تأسيس الحزب ومنذ صغري مؤمن بهذه المبادىء ـ وأبي قبلي كان وطنياً وتعلمت منه الوطنية، وهذه ولأول مرة أذكرها في حياتي . . أقول لكم، أيها الرفاق، من قضى العمر في خدمة العقيدة لا يخاف أحداً ولا يهاب أحداً . .

**٢ شباط ١٩٦٤**

# حول اسلوب التكتل

**أيها الرفاق**[1]

إن الأعضاء كباراً وصغاراً يجب أن يخضعوا للنظام الداخلي للحزب، هذه مبادىء عامة وهي وحدها المقبولة. . وسأحاول أن أشرح نظرتي والدوافع التي دعتني إلى اتخاذ مثل ذلك الموقف وهو. . (السفر إذا نُشر قرار فصل الأستاذ صلاح في الصحف) إذا كان بعض الرفاق لايعرفون المشكلة إلاّ بنتيجتها في ذلك اليوم فإنها قديمة وقديمة جداً، وهنا في هذا المؤتمر من يعرف موقفي منها منذ القديم، ويعرف اني دوماً كنت أعترض على الانسياق في مثل هذا الطريق الضال خوفاً على الحزب، وكانت الأحداث تأتي لتزيدني اقتناعاً بأن ذلك الطريق لم يكن طريق الخير والنجاح بل العكس تماماً. المبادىء العامة قام الحزب أساساً عليها، ما كان ليستطيع المضي في طريقه وأن يناضل ويلفّ حوله جماهير الشعب، وينتشر في شتى الأقطار العربية، ويدوم عشرين سنة وأكثر لو لم يكن صحيحاً. وهذا لايمنع بالطبع من القول بأن هناك أمراضاً. رفاق كثيرون في مسؤولية القيادة والسلطة يعرفون موقفي منذ أن. ظهرت هذه الأزمة في الحزب، يعرفون بأني اكتشفت ما فيها من اصطناع وتزييف وافتعال، وأنه بالامكان دوماً أن تتخذ بعض الأخطاء والتصرفات حججاً وذرائع من أجل تنفيذ خطة مقصودة وغرض مبيّت، وعندما أنتبه لذلك وأعترض وأحذر وأخاف، لا أخاف على صلاح البيطار. لا أعرف كيف أصف الدرجة التي أحب فيها الحزب. . صلاح صديق العمر لي، هذا صحيح وتلازمنا وبقينا سنين طويلة ونحن

---

(١) كلمة ثانية في المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في ٣ شباط ١٩٦٤.

في موقف واحد ننظر إلى القضايا العامة، ونحلّل الأوضاع القومية لنقوم بخدمة ما، لنعمل شيئاً لجيلنا ولوطننا، ولم يكن العمل سهلاً. وآخر الأمر صمّمنا وبدأنا وتعثرنا كثيراً، كل هذا الماضي الطويل يجعل من رفقتي وصداقتي لهذا الزميل شيئاً ثميناً وقوياً ولكنيّ لايمكن أن أضع فوق الحزب الذي من خلاله أرى مصلحة الأمة، أي شخص أو ولد أو بشر. ولكن هو خوفي على الحزب، وأعرف متى تكون المبادىء مطبّقة لنفسها ومتى تكون مطبّقة لدوافع ومصالح شخصية لايقصد بها مصلحة الحزب، بل تنفيذاً لخطة حفنة من الأشخاص تحرّكهم الأغراض والنزوات، وأعتقد بأن ما وصلنا إليه هو دليل ساطع كالشمس بأن هذه الطريقة والخطة ليس فيها ضمير، وان أشياء كثيرة قد دخلت على هذا الحزب مفتعلة، تبين أن خطة وضعت لاقصاء أشخاص معينين، إذا ما أقصوا فيمكن عندها للجماعة أو للشلة أن تنفرد بقيادة الحزب والسلطة، وتبرر في سبيل ذلك كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة. جاء هذا المؤتمر بتصميم لأن يكون إنقاذاً للحزب والبلاد، وأن تسوده روح المحبة رغم كل شيء، وأنا لا أقول المحبة تعني التسامح مع الاقطاعي، بل في داخل الحزب يجب أن نحتكم الى المحبة، فنحن أيها الرفاق في معركة تاريخية إما أن يصمد فيها هذا الحزب ويتحقق أمل كبير للأمة ويفسح المجال أمام تجربة ثورية بأن تبني نفسها شيئاً فشيئاً، أو أن تتبخرّ وتتلاشى في هذه المعركة. كان من المفروض، كان العقل والوجدان والروح الحزبية والقومية، كل هذا كان يقتضي بأن نكون أشد تماسكاً وتراصاً وتضامناً من أي وقت مضى، لا أن نفتح معركة داخلية في الحزب من الصراع على المراكز والمناصب والقيادات ونلهي الحزب بهذه الأشياء وننسى أننا محاطون بالأعداء. ان من يستلم حكماً يجب أن يعطي كل يوم وكل شهر شيئاً جديداً للشعب حتى يحصّن الحكم نفسه أمام مؤآمرات الأعداء. في هذا الظرف بالذات كنا واثقين ببعضنا فإذا بالمعركة تُفتح، ونفاجأ بمعركة مفتعلة مصنوعة ولو أنها ارتكزت أيضاً إلى أشياء حقيقية من نواقص في الحزب والأشخاص. ولكن هناك فرقاً كبيراً بين تذرّعنا بالنواقص هذه، للتهديم، وبين إتمامها وإكمالها. كيف أجاز البعض لنفسه في مثل هذه الظروف القاسية أن يبدأ مثل هذه المعركة؟! أنا أعرف أن الخطة قديمة ولكنها

لم تتخذ هذا الأسراع في التنفيذ إلاّ في وقت معين وعندما ظهر بأن السلطة قد خلصت للحزب، أي في اللحظة الثمينة النادرة التي أتيحت للحزب كي يعطي ويقدّم ويستقطب الجماهير في سوريا وأن يكسب ثقتها ويسترعي اهتمامها في الأقطار العربية الأخرى، في هذه اللحظة التي كان يطلب منا فيها الوحدة التامة في الحزب كي نتمكن من التحقيق والانجاز، فتحت معركة الانقسام. لم يكن صلاح البيطار إلاّ وسيلة ومناسبة وأداة، لم يقصد بشخصه، لذلك نبّهت الى الخطر. . لم أكن أقصد شخصاً مهما كانت قيمته وكفاءته - ومهما كانت معزّته عندي - وإنما كنت أقصد الحزب. ثم تتالت الفصول للخطة، وعندما لانبتّ في خطر كهذا الخطر ولا نوقفه عند حدّه فإن الأمور كلها تضطرب وتختلّ، وعندها يمكن أن يُدفع الشخص المخلص دفعاً ودون انتباه وتقدير للعواقب إلى المخالفات، إلى أعمال يائسة. . الأشياء التي جمعت وضخمّت واختُلقت على صلاح البيطار قبل المؤتمر القطري لم تتناوله في إخلاصه للحزب وفي عقيدته ومبادئه وإنما تناولته في بعض تصرفاته بالحكم، ولكن فيما بعد تطورت الأمور وبشكل أراني مضطراً أن أصرّح ببعض الأشياء. . بعد نكسة العراق وقد اطلعتم في جلسة أمس على أشياء كثيرة من هذه الصفحة، بعدها شعرنا كمسؤولين عن هذا الحزب وعن ماضيه ومستقبله اننا مطالبون بعمل سريع وبنقد ذاتي، نرفع فيه عن الحزب مسؤولية أخطاء وتصرفات استغلّها أعداء الحزب في العراق وخارج العراق وضخّموها عشرات المرات وأضافوا إليها واختلقوا، لكن لاشك انه كان هناك لها أساس من الحقيقة سمح لهؤلاء الأعداء والخصوم لأن يتمادوا في الافتراء، فشعرنا بخوف مشروع على الحزب من أن ينال منه الأعداء ويشككّوا فيه وفي عقائديته وتكوينه كله، إذا كان الحزب يسمح لمثل هذه الأخطاء أو يتغاضى عنها أو يعجز عن تصحيحها في حينها. هذا ينال الحزب مباشرة وفي الصميم، وبالتالي يضع سداً منيعاً بينه وبين الشعب وإلى سنين. وعند ذلك على الحزب أن يبذل جهوداً كبيرة لازالة هذا السد. . وعندما جاء رفاقنا العراقيون الذين أُبعدوا إلى أوروبا ثم عادوا الى دمشق واجتمعوا في جلسة بالقيادة القومية، صارحناهم بعض المصارحة لا كلها، لأنهم كانوا في حالة من الانفعال

والتأثر، وشملتنا هذه الحالة ومنعتنا من المصارحة الكاملة، لأنهم رفاق وحالتهم لابد أن تؤثر فينا، ولكن قلنا لهم: إن ما نعهده فيكم من روح حزبية عالية تجعلنا نأمل ونتوقع منكم أن تقدّروا ظروف الحزب وظروف البلاد، دون أن ينبّهكم أحد الى ذلك. ولكن الرفاق بقوا في حالة التأثر وقالوا بأنكم تطردوننا طرداً او شيئاً من هذا، وكان هذا كلاماً قاسياً، ولا أريد أن أطيل أكثر من هذا في الموضوع. المهم أن هذا أيضاً صعّب علينا المهمة وأخّر علينا عملية النقد الذاتي التي كانت واجبة، ليبقى الباب مفتوحاً وواسعاً بين الحزب وبين جماهير الشعب، ويبقي على وحدته الداخلية ويبعد عنه التمزق والتشتت في الاجتهادات، ولعلكم عشتم وشاهدتم مظاهر تلك الأزمة في تلك الأيام القاسية، ولكننا نحن شاهدنا الشيء الكثير سواء من رفاق العراق أو من خارجه وبعضهم أخذ يستغيث أن يبرأ الحزب من الأشياء التي تُنسب إليه، سواء استطاع المستلمون الحكم بعد النكسة ألا يصدروا فضائح الحزب ولو كانت بأكثريتها مزورة. وعليه أُجلت عملية النقد التي كانت لها فوائد كبيرة. . أعتقد أن صلاح البيطار مهما ظنّ فيه بعض الرفاق ومهما بلغت الانفعالات الشخصية لايمكن أن ننكر عليه بأنه أحد مؤسسّي هذا الحزب منذ اللحظة الأولى لوجوده، وانه وضع فيه كل كفاءآته وأتعابه، وبالتالي يشعر كما نشعر كلنا بالغيرة على الحزب وعلى سمعته، ويتألم أعمق الألم إذا لم يرتفع من الحزب صوت جريء موضوعي ليقول للعالم كله: كلا ليس البعث فاشياً، لايجيز البعث التقتيل والتعذيب، لايجيز هذه التصرّفات اللاإنسانية. ان أشياء كثيرة زورّت على الحزب ولكن وقعت بعض الأخطاء، وعلى الحزب أن ينقدها برجولة، وتعرفون اني قلت كلمة مختصرة جداً بمناسبة مهرجان نصرة عدن وضمنتها أسطراً معدودة من النقد الذاتي بصفتي الأمين العام للحزب. وصحيح أن صلاح البيطار تصرّف تصرفاً فردياً عندما نشر تصريحاً في الصحف، ويعرف بعض الرفاق وهم حاضرون كيف كان ردّ الفعل عندي عندما قدّموا لي الجريدة، ولكني أقول بكل صراحة ان التذرّع بهذا لفصل صلاح من الحزب كفر. وليس هذا انتصاراً لشخص، كلا! وإذا كنا سننتصر لأشخاص بعد هذه المآسي فلسنا بشراً، ولكننا سننتصر لقيم حزب مناضل منذ عشرات السنين يقدم

لهذه الأمة التي ظلّت مئات السنين تشكو من ضياع القيم الانسانية. إذا كان الحزب سيكفر بمثل هذه القيم ويتذرّع بهفوة ليفصل مؤسسّاً للحزب، ماذا نقول للناس وللشعب، الذي يجب أن نقدّم لهم قيماً جديدة، إذا كنا نحن نتشفّى من بعضنا..؟ أعرف أن المنطق يعطي أسلحة جديدة لكلّ من يبرّر، وأعرف هذه المبررات والحيل ولكنها لاتنطلي عليّ بكل صراحة. ولما لم أجد التجاوب التام وبالأحرى لم أجد عملاً يوقف مثل هذه الأساليب التي تكاد تودي بالحزب، والى أين نحن سائرون؟ عندها نعم فكرّت في السفر وذهبت الى رفاقي في القيادة القومية، وقلت ان هذه الحالة لاتطاق، وغداً إذا نُشر الخبر في الصحف سيعتبر كارثة للحزب، وأخبار المؤآمرات من كل جانب تحاك ضدّنا، فلماذا هذه الضجة الآن؟ ولماذا هذا الدليل الجديد على التصدّع وعلى الانهيار؟ بوسع بعض الرفاق أن يظهروا الأمر على غير هذه الصورة، بأن هذا بداية للحياة الجديدة: انضباط، خضوع للنظام.. ولكن بصراحة أقول: لن تنطلي عليّ هذه الأقوال.

أنا تكلّمت في المؤتمر القومي عن التكتل الذي نعرف أصوله منذ زمن الانفصال وتتبّعناه وكان يقوم على إبعاد أشخاص معينين عن الحزب.. وبشكل وبكلام صريح واضح، كان يقوم على إبعاد صلاح وميشيل عن الحزب، على مراحل، وقد أُبعدنا فعلاً عن التنظيم، ولم نمانع في ذلك وأنا هنا أريد أن أتكلّم عن شخصي، لأني لم أتكتل مع أحد طوال حياتي الحزبية.. ويعرف الرفاق انني أختلف في أمور كثيرة مع الأستاذ صلاح، ولكن نحن انتبهنا إلى هذا الأسلوب غير السليم وغير البنّاء.. هناك وقائع كثيرة أكتفي بواحدة منها: في شهر تشرين من عام ١٩٦٢، سافرت إلى الجزائر بمناسبه أعياد الثورة وبقيت مدة خمسة وعشرين يوماً غائباً عن سوريا، وعندما عدت وجدت نشرة داخلية من خمس عشرة صفحة، وزعت في غيابي في سوريا وخارجها، صادرة عن القيادة القطرية المؤقتة لسوريا بعنوان (أزمة الحزب) فيها مغالطات وتجريح بماضي الحزب كالذي هو في هذا التقرير[1]، أي من يقرأ هذه العبارات التي

---

(١) تقرير القيادة القطرية في سوريا للمؤتمر القطري الاستثنائي.

تصدر عن الحزب، والتي تقول إنه لم تكن فيه إلّا التكتلات والصراع بين القادة الكبار وانه لم يتحقق الانسجام فيه يوماً من الأيام. . يتساءل المرء كيف يمكن لحزب كهذا أن يعيش هذه المدة وأن يحقق ما حققّه من انتشار؟!.

في المؤتمر القومي، أيها الاخوان، تكلّمت عن هذه الظاهرة، وقلت انه قد يكون الذين بدأوا هذا الأسلوب، قد يكونون مدفوعين بدوافع خيّرة، بدوافع الغيرة على الحزب وإرادة النفع له، لهم قناعتهم، وقد يكونون مصيبين في وضع تصور حل أزمة الحزب، بذهاب فلان وفلان، وأشياء أخرى أيضاً، ولكنهم يعتقدون أن ذهاب شخصين تحجرا ولم يعودا من جيل الشباب. . . يمكن أن يكون ذلك!! ولكن الأسلوب غير سليم، لأن الذين ندعوهم الى هذا التكتل باسم مصلحة الحزب، لينقذوا الحزب من عادات وجمود. . هذه الدعوة بأسلوب التكتل ستشوّههم، فلن يكونوا المنقذين للحزب طالما أنهم بدأوا الانقاذ بعملية غير سليمة، ثم كي ينجحوا في التكتل لايتحروّن النوعية، يكونون في الأول مجموعة من (٥ ـ ١٠) من نوعية جيدة ونشيطة، تهيىء الحزب لانطلاقة جديدة، ولذلك افترضت دوماً النية الحسنة، ولكني كنت متخوّفاً دوماً من الأسلوب، وأن يتحوّل التكتل من بعد إلى نوع من العادة وإلى تضامن قد لايكون دوماً على الخير. صحيح أن الحزب كان يشكو دوماً من ضعف الروح النظامية، هذا صحيح، وصحيح انه يجب أن يقفز قفزة نوعية أيضاً، وهذا ما نحلم به. ولكن يجب أن يكون البدء أيضاً نظامياً وإلّا تشوّهت العملية كلها منذ البداية.

لا أظن انه يخطر على بالكم بأنني عندما أتخوّف من الأسلوب أكون متخوّفاً على شخصي وبقاء مركزي في الحزب، قلت لكم بالأمس وأكرّر بأني من سنين طويلة، وقد يكون من السنوات الأولى لتأسيسه ولاعتبارات كثيرة كنت أتمنى باخلاص وصدق أن أكون عضواً عادياً في الحزب وأن أقدّم أحسن ما عندي للحزب دون أن أكون في قيادة ما أو في منصب ما. أحياناً كثيرة كنت أشعر وأتصوّر بأنني ربما أكون عقبة في طريق هذا الحزب، وإذا جاز لي في هذه المناسبة أن أصارحكم ببعض ما اختلج في نفسي بحياتي الحزبية، أقول لكم بأنني أصبت ببعض العقد

النفسية، كنت أشعر أن أعداء الحزب يحاولون طعن الحزب وإضعافه من خلال شخصي، من جهة، لاعتبارات معروفة، ومن جهة ثانية، ليس عندي طموح الزعامة، وهذا نقص كما أظن. كنت في تناقض. . فمن جهة أشعر بغيرة على الحزب لأنه يعادل حياتي كلها، ومن جهة ثانية أشعر انني عقبة في طريقه، وتستطيعون أن تقدّروا الآلام التي انتابتني خاصة هذه السنة في الأزمة مع عبدالناصر. . وقد كان واضحاً لي حيث هذه الأجهزة لابدّ أن تستغلّ هذه النواحي، وكنت بيني وبين نفسي أفتش عن مهرب إذا شئتم فلا أجد، لا أستطيع أن أترك الحزب ولا أقبل أن أضرّه. وتريدون تفاصيل أكثر من ذلك فهذه ليست أوهامي، بل حقائق حين حدثت ثورة ١٤ رمضان كنت والبيطار في تنزانيا، وعدنا وفي مطار القاهرة شاهدنا محرّر أخبار اليوم، وكان المتكلم الأستاذ صلاح، وكنت قليل الكلام، وطرح عليّ أسئلة وأخذ يكتب، وفي صحف القاهرة نسب الكلام بأجمعه لي «زعيم حزب البعث ومعه عضو من الحزب» وشعرت أن الخطة بدأت منذ ذلك اليوم لابراز إسمي وطعن الحزب. هذا شيء من الأزمة التي نعانيها في داخل الحزب. لذلك نحن في مراكز لانحسد عليها، وفي كل مؤتمر قومي أحاول أن أبتعد ثم أجد نفسي بشكل من الأشكال مضطراً للقبول، وفي هذه المرة في المؤتمر القومي السادس أخذت أخاطب نفسي وأقول لا يجوز أن أخطىء وأقبل. . وضغطوا عليّ وقبلت ولكن هذه الغيرة على الحزب وهذا الحب يعطيني الحق في أن أصرّح، والمسألة ليست مسألة صديق عزيز عليّ بل المسألة أخلاقية: ليست بهذا الشكل تُبنى الثورة العربية وتصحّح الأخطاء وتقوّم الأوضاع الفاسدة منذ مئات السنين، وليس بهذا الشكل يكافأ الأشخاص الذين وضعوا حياتهم في الحزب. ثم ان هناك أموراً تتعلّق بالناحية السياسية، فعندما يفصل شخص من هذا الوزن فله معنى كبير في علاقة السلطات بعضها ببعض، لذلك أنا أعتبر بأن الموضوع جدي، وأن من واجب هذا المؤتمر الذي دفعته الحساسية للحرص على النظام، جدير به أن يعيد النظر في مثل هذا القرار الذي فصل بموجبه الأستاذ صلاح.

٣ شباط ١٩٦٤

# لماذا الاصرار
# على تجاهل الاخطار

أيها الرفاق[1]

عندما صمّمنا على عقد هذا المؤتمر، صمّمنا أن نحافظ على الروح الايجابية فيه، وأن نحول دون أي تردّ للمناقشات يمكن أن يعطّل مجهود المؤتمر، ويعطّل الغرض الأساسي منه، وهو انقاذ الحزب والبلاد في هذا الظرف. لذلك أحببت أن أذكّر جميع الرفاق بهذا العهد الذي قطعناه على أنفسنا في القيادة القومية عندما طلبنا من القيادة القطرية أن تدعو المؤتمر القطري وقلنا لهؤلاء الرفاق أكثر من مرة: ليس القصد وضع المسؤولية على أشخاص معينين بل القصد الخروج من الأزمة. وأقول دوماً بأن روح المحبة تستطيع أن تتغلب على جميع المصاعب، لذلك فيما يخصّ هذه التعريضات والتلميحات التي تريد أن تصل الى حد الاتهام ولا تجرؤ، أو تريد أن تلقي ضباباً من الشك. . واذا وصل الحزب الى حد التشكيك بالشخص الذي بدأ هذا الحزب وبقي الى هذا اليوم فأني أعتبره شرفاً لأني عند ذلك أكون السبيل الى شفاء هذا الحزب من مرض خطير دخيل على الحزب، لأنني كنت الضحية، والحق لابد سيظهر.

وجواباً على سؤال عن سبب دعوة المؤتمر القومي الموسع، [2] فأقول:

المطلوب أن نقدر الظرف الذي نحن فيه. لن نيأس مطلقاً من يقظة الضمير عند كل بعثي، لن نيأس حتى لو شاهدنا مراراً وتكراراً هذا التشبث بروح تكتلية، هذا الاصرار على تجاهل الأخطار المحيطة بنا، لن نيأس لأن مكاناً يضم عشرات من

---

(١) كلمة ثالثة في المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في ٣ شباط ١٩٦٤.

(٢) أي المؤتمر القومي السابع.

أعضاء هذا الحزب، باعتقادي، لايمكن الا أن يصلوا في النتيجة الى التعبير عن مصلحة الحزب.

من يخطر له أيها الأخوان أننا اخترعنا شكلاً جديداً أو بدعة جديدة للمؤتمر القومي من أجل غرض شخصي أو غرض خاص؟ لو كان في الأمر شيء من هذا القبيل لما كنا نضع قواعد موضوعية. فأنا أجهل من هم أعضاء قيادة فرع دمشق! لو سئلت أن أعد خمسة أو عشرة أعضاء قياديين في سورية لتعذر علي ذلك نظراً لانقطاعي عن التنظيم منذ سنين، ولكن الأمر بديهي. وقد كنا نتحدث في موضوع المؤتمر القومي وفي دعوته وكان هناك عدد من الرفاق وجاء اقتراح من أحد هؤلاء الرفاق بأن ظرفاً كالظرف الذي نحن فيه، وبعد نكسة كالتي مرت على الحزب، وأمام هذه الأخطار التي تهدد مصير الحزب والبلاد يحسن أن يكون المؤتمر موسعاً كي نقترب من آراء الحزب الحقيقية، من آراء القاعدة والقياديين في كل مكان، لاأن نأتي الى جمع ضيق برهن قبل ثلاثة أشهر أو أكثر بقليل، بأنه عجز عن تفادي النكسة التي كانت بوادرها ظاهرة، وهذا سيكون أضيق من شكله الأول اذا دُعي نفس الأعضاء.

فهل تريدون أن يأتي مؤتمر من عشرين أو ثلاثين عضواً ويبتّ في أمور تتعلق بمصير الحزب ومصير البلاد وأن نضحك على أنفسنا ونكون نسير بأنفسنا نحو الكارثة؟ من يعترض على توسيع التمثيل؟ ان توسيع التمثيل أمر مرغوب فيه وطبيعي، خاصة في وقت الأزمات فنحن لانجمع الناس من الطرقات، بل نأتي بالقيادات المنتخبة، وبعد أن اعتمدنا هذه الطريقة، لو نستطيع اختيار طريقة أفضل لأخترناها. هناك أزمة مرت على الحزب وهزت الضمير، حدثت نكسة خطيرة. فلماذا الارتباك والتناقضات؟ والشعب مستعد لقبول حزبنا! هذه أشياء يجب أن تطرح على ضمير الحزب وهو يتجلى في عدد واسع، لم يدع الأمين العام أشخاصاً، بل دعا قيادات دون أن يعرف أحداً منها.

٣ شباط ١٩٦٤

# أزمـــة الحزب

**أيها الرفاق**[1]

أحب أن أوضح منذ بداية حديثي بأن حضوري هذه الجلسة وفي هذه الظروف العصيبة الحاسمة بعد مقاطعتي الواعية الواضحة لاجتماعات هذه القيادة منذ ٨ أشهر أي منـذ انتخـاب هذه القيـادة من المؤتمر القومي الثامن حتى الآن، أحب أن أوضح وأسجـل بأن حضـوري الآن هو من أجـل أن أقـول وأعيـد ما قلتـه دومـاً في السنوات الثلاث الأخيرة بعد حركة آذار، وخاصة في المؤتمر القومي الثامن ثم في اجتماعات غيـر رسميـة كنت أدعـو اليهـا بعض الـرفـاق من هذه القيـادة لأذكّرهم بالحقائق التي تُستخلص من تجـربـة الحـزب الطـويلة ومن تجـربة الحزب بعد الحركة ولكي نصل جميعاً الى تحليل عميق واقعي لأزمة الحزب وتتوحد آراؤنا على هذا التحليل لتنطلق منـه الى سبيـل المعـالجـة والانقـاذ، ولكي يتحمـل كل منا مسؤوليته التاريخية. وقد كانت ـ وماتزال ـ لي أسباب جدية وفي غاية الجدية لمقاطعة اجتماعات القيادة رغم اعتقـادي بأن للقيـادة القـوميـة دوراً خطيـراً في حياة الحزب وفي حياة الأمة العربية، ورغم روابـط الأخـوة والصـداقـة والزمالة التي تربطني بكل عضو فيها. وأنا أعتبر دوماً وقلت ذلك في مناسبات عديدة وفي مؤتمرات قومية وفي اجتماعات قيادية كثيرة خلال سنين طويلة ـ اعتبـرت بان القيـادة القـومية لحزبنا تجسد الحزب كله، تجسد أهم ما في حزبنا من صفات ثورية، ولذلك فقد كانت دوماً موضع الهجوم والمحاربة. وكنت أقـول في كثيـر من المنـاسبـات بأن القيادة القومية للحزب هي القيادة الوحيدة، ليس

(١) كلمة في اجتماع القيادة القومية بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٥.

بعدها من قيادة، لأن حزب البعث هو للوطن العربي كله، لقضية الثورة العربية كلها. والقيادة الوحيدة التي تمثل هذا الشيء هي القيادة القومية بنظرتها، بمنطقها، بتكوينها القومي، والقيادات الأخرى لاتكون قيادات الا بمقدار ما تستجيب لتوجيهات القيادة القومية، وبمقدار ما تخضع لسلطة القيادة القومية والطريق الذي تسنّه القيادة القومية. هذا من حيث المبدأ، وان كنت واياكم نعلم جميعاً بأن واقع القيادة القومية لم يبلغ لا في الماضي ولا في الحاضر هذا المستوى الذي يؤهلها تماماً لحمل هذه المسؤوليات التاريخية، فان واجب الحزب أن يرتفع بمستوى قيادته العليا باستمرار لكي تقترب من الشروط المثالية. الا أن كون واقع القيادة القومية مازال منذ أن وجدت حتى الآن، دون المستوى المطلوب لمسؤولياتها التاريخية فذلك لايعني مطلقاً بأن دورها وسلطتها يجوز أن يُنتقص منها. اذ لابد لهذا الحزب من قيادة ومن سلطة والا ضاعت القيم والمقاييس وانحل الحزب الى فوضى عندما تنعدم القيادة أو توضع سلطتها موضع التشكيك.

**أيها الرفاق**

لقد قاطعت جلسات القيادة القومية، وقبل مقاطعة هذه الجلسات وقبل انتخاب هذه القيادة، تعرفون بأني في المؤتمر القومي الثامن لابل قبله بزمن صممت على الانسحاب من المسؤولية الرسمية في قيادة الحزب وطرحت ذلك أمام المؤتمر القومي، ولكن بفعل جو عاطفي لم يتمكن المؤتمر أن يستوعب تماماً الأسباب والمقاصد التي دعتني الى ذلك الموقف فأصرّ المؤتمر على ترشيحي ولكني اعتبرت نفسي منذ ذلك الحين منسحباً. وكان ثمة بعض الاحتمال بأن أعيد النظر في هذا الموقف وأن أحضر بعض الجلسات الهامة لولا اني لاحظت منذ البدء أن ثمّة فروقاً اساسية بين تفكيري في معالجة أزمة الحزب وبين تفكير مجمل القيادة. فقلت لن أكرر الخطأ الماضي ولن أقسر قناعتي ولن أسمح بأن تأخذ قواعد الحزب صورة خاطئة وانطباعاً خادعاً او مخدراً عندما يسمعون بأنني مازلت في القيادة وأحضر اجتماعاتها، وانا انما أردت من انسحابي في المؤتمر الثامن، أن أنبه هذه القواعد الى أخطار جسيمة تهدد وجود الحزب ومصير الثورة العربية، عندما يتهدد وجود حزب البعث. ولأقول شيئاً جديداً عليكم أو

مجهولا لديكم عندما أقول بأن تصميمي على الانسحاب هذا التصميم النهائي كان على أثر الأزمة التي نشأت منذ عام عندما طرحت القيادة القومية أزمة الحزب لتجد لها الحلول الجـذرية، فقـوبلت بالتمرد من قبل القيادة القطرية الممثلة للسلطة، فطُعن بذلك شيء ثمين لايقدر بثمن في حياة هذا الحزب، طُعنت قيمة كبرى، لأن القيادة القومية هي القيادة الوحيدة.

ولذلك كان لابد من موقف ينبه أعضاء الحزب القريبين والبعيدين الى أهمية الشيء الذي حصل والى خطورة هذا الشيء والى الأضرار الفادحة التي تنجم عن طعن هيبة قيادة حزب البعث وسلطتها.

**أيها الرفاق**

أرجو ان تعذروني اذا أطلت والظرف لايسمح بالاطالة، وأنا مقدّر ذلك وسأحاول أن اضغط على نفسي وعلى هذه الذكريات والخواطر العديدة المتزاحمة في فكـري لأبـيّن لكم المأساة التي يعيشها حزبنا في السنوات الأخيرة متمثلة في المأساة الشخصية التي أعيشها أنا كأحد القادة الذين رافقوا هذا الحزب منذ نشوئه. ولذلك لن أعود الى الماضي، وأعتمد على حسّكم العميق وعلى تقديركم للمسؤولية لتدركوا وتشعروا بما كنت أشعر به وأعانيه منذ الأشهر الأولى التي مرت على الثورة ومنذ ان بدأت خيبة الأمل تظهر ويظهر الفارق الكبير بين حقيقة حزب البعث وبين التطبيق المشـوّه لأفكار ومبادىء وسياسة هذا الحزب في العراق أولا ثم بعد حين في سورية. اعتقد بأن هذا العذاب هو أقسى ما يمكن ان يتعرض له الانسان..

انسان ملتزم بمبادىء ناضل في سبيل هذه المبادىء ووضع عمره كله في معركة هذه المبادىء، أقسى عذاب يمكن ان يتعرض له هو عندما يرى التشويه الفظيع لأفكاره ومبادئه حتى يكاد ينكر ان هذا الحزب هو حزبه وان هذه الحركة هي حركته. واصبنا بنكسة العراق رغم توقعنا لها قبل وقوعها باشهر لان التجربة والعقل السليم والمنطق الثوري كانت هذه الأشياء كلها تؤكد بان ثورة العراق كانت معرضة للانهيار.

وبعد ذلك أنصب حرصنا كله على الثورة في سورية وصرنا نتعزى بأن درساً في غاية القسوة، نادراً في التاريخ، تضيع ثورة كثورة رمضان في عشرة اشهر، ان درساً

كهذا سيُنضج وعي البعثيين في كل مكان وخاصة في سورية حيث يتحملون مسؤولية الحكم. وان هذا الدرس سوف يجنبهم الكثير من الأخطاء وسوف يرتفع بنفوس القادة المسؤولين الى مستوى المهمة التاريخية وسوف يطهرهم من الكثير الكثير من الأجواء والميول والمطامع الصغيرة التي لاتتناسب مع اهداف حركة كحركة البعث خاصة بعد ان منيت بذلك الفشل في العراق.

ولما لم يعطِ درس نكسة العراق الأثر المطلوب اخذ اليأس يتسرب ليستولي على نفوسنا وهناك وقائع مهما حاولت ان اصرف النظر عنها اختصاراً للوقت تلح علي فاعذروني اذا ذكرت بعض الأشياء.

لقد سافرت أنا من هذا القطر، بتصميم على الابتعاد وقد فاتحت بعض رفاقي في هذا ومنهم من هم الآن في هذا الاجتماع ومع انني سعيت قبل سفري مع بقية الرفاق في القيادة وفي المجلس الوطني لتحسين الأوضاع نسبياً ووضعت كل ما عندي من طاقة ومن جهد وتأثير للخروج من وضع كان ميؤوساً منه تقريباً عندما امسى الحزب وحكم الحزب في عزلة رهيبة عند حوادث حماه وبعدها بقليل، فقد قلت لرفاقي قبل سفري اني يائس من هذا الوضع، وكلمة يائس لاتعني اني تخليت عن المسؤولية ولا تعني ان اليأس مطلق طبعاً. واردت ان أُنبه بذلك الابتعاد الى خطورة الحالة، وقد قلت هذا لرفيقي منيف عندما زارني في المانيا موفداً من قبل القيادة القومية وهو يذكر كلماتي بلاشك، قلت له هذه التجربة أوصلتني الى هذا الاقتناع وجعلتني، بعدما رأيته ولما لمسته خلال سنتين واكثر من عقليات ومن مستوى في النفسية وفي المسؤولية، أخرج بنتيجة لاتحتمل المناقشة. لأن عليها ألف دليل ودليل، بأن هذا المستوى لايمكن أن ينجح ثورة ولا نصف ثورة ومع ذلك عندما تحادثنا قلت للرفيق منيف بأنه لايمكن أن أتخلى عن الحزب، انما قد أرجع لأموت مع رفاقي، وهذا واجب وهذا شرف. بعد أن بقيت مدة كافية لتشعر قواعد الحزب بأن هنالك خللا كبيراً استوجب أن يبتعد هذا الشخص الذي لايدعي فضلا على الحزب منذ اليوم الأول لنشوئه، ولم أصمم على العودة الا بعد أن كتب لي الرفاق، ثم ذهب الرفيق شبلي ليؤكد لي بأن القيادة القومية اقتنعت بوجهة نظري وبأن الأزمة يجب أن تطرح وأن تعالج بصراحة، بروح جدية

لابـأنصاف حلول ولا بالمسايرة وتجاهل الواقع، ذلك لأنني مضطر ان أسجل بهذه المنـاسبة بأني عندما سافرت لم تكن القيادة القومية متجاوبة معي ولم تكن متحسسة بالخطر بنفس الدرجة التي كنت أنا أشعر بها.

ثم كانت النتائج التي تعرفونها، واتخذ الحكم على أثر تلك الأزمة خطوة جيدة مباركة في طريق تطبيق الاشتراكية عندما أصدر قرارات التأميم. فتفاءلنا بالنتائج ولم نتفاءل بالمقاصد. وقلت هذا في اجتماع القيادة القومية ـ والكلمات مسجلة ـ قلت بأن الخطوة جيدة ومباركة وندعمها بكل قوتنا، وليس لنا خيار في ذلك طالما ان هذه القرارات أيقظت العداء لدى أعداء الحزب والاشتراكية، فاذن لابد للحزب بكامل صفوفه أن يدخل المعركة ويحارب ويدافع، ولكن هناك خطراً من نوع آخر لايجوز ان نغطيه، هنالك مرض مستتر، فهذه الخطوات لم تتخذ اقتناعاً بالاشتراكية وايماناً بمبادىء الحزب وضرورة تطبيقهـا، بقـدر ما كان فيهـا من المنـاورة لتغطية أزمة. ونرى بأن مفعول القرارات لم يدم أكثر من أشهر وان الأوضاع عادت الى التردي وبشكل أخطر بكثير من السابق.

**أيها الرفاق**

حزب البعث عنـدمـا ظهـر وعنـدما أخذت فكرته تنتشر وتتكامل بالتفاعل مع الأحداث ومع النضال كانت أهم فكرة منذ البداية هي فكرة الثورية وأهم شيء في الثورية كما عرفها حزب البعث منذ السنة الاولى ومنذ الكتابات الاولى بأنها الصدق والصراحة والأخلاقية، لاننا كنا قبل أن نصمم ونعقد العزم على تأسيس الحركة، كنا نعيش في بلادنا وكنا داخلين المعركة وكنا نعرف أن بين السياسيين والزعماء الذين كانوا يرسمون السياسة والنضال الوطني قبل تأسيس حركتنا بعشر سنوات وبعشرين سنة، كان بينهم أذكياء وأفـذاذ ولكنهم كانـوا يفتقـدون تلك الميزة. يفتقـدون الاخلاقية والتجاوب مع الشعب ويفتقدون الثقة بالشعب لأنهم لم يكونوا من الشعب وبالتالي لم يكـونوا يحترمونه ويصدقونه. لم يكونوا ينتظرون منه شيئاً كبيراً فكانوا يلجأون الى المناورات وأساليب السياسة الملتوية وكان حزب البعث بظهوره رداً على تلك العهود البالية وعلى تلك العقليات وتلك النظريات الهرمة اليائسة. وبهذه الميزة استطاع حزب

البعث ان يشق طريقه الى قلوب ابناء هذا الشعب حتى انتشر في اكثر اقطار العروبة من بداية في غاية البساطة والتواضع الى تاريخ طويل أصبح جزءاً من تاريخ امتنا. فكيف يتردى هذا الحزب وكيف ينقلب الى الصورة التي نشاهدها والتي هي نقيض تلك السمات وتلك الصفات والمميزات التي اتصف بها حزبنا، صورة الأساليب المصطنعة، الأساليب القائمة على المناورة وعلى تشويه الحقائق والاختلاق والافتراء والتضليل واستعمال كل شيء إلاّ الصدق وإلاّ الصراحة وإلاّ إحترام المبادىء والااحترام الشعب لايمكن في يوم من الأيام أن يقبل هذه الأساليب وان خضع لها اضطراراً فترة قصيرة من الزمن.

أعود لاقول أيها الاخوان بأن الميزة الاولى التي ظهرت في حزب البعث من السنة الاولى ومنذ الكتابات الاولى، منذ التماس الاول مع الشعب ومع المسؤولية التاريخية التي ندب البعث نفسه لها، هذه الميزة الاخلاقية الميزة الثورية، هذه الميزة ليست للزينة وانها لم توضع لكي يقال بأن هذا الحزب أخلاقي وبأن أعضاء هذا الحزب طيبون وشرفاء بل كانت هذه الميزة شرط النجاح. وقد كان الحزب واقعياً عندما وصف فكرته ووصف نضاله منذ البداية بهذه الشروط وبهذه الاوصاف لان أمة كالامة العربية عانت ما عانته من عصور الانحطاط مئات السنين وهي صاحبة رسالة وتريد ان تنهض: فيجب ان تكون نهضتها أصيلة وعميقة وشاملة ولم تعد ترضى بالحلول الوسط وبالترقيع. فاذن لابد أن تتمكن الحركة التي تندب نفسها لمهمة الثورة ان تصل الى نفس كل عربي والى اعماق الشعب العربي لكي تحرك طاقات هذا الشعب لكي يضع هذا الشعب جميع امكانياته في المعركة لان معركته صعبة للغاية وتكاد تكون مستحيلة لكثرة ما يعترضها من مصاعب وعراقيل ومن أعداء كثيرين واشداء. فالاخلاقية والصدق والصراحة في منطق حزبنا هي شيء واحد وهي شرط النجاح وهي شرط لكي يُقبل الشعب على النضال ولكي يبني الثورة بسواعده.

وعندما كنا نعترض ونستنكر وننبه ونحذر خلال هذه السنوات الثلاث، نحذر من أساليب التزييف والتخطيط الجهنمي الصبياني في آن واحد بأنه يلعب بحركة لها عشرون سنة من النضال. قبل حركة آذار لها تاريخ، لها جسم حي، استطاع ان يعيش

عشرين سنة، يلعب بها وكأنها حيوان في مختبر التشريح : تشرح وتمزق وتقطع وتوصل ـ لم يكن احتجاجنا واعتراضنا وتحذيرنا لالم شخصي عند أولئك الذين نالهم التجريح والافتراء.

كلا ايها الاخوان. كان الاعتراض بأن هذه الاساليب سوف تدمر الثورة والحزب. فلان وفلان من قادة الحزب القدامى وصلوا الى سن متقدمة نسبياً وقد يكونون قد أعطوا ما عندهم وقد يكونون أصبحوا من الماضي. هذا لايهم. فالامة العربية ليست عقيمة وتستطيع كل يوم أن تنجب من هم أحسن بكثير ولكن المهم هو هذا الاستدلال الذي استدللناه من هذه الاساليب.

استدللنا بأن الذين يمارسونها والذين هم في السلطة والذين اصبحوا في قيادات الحزب لايمكن ان يكونوا حاملين لهذه الرسالة قادرين على الاضطلاع بها وعلى انجاحها، قادرين على اكتساب ثقة الشعب لان هذه الاساليب بعيدة كل البعد عن جو الحزب وعن منطق الشعب وروح الشعب. فكنا باستنكارنا نعرب عن قلقنا وخوفنا على الثورة وعلى الحزب لاعن خوفنا وقلقنا على أشخاصنا.

وبالحيل والمناورات والمخططات والطبخات التي تطبخ بين اربعة وخمسة اشخاص في الظلام، في غرفة، وصل الحزب الى هذه النتائج. كنا في فترة من فترات ومراحل الثورة نريد ان نتفاءل ونقول هذه آخر الصعوبات والحكم سوف ينطلق وكل حكم مر بمصاعب ومر بعثرات ولكن أما آن لنا أن نفهم وان ندرك بأن المرض أخطر من ذلك بكثير؟

ليس هذا هو مرض الثورات. وليس هذا ما مرت به الثورات الناجحة والخلاقة. هذا مرض الثورات التي تموت لانها خانت ذاتها وخانت مبادئها وأنكرت روحها ولم تكن هذه الصعوبات التي مرت بها نكسات عارضة. وانما تمشي في خط بياني صاعد باستفحال متزايد وكأنه المرض العضال الذي يفتك بالجسم.

وصلنا من هذه الشطارات والبراعات الخارقة انه في هذه السنة تأتي قيادة قطرية لحزب البعث الحاكم، قسم منها انتسب للحزب بعد حركة آذار بزمن ومعظم أفرادها من تكتل قامت حركة آذار ضد مبادىء هذا التكتل وضد عقلية هذا التكتل، وضد

مدان من الحزب قبل ثلاث سنوات.

منطق هذا التكتل. بصرف النظر عن هؤلاء الافراد الذين أقدر لهم عملهم الماضي، ولكن هناك واقع كيف نتهرب منه، الواقع هو ان هذه الكتلة انحرفت بسبب من الاسباب، بعقدة من العقد، لعقلية متخلفة ليس الآن مجال تحليلها، ولكنها في وقت الانفصال وقفت مواقف ضد ما اختاره واراده ووصل اليه حزب البعث في جميع الاقطار العربية، كما ظهر ذلك في مؤتمراته القومية. واذا بهؤلاء الرفاق يصلون نتيجة هذه الشطارات في التخطيط وفي اللعب بالنظام وفي الاحتيال على النظام وعلى الحزب، يصلون في سنة ١٩٦٥ الى السيطرة شبه التامة على الحزب وعلى الحكم دون ان يعملوا نقداً ذاتياً او يتراجعوا عن خطأ او يعترفوا بخطأ او يتعهدوا بتصحيح انحراف بل على العكس جاءوا بأفكارهم القديمة وأكاد اقول بأحقاد وأهواء قديمة ايضا ـ وهذا مؤسف ـ ليدينوا الحزب بماضيه الطويل، ليخطئوا مؤتمراته القومية ويخطئوا الحزب في جميع الأقطار العربية، كما تمثلت ارادته في مؤتمرات قومية ولتتناقض حركة آذار هذا التناقض العجيب الذي يفضح الى أي حد بلغ التزييف وبلغ قصر النظر وبلغ البعد عن الواقع بأن يظهر بان الحزب يمكن أن يلعب به بهذا الشكل.

وأعود لاقول بأنه ليس بيني وبين هؤلاء الأفراد، على الأقل من جهتي، إلّا كل مودة. ولكن الحزب أغلى من الجميع، وواجبي أن أشير الى هذا التناقض الذي يكشف عن خطورة المرض.

وكنا نعلم أيها الرفاق بأن هناك سلاحاً أصبح مفلولا لابل سقيماً هو سلاح الشرعية والنظام الداخلي وقد ضاعت انتفاضة العراق لتوهم أولئك الشباب الذين لم يكونوا في مستوى المسؤولية لتوهمهم بانهم بهذا السلاح يمكن ان يفعلوا الأخطاء الجسيمة دون أن ينتبهوا الى أن للحزب قواعد وجماهير وأن هناك شعباً يحاسب ويدقق وأنه لايهمه النظام الداخلي أو شيء من هذا القبيل وانما تهمه الأعمال والتصرفات والنتائج. لقد وصلوا بأخطائهم وارتكاباتهم الى حد انهم عزلوا الحزب عن الشعب وهو الحزب الشعبي في العراق وكانوا يظنون ان المعركة فقط بين ٢٠ ـ ٢٥ ـ ٥٠ يجتمعون في مؤتمر قطري. خمسة وعشرون هنا يتآمرون أو يناورون على الخمسة والعشرين الآخرين أو عشرين على الخمسة والعشرين الآخرين أو عشرين على ثلاثين بما سميته أنا في المؤتمر

القـومي السـادس حرفة استغلال النظام الداخلي عندما كشفت عن هذه الأساليب وأخطارها قبل حدوث النكسة بشهر في المؤتمر القومي السادس. فكان همّهم أن يربحوا على رفاقهم في غرفة تضم مؤتمراً من أربعين من خمسين وينسون الملايين من البشر ينسون ٧ أو ٨ ملايين من الشعب العربي في العراق وينسون الألوف من قواعد الحزب.

في حوادث أمس قيل بأن هذا تطبيق للنظام الداخلي، لقد أحزنني هذا الحادث للغاية لأن أشياء كثيرة تحدث هي تكرار لمأساة الحزب في العراق. فمن يصدق بأن ماجرى من اعتقال لهذا الضابط هو تطبيق للنظام الداخلي وغيرة على الحزب والجيش.

في حوادث حمص أمس قيل بأن هذا تطبيق للنظام الداخلي، لقد قيل هذا والبلاد حبلى بهذه الأزمة، وكل يوم يزيد حجمها والناس يرون ذلك ويشعرون به. ونأتي لنقول بأننا نريد تطبيق النظام الداخلي. كلا أيها الأخوة أمامنا مسؤوليات تاريخية، أمامنا التاريخ، أمامنا شعب، أمامنا بشر قد يتعرضون للذبح للقتل، وأمامنا قضية، وامامنا هذا الحـزب الذي له ماض وله تاريخ وله تضحيات كثيرة واصبحت حياتنا وأسماؤنا مقرونة به. كيف يمكن أن نغالط في مثل هذه الظروف التاريخية؟ كيف يمكن أن نتجـاهـل؟ أن نبقى على سطح الأشياء ونـرفض النطق بالحقائق العميقة لأننا أمام التاريخ، أمام الله، في مثل هذه الظروف، هو صراع على السلطة اذن. هذه الشرعية وهذا التذرع بالنظام الداخلي الذي نسمع به منذ مجيء القيادة القطرية الحالية حتى الآن، كيف يمكن أن نصغي اليه دقيقة واحدة ونحن نعلم بأن هذه القيادة هي التي مزقت شرعية هذا الحزب؟ وداست شرعية هذا الحزب. بدون أن أسيء الى أحد، أبداً بدون ان أنتقص من اخلاص أحد او ان أقلل من محبتي للجميع. كلا أيها الاخوان لاأقصد الا الظواهر. الظواهر تدل بأن هذه القيادة التي تجمع في معظمها كما ذكرت كتلة كانت مدانة من الحزب قبل ثلاث سنوات، تتحكم اليوم بهذا الحزب وبهذا القطر ثم تنادي بالشرعية وهي التي مزقت شرعية عشرين سنة وتاريخ عشرين سنة. لامجال للمماحكة في هذا المضمار، لنصل رأساً الى الحقائق الى الأعماق بدون تذرع بمثل هذه الحجج.

لي وضع خاص بهذا الحزب ومن هذا الوضع الخاص انطلق، وهو معروف وليس مجهولا، كنت دوماً وخاصة كلما تقدمت بي السن وتقدم النضال في هذا الحزب ازداد بعداً عن كل ما يتعلق بالمصالح أو المراكز وأي شيء من هذا القبيل. وهذا ما جعلني أنظر الى الجميع بالتساوي وبالمحبة وأنظر بتجرد. لو كنت مقتنعاً بعض القناعة بأن هذه الأساليب يمكن ان ينجح معها الحكم لما توقفت كثيراً لأني أنظر الى أعضاء هذا الحزب نظرة واحـدة. لو كنت مقتنعاً بأن الأخوان الذين هم الآن في القيادة القطرية أو في الحكم أو في مناصب المسؤولية يمكن أن ينجح الحكم على ايديهم وان يقوم الحزب، (لأن الحكم بدون حزب لايبقى اشهرا معدودة)، لو كنت مقتنعاً بهذا لما توقفت عند هذه الحلول ولما أسهبت ولما فصّلت، لكن قناعتي بأن الحزب يتهدم وان الحكم يكاد يكون منتهياً وانه بالتالي لامجال للحلول الوسط. لامجال للترقيع، لاينقذ الوضع الا الحل الثوري الحاسم ـ لاحباً بالثورية وجرياً على الزي الرائج هذه الأيام، كلا بل لأن الحل الثوري وحده يمكن ان ينقذ (وقد لاينقذ الوضع). اما التسويات والترقيعات فهي حتـما ستنهي الحكم والحـزب في أقرب وقت بعد ان فقد الشعب ثقته بالحزب وبحكم الحزب، بعد أن فقد الشعب العربي في الاقطار الأخرى والى درجة أكبر ثقته بالحـزب وبحكم الحـزب، ثم بعد ان فقد أعضاء الحزب الثقة بحزبهم وبأنفسهم لايجدي الا الحل الذي يعيد الثقة الى النفوس، الا الحل الذي يكون بالفعل بداية جديدة للحزب والحكم والذي تطبق فيه المقاييس الثورية الصارمة والسليمة المنصفة، والا تكون معالجة للتخدير لأسبوع، لأسابيع، لأشهر، ولأكثر من بضعة أشهر. وقد تكون لاسابيع، وقد تكون أقل، وهذا ما يشعر به كل منا وما يقوله ضمير كل منا.

لذلك جئت الى هذه الجلسة لاقول رأيي بهذه الصراحة: أذكّر كل رفيق منكم بمسؤوليته في هذا الظرف التاريخي، ولكي أشهد على موقف كل رفيق منكم، تاريخ ربع قرن من نضال حزب البعث، وتاريخ الأمة العربية، في هذه الظروف لايجدي الا التجـرد، لاينقـذ الوضع الا بضعة متجردين يسمون فوق كل الاعتبارات والاهواء والمصالح ويجب أن يوجد أكثر من بضعة أفراد في هذا المستوى في حزب البعث.

يجب ان تتحمل القيادة القومية مسؤولياتها التاريخية يجب أن لاتتكرر مأساة العراق يجب أن لايضيع أمل الامة العربية بهذه الحركة فتكون نكسة قد تدوم عشرات السنين.

القيادة القومية، حتى في واقعها النسبي، تستطيع أن ترتفع الى مستوى المسؤولية التاريخية اذا أرادت وصممت وهي وحدها التي تستطيع ان تأتي بالحل وتنقذ الوضع وأن تعيد للحزب حرمته وأمل أعضائه وبالتالي أمل الشعب به بأن تتقدم بالحل الثوري الكامل اذا أمكن وأن تدين الذين استخفوا واستهتروا وارتكبوا هذه الأخطاء القتالة. استخفوا بالحزب وتاريخ الحزب واستخفوا بالشعب وبتجربة الشعب وبروح الشعب واستخفوا بالعالم كله ومقاييس الثورات وبتجارب الامم واستخفوا بذلك كله وبنوا بناء مصطنعاً لايصمد للهزات وليس فيه الاالسلبية. في قناعتي بأن القيادة القومية هي وحدها التي يجب ان تستلم المسؤولية في هذا الظرف الخطير وأن تحل القيادة القطرية، وأن تزيح المسؤولين دون تهاون ودون تسوية ودون ابطاء، لان تمييع الموقف هو لصالح الفوضى ولصالح أعداء الحزب. وكلنا يعرف بأننا محاطون بشتى الاخطار وبالكثير من الاعداء حول سورية وما زال في داخل سورية للأعداء عملاء وما تزال لهم ركائز. وفي داخل الحزب قد يكون لهم، لان التشويه الذي طرأ على الحزب من الصعب جداً بأن نقتنع بأن الايدي الاجنبية لم تسهم فيه.

**أيها الرفاق**

قد يخرج الخلاص من اليأس. في الحزب الآن حالة تَنَبُّه هي شيء جديد الى ماضي تلك السنوات الثلاث: تَنَبُّهُ ووعي واستعداد للتصحيح والبدء من جديد لبناء الحزب والثورة مع شيء كثير من اليأس والخوف والقلق. يجب ان يكون موقف القيادة القومية والحل الذي تأتي به والخطوات التي ستباشرها موقفاً ومشجعاً لهذه الامكانيات الخيرة ولهذه الظاهرة الجديدة التي تبعث على الأمل.

ظاهرة التنبه والوعي، ظاهرة الغيرة على حزب له رسالة وله ماض ويجب أن يبقى له مستقبل. ولايجوز أن يكون في موقف القيادة القومية من التردد أو الفتور وأنصاف الحلول ما يغذي في نفوس قواعد الحزب الاستعدادت الانهزامية أو حالات اليأس

والشك بل يجب ان تغذى وتقوى فيها هذه البادرة للعمل من جديد لتدارك الموقف قبل فوات الوقت لانقاذ الحزب وانقاذ رسالته. ويجب أن يتغلب الأمل والايمان على اليأس وهذا ما أتيت لأسجله وأذكر به رفاقي، لا لاني أحسب أنهم لاهون عن ذلك او أنهم لايتذكرون واجباتهم ومسؤولياتهم، كلا، فان لهم في نفسي كل الاحترام وكل المحبة وانما لأبرىء ضميري وأقول الكلمة الحقة الصريحة في هذا الموقف التاريخي.
ولن أتخلى عن الحزب ولن أدخر جهداً في سبيل هذا الحزب حتى لو اقتضى الأمر ان اقدم دمي، وهذا شيء بسيط كما تعرفون، وانقطاعي عن الاجتماعات لايعني انقطاعي عن العمل وعن الاستعداد الدائم من أجل خدمة الحزب والتضحية في سبيله.

**١٩ كانون الاول ١٩٦٥.**

# النضال ضد تشويه الحزب

عندما يمضي زمن طويل ولايتيسر للقيادة أو لبعض القادة ان يجتمعوا بقواعد الحزب، ثم يتاح هذا الاجتماع وفي ظروف عصيبة[1]. في ظروف تراكم الأزمات التي تتالت على الحزب يشعر الذي يريد ان يتحدث الى القاعدة بأن عليه ان يقول كل شيء، وان يعوض عن الزمن الذي فات، عن الانقطاع الطويل الذي كان احد أسباب التردي الذي اصاب الحزب، والتشتت في افكار الحزبيين، والبعد عن افكار الحزب واخلاقيته.. انني أشعر الآن بأن مواضيع كثيرة تعد بالعشرات تلح علي بأن اشرحها وأوضحها لكي اقوم ببعض واجبي نحو هذا الحزب ولكي لايبقى عذر للحزبيين الصادقين المستعدين للنضال والتضحية في سبيل هذا الحزب والذين ضللتهم الشائعات، وضللتهم اهواء وميول ومصالح بعض الذين وُجدوا في قيادات الحزب او في مراكز المسؤولية في السلطة.

لقد تبدلت صورة هذا الحزب وتبدلت نفسية اعضائه واذا كان التعميم غير جائز فان هذا يصح على الكثيرين.. تبدلت معالم هذا الحزب لابل بُدّلت وفق مخططات وتصميم وعمل دائب. حتى يتحول هذا الحزب في عقيدته وفي سياسته وفي تنظيمه وفي اخلاقيته، وزيادة في التضليل وفي الاجرام بحق الأمة العربية أحتُفظ بأسم الحزب.. بأسم الحزب الذي هو معروف لدى الشعب العربي منذ ربع قرن بوحدويته وثوريته ونظافته وبتميزه عن كل ما سبقه، حتى تُطعن الأمة في املها، في ثقتها بنفسها، في عقيدتها القومية الاشتراكية، ولكي يعم اليأس.

---

(١) كلمة في فرع الاطراف بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٦٦.

لقد اريد لهذا الحزب ان يُبدل في تركيبه ومسلكه، وان يتحول الى تناحر على السلطة، وعلى الملذات. . وعلى الرواتب. . يستغرب بعض الرفاق من عبارة وردت في كلمتي في القيادة القومية بأن يداً اجنبية قد امتدت الى هذا الحزب، فلنحكمّ ضمائرنا: ان من غير المعقول ان يزيف هذا الحزب. . والى هذا الحد بأيد عربية. . .

اننا نسمع رفيقاً شاباً في العشرين من عمره، ربما قد يكون قد انتسب قبل عام او عامين الى الحزب، يوجه أسئلة ويطرح آراء يشكك فيها بماضي هذا الحزب منذ تأسيسه، وبالرفاق الذين كان لهم شرف البداية، وهم ليسوا واحداً او اثنين، انما هم جيل من الشباب العربي (ولم يدّع فرد أو أفراد أي فضل في تأسيس الحزب. . اننا ننكر مثل هذه الادعاءآت وأنا أول من يرفضها. اسالوا القيادة القومية عن رفضي لتسمية «القائد المؤسس» فليس في حزبنا مثل هذه العقلية ومثل هذه العادات) هم الجيل الذي أنشأ هذا الحزب قبل ربع قرن وناضل وكان له فضل استشفاف المستقبل. وهو الذي فهم حاجات مرحلة تاريخية بكاملها وعبر عنها أقوى تعبير وما تزال شعاراته تقود النضال العربي كله. ولم يستطع اي زعيم او أي حركة ان تغير في هذه الشعارات انما كان الجميع يقتبسون منها. ومع ذلك نجد رفاقاً شباناً لايعرفون شيئاً عن تاريخ هذا الحزب يقدحون بتراث الحزب وماضيه وبهذا القائد او ذاك.

بعد ذلك كيف نصدق بأن هذا هو حزب البعث وبأنه لم يشوه ولم توضع المخططات لتبديله لاكرهاً بالقادة وانما بناء على خطة جهنمية لضرب قضية الشعب العربي. . فبتفكك هذا الحزب والاساءة الى ماضيه وتراثه النضالي تضرب قضية الشعب العربي وهذا هدف الاستعمار.

عندما نكون في اجتماع حزبي نرى نسبة غير قليلة تقدح في الحزب وفي قياداته وتاريخه وسياسته. تماماً كما يفعل الاعداء، فهل هناك دليل أقوى وأسطع من هذا على القول بأن الاعداء قد تسربوا الى حزبنا ونفذوا اليه؟

**العقيدة أقوى**

ولكننا أقوى منهم بالكلمة الحقة الصريحة، وبالعمل الصادق، وبالتضحية والتجرد نفضح هذه الألاعيب وهذا التآمر، ان كتلا وقوى تتجمع بيدها سلطة وقوة،

. . وسلاح، واذاعات وأموال وأجهزة. . وتصب الاتهامات والافتراءآت على أفراد لايملكون شيئاً بل يزدادون فقراً وضعفاً في الوسائل. ومع ذلك تبقى القوة الحقيقية لأصحاب العقيدة لأصحاب القضية الثابتين على المبدأ ويتبدد المضللون. في كل فترة يأتي أمثال هؤلاء ثم يتبددون وتبقى فكرة الحزب وروح الحزب.

يكفي أن يبقى أفراد قلائل في هذا الحزب لهم الشجاعة بأن يصمدوا ويرفضوا الموافقة على التسلط وعلى التزييف ويرفضوا السكوت عن الاجرام. . يكفي أن يبقى أفراد من هؤلاء فلا يموت الحزب. ولاتنطفىء حقيقته لأن رجلا صادقاً يستطيع أن يهزم المئات من المفترين الكاذبين.

**أيها الرفاق:**

لاأريد أن أنسب كل شيء. . كل التشويه الذي طرأ على الحزب ودخل عليه الى الفاسدين والمخربين، فالى جانب حقيقة دور هؤلاء توجد حقيقة أخرى وهي ان هناك اهمالا في الحزب ومواطن ضعف قديمة وجدية سمحت بأن يضلل قسم غير قليل من قواعد الحزب وبأن يسيئوا الفهم، نظراً لانقطاع الصلة بين القيادات والقواعد ولانعدام التثقيف والتوجيه، ولنقص الغذاء الفكري اليومي. . فتكوّن الجو المناسب لتصديق الشائعات ولاساءة الفهم والظن ولردود الفعل السلبية. .

اننا اذا نشدنا الحقيقة والدقة في كلامنا وأحكامنا نجد أن الفاسدين قلة وبان الكثرة مضلَلَة على طيبتها وحسن نواياها واستعدادها للنضال. ولولا ذلك لكان علينا أن نيأس وأن ننفض يدنا من هذا الحزب، ولاموجب لليأس لأن عودة الحزب الى أصالته ممكنة، اذا بدأنا صفحة جديدة من أجل التوضيح والتثقيف، من أجل التجديد وسدّ الثغرات في هذا الحزب من جميع النواحي الفكرية والتنظيمية والسياسية.

**دعوة الى التجديد**

اننا لم نقل بأن هذا الحزب لايحتاج الى التجدد. ارجعوا الى ماضي الحزب تجدوا بأنه قام منذ الاساس على الفكر الناقد لنفسه والذي لايكتفي بحد، بل ينشد الكمال ويعترف بالنقص ويدعو باستمرار الى التصحيح والتطوير، وعندما أقول ارجعوا الى كتابات الحزب وماضي الحزب أشعر بأسف وألم، ولقد أصبحت متأكداً بأن خمسة بالمئة

من هذا الحزب قد يكونون على اطلاع على ماضي الحزب وأفكاره وأن خمساً وتسعين بالمئة لايعرفون عن ذلك شيئاً، وهذا ما يدعو الى الخوف والقلق فيجب ان نستيقظ قبل فوات الأوان لأن الحركة العقائدية لاتستطيع ان تنمو اذا انقطعت عن الصلة بتراثها وماضيها، وذلك لايعني ان نتجمد على الماضي، بل ان نكون متصلين به اتصالا حياً واعياً يحقق وحدة الحزب وانطلاقه وسلامة اتجاهه. واذا سلّمنا بهذا الواقع المؤسف بأن يتجاهل الحزب ماضيه ويحقد عليه ويعمل فيه تجريحاً، فكيف ننتظر من هذا الحزب الا يتجّمد ويتشتّت؟ . كيف اذا عمل على تهديم ماضيه بدلا من ان يستوعبه بمحبة لابالعبودية له، بفهمه لابالتوقف عنده؟ .

ان ماضي الحزب يمثل الدوافع العميقة لنشوء الحزب فحزبنا حزب جديد من نوعه، فيه نواقص ولكنه قادر على تصحيحها والتغلب عليها والتغلب على الكثير من الأمراض، وهو قادر على ان ينطلق من افراد قلائل لكي يستوعب الألوف من المناضلين في الاقطار العربية كافة. ان المناضلين البعثيين يولدون في كل قطر عربي وحزبهم يمثل الحركة العربية الصادقة. لو كان في الحزب كتلة محافظة مهيمنة تحارب التجديد وتقاوم كل فكرة جديدة، لو كان هذا المرض موجوداً في الحزب لما عاش الحزب ولما نما وتقدم وحقق من الانتصارات الحاسمة. قولوا لنا، متى كان هناك فئة من القادة أو غيرهم يرفعون سيف التحريم فوق رأس كل من يجدد أو يطالب بالتجديد أو يطرح فكراً جديداً؟ أليس العكس هو الصحيح؟ ان حزب البعث لم يعرف التعصب وسد الباب في وجه التجديد. ما ذنب القادة الأولين اذا هم قدموا كل ما يستطيعون؟ . ان أولئك القادة لم يكونوا قابعين وراء المكاتب براحة واطمئنان بل كان عليهم واجبات وكان عليهم مواجهة المهمات النضالية في كل يوم. لقد أوجدوا الحزب بمثل هذا الدأب ولم يتفرغوا للكتابة والدرس. **ان النضال هو الذي اوجد فكر الحزب.**

**كيف نشأ حزبنا؟**

ان حزبنا لم ينشأ كالحزب الشيوعي مثلا. ان لحزبنا ظروفاً متميزة، فالحزب الشيوعي سبقته نظريات أُلفّت وجمعِّت في عشرات من السنين وكُتبت عنها الكتب والدراسات وبعدها تأسس الحزب. أما حزب البعث فلقد دخل النضال منذ اليوم

الأول لتـأسيسه. وكان الجيل الذي أسس الحزب داخلا في معركة النضال، وهم لم يبدأوا النضال مع الحزب بل كان لكل منهم تاريخه النضالي. ان الحزب لايتأسس على الورق بل بقوة مهيأة للنضال لها تجربتها، وبعد ان تتوضح لها صورة عملها شيئاً فشيئاً ومن خلال النضال تأتي كي تضع نظريتها. هكذا نشأ حزب البعث.

**أيها الرفاق**

كانت هنـاك ظروف في المـاضي باعدت بين قيادات الحزب وقواعده، ثم أتت ظروف جديدة بعد حركة الثامن من آذار زادت في هذا التباعد بل جعلته شيئاً مقصوداً لاعفوياً كما كان من قبل. ان هذا التباعد لم يكن ناتجاً عن بعض الاهمال في التنظيم بل كان بعد الحركة حصيلة مخططات ترمي لابعاد حاضر الحزب عن ماضيه ولاقامة سدود منيعة بين القواعد والقيادات، بين الحاضر والماضي. فكيف بنيت هذه السدود المصطنعة؟.. لقد كانت العراقيل توضع في وجه اتصال القيادة بالقاعدة واؤكدلكم بأن هناك عراقيل كانت توضع في وجه هذا الاتصال.

كنا في السنة الأولى لحركة آذار في شغل دائم في المجلس الوطني. وكان المجلس يجابه المؤامرة تلو المؤامرة من عناصر داخلية وخارجية وكان يجابه الظروف المتشابكة والمعقدة والخطيرة التي طرأت بعد الحركة، حتى مني الحزب بكارثة.. هي كارثة نكسة انتفاضة الحزب في العراق والتي انعكست على الحزب في سورية وأفقدته قسماً كبيراً من رصيده وثقة الشعب به.

كانت تلك السنة بالنسبة لبعض القادة سنة عمل دائب لمواجهة هذه الأحداث والأخطار وكانت القيادة منشغلة في معالجة أصعب مراحل الحكم.. تلك المراحل التي عشتمـوها وتقدرون خطورتها ودقتها. في ذلك الوقت كانت هنالك الفئة الانتهازية المستعجلة للسلطة. تلك الفئـة كانت مؤتمنة على الحزب فأساءت الأمانة ووضعت مخططات للقفز الى السلطة دون رصيد نضالي، كانت مؤتمنة على التنظيم، وكانت القيادة مشغولة كما ذكرنا، فراحت تلعب بالحزب لعباً اجرامياً، تُدْخل فيه وتُخرج منه من تشاء في ظروف هي ظروف الحكم والامتيازات والمنافع، وكانت تُلقّن من تدخلهم بان ماضي الحـزب يميني، وما أن انتبهنا الى ما يتم من تشويه وتخريب حتى بدأنا

نحاول الاتصال بالقواعد واذا بالعراقيل توضع .

في اوائل عام ١٩٦٤ مثلا اردت ان أزور بعض الفروع وطلبت من الرفيق فهمي العاشوري الأمين القطري المساعد وقتذاك ان يرافقني واتفقنا على السفر. ولم أعرف سبب ذلك الا بعد اشهر عديدة عندما قام الرفيق فهمي في اجتماع رسمي وقال بأنه طرح الأمر على القيادة القطرية فأرتأت القيادة القطرية عدم مناسبة زيارة الأمين العام للفروع .

بعد أشهر ذهبت الى اللاذقية واتصلت بأحد اعضاء الفرع وهو المحافظ وطلبت اليه ان يُعلم القيادة بأنني أريد ان أزور الفرع ، وعندما وصلت الى مقر الاجتماع لم اجد هناك احداً، وبعد ساعة ونصف لم يأت سوى خمسة اعضاء ثم صار العدد ثلاثين، وتحدثت اليهم وعرفت من أقوال الحاضرين وبينهم اعضاء في قيادة الفرع ان بعض اعضاء قيادة الفرع قد احبطوا الاجتماع ، وبعد فترة ذهبت الى السويداء ودرعا ثم الى حمص وحلب. وفي حلب لاحظت امراً غير طبيعي ، فبدل دعوة الأعضاء العاملين دعوا الأنصار، وخلال الاجتماع قاطعني احد اعضاء الفرع بقصد التشويش وبلغني بأنه حاول ان يعطل الاجتماع وبرر ذلك بارادات عليا وذكّر الحاضرين بما حدث في اللاذقية وطلب منهم ان يقاطعوا الاجتماع ايضاًهناك تآمر على الحزب أيها الرفاق ويجب ان نسمي الأشياء بأسمائها .

**أيها الرفاق**

ان الأزمة في الحزب قديمة وهي تعود الى الأشهر الأولى من قيام حركة آذار. فبعد مضي عدة اشهر على الحركة بدأنا نشعر بأن هناك أشياء غريبة وشاذة في المؤتمرات القطرية والقومية وتبين لنا بأن مخططاً قد وضع قبل الحركة من قبل اللجنة العسكرية ، من أفراد لاننكر عليهم تحمّل المشقة ، ولكن السلطة ورطتهم في مزالق بعيدة عن اخلاقية الحزب .

بعض هؤلاء الافراد من اللجنة العسكرية أخذوا يتصلون بالصف الثاني من القياديين الذين اوكلت اليهم مهمة التنظيم بعد الحركة وصاروا يحرضون فيهم شهوة السلطة والقفز الى القيادات والمراكز ويشتركون معهم في مخطط لضرب القيادات

القديمة لتشويه ماضي الحزب وتراثه وذلك ليتسنى لهؤلاء الأفراد من اعضاء اللجنة العسكرية أن يحلوا محل قيادة الحزب. لقد ورطوا اولئك الحزبيين من الصف الثاني الذين لم تكن لديهم مناعة اخلاقية كافية، لم تكن لهم تجربة طويلة تمنعهم من قبول المغريات فانبروا يزيفون التنظيم والانتخابات.

ولكن المسؤولية تقع على العسكريين لأن بيدهم السلطة والقوة. لقد ضربوا على مواطن الضعف في نفوس أولئك الشباب، ورطوهم وكانوا يعرفون بأن اولئك القياديين من الشباب لن يكونوا عقبة في وجههم وان التخلص منهم سهل، وهذا ما حصل بالفعل، اذ لم تمض سنة على الحركة حتى أزيحت تلك الفئة التي ظنت أن باستطاعتها أن تقود الحزب.

وليس صحيحاً أيها الرفاق ما أدخل في روعكم بأننا طلبنا من رفاقنا العسكريين ان يصوتوا ضد القيادة القطرية في المؤتمر الاستثنائي الذي انعقد في شباط ١٩٦٤، لأننا لم يكن في يدنا سلطة لا على العسكريين ولا على المدنيين. ان العسكريين قد ساروا في مخططاتهم ولم يسألوا عن احد، وكانت هناك ظروف سهّلت لهم الأمر وسهّلت انخداعنا، وهذه الظروف هي: ضياع الحكم في العراق - والذي انعكس على الوضع في سورية انعكاساً خطيراً، ومما زاد التدهور ان الرفاق العراقيين الذين اضاعوا الحكم جاؤوا الى سورية ليتعاونوا مع القيادة القطرية هنا والتي هي امتداد لتكتلهم، ويخربوا الحكم في سورية ايضاً.

ولاأقول شيئاً جديداً اذا قلت بأن اولئك الرفاق العراقيين جاؤوا ليخفوا جريمتهم ولينتقموا من الحزب وليشفوا أحقادهم، وهم الذين لم يكونوا في مستوى المسؤولية، وهم الذين كانوا كالأطفال الأشرار في تلك الظروف الحرجة والخطيرة، كان لابد من وضع حد لتخريبهم. وعندما أنعقد المؤتمر القطري الاستثنائي وفي هذا الجو طالب الرفاق العسكريون بنسبة موسعة في المؤتمر فلم نجادل كثيراً في هذا الأمر وانطلقنا من حسن الظن واذا بهم كتلة تقف مواقف مدروسة ككتلة داخل المؤتمر. ان الخوف على الحكم من ان يضيع جعل الكثيرين يتغاضون، فأستغل هذا الظرف ليحصل الرفاق العسكريون على حصة الاسد في القيادة القطرية (سبعة من أصل ١٦) وينجّحوا

القائمة التي أرادوها. وأقول لكم أيها الرفاق بأننا بدأنا نتنبه الى الخطأ دون إساءة الظن، وقلنا لعلهم معذورون ولعل خوفهم على الحكم من ان يضيع هو الذي يدفعهم الى الاكثار من عدد العسكريين في القيادة.

تنبية الى الخطر

وكنا ندرك بأن وجود ذلك العدد من العسكريين في القيادة هو منزلق، وقد نبّهنا الى هذا المنزلق لان احتمال التناقض بين العسكريين يمكن ان يشكل خطراً كبيراً على الحكم. فكان جواب رفاقنا العسكريين البكاء والتهديد بالانتحار واتهامنا بأننا وجهنا اهانة كبرى الى العسكريين.

بعد هذا المؤتمر بدأ التسلط السافر ولم نقصّر في التنبيه والتحذير، وكنا نناشد في اولئك الرفاق حزبيتهم ووطنيتهم ان يجنبوا الحزب والبلاد مهالك محتومة اذا لم يوقفوا التسلط العسكري ويرتفعوا الى مستوى النظرة التاريخية المتجردة ويضغطوا على انفسهم وعلى رفاقهم ويمنعوهم من هذا الانزلاق. ولكن يبدو ان الانسان لايعتبر الابعد ان يجرب بنفسه. ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع مع القيادة القومية.

بدأ باهمال القيادة القومية وبالاستخفاف بأوامرها وتوجيهاتها. ماذا كنتم تفعلون لو كنتم مكان القيادة القومية حينذاك؟.. كان الحكم في العراق قد ضاع، وكانت الرجعية قد انتعشت في سورية وتذكرون حوادث حماه والاضطرابات. ما كان لنا غير وسيلة النصح والتحذير خوفاً من أن يقع في سورية ما وقع في العراق.

أنتم تتساءلون: لماذا ترك الامين العام القطر؟ اذا لم يكن باستطاعة القيادة القومية ان تنبه القواعد بشكل مباشر وعن طريق التنظيم. فما هي الوسيلة؟.. كانت القيادة تخشى ان يقع في سورية ما وقع في العراق وكانت معذورة الى حد ما، ولكنني حسب تجربتي أدركت بأن الخطر ماثل وان الحكم يتدهور. كانت اجهزة دولة الحزب.. الدولة البعثية الاشتراكية تشتغل بتشويه سمعة الامين العام اكثر مما كانت تشتغل لرد مؤآمرات الاستعمار والرجعية، كانت تلك الاجهزة تنقل للقيادات المصنوعة التلفيقات والاتهامات على الذين أسسوا هذا الحزب ورافقوا مسيرته حتى الآن. كانت توضع العراقيل النفسية بين القيادة والقواعد بأن يصوروا قادة الحزب وكأنهم من المنحرفين.

ذهبت الى بون لالكي أتآمر مع الاستعمار، سافرت لانني كنت اشعر انه ما من حل آخر سوى ان يعقد مؤتمر قومي خارج سورية. . اي خارج اطار السلطة.

وكنت حينـذاك افكـر في البقاء في الجزائر ولكن مؤآمرة حالت دون وصولنا الى الجزائر. وذهبت الى بون لان اخي يقيم هناك ولكي لاأتشرد ويعزّ علي ان اقول لكم دون فخر ولااعتداد بأنني لم اكلف الدولة والحزب قرشاً واحداً خلال الخمسة اشهر التي قضيتهـا هنـاك. فلقـد رددت الامـوال التي ارسوها لانني ذهبت ومعي فكرة الحزب. . وقضية الحزب. . والم الحزب. .

لقد حان الوقت لكي تُعرف بعض الاشياء: لقد انزلت راتبي ٣٠٠ ليرة بعد حركة آذار، والطالب الحائز على شهادة الحلقة الثانوية يأخذ اكثر من راتبي، ولقد فرضت على نفسي هذا الشيء رغم ان مصروفي زاد بعد الحركة. . لقد كنت اقدّر ما يمكن أن تفعله المادة في النفوس فقررت تخفيض راتبي لكي يأتي المثال من القادة. ولم يكن هذا الموقف رغبة في اعطاء درس وقدوة فقط بل أصبح نتيجة اشمئزاز واستنكار بعد ما رأيت المفاسد تعم وتستشري بين الحزبيين الذين كانوا مثال النظافة في الماضي. أصبحت أشعر بأننا اذا أكلنا أكثر من لقمة العيش أصبحنا أسرى للتخريب والتزييف والتشويه لأن المال يفسد الضمائر. وقد أصبحت له رائحة قذرة. لانقبل الالقمة العيش حتى تستفيق الضمائر. حتى تعود الروح الأصيلة الى هذا الحزب. . وحتى تتذكروا من اجل ماذا وجد هذا الحزب وناضل ومات الألوف في سبيله في اليمن وليبيا والعراق وغيرها؟ أمن أجل أن يغرق البعض في الشهوات؟ لابد أن تعود الى هذا الحزب روحه الأصيلة ولو اضطرنا ذلك الى الاستشهاد.

لقد عدت من الخارج بعد أن حصلت القناعة لدى القيادة القومية بأن لابد من طرح الأزمة. وبعد عودتي اجتمعت القيادة القومية طويلا وطرحت الأزمة. واتخذنا المقررات التي اطلع عليها بعضكم ولكننا جوبهنا بالتمرد من قبل السلطة. . ولاأقول القيادة القطرية لأن القيادة القطرية أصبحت هي السلطة.

ان القيادة القومية هي القيادة الحقيقية للحزب، لأن البعث حزب وحدوي وقيادته واحدة في القيادة القومية تطرح المصلحة العليا للأمة العربية، أما في القيادات الاخرى

فقد تطغى المصالح الاقليمية . . وبقدر ما تخضع القيادات القطرية للقيادة القومية بقدر ما يكون وجودها مشروعاً . في القيادة القومية عيوب ، ولكنها تبقى رغم ذلك أجدر قيادة وأبعدها نظراً ، ولذلك يجب احترامها واطاعتها . أما التشكيك فيها فهو تخريب للحزب وهو جريمة نكراء .

قبل عام وشهر عندما ووجهت القيادة القومية بالتمرد لم ترد أن تعرّض الحكم الى الخطر ، لان الذين كانوا في القيادة القطرية آنذاك كانوا عسكريين أو من صنع العسكريين . . ولقد هدد هؤلاء بالانسحاب من الحزب ومن السلطة ومن الجيش . فقلنا لننتظر المؤتمر القومي .

**المؤتمر القومي الثامن**

فاذا كان حزب البعث سينتهي الى هذا المصير فيجب ان تشترك جميع المنظمات الحزبية . . فالأزمة خطيرة جداً وليشهد عليها ممثلو البعث في الوطن العربي وليتحمّل كل منهم مسؤوليته .

اذا كان حزب البعث يملأ الجو منذ عشرين سنة أفكاراً ومبادىء وشعارات قومية خالصة . . وبعد ذلك يكون هنالك من بيدهم سلطة فيهددون بها ويسخّرون أموالها للتشهير برفاقهم . فليأت الحزب القومي الذي لايملك مالا ولا سلطة ولا وزراء ، وانما فيه الالتصاق بالمبادىء والنضال والأخلاق . وجاء المؤتمر القومي ومع الأسف تتكرر الأخطاء وتلعب الاغراض الشخصية أحياناً دورها وتفضل اللفلفة على على الطرح الصريح للأزمة . . ويُظَن بأن الحزب يمكن ان يُغش ويُخدع . وايقنت ان الحكم سوف يهدد بمصير قريب مادامت الفرصة تفوّت وينفضّ المؤتمر القومي دون ان يبحث أزمة الحزب . . واقول كلمتي للتاريخ وللأذهان الواعية ، أقولها عندما قرروا اللفلفة وحجبوا عن المؤتمر حقيقة الازمة ، قلت كلمتي في آخر يوم وسردت وقائع الازمة ولم أتجن على أحد بل أنصفت الجميع وأنصفت الحزب قبل الجميع . ويومها كنت قد قررت الانسحاب من القيادة وترك المجال لغيري طالما أنهم لايقدّرون خطورة هذه الازمة ، وطالما انهم لم يستنكروا الاستنكار اللازم ما حدث عندما تمردت القيادة القطرية السورية على القيادة القومية وطالما انهم يفضلون اللفلفات ، وطالما أنهم لم

يستنكروا هذه الألاعيب التي تدخل الى حزب البعث . . الألاعيب اللااخلاقية التي تجيز ان يُنزل رجال السلطة والأجهزة كل الافتراءآت عن قيادات عليا في الحزب لها ماض من عشرين وخمســة وعشرين عامــاً افــتراءآت تطعن بوطنيتهم وحـزبيتهم ونزاهتهم . لقد حدثتكم عن وضعي كيف عشت عندما سافرت الى الخارج . . ولكن من جملة ما قالوه انهم دفعوا لي مبلغ ـ ٧٥ ـ ألف ليرة .

فكان لابد أن أقف موقف المنبه . فليس بيدي لاجيش ولاقوة مادية ، بيدي هذا التنبيه هذا الاسلوب فقط . من يصدق ان شخصاً عاش مع هذا الحزب من أول لحظة حتى الآن لايريد ان يبقى في الحزب؟ فاذا ابتعدت لابد أن يكون هناك تساؤل . ان كلام بعض الرفاق فيه بساطة بأنه كان من الواجب ان أبقى . كيف أبقى مادمت أرى الأمور على ضلال ولا أستطيع ان اصحح .

لقد امتنعت عن حضور اجتماعات القيادة والمجلس الوطني ، وانني أشعر براحة ضمير واعرف بأنني أعمل واجبي وهذا ما حصل في المؤتمر القومي الثامن . والقيادة القومية التي خرجت منه تجاهلت مع الأسف تجربة القيادة التي جاءت قبلها وبدأت بداية جديدة فأضاعت وقتاً طويلا كان يجب ان يوفَر على الحزب وان تعالَج الازمة منذ ذلك الحين ، ولكن في آخر الامر وبعد تكرار التجارب وصلت الى نفس النتائج التي وصلت اليها القيادة القومية السابقة وقالت في الازمة ما يجب ان يقال .

الاسئلة التي سمعناها في هذا الاجتماع فيها الشيء الكثير المدبر والمحضر كما كان عليه الامـر في فروع اخـرى . وهـذه الأسـاليب لاتخفى على أحـد ، وقد اصبحت مفضوحة هذه الافتراءآت ، هذه التكتيكات ، هذا الربط غير الجائز بل المخجل بين موقف القيادة القومية وبين الاسطول السادس . . وهذا الكلام عن أميركا وارتياح أميركا وسفير أميركا لتشكيل حكومة الاستاذ البيطار ، لو كان الحزب يحترم نفسه ، ولو كان هذا الحزب هو الحزب الذي نعرفه لما بقي أصحاب هذا الكلام دقيقة واحدة ولأخرجوا من القاعة ومن الحزب لأنهم مخربون . اسألوا وزير الخارجية السابق . . لقد اعترف بنفسه بالحقيقة في اجتماع الفرع العسكري في قَطَنا وقال بأن موظفاً في السفارة الاميركية أتى جرياً على التقـاليد ليودع الـوزير المستقيل وليبدي احترامه للوزير الجديد ، وان

السكرتير الصيني أتى ايضاً وعمل الشيء نفسه وأبدى ايضاً ترحيبه بمجيء حكومة صلاح البيطار، فاذا كان هنالك شيء ما في الموضوع فما قولكم بأن سكرتير السفارة الصينية يبدي ارتياحه لمجيء هذه الحكومة، هذه أقوال مجاملة في الدبلوماسية وأنا لاأعلق عليها بشيء. ان هذا النموذج يفضح هذه الاساليب.

**مسألة اليمين واليسار**

أثار بعضكم الآن وأثيرت من قبل موضوعات فيها جانب من الصحة والحق ولا يمكن أن نتجاهل الحق.. لنأخذ قضية اليمين واليسار.. هذه القضية فيها جانب من الحق وفيها جوانب من المغالطة والاختلاق والافتراء والتضليل والمزاودة والانتهازية يجب ان نفضحها.

عندما طرحت شعارات اليمين واليسار في أوائل عهد الثورة.. طرحت لأغراض انتهازية وعندما أثيرت هذه القضية أثيرت ايضاً لأغراض انتهازية بحتة. لقد كان شعار المخطط الذي حاول أصحابه من العسكريين والمدنيين الطامحين الى القيادة والسلطة.. وهم الذين أرادوا سرقة الحزب والالتفاف عليه لأن الحزب صار في الحكم، وصار هناك امتيازات ومناصب.

ان الذين طرحوا هذه الشعار في العراق.. كان واحدهم يعيش كالأمراء في القصور ويتقاضى من الرواتب ما يبلغ عدة مئات من الدنانير في الشهر وكان يعيش في بيوت فخمة وسيارات وخدم.. هؤلاء كانوا أكثر الناس مناورة باليسار واليسارية.

والذين طرحوا هذا الشعار في سورية وما زالوا يطرحونه كيف يعيشون؟ هل هم ينادون به شفقة على الجماهير الكادحة ومحبة بهم أم انهم يتذرعون به ويستعملون هذه الكلمات ليبقوا في السلطة وليجمعوا المال وليتلذذوا بنعم الدنيا.. ليغرقوا بالشهوات؟ أما القاعدة الحزبية المضللة والبريئة فان هذا الشعار والكلمات تقع عليها أحياناً وقعاً مؤثراً فتنخدع.

**حزبنا يساري**

ان حزبنا حزب يساري.. ومنذ ان وجد كان حزباً يسارياً. هذه أفكار الحزب فهل يستطيع احد ان يأتي بعبارة واحدة من أفكار الحزب فيها تفكير يميني؟ ان حزبنا

هو حزب يســاري أصيل. ولكن الاجتهـادات قد تختلف في الحـزب العقـائـدي الاشتراكي، فعندما يخوض الحزب معارك كثيرة وتجارب عديدة ويواجه أحداثاً وظروفاً غير متـوقعة قد تختلف الاجتهادات. . وقد يكون لبعض الأشخاص ميل ولو كان بسيطاً نحو الاعتدال، وقد يسمى اعتدالا، وقد يسمى هذا شيئاً من اليمينية وقد يكون هذا الأمر مرتبطاً بظرف من الظروف، وقد يستنتج اليوم من بعض الوزراء بأن لهم أوساطا معينة، وعقلية هي ليست عقلية الطبقة الكادحة، ولكن أتعرفون لماذا لايبحث هذا الموضوع في الحزب بصراحة وجرأة وموضوعية، السبب هو ان الذين يدعون اليسار قد شوهوا معنى اليسار باغراضهم الانتهازية وبعقولهم الطائشة الصبيانية. فعندما يرى الحزب ان ادعاءآت اليسار مقرونة بالانتهازية وحب السلطة والطيش والمخاطرة حتى بالوطن والحزب وباستقلال البلاد يضطر الحزب الى السكوت عن بعض الوسطية أو بعض الابتعـاد عن الخط اليســاري. وقـد يكون عند بعض الاشخاص في الحكم مبررات فكرية وقناعات. ولكن هذه الانتهازية هي التي تمنع مناقشة هذه المبررات والقناعات. ومناقشة بعض الميول اليمينية التي قد تظهر أحياناً عند بعض الأشخاص. ان اليســارية ليست في التـطرف والتهـويش والمبالغات الوقحة وليست بالافتراء على الآخـرين؟ ان اليسارية هي تحليل واقعي ومواقف عملية، وعقل علمي موضوعي لايتأثر بالشهوات وبالمطامح والتأثيرات الوقتية وانما تسيطر عليه الروح العلمية والتجرد والنزاهة. . وعندما يشفى مدّعو اليسار من أمراضهم نستطيع أن نعالج هذا الموضوع اذا كان واقعاً.

**أيها الرفاق**

أحد الرفاق سأل عن وحدة اليسار وقال بأنني طرحت هذا الموضوع في تصريح رسمي قبل عام ودعوت فيه الى وحدة اليسار. ان هذه قناعتي منذ عشرة أعوام وليس منذ عام فقط وقد كتبت قبل قيام الوحدة في هذه المواضيع ولكني بعد حل الحزب. . وبعد الانفصال والظروف التي واجهتنا لم تسنح الفرصة لطرح الموضوع مجدداً على المستوى العلني وان كنا في القيادة القومية نوجه الحزب هذا التوجيه.

أذكـر لكم حادثة في عام ١٩٦١ عندما كان مقر القيادة القومية في بيروت زمن

الوحدة أرسلت رسالة الى القيادة القطرية في العراق تنبه الى الأمور التالية:

كنا على يقين بأن لابد أن يحدث رد فعل من جانب الجماهير ضد الشوعيين وان تستغل القوى الرجعية واليمينية رد الفعل هذا لشن حرب تصفية ضد الشيوعيين ولتعزيز الأفكار والمواقع اليمينية. . حينذاك وجدت القيادة القومية ان من واجبها تنبيه الحزب في العراق بأن لايتأثر بايحاء الأوساط المحافظة واليمينية في العراق وأن لاينجر الى معارك انتقامية مع الشيوعيين.

أرسلنا هذه الرسالة قبل انتفاضة رمضان بسنتين وعرفتُ أن القيادة القطرية في العراق أنزلت نشرة بهذا المعنى الى قواعد الحزب تحذرهم من ردود الفعل السلبية تجاه الشيوعيين.

**وقفنا ضد تصفية الشيوعيين**

وبعد اسبوع من انتفاضة رمضان ذهبت القيادة القومية الى بغداد وجاء مراسلو الصحف ووكالات الأنباء الى الفندق وطلبوا مني حديثاً وتجمعوا حتى صار الأمر وكأنه مؤتمر صحفي فتحدثت اليهم. ولما سألوني عن موقف الحزب من الشيوعيين قلت للمراسلين وكان بينهم مراسلون من الدول الاشتراكية وغير الاشتراكية، ان حزب البعث لم يكن معادياً للشيوعية او مكافحاً لها. فهذه مهمة الأحزاب الرجعية وحزب البعث ليس من هذه الأحزاب. . غير ان من واجب الحزب ان يقف في وجه كل عمل جنوني أخرق، فلما نزل الشيوعيون الى الشوارع مسلحين لمقاومة الانتفاضة كان من الواجب ردعهم. . ولكن لن تكون هناك أعمال انتقامية. . وأوضحت ان قيادة الحزب كانت قد احتاطت للأمر منذ سنتين (مسألة الرسالة التي بعثت بها الى القيادة القطرية عام ١٩٦١).

ولكن القيادة القطرية في العراق مجمعة على التصفية التي قاموا بها طوال تسعة أشهر! هذا العمل لايرتكبه الا الحمقى لقد جلبوا عداوة ثلاثة أرباع الدنيا لانتفاضة كانتفاضة رمضان منذ أيامها الأولى. . وكان عبدالناصر ضدها ايضاً. .

أما المعسكر الاشتراكي فليس بالضرورة ضد انتفاضة رمضان وضد البعث. . ولكن القيادة القطرية اعطت المعسكر الاشتراكي مبرراً كي يعادينا ويعزل الحكم في

العراق، ويعبىء الأوساط التقدمية في العالم حتى صارت تنعتنا بالفاشست وعملاء الاستعمار.

ولقد طرحت هذا الموضوع في المؤتمر القطري العراقي في بغداد وفي المؤتمر القومي السادس. وبعد ضياع الحكم في العراق قفز أولئك الأطفال الذين كانوا يذبحون الشيوعيين نحو الشوعية وتظاهروا بأنهم صاروا يساريين ليغطوا جرائمهم. هذه هي الانتهازية. وهؤلاء ايضاً كانوا متشنجين ضد عبدالناصر الى أبعد الحدود يأخذون علينا صنع الوحدة معه كأنها جريمة. وبعد ان خسروا الحكم والحقد في نفوسهم على الحزب راحوا يتزلفون لعبدالناصر ويتقربون منه.

**موقفنا من الماركسية**

وهناك مسألة موقفنا من الماركسية ومن الشيوعية المحلية والعالمية. ولتبسيط الموضوع نقول ان هنالك في موقفنا طورين الأول منذ نشأة الحزب حتى عام ١٩٥٦ والثاني منذ عام ١٩٥٦ وحتى الآن:

عندما نشأ الحزب كان بيننا وبين الشيوعيين خلافات كبيرة وجدية وفي غاية الخطورة. ان الأحزاب الشيوعية العربية لم تقدم جواباً على مشاكلنا القومية. . وكان الشيوعيون المحليون ينكرون القومية ويعادونها كما كانوا ينكرون الوحدة ويعملون على اساس اقليمي ولم يقدم مدّعو الماركسية جواباً على مشاكل البلدان المتخلفة ولم يفهموا ان النضال القومي التحرري فيها يكون مقروناً بالنضال الاشتراكي، ان حزبنا قد يكون من اول الأحزاب في هذا العصر، التي اعلنت هذه الحقيقة في آسيا وافريقيا: حقيقة اقتران النضال القومي بالنضال الاشتراكي. قد نكون معذورين عندما نقدنا مدّعي الماركسية في ذلك الوقت وحذّرنا الشباب منهم. ففي ذلك الطور لو اخذ العرب بالماركسية كما كانت مطروحة وساروا في ركاب الشيوعيين لكانوا ذيلا لغيرهم ولما وصلوا الى هذه الانتصارات الاجتماعية. كانت الأحزاب الشيوعية تطلب الى العرب آنذاك ان يسكتوا عن الاستعمار الفرنسي والانكليزي لأن الفرنسيين والانكليز كانوا حلفاء للسوفيات وكان هذا الموقف خيانة لأهداف الأمة ولهذا كان لابد للبعث ان يكشف حقيقة ان الاحزاب الشيوعية العربية حركات خاطئة وغير ملائمة لبلادنا لأنها لاتتفهم

مشاكلنا ولاتقدم الحلول الصحيحة لها. في ذلك الحين كان جوابنا عنيفاً على الشيوعيين لاننا كنا نخاف على شعبنا من ان يضلل وكان بيننا وبين الشيوعيين صراع على المصير، على الحياة، كنا نطرح السؤال التالي :

هل نأخذ هذه الفرصة التاريخية ونقود الأمة العربية الى النصر. . الى الاستقلال والثورة القومية الاشتراكية أم نتركها فتقود الأحزاب الشيوعية بوضعها ذلك الأمة العربية الى الفشل والى التخبط؟

وبعد مضي خمسة عشر عاماً ظهر ان الاحزاب الشيوعية فشلت في العالم الثالث وليس في بلادنا فحسب. فهي لم تستطع ان تقود الثورة في الكثير من بلدان آسيا وافريقيا بسبب النقص الأساسي فيها. . النقص في فهم طبيعة حركات التحرر الوطني في هاتين القارتين.

وبعد ان تسلم حزبنا زمام القيادة لم تعد الأحزاب الشيوعية العربية تشكل خطراً وكان علينا ان نحاول تصفية الخلافات بعد زوال الظروف الموضوعية لنشوئها وان نزيل هذا العداء المستحكم. طبعاً، انا مادعوت الى تناسي الماضي في يوم واحد ولا الارتماء في احضان الشيوعيين دون محاسبة ونقد ذاتي. وفي ذلك الحين بدأ الشيوعيون يصححون مواقفهم من الوحدة بعد ان كانوا يعادونها بصراحة فأصبحوا لايجرؤون على معاداتها فيما عدا موقفهم الخاطىء والمنحرف منها في العراق بعد انقلاب تموز ١٩٥٨. وكانت هذه التطورات تقتضي من جانبنا ان نتطور. فأمام الظروف الجديدة لايجوز التعلق بالأفكار والمواقف القديمة التي كان لها ما يبررها في الماضي. وانما يجب اعادة النظر فيها وتعديلها بالمقدار الذي تتطلبه الظروف الجديدة.

ان الماركسية نظرية اشتراكية. وهي اولى النظريات العلمية واهمها. . وليس جائزاً ان ننظر الى الماركسية نظرة تعصب. يجب ان ننفتح عليها انفتاحاً موضوعياً. . وعند خلافنا معها يجب ان نقارع الحجة بالحجة وان لانتزمت. يجب علينا ان نرى الحق والصواب اينما كان. . ان موقفنا اليوم من الماركسية والشيوعية لم يعد موقفاً سلبياً وفي الماضي لم نكن مقلدين ولا زلنا غير مقلدين ولكن يجب علينا ان نأخذ كل ما يفيدنا في نضالنا الاشتراكي.

سأل احـد الرفاق: عن قولي بأن القيادة القطرية المنحلة داست شرعية الحزب ومزقتها وان بها كتلا أدانها الحزب.

ان عهد الانفصال أيها الرفاق ليس ببعيد. في ذلك العهد وقف قسم من الذين يسمون أنفسهم بعثيين الى جانب نظام الانفصال وعملوا ضمن اطاره واختلفوا مع الحزب وانشقوا عنه، كان خلافنا معهم حول الموقف من الوحدة ومن الانفصال. في المؤتمـر القـومي الخـامس اجتمع ممثلوا الحزب في الأقطار وناقشوا موقف الحزب من الوحدة وقرروا أن نستأنف النضال من أجل وحدة سليمة ديمقراطية تعتمد على التنظيم الشعبي، ويجب أن نشـدد النضـال ضد عهـد الانفصـال لأنه عهد رجعي صنعه الاستعمار، ولأنه لايخدم سوى مصالح الاقطاعيين والرأسماليين والانفصاليين. . كما قرر المؤتمر ايضاً اعادة التنظيم الحزبي في سورية وارتباط هذا التنظيم بالحزب القومي وبالقيادة القومية وقرر ايضاً تجاوز المشكلات التنظيمية والتكتلات والشلل في سورية والتي كانت تقف عائقاً أمام عودة التنظيم وأمام وحدة الحزب. وأدان المؤتمر القومي بصـورة حاسمة وواضحة كل المواقف التي وقفها بعض الذين كانوا يدعون الانتماء للبعث الى جانب الانفصال وضد قضية الوحدة واعتبرها انحرافاً وبرأ الحزب منها.

هذا هو موقف الحزب. . موقف المناضلين في الأقطار العربية الذين كانوا يواجهون الجماهير كل يوم ويتحسسون مشاعرها وآرءها وأهدافها. ولكن فئة قليلة تمردت على قرارات المؤتمر القومي الخامس وشكلت حزباً جديداً باسم حزبنا. . وكان هذا الحزب الجديد منظمة قطرية اقليمية لاصلة لها بالحزب القومي الذي ناضل سنين طويلة وامتد في كثير من الأقطار العربية وحقق للجماهير انتصارات عظيمة. وبدأت هذه الفئة تشن حرب اشـاعات ضد الحزب وضد القيادة القومية تماماً كما يحدث اليوم، كما راحت تدعي الثورية واليسارية.

اننا يجب أن نكشف حقيقة هذه الفئة وحقيقة مواقفها منذ الساعة التي تمردت فيها على الحزب ممثلا بالمؤتمر القومي الخامس وبالقيادة القومية التي انبثقت عنه. ان هؤلاء الـذين سمـوا أنفسهم بعثيين وقفـوا الى جانب الانفصـال بل راحـوا يبررون الانفصـال ويبررون مواقفـه وسياسته. مواقف وسياسة خالد العظم وناظم القدسي

ومأمون الكزبري وذلك التجمع الشعوبي الرجعي الاستعماري الذي كان يضم الاقطاعيين والرأسماليين وعملاء الاستعمار المكشوفين.

وقد عملوا ضمن اطار النظام الانفصالي.. انهم لم يرفضوا الانفصال.. ولم يثوروا عليه كنظام وانما عملوا ضمن اطاره وادعوا ان باستطاعتهم ان يستفيدوا من الحريات الديمقراطية الزائفة التي وفرها لكي يعملوا. وكانوا يدعون انهم يريدون اصلاحه من الداخل تصوروا هؤلاء اليساريين الثوريين وهم يريدون اصلاح نظام خالد العظم وناظم القدسي ومأمون الكزبري من الداخل. أيها الرفاق عودوا الى التاريخ.. الى تاريخ الحركات الثورية في العالم تجدوا أشباها لهذه الفئة.. انهم الانتهازيون الاصلاحيون اليمينيون الذين يقفون عند منتصف الطريق ويخشون من المضي في النضال الثوري ويكتفون بالعمل ضمن اطار النظام الرجعي وبمعارضته معارضة جزئية من غير ان يتحملوا مشاق الثورة التي تتطلب الموقف الجريء الجذري والنضال الدائب الطويل. ان باستطاعتكم أن تعرفوا حقيقتهم من طريقة عملهم.. ومن مقارنة اسلوبهم بأسلوب الحزب.

لقد شكلوا حزباً جديداً من مجموعة من التكتلات الشخصية ومن الشلل المعروفة في سورية دون وضع أية قواعد تنظيمية ثورية وراحوا يعملون عملا شبه علني في ظل النظام الانفصالي.. وكان هذا النظام لايهتم بهم ولايهتم بمعارضتهم وبياناتهم ولم يتعرض أحد منهم للاضطهاد في عهد الانفصال.. كان وضعهم كوضع الأحزاب البورجوازية الموالية للنظام الانفصالي. كانوا جزءاً من التركيب السياسي لعهد الانفصال. هكذا كان وضعهم وهم الذين ملأوا الدنيا انتقاداً ضد اسلوب الحزب في التنظيم وضد القواعد الثورية في التنظيم الحزبي. أما التنظيم الذي كان مرتبطاً بالحزب فانه بني على قواعد نضالية متينة مستقاة من تجارب الحزب التنظيمية في الأقطار العربية. بني التنظيم الحزبي على أساس سري ثوري وكان اعضاؤه يعملون ضمن شروط قاسية وصعبة وكانوا ينظمون المظاهرات والاضرابات الجماهيرية وكانوا يتعرضون للاضطهاد من قبل السلطات الرجعية واذا كانت قد حدثت أخطاء في التنظيم المرتبط بالحزب بسبب انحراف البعض وانتهازيته، فان الأساس كان صحيحاً ثورياً وكان

نقطة هامة في تاريخ حزبنا وأسلوب عمله. أما الفئة المنشقة التي ملأت الدنيا صراخاً عن السياسة والسياسيين وأساليب العمل السياسي فانها كانت تعمل ضمن إطار اللعبة السياسية التقليدية وكانت تحاول النجاح في هذه اللعبة.

هذه الفئة أيها الرفاق.. ارتضت لنفسها أن تكون اقليمية فأقامت حزباً قطرياً لاارتباط له بالحزب القومي ولم تعتبر ذلك خطأ او انحرافاً او نقصاً وانما اعتبرت ذلك أمراً طبيعياً واغرقت نفسها في المسائل القطرية وضاعت ضمن الاطار القطري. ان مجرد تشكيلها لحزب قطري يعبر عن اتجاهها الاقليمي. فحزبنا منذ أول يوم لنشأته لم يكن حزباً لقطر واحد وانما كان حزباً للوطن العربي كله. لقد كان موقفها ذلك تعبيراً عن نظرتها المنحرفة الى القضية القومية وقضية الوحدة.

**موقف الانزلاق نحو القطرية والاقليمية**

لقد انشقت هذه الفئة عن الحزب القومي.. عن الحزب الذي يستمد ثوريته من قومية نظرية وقومية تنظيمية وقومية نضالية. فأين هي وحدويتها؟ وأين هي قوميتها؟ هل يمكن لفئة مهما كانت مخلصة أن تكون قومية ووحدوية اذا هي عملت ضمن نطاق اقليمي وانفصلت عن الحزب القومي وعملت على اضعافه وتقطيع أوصاله. ماهي النظرية الوحدوية لهذه الفئة التي بررت بها انفصالها عن الحزب القومي الذي نما وترعرع في الأقطار الأخرى؟.. وكيف نستطيع أن نفسر التناقض الخطير بين وجودها وتركيبها الاقليمي وبين ادعاءآتها الوحدوية؟ ان الاتجاه الوحدوي في نظر حزبنا ليس مجرد نيات وادعاءآت وانما هو انعكاس لواقع فعلي.. لقد اعتبر حزبنا وحدوياً لأنه آمن بنظرية الوحدة وأقام كيانه على أساس وحدوي وليس لأنه نادى بالشعارات الوحدوية فقط. ان الرجعيين كانوا هم أيضاً ينادون بالشعارات الوحدوية وقد فضحناهم منذ سنين وكشفنا زيفهم فاذا بالفئة المنشقة عن الحزب تأتي بعد سنوات من انهيار الرجعية واندحار افكارها وانفضاح شعاراتها لتتبنى المنطق والسلوك الرجعي.

وعندما انشقت هذه الفئة عن الحزب كانت تندد بفكر الحزب وتعتبره ناقصا كما كانت تقيم الدنيا وتقعدها عن النقص في المحتوى الاشتراكي لنظرية الحزب. فماذا قدمت لنظرية الحزب وما هي الأفكار الجديدة التي أضافتها الى تراث الحزب

الفكري؟ . .

لقد عاش قادة هذه الفئة قبل حل الحزب عام ١٩٥٨ سنين عديدة في الحزب ولم يؤلفوا كتاباً ولم يكتبوا مقالا يمكن أن يضيف شيئاً الى نظرية الحزب وتراثه الفكري . وبعد أن انشقوا عن الحزب لم يفعلوا شيئاً ولم يقدموا سوى النقد والتجريح والتشهير وحتى بعد حركة آذار حيث امتلكوا السلطة والأجهزة ووسائل الاعلام ماالذي قدمته هذه الفئة لفكر الحزب ونظريته وللمحتوى الاشتراكي لهذه النظرية؟ . . لقد أظهروا عقماً فكرياً لامثيل له . . وتبين انهم عاجزون عن العطاء .

ان عقمهم وسطحيتهم وجهلهم كان يدفعهم الى النقد والتجريح والى الاساءة الى القادة الذين قدموا للحزب ما باستطاعتهم تقديمه من غير ادعاء أو تبجح أو غرور . . لقد كانوا يحاولون اخفاء عقمهم بالاساءة الى تراث الحزب النظري والى أفكاره التي حققت له الانتشار والانتصارات .

وهذه الفئة ايها الرفاق كانت تدعي كما ذكرنا اليسارية والثورية والتطرف . كانت تدعي الاشتراكية المتطرفة . ولكن التطرف والاعتدال ليسا مجرد ألفاظ وشعارات وانما هما نتيجة لمواقف وممارسة عملية . ان الذي يحلل حقيقة آرائهم ومواقفهم العملية والسياسية يجد بأنهم ليسوا سوى اصلاحيين قد يكونون تقدميين نسبة الى الرجعية ولكنهم يصبحون يمينين بالنسبة الى الحزب الاشتراكي الثوري . أي بالنسبة الى حزبنا .

لقد آمن حزبنا بالطبقات الكادحة وبنضالها من أجل الوحدة والحرية والاشتراكية وكانت نظريته تقول بأن أهداف الشعب العربي هي القضاء على الاقطاع والرأسمالية ، والقضاء على التجزئة والتسلط الدكتاتوري . واذا عدنا الى مواقف هذه الفئة السياسية والى اهتماماتها النظرية والعملية في وقت الانفصال لوجدنا أنها تركز على الاصلاحات الجزئية في منطق اصلاحي انتهازي في الريف وتعتبرها غاية الثورة ومنتهى اليسار . .

لقد كانت هذه الفئة المنشقة أيها الرفاق فئة يمينية في حزبنا وذات سلوك اصلاحي انتهازي . لقد كانت تمثل أولئك الذين تعبوا في منتصف الطريق وعجزوا عن الاستمرار في النضال الثوري الذي يتطلب التضحية ونكران الذات والتعب والأرهاق .

ان واقعهم بعد الحركة هو الذي يفضح حقيقتهم. في العراق قامت انتفاضة رمضان. وكانت هذه الانتفاضة نصراً للوحدة على الانعزالية والاقليمية ونصراً للتقدمية على الرجعية ونصراً للديمقراطية الشعبية على الديكتاتورية العسكرية. وكانت انتفاضة رمضان ثمرة نضال الحزب وثمرة موقفه الثوري الوحدوي الاشتراكي السليم في المؤتمر القومي الخامس. وكانت هذه الانتفاضة في احدى جوانبها رداً حاسماً على الانفصال الذي وقع في سورية عام (١٩٦١) وكذلك كانت حركة آذار. لقد قامت حركة آذار ضد الانفصال وضد منطقه وسياسته ومبرراته والطبقات الاجتماعية التي كانت مهيمنة خلاله. وكانت حركة آذار تعبيراً عن انتصار نظرة الحزب الوحدوية الاشتراكية التي عبر عنها المؤتمر القومي الخامس واندحاراً نظرياً وسياسياً للفئة القطرية المنشقة. فحركة آذار كانت ضد هذه الفئة.. لأنها كانت ضد التركيب السياسي لعهد الانفصال كله.. وهذه الفئة كانت جزءاً من ذلك التركيب وعندما قامت الحركة شعرت تلك الفئة باندحار نظرتها ولم تتبنَ الحركة وأعتبرتها حدثاً غريباً عنها وظلت فترة من الزمن سلبية تجاهها وكانت تردد عنها نفس الاشاعات التي كانت ترددها عن الحزب قبلها.

ولكن ما ان مضت فترة من الزمن حتى وجدنا أقطاب هذه الفئة يصبحون محافظين ووزراء وقادة في الحزب. وموجهين في أجهزة الاعلام. يدعون ان الحركة حركتهم وان العهد عهدهم ويكيلون للحزب الذي صنعها الاتهامات وللموقف النظري والسياسي الذي هيأ لنجاحها شتى التهم والطعون. فكيف انقلبت الآية؟

**أيها الرفاق**

ان هذه الفئة الانتهازية اليمينية الاصلاحية التي اندحرت أمام نظرية الحزب ونضاله الثوري وسياسته السليمة قررت أن تركب مدّ الحركة التي كانت في الحقيقة قد قامت ضدها.

ان الفئة العسكرية التي تحدثنا عنها والتي أرادت السيطرة على الحزب وتغيير حقيقته وجوهره.. بل التي أرادت تبديله بحزب آخر جاءت بهذه الفئة المنشقة ووضعتها على رأس الحزب وضعاً.

ان القطريين الذين كانت الحركة تعبيراً عن اندحارهم وصلوا الى قيادات الحزب

والحكم لالأنهم ناضلوا في صفوف القواعد الحزبية فرفعتهم هذه القواعد الى القيادة، ولا لأنهم بشروا بنظرية ثورية جديدة فأعتنقها مناضلو الحزب واختاروهم قادة لهم ولا لأنهم ضحـوا بدمائهم وأرواحهم من أجل الحركة وإبان المؤآمرات المتلاحقة. . لقد وصلوا الى قيادات الحزب والحكم بأيدي الفئة العسكرية وصاروا واجهة مدنية لتسلطها على الحزب وعلى الجماهير.

لقد تحدثوا كثيراً عن اليسارية وعن التنظيم الثوري وعن القاعدة الحزبية وعن المنـظمات الشعبية. . ولكن أين هم من كل هذا؟. . لقـد كانوا في عهد الانفصال يمينيين اصـلاحيين يحـاولـون اصـلاح نظام خالد العظم وناظم القدسي فاذا بهم يصبحون بعد حركة آذار يساريين متطرفين ثم جاءوا على أكتاف العسكريين فاذا بهم يتحدثون عن القواعد الحزبية وعن المنظمات الشعبية وبعد أن استلموا الحزب وسيطروا عليه هذه الفترة الطويلة لم نجد في أساليبهم التنظيمية غير إدخال المئات والألوف الى الحزب من غير تثقيف وتدريب على النضال وامتحان القدرة على التضحية والبذل هذه الفئة كانت تطرح نفسها دائماً خارج الحزب وان هي تسَّمت بإسمه. كانت تقول: لماذا وقع الحزب في هذا الخطأ أو ذاك؟. . لماذا فكر الحزب ناقص؟. . لماذا تنظيم الحزب على هذا الشكل الخ؟. .

ان هذا الاسلوب هو أسلوب الذين يضعون أنفسهم خارج الحزب وليس أسلوب الذين يعتبرون أنفسهم من صلب الحزب لو كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم حزبيين وأبناء الحزب ولو كانوا يشعرون بمسؤوليتهم كما يشعر بها الثوريون الحقيقيون لطرحوا هذه الأسئلة على أنفسهم ولحـاولـوا مخلصين ايجاد الأجوبة عليها ولعملوا على تصحيح أخطاء الحزب واكمال نواقصه. ولكنهم كانوا عاجزين وعقيمين فاتخذوا هذا الموقف السلبي، وبعد أن جاؤوا الى الحزب وتسلطوا عليه وأصبحوا في قياداته العليا استمروا في الموقف نفسه وظلوا يطرحون نفس الأسئلة وكأنهم غرباء عن الحزب. ولم يقدموا طيلة بقـائهم في القيادات أي شيء جديد. لقد وضعوا أنفسهم خارج الحزب حتى عندما كانوا في قياداته وعندما كانوا يلعبون كما يشاؤون.

قد يتساءل بعض الرفاق ويقول هل يعني كلامنا هذا أننا نبغي تصفية هذه الفئة

من الحزب وان كل من إنضم الى التنظيم القطري في عهد الانفصال منحرف يجب الا يبقى في الحزب.

اننا نرد على هذا التساؤل فنقول: ان الاتجاه القطري . . كاتجاه نظري وسياسي وتنظيمي هو اتجاه يميني إقليمي منحرف . . انه اتجاه معاد للاشتراكية وللوحدة وللتنظيم الثوري والعمل الشعبي الحقيقي وان واجب الحزب تصفية هذا الاتجاه تصفية نهائية لأنه مرض في جسم هذا الحزب والمرض يجب أن يستأصل، أما الذين انضموا الى التنظيم القطري في عهد الانفصال والذين ظلوا بعد حركة آذار متأثرين باتجاهات هذا التنظيم فان فيهم عدداً كبيراً من المضلَّلين ونحن لانستهدف تصفية أحد. ان المطلوب الآن هو فضح الاتجاهات اليمينية والمنحرفة وتثقيف الجميع تثقيفاً حزبياً سليماً. تثقيفاً وحدوياً اشتراكياً ثورياً . . أما الذي يصر على مواقفه المنحرفة بعد التثقيف وبعد كشف الحقائق فان بقاءه في الحزب سيكون وضعاً غير طبيعي.

هكذا أيها الرفاق ديست شرعية الحزب ومُزِّقت. ان سبعة أعضاء من أصل تسعة أعضاء من المدنيين في القيادة القطرية المنحلة انتسبوا الى الحزب بعد الحركة . . وان الذين كانوا يهيمنون عليها هم من تلك الفئة القطرية المنشقة عن الحزب . . وان هذه القيادة هي التي أوصلت قادة هذه الفئة الى مراكز القيادة في الحكم والحزب.

**أيها الرفاق**

ان الأزمة في حزبنا قديمة . . وخطيرة. لقد ابتدأت بالتسلط وكانت نتيجة للتسلط. لقد أدخلت الى الحزب أفواج من الانتهازيين ومن العناصر غير المؤهلة للنضال. هذه العناصر كان يجب أن تمر بمراحل. أن يتم تثقيفها. أن تُدرّب على النضال. وظهر التزييف في الحزب أيضاً بإقصاء وإبعاد عناصر سليمة. مناضلين قدامى في الحزب. وظهر التزييف في الانتخابات وفي كل المستويات في استخدام السلطة لوسائل الاغراء لكسب الانصار والاعوان وفي استخدامها للتهديد والترغيب.

**الحل الجذري: أم الحل السطحي**

كيف نخرج من هذه الحالة؟ هل واجبنا يقضي بأن نجد حلا سطحياً يؤجل انفجار الأزمة بضعة أشهر ثم تعود أشد مما كانت عليه قبل أشهر؟ أم أن واجبنا يقضي بأن نجد

حلا جذرياً . . حلا ثورياً؟ لقـد كانت قواعـد الحزب تطالب بالتصحيح . . وكانت منـظمات الحـزب القومية تطالب بالتصحيح وكانت قواعد الحزب في الجيش تطالب بالتصحيح العميق . فلماذا التأجيل؟ . . ولماذا الحلول الوسط؟ . . ان علينا أن نعود الى الجـذور . . أن نصحح الحزب من أساسه . في تفكيره وفي تنظيمه وفي اخلاقيته وفي سياسته . ان الهدف المطلوب والذي قصدته القيادة القومية في مقرراتها الأخيرة لم يكن تدبيراً مؤقتاً ولا سطحياً . انما كان بداية لتصحيح عميق . ولكي يكون هذا التصحيح ممكناً يجب أن يُكشَف المزيفون والمتسلطون والمفترون والمندسون والذين يضعون شتى العراقيل في الطريق الى تصحيح أوضاع هذا الحزب ولانقاذ الجماهير من الذين تمكنت منهم شهوتهم الى الحكم والسلطة، ومن الذين أرادوا الاقتتال على السلطة حتى ولو أدى ذلك الى دمار البلاد وخرابها . أنتم تعرفون بعض هؤلاء الذين لم يبق فيهم ضمير والذين كادوا يعرضون حركة آذار الى الضياع في سبيل المصالح الخاصة ولكي يجمعوا الأنصار ويكسبوا التأييد .

هؤلاء في صراعهم مع الحزب، مع منطق الخير والأخلاق والعمل الثوري الصادق يحاولون التستر بشعارات ثورية ومحببة الى قلوب الحزبيين الطيبين المخلصين .

ان من واجبكم أيها الرفاق أن تميزوا بين هذه الشعارات وبين المقاصد الانتهازية لبعض الذين يطلقونها ويتاجرون بها . ان حزبنا هو مفجر الثورية واليسارية، هذا الحـزب هو الـذي أوجـد اليسـارية الصحيحـة في الوقت الذي كانت فيه الحركات والأحزاب الأخرى تتخبط على أعتاب الديمقراطية البورجوازية والفاشية وغيرها من النظم والأفكار السطحية ضد مصلحة شعبنا وجماهيره الكادحة . . ان حزبنا هو الذي نادى بالقـومية كعـامـل ايجـابي في النضـال ضد الاستعمار والرجعية وها نحن نجد المفكرين والأحزاب التقدمية وبعد خمسة وعشرين سنة يعترفون بما قلناه وأكدناه . . ان حزبنا هو الذي كشف الوجه الايجابي للدين في البلدان المتخلفة وقال ان الدين ليس كله الى جانب الرجعية وأن فيه جوانب ثورية . . وها نحن نجد أن الحركات السياسية في افريقيا وآسيا تتجه هذا الاتجاه، اقرأوا ايها الرفاق كتابات المفكرين الأفريقيين، تجدوا أنهم رجعوا الى الحقائق التي كنا ننادي بها منذ ربع قرن من الزمن .

**أيها الرفاق**

أقول لكم بصراحة . . فلا ينقذنا من أزمتنا الا الصراحة . . ان عدداً من رفاقنا العسكريين قد انزلق الى مزالق التكتل والتسلط على الحزب وعلى الشعب والى الانتهازية والمصلحية وهذا الانزلاق كاد أن يقضي على حركة آذار . . وهؤلاء الأفراد لم ننكر عليهم نضالهم . . ودورهم في هذه الحركة ولكن لايجوز أن نضحي بالحزب لأن لهؤلاء الأفراد في الماضي فضلا على الحزب.

**الجيش والسياسة**

ان هناك تساؤلات تطرح اليوم . . كيف نصحح الأوضاع في الجيش؟ كيف نمنع الجيش من التدخل في السياسة؟ كيف نمنع التدخل العسكري الذي تقع مسؤوليته على رفاق معدودين أما الكثرة الساحقة من رفاقنا العسكريين فهم أبرياء من هذا التسلط وهذا الانزلاق. اننا عندما نقول إبعاد الجيش عن السياسة لانريد أن نقيم حاجزاً بين الجيش وبين الحزب والعمل السياسي . . بل نريد أن نزيد صلة الحزب بالجيش وصلة الجيش بالحزب . . أن نعمق الوعي العقائدي لكي يمتنع الجيش امتناعاً واعياً عن التدخل في شؤون السلطة والتناحر على السلطة. اننا نسعى الى تصحيح وظيفة الجيش في المجتمع الثوري الذي يقوده الحزب. ان الجيش جيش شعبي وفيه مناضلون مرتبطون بقضية الجماهير وهم أعضاء الحزب في الجيش وهؤلاء مثلهم كمثل رفاقهم الآخرين في الحزب عمالا كانوا أم فلاحين أم مثقفين، ان لهم الحق في أن يعيشوا حياة الحزب كاملة والعسكريون كغيرهم من الرفاق لهم الحق أن يساهموا ضمن منظماتهم في توجيه الحزب وفي بناء سياسته وبرامجه وان لهم الحق الكامل كغيرهم في النقد وفي النقد الذاتي . . ان ما نريده من تصحيح وظيفة الجيش هو عدم الجمع بين العسكرية والمهمة القيادية في الحزب أو في الحكم. فعندما ينتخب الحزب أحد الرفاق العسكريين للقيادة الحزبية لايعود هذا الرفيق عسكرياً بل يصبح حزبياً وقائداً شعبياً ويجب أن لاتبقى له أية صفة عسكرية. ليس هناك حزب ثوري حقيقي في العالم قيادته من القادة العسكريين الذين لايزالون في قطعاتهم. كما كان بعض الرفاق العسكريين في القيادة وفي الوزارة وفي الجيش في آن واحد . . والقيادة القطرية المنحلة فيها سبعة من

العسكـريين لايزال بعضهم يتـولى قيادة القطعات العسكرية والبعض الآخر لايزال محتفظاً برتبته العسكرية وبانتسابه الى الجيش رغم انه في القيادة وفي الوزارة . . عندما يكون الضابط في القيادة وهو في قطعته العسكرية فانه لن يكون قائداً حزبياً وقائداً شعبياً . . وان لغتـه لن تكـون لغـة العقيدة والحوار الحزبي الموضوعي وانما لغة القوة والسلاح. ان وجود عسكريين في القيادة وفي الحكم مع احتفاظهم برتبهم العسكرية وقـطعاتهم العسكرية ابتعاد عن المنطق الثوري الجماهيري . . ان مجرد وجود هؤلاء العسكريين في القيادة بهذا الشكل يعني بكل وضوح ان القوة الحقيقية هي في الجيش وليس في الشعب . . في القــطعـات العسكـرية وليس في قيادة الحـزب مهـما كانت مسؤولياتها ومهما كان مستواها. فأين هو دور الحزب الجماهيري الثوري ؛ أين هو دور الـطبقات الكادحة التي نتحدث ليل نهار عن مصالحها وعن قيادتها وعن دورها في الثـورة؟ . . أين هو دور المنـظمات؟ . . منظمات العمال ومنظمات الفلاحين ومنظمات الطلبة ومنظمات النساء؟ . . وبعد هذا يأتي من يتحدث عن اليمين وعن اليسار ويدعي الانحياز الى الطبقات الكادحة ومصالحها . . هذا هو مفهوم الحزب لوظيفة الجيش وهذا هو المقصود من «إبعاد الجيش عن السياسة» اننا لانريد أن نجعل من الجيش مؤسسة تحترف القتال فقط، اننا نريد أن نجعل منه جيشاً للشعب جيشاً للأمة العربية . . وبهـذه الطريقة نمنع الصدامات المسلحة بين رفاقنا العسكريين ونضع الحزب فوق الجميع . يجب أن نعلم بأن الحــزبي عنـدمـا يختلف مع الحـزبي فانـه يحتكم الى المنظمة . . الى العقيدة . . الى النظام . . أما العسكري فعندما يختلف مع العسكري وفي ظل ظروف كالتي حدثتكم عنهـا فانه يحتكم الى السلاح . . وهنا يضيع الحق وتضيع المـوضوعية وتكون الغلبة للأقوى . . وبهذه الطريقة أيضاً نمنع التصفيات، فعنـدمـا يكـون الحـزب فوق الجميع لايجـرؤ أحـد مهـما كان قوياً أن يتجه باتجاه التصفيات . وفي الماضي عندما كانت اللجنة العسكرية هي كل شيء تضامنت في وجه الحزب حيناً من الزمن ولكن عندما شعرت بقدر من الاطمئنان بدأت تختلف . . وبدأ الواحد يصفي الثاني . وأنتم تعرفون قصة التصفيات .

هناك بادرة واعية . . وهي طبيعية . وهذه البادرة هي أن قواعد الحزب في الجيش

قد أصبحت متنبهة الى هذه الأخطاء ولقد اعتبرت بدروس الماضي وبدروس الحاضر فهي تؤمن ايماناً شديداً بأن لاملاذ الا بالحزب وأن لاانقاذ الا من الحزب وأن وجود هذه الأخطاء والأزمات سببه الابتعاد عن فكر الحزب والتنكر لماضي الحزب والجحود لنضال الحزب. وهي تؤمن أن كل هذا يجب أن يزول وان الذي يجب أن يكون هو الاحتكام الى الحزب والى المبادىء. فحزبنا هو حزب نضال وحزب مبادىء وحزب جماهير كادحة وقد شق طريقه بالصمود والتضحية ولم يشق طريقه بالمدافع والدبابات والطيارات، وان تنبه قواعد الحزب في الجيش ليس بجديد أبداً.

ففي أوائل السنة الماضية وبعد المؤتمر القومي الثامن انعقد مؤتمر عسكري للقطر وجرت انتخابات للمكتب العسكري ولم ينجح في هذه الانتخابات الا عضو واحد من اللجنة العسكرية ومن أصل ١٤ عضواً ما يدل هذا؟ . . انه دليل واضح على ان قواعد الحزب في الجيش تشجب الأخطاء وتشجب الانحرافات ولاتقبل بالذين فعلوا ما فعلوا أن يكونوا قادة هذا الحزب. ولكن بعد أشهر يأتي الذين سقطوا في انتخابات المؤتمر العسكري عن طريق المؤتمر القطري الذي ركّبته القيادة القطرية كما شاءت. يأتي هؤلاء الى القيادة لأنهم عسكريون وباسم الجيش وهم لم ينالوا ثقة رفاقهم الحزبيين في الجيش. وهكذا كانوا يتصرفون أيها الرفاق. أيام اللجنة العسكرية كان رفاقنا يأتون الى القيادة والى الحزب ويقولون لنا: نحن نمثل الجيش. وينصّبون أنفسهم أوصياء على الجيش ويقولون للجيش نحن نمثل الحزب ونمثل القيادة. . لعبة مزدوجة ولكنها انكشفت وعرفها الحزب وعرفتها قواعد الحزب في الجيش.

اننا نريد أن نجعل من الجيش عنصراً ثميناً جداً. يصبح قوة في يد الحزب والثورة والجماهير من أجل تحقيق أهداف الأمة العربية. وبذلك لايستخدمه الحزبيون ضد بعضهم وانما يكون لحماية الوطن وحماية استقلال البلاد. وفي الماضي كدنا نرى السلاح يرفع ضد الحزب وضد الحزبيين وهذا منتهى الانحراف والتردي والابتعاد عن روح الحزب ورسالته.

يجب أن نتدارك هذا الحزب قبل فوات الوقت. . وقبل أن يضيع وتخسر في ضياعه الأمة العربية أملها وشيئاً كبيراً في حياتها.

عندما يبقى الحزب سجيناً بين الجدران ولا ينفتح على الشعب ولايتصل بالجماهير ويعمل معها في القرية وفي المدينة، في المعمل وفي المدرسة. وعندما لاينفتح على الأقطار العربية ويخرج من القوقعة القطرية ليؤدي رسالته من أجل الأمة العربية جمعاء. . عندما لاينفتح هذا الانفتاح سيبقى هذا التنافس وهذا الصراع من أجل المراكز. ان التاريخ لن يذكر اسماً من هذه الأسماء التي تتصارع اذا بقيت في مستواها هذا واذا لم ترتفع الى مستوى الرسالة التي حملها البعث.

**أيها الرفاق**

يجب أن ندخل الهواء الى هذا الحزب من الشعب الطاهر. . من أقطارنا العربية المناضلة يجب أن تعود الأصالة الى هذا الحزب. وعندما يتم الانفتاح، عندها سترون أن بعض هؤلاء الرفاق الذين ندينهم ونشكو من تصرفاتهم يتبدلون ويعودون الى أصالتهم ونحن نتمنى ذلك.

اننا لانريد التصفيات وزرع الأحقاد. اننا نريد جمع الكلمة وحشد الكفاءآت لأن مهمة الثورة صعبة ويجب أن يتكاتف الجميع، وعندما نؤمن بهذا الحزب، هذا الايمان، عندما نشجع هذا الوعي الجديد بين شباب الحزب العسكريين ليعودوا الى الحزب كلٍ بارادته وقناعته وليؤمنوا بأن الحزب هو الملاذ وانه يجب أن يكون فوق كل سلطة وقوته المعنوية فوق كل قوة وقرار قيادته فوق كل سلطة نستطيع أن نستبشر، وأن نقول بأن الحزب ولد من جديد. . وانه مرّ بتجارب وأمراض لكنه انتصر لأنه حزب الجماهير العربية الكادحة وعندها لن نكون قلقين من احتمال انحراف حكومة ما أو شخص ما ولن نخشى اذا كان الوزير الفلاني لونه كذا واذا كان ذاك ذا عقلية محافظة الخ. . فنحن لم نصل الى الكمال بعد. ونحن لم نصل الى الدرجة التي تكون فيها الوزارة كاملة. ان الضمانة الحقيقية هي عندما يكون الحزب فوق الوزارة والحكومة وعندما تكون سلطة القيادة فوق كل شخص عندما تحاسب كل انسان الحساب العسير وتوجهه وترشده. وهذا ما تحققه الآن سلطة الحزب وقيادة الحزب انها يجب أن تكون فوق سلطة الحكم والجيش وحتى اذا لم يكن بيد هذه القيادة عصا فانها ستكون الأقوى لأن بيدها سلطة الحزب وسلطة نضال ٢٥ عاماً. .

**١٨ كانون الثاني ١٩٦٦**

# للبعث
# رصيد في ضمير الامة

أيها الرفاق[1]

كانت بالفعل أمنية غالية أن ألتقي بمناضلي البعث في هذه المدينة المناضلة . . انني أعطي لتأثير المكان أهمية خاصة فهناك في الوطن الواسع بعض الأمكنة، بعض المناطق، بعض المدن تتجسد فيها معاني قومية ونضالية أكثر مما تتجسد وتتمثل في غيرها من الأمكنة، ولاشك أن هذه المدينة هي من الأماكن المرموقة في تاريخ النضال العربي الحديث، وكان طبيعياً جداً أن ينشأ حزب البعث فيها، وأن ينمو ويأخذ طابعاً شعبياً أصيلا عميقاً، فحزب البعث أيها الرفاق، ولد من البيئة الوطنية، قبل أي شيء آخر، الوطنية بمعناها البسيط الصافي كما يفهمها شعبنا وكما يفهمها كل شعب، كانت هي المهد الذي نشأ وترعرع فيه حزبكم.

قبل الأفكار والنظريات، قبل التطرق الى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية كان هناك جو هو الغالب، هو الطاغي، هو المؤثر بعمق، هو المحرك والدافع: ذلك هو جو الوطنية المكافحة ضد الاستعمار، ضد الأجنبي الدخيل، ضد الاستعباد، ضد الاحتلال. واذا سألتم عن سر أصالة هذا الحزب، وعن سر صموده طوال هذه السنين، وعن سر قربه من روح الشعب، ومن أوساط الشعب. . فالجواب في هذا الذي ذكرت بأنه نشأ نشأة طبيعية سليمة سوية، نشأ في بيئة ومن وسط وعلى أيدي شباب رضعوا الوطنية منذ الصغر، وعاشوا بين أهل وجيران يتحسسون بهذا الشعور القوي، ويلبون نداءه، فكانت نشأة الحزب اذن منذ بدايتها سليمة، بمعنى انها عبرت عن أسمى وأرفع وأقدس شعور في الانسان، شعور الدفاع عن الوطن، وعن

---

(١) حديث في اجتماع منظمة الحزب في طرابلس في حزيران ١٩٧١.

الكرامة وعن الحرية، وبمعنى أن هذه النشأة كانت متصلة بروح الشعب تستلهم هذه الروح وترجع اليها كلما التبست الأمور وتعتبرها أصح مقياس، وأصدق مقياس، قبل الأفكار وقبل النظريات. ولأن أفكار الحزب اهتدت بهذه الروح الوطنية الشعبية ظلّت قريبة من الحياة بعيدة عن التطرف، وعن الخطأ، بعيدة عن الشذوذ، بعيدة عن الكذب، والنفاق، لأن الانطلاق من الكتب وما يسجل في الكتب قد يسمح أحياناً بافتراق بين القول والعمل.. بين الفكر والسلوك، ولكن عندما يكون الانطلاق من الجو والتربة الوطنية الشعبية يكون للحركة، للحزب، رصيد من الصدق لاينضب. وهذا ما يفسر كيف استطاع الحزب أن يتغلب على عديد من محاولات التشويه والتزييف خلال تاريخ مسيرته الطويلة، لأنه تسلح بتلك الأصالة الأولى.

وكما بدأ الحزب يلبي الاندفاعات الوطنية العفوية ثم أخذ ينمو وينضج ويتعمق في تلك الوطنية حتى يعطيها المضمون الحي القوي المتين الذي يكفل لها الصمود والدوام والنصر، فتوسّع وتعمّق في معاني الوطنية حتى كشف عن الجوانب الاجتماعية في حياة الوطن والمواطن وكان بذلك سباقاً اذ جمع الثورة القومية التي تعني التحرر من الاستعمار والتحرر من التجزئة، الى الثورة الاجتماعية التي تعني ثورة الانتاج وثورة في امتلاك وسائل الانتاج والتي تعني الاشتراكية وتعني توفير الوسائل التي تتيح للمواطن العربي أن يناضل ضد الاستعمار ويكون نضاله ناجعاً ناجحاً، وأن يناضل ضد التجزئة وأن يصل الى تحقيق الوحدة. قلت: كما ان الحزب نما ومر بهذه المراحل بشكل طبيعي لااصطناع فيه، كذلك أرى أن هذه المدينة قد مرّت بشكل طبيعي بهذه المراحل أيضاً، فانتقلت على يد حزب البعث ومناضليه من مرحلة الوطنية العامة العفوية الى مرحلة الوطنية المعمقة التي تدرس الجوانب الاجتماعية، في حياة المواطنين، والتي تبني بهذا الشكل نضالها على أمتن الأسس وأصلب الأسس، أي على الطبقات الشعبية ذات المصلحة في التحرر من الاستعمار وذات المصلحة في التحرر من التجزئة، وذات المصلحة في التحرر من الاستبداد والاقطاع والرأسمالية المستغِلة.

فكان عمل البعث في هذه المدينة تكملة طبيعية وضرورية للمرحلة الوطنية وهذا ما أعطى لنضال هذه المدينة ذلك المركز المرموق، لأنها عرفت كيف تتابع نضالها وتتابع

تطـورهـا، ولاتتـوقف وتتجمد عند مرحلة الوطنية التي لامحتوى لها، بعد تغير الظروف وجـلاء الأجنبي المحتـل، فانهـا اذا لم تعـط المحتوى الاجتماعي الذي أعطا حزبنا فانها تتحول الى شعار خادع يخفي المصالح الآثمة التي تستغل الشعب وتستعبده.

**أيها الرفاق**

بودي أن أحـدثكم طويـلا، واذا لم أتمكن من الاطـالـة في هذه المـرحلة فامـل أن أستطيع اكمال حديثي اليكم في مرة ثانية.

إني أفضل أن يكون حديثي من خلال ما يجول في أذهانكم من أسئلة ومن خواطر في هذه الظـروف القـوميـة العصيبـة التي تهزّ الوجدان العربي، اذ أني لاأحب أن يكون الكـلام من طرف واحـد، وأن يلقى كتلقـين وتدريس. . أرى أن الفائدة تتحقق، وأن طبيعة الحزب الثوري الشعبي أن لايكون فيه فرض للأفكار وللتقييمات، وأن يصل الى ذلـك بالحـوار والتفاعل بين المناضلين، بين القيادة والقواعد. . وكثيراً ما تلهمني أسئلة الـرفـاق في قواعـد الحـزب أفكاراً وتنبهني الى ملاحظات أكون غافلا عنها أو ناسياً لها، ولعلكم تعـرفـون بأن الأحاديث التي قيلت في هذا الحزب منذ بدايته وعلى مدى سنين طويلة كانت نتيجـة هذا التفـاعـل وهـذا الحـوار، لذلك أترك لكم المجال كي تطرحوا أسئلتكم وملاحظاتكم.

**الاجابة على الاسئلة**

سوف تكـون أجـوبتي غير خاضعـة لتسلسـل الأسئلة لأن هنـاك بعض الأسئلة متشابهة، ولكن أرجو أن أتمكن من الاجابة على الأسئلة كلها.

في أكثر من حديث، صارحت أعضاء هذا الحزب، صارحت قواعد الحزب، ليس في قطـر واحـد بل في أكثـر من قطـر، بأن نشـوء هذا الحـزب وتطـوره لم يكن مثـل بقية الأحزاب والحركات الثورية، ولم يجيء دوماً مطابقاً للرغبات والأماني التي كنا نتصورها في البداية، والسبب في ذلك لابد أن يرجع الى شيئين:

نقص في الحزب نفسه أولاً، ثم طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة أو التي وصلت اليها أمتنا في مسيرتها التحررية ثانياً.

اذن التفسـير لابـد أن يأخـذ بالاعتبـار هذين العـاملين، شيء متعلق بالحـزب،

بتكوينه، بأشخاصه، بظروفه، بتنظيمه، بوسائله . . وشيء آخر يتعلق بالمجتمع الذي يعمل الحزب فيه.

عندما نريد أن نيأس ونتشاءم نجد مبررات كافية وأكثر من اللزوم للتشاؤم واليأس، وعندما يحلو لنا أن نغترّ بأنفسنا أيضاً قد لاتعوزنا الأدلة لكي نرى أننا سبقنا غيرنا وحققنا أشياء لم يستطعها غيرنا.

ولكن الحقيقة الموضوعية هي بين الغرور والتشاؤم. بعد ثلاثين سنة من العمل في هذا الحزب وما تخلل هذه الأعوام الثلاثين من نضال ونشاط وانتاج، وأحياناً من جمود وفتور في العمل وضياع وتشويه، بعد هذه المدة الطويلة أستطيع أن أقول انه كان يمكن لحزب البعث أن يكون على صورة أحسن مما هو عليها، أن يعطي نتائج خيراً من التي أعطاها، أن يكون تنظيمه أقوى وأنضج وأكثر استمرارية، أن تكون أفكاره أوضح، أكثر علمية في العرض والتبويب والشرح . . أن تكون خطواته السياسية فيها أخطاء أقل مما وقع، أن تكون مدروسة أكثر، أن تكون أقل عفوية وارتجالا، أن تكون نتيجة خطة واستراتيجية، كل هذا وأكثر منه يجوز قوله، ولكن الى حد. وهذا ماألفت اليه الأنظار: بأن هذا المستوى الأفضل والأرقى الذي كنا نحلم به ولم نستطع بلوغه وكان يمكن أن يتحقق ماهو أفضل نسبياً فقط، بدرجة نسبية من المستوى المتحقق. ان العامل الثاني الذي أشرت اليه وهو المتعلق بالمجتمع وبطبيعة المرحلة التي وصلت اليها الأمة، في تطورها، يفرض حدوداً للتحقيق، أي ان الأماني لاتكفي والارادة وان تكن خلاقة فانها أيضاً لاتكفي، لاتستطيع أن تتجاوز امكانيات مرحلة معينة في حياة الأمة.

صحيح انه كان بالامكان لولا نواقص معينة وعثرات وأمراض والخ . . لجاء الحزب على مستوى أفضل. ولكن الانتساءل لماذا لم يظهر في هذا الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط، لماذا لم يظهر حزب كحزب البعث ويتلافى الأخطاء كلها أو بعضها أو أكثرها تلك التي صدرت عن حزبنا، الخ؟؟ . .

فاذن هذا يرجعنا الى الواقع، ويرينا الحدود التي يفرضها الواقع، ويبقى أمامنا مجال واسع رحب للتصحيح وللتحسين وللسير نحو الأفضل، هذا في داخل الحزب، في مجال الفكر، في مجال الانتاج الفكري والثقافي، في مجال التنظيم والعمل مع الجماهير

وتوعيتها وتثقيفها والتعاون معها في القضايا الاجتماعية . .

لم أقصد من الاشارة الى طبيعة المرحلة والحدود التي تفرضها انه لايوجد مجال للسير نحو الأفضل انما أيضاً لو كانت طبيعة المرحلة التي تجتازها الأمة قابلة للاكثر ـ نوعياً وليس كمياً ـ كان يمكن أن يأتي الحزب أكمل من الناحية الكمية.

من الناحية النوعية هذا متعلق بطبيعة المرحلة ولولا ذلك لولد ذلك الحزب الكامل، لأن لاأحد يمنعه من الظهور، ولأن لاأحد يمكن أن يمنع ولادة حركة عميقة أصيلة.

**أيها الرفاق**

رفضنا اليأس والتشاؤم كما رفضنا الغرور، ولكننا نطلب التفاؤل وكنا دوماً متسلحين به منذ بداية عملنا في هذا الحزب.

التفاؤل فضيلة نضالية ولاتتعارض مع النظرة الموضوعية ولكن هي تعبير من جهة عن نفاذ البصيرة الثورية التي ترى ما هو كامن في الأمة وفي الشعب، ما سوف يتحقق بعد حين وان لم يكن الآن متحققاً، وهو تعبير من جهة أخرى عن ارادة النضال والاستمرار وعن روح الكفاح وعن تحقيق شخصية الانسان العربي من خلال الكفاح والنضال، فلأنه مصمم على هذا، ولأن هذا سر وجوده ومعنى حياته فلابد له أن يتفاءل.

أفكار الحزب كما يعرفها الكثيرون، وكما أشار بعض الرفاق في أسئلتهم الى أنها جاءت في كثير من الأحيان أحاديث مثل هذا اللقاء وهذا الحديث، ومقالات في مناسبات، وهذا له تفسيره، تفسيره الذاتي والموضوعي.

الأشخاص لايمكن أن نفرض عليهم ما ليس في طبيعتهم. هناك من يؤلف الكتب بالشكل المدرسي المعروف، بشكل البحث العلمي، وهناك من يتفاعل مع التجربة النضالية ويأخذ الأفكار حية من هذه التجربة، على غير أسلوب البحث المعروف، التفسير الذاتي هو طبيعة الشخص الذي يكتب ويتحدث والتفسير الموضوعي يرجع الى ظروف الحزب، ظروف الحركة.

لاشك أنكم تعرفون عن الحركة الشيوعية أشياء كثيرة لأنها أصبحت شائعة

ومتـدارسـة ومعـروفة على أوسع نطاق . . وجدت النظرية ، وضعت الكتب والأبحاث العميقـة التي استغـرق وضعهـا سنـين وسنين . ماركس أبو الشيوعية وواضع نظريتها ، وضـع مؤلفـاتـه خلال سنـين طويلة ثم جرت المحـاولات لتأسيس الحـركـة ، وتعثرت المحاولات وفشل بعضها الى أن استقرت وسارت في طريق مستقر ومستمر.

حزب البعث لم ينشأ بهذا الشكل ، وكثيراً ما قلت ذلك ووضحته للقواعد في أكثر من منـاسبـة ، والآن في كلمتي الأولى عنـدمـا حدثتكم عن نشأة الحزب وبينت لكم أن الـرصيـد ، رصيـد الأصالة والسلامة في تركيب هذا الحزب آت من نشأته الوطنية ، وانه قبل أن يعمل للاشتراكية ولشتى النظريات الاجتماعية كان يلبي نداء الواجب الوطني والشعور الوطني .

والسنـوات الأولى من تاريـخ الحـزب معـروفـة ، معـارك الحزب ، حتى قبل نشوء الحـزب هنـاك تاريـخ لمؤسسيه ولبعض رفاقهم قبل تأسيس الحزب ، هناك تاريخ نضال وطني ضد الانتداب ، ضد الاحتلال ، ضد العملاء ، وهناك وقائع قد لاتكون معروفة على نطاق واسع ولكنها ليست سراً من الأسرار.

فالحـزب بدأ بتلبيـة حاجـات ونـداءآت ملحّـة ، لم يبـدأ بوضـع نظريات ، ولو أن الأفكار كانت منذ البداية في حالة تصور عام ، شهد على ذلك ، كتابات سابقة لتأسيس الحـزب ، ولكن الأفكـار ولدت مع الممارسة عدا التصور العام الذي كان سابقاً ، فأفكار الحزب هي وليدة النضال ، وليدة الممارسة .

ظروف أمتنـا ، ظروف مجتمعنـا لم تمهلنـا ، لم تسمـح لنا أن نعمل كما عمل فلاسفة الشيـوعيـة ، دخلنـا النضال بنداء بسيط ولكنه جوهري ، زاد من الفكر والثقافة القومية والانسانية ، وبدأت هذه الأفكار البسيطة المكثفة ، بدأت تتفصل وتتفرع وتتنوع خلال الممارسة .

يحدث أن أشيـاء كتبت قبـل عشـرين سنـة أو قيلت قبل خمس عشرة سنة ، وبقيت مسجلة على الـورق ظن انهـا فهمت أو استـوعبت ، وربما تكون فهمت من الشباب ، لكنهـا لم تدخـل في حيـاة المجتمـع ، لم تؤثر ، لم تغير ، لم تصل الى الذين بيدهم وسائل التأثير والتغيير ، بقيت أفكاراً عائمة ، والآن في هذه السنة أو قبل سنة أو سنتين ، نجد

لبعض هذه الأفكار معنى حياً متجاوباً مع حاجات راهنة موجودة الآن . . تنكشف لنا آفـاق نتيجـة تطور الأحداث ، نتيجة اغتناء التجربة القومية ، نتيجة مامر على أمتنا من فترات تقدم وفترات انتكاس وتقهقر.

نجد أن هذه الأفكار تأخذ ، كما لو كان لأول مرة ، معناها ، كأن لم يكن لها معنى في الماضي ، لأنها بقيت دون تأثير . ماذا نستنتج من ذلك؟

نستنتج شيئين : شيئاً متعلقاً بالحزب ، وشيئاً متعلقاً بطبيعة المرحلة أي بالمجتمع العربي .

الحزب لم يكن في كل الأوقات وربما لم يكن في معظم الأوقات مسيطراً على نفسه سائــراً حسب خطــة وحسب برامــج وحسب أسـتراتيجيـة تنظيميـة كالجسم الحي ، كالعفـويـة الحيـة ، له رأس يوجـه ويقـود . . هنـاك تربية كما ذكر الرفيق ، تربية يعطيها الحـزب لأعضـائـه فيختلف مستـواهم عن الزمن الذي كانوا فيه خارج الحزب ، تتغير شخصيتهم ولـو أنهم في أسـاس الشخصيـة يبقون هم ، هم ، الا أن الشخصية تتفتح ، وتُكتشف كنوزها وخبراتها وتتمرن وتتمرس وتنضج من التجربة .

هكـذا يكـون الحزب الثوري الصحيح السليم ، يكون فاعلا ، يكون خلاقاً ، أي لايكتفي باعطـاء الأفكـار دائـماً ، يربي الشخصيـة ، وهذا مع الأسف ضعيف جداً في حزبنـا ، لاأقـول انـه لاتـوجـد بين البعثـين صفات مشتركة . . وشيء يمكن ، بتجاوز كبير ، أن نسميه الشخصية البعثية ، ولكن بصراحة ، هذا ضعيف ودون المستوى المطلوب .

لم توجد في الحزب تربية حزبية بالمعنى الصحيح ، تربية للعقل والروح والأخلاق ، تربية للعمل والممارسة والنضال ، والعمل في داخل المجتمع ، في التعاون مع فئات الشعب .

هذه نواقص اذا كنـا نطـرحهـا بهذا الشكـل الصـريح ، وقد طرحتها مراراً وخلال سنـين ، فلأني لم أفقـد الأمـل بأن الحزب يستطيع أن يصحح ، يستطيع أن يسيطر على نفســه ، يستطيـعْ أن يمتلك الصورة الصحيحة عن مهمته التاريخية ، عن واجباته ، عما يجب أن يعمله وأن يكون عليه . وان الوقت لم يفت وانه اذا كنا مضطرين ومن واجبنا أن

لانجد لأنفسنا الأعذار لئلا نتهاون ونتراخى . ايضاً يجب بين حين وآخر أن ننظر الى حركتنا نظرة تاريخية لانظرة الأفراد، ونظرة الحاضر، ونقيسها بعمر الفرد ونقول : مضت ثلاثون سنة وما زلنا نعاني أمراضاً ونواقص فادحة ، هذا شيء مفيد أن ننتبه الى نواقصنا ولكنه من المفيد والضروري أيضاً أن نقول بأن ثلاثين سنة ليست شيئاً كثيراً في حياة أمة وان الحزب يستطيع في كل لحظة ، أن يتدارك نفسه ويتدارك أخطاءه وأن يدخل عنصر الارادة بشكل قوي لأنه لم يستعمل هذا العنصر، كما يجب، في الماضي . وأن يدخل معركة مع ذاته ليصحح ويسد النقص ويبني نفسه بناء جدياً . . والوقت لم يفت، وعلى العكس كل هذه الأخطاء والعثرات وحتى النكسات الكبيرة يمكن أن نحولها الى فوائد ونفع كبير ، عندما ندرسها ونحللها ونخضعها لقوانين العلم والتجربة الثورية ونقارن تجربتنا مع تجارب حركات ثورية في العالم .

الوقت لم يفت، بل هناك فرصة كبيرة لأن الساحة شبه فارغة ، والأمة تنادي من يقودها في الظروف الحالكة ، والحزب رغم كل ما افتري عليه وكل الدعايات الاستعمارية والرجعية ، يبقى له رصيد في ضمير الأمة ويبقى متمتعاً بثقة غير قليلة .

تكلمت عن البداية . . فلننتقل حتى لايتجمد الحديث على نقطة . لننتقل الى ظروفنا الراهنة ، ظروف الأمة الراهنة ، الى سؤال طرحه رفيق لكم هو سؤال يطرحه كل عربي اليوم : كيف نرفض الحل السلمي رفضاً عملياً وجدياً وليس بالكلام واللسان فقط؟

هذا يضطرني أن أعود الى أفكار الحزب والى الماضي أيضاً .

**أيها الرفاق**

الحزب وضع تصوراً للثورة العربية لم يأخذ شكل البحث العلمي ولكنه واضح ، ويمكن رؤيته والرجوع اليه من بداية الحزب حتى الآن وخلال كل هذه الأعوام . .

نظرة واحدة تتكرر، نظرة واحدة تفرض نفسها، هذه النظرة لم يشارك الحزب فيها أخذ من الحركات أو الأنظمة التقدمية ومما سمي بالثورات وبالأنظمة الثورية في الوطن العربي ، لذلك فان ما يسمى بالحل السلمي المستمد من قرار مجلس الأمن ، والذي

جاء على أثر هزيمة حزيران، يمكن للبعثيين أن يقولوا بأن الذين قبلوا بالحل السلمي في قرار مجلس الأمن في عام ١٩٦٧ كانوا قابلين به قبل ذلك بعشر أو خمسة عشر عاماً.

لم يقبلوه كشيء جديد، كانوا قابلين به ضمناً لأنهم لم يأخذوا بالنظرية الثورية الصحيحة. النظرية الثورية الصحيحة لخصّها حزبنا بشيئين: **الوحدة. والنضال المستمر من أجل التحرر والتحرير. او: الوحدة والتحرير.**

الأنظمة التي قبلت بالحل السلمي قبل ذلك، أي منذ اليوم الأول لنشوئها، قبلت بالقطرية ورفضت النضال، رفضت نضال التحرير، رفضت أن تجعل قضية فلسطين هي مركز ومحور نضالها، ولو ادعت أحياناً غير ذلك مجرد ادعاء.

الحزب خلال ثلاثين عاماً ألح على هذه الفكرة، الوحدة العربية بالنضال، وحدة النضال.

من أجل تحقيق أهداف الثورة العربية، أهداف الأمة العربية في أن تحرر أرضها وتحرر مصيرها من كل ضغط وسيطرة استعمارية، وتكون مالكة لارادتها ومصيرها، وأن تنظم مجتمعها التنظيم السليم العادل الذي يضمن أكبر مردود وأحسن انتاج للوطن والمواطنين. . يبني الوطن مادياً ويبني المواطن معنوياً وروحياً وفكرياً. .

أول تجربة للوحدة في هذا العصر دخلها الحزب وساهم فيها وعلق عليها الآمال الكبار لكي تكون بداية للتحرير: لورجعتم الى كتابات الحزب، تجدون هذا الكلام الصريح الواضح: **ان الوحدة تقود الى الثورة والثورة تقود الى الوحدة.**

ماذا عملوا بتلك التجربة بدلا من أن تسير على أساس النضال المستمر، النضال الثوري لكي ينتقل ويشمل بقية الأقطار في استراتيجية للوحدة من أجل التحرير، أي توحيد النضال من أجل التحرير، كانت حقيقة تلك الوحدة التي استبعد الحزب من التأثير فيها، ومن الفعل فيها، ووضع على الهامش منذ الأيام الأولى، كيف نفذت وكيف كان المخطط؟ المخطط انها وحدة مغلقة تقتصر على هذين القطرين وتجعل هدفها التنمية لاالتحرير.

التنمية بديلا عن التحرير، الهاء عن التحرير، ولكن الحزب كان دوماً قبل هذه الوحدة بسنين، وأثناءها وبعدها، يلح على أن كل تنمية لاتكون ضمن استراتيجية

التحرير ومعركة التحرير هي فاشلة، وعاجزة، وكل تنمية قطرية تبقى دون قوة العدو، وقـوة الاستعـمار والصهيـونية بكثير. التنمية خارج استراتيجية التحرير ومعركة التحرير هي تسوية مع الاستعمار واسرائيل بصرف النظر عن النوايا.

التنمية لكي تكون مجدية يجب أن تكون تنمية للمعركة وليست بديلا عن المعركة، وتنميـة في اطـار الـوحدة، وعندها تكون مجدية، لأننا انطلقنا من هذه المسلمة بأن ليس غير مجمـوع أجـزاء الـوطن العـربي بقـادرة على أن تتكـافأ مع متطلبـات المعركة ضد الاستعمار والصهيونية. **القطر مهما يكن كبيراً وغنياً بالامكانيات يبقى دون متطلبات المعركة. .**

الـوحـدة فقـط والتي تتحقق بالنضال ووصفناها بأنها الوحدة المقاتلة، الوحدة التي يتسلح فيهـا الشعب، جماهـير الشعب، الوحدة التي تبدأ بوحدة النضال، وتُتم التنمية على نطـاق الـوطن العـربي المـوحـد أو السـائـر نحـو التوحيد ومن أجل دخول معركة التحرير، هذه التنمية هي التي تبقى والتي تجدي وتتكافأ مع قوى الأعداء.

أمـا كل شيء آخـر يذكـر عن التنميـة هو بين جهل وتضليل، والجهل داخل على الأقل في الماضي، الآن امكانية الجهل محدودة جداً بعدما تكشف من هزيمة حزيران ونتائجها.

ولكن قبل عشرين سنة وقبل خمس عشرة سنة، هذا النظام التقدمي الذي ظهر في مصـر قبـل تسـع عشـرة سنـة لم يكن نظـاماً عادياً ولم يكن بلا انجازات وبلا فوائد وبلا نواحي ايجـابيـة، انـه حدث كبير في تاريخ العرب المعاصر نظراً لأهمية مصر ولكون هذا الانقـلاب الـذي حدث في مصـر، أخـرجها من طور الى طور. ولأن التطور السياسي كان عاجزاً عن ادراك أهمية الوحدة بالمعنى الثوري، وعن ادراك عجز التنمية حتى ولو كانت في قطـر كبـير كمصـر، عجـز التنميـة عن أن تسابق الاستعمار في وسائله ومعداته ووسائل سيطرته، لذلك انتقل هذا النظام في المناسبات القومية المصيرية من نكسة الى نكسة، من تعثر الى آخر، ليس كما يبالغ البعض فيسيء الظن ويتهم ويلقي الشبهات.

بل لأن النظـرة كانت ناقصـة، النظرة الأساسية لأولئك العسكريين الذين أحدثوا

الانقـلاب في عام ١٩٥٢ كانت ناقصـة مقصـرة عن ادراك طبيعـة المـرحلة العـربيـة والعـالميـة. أنهم لم يفهموا الاستعمار وامكانياته ولم يفهموا الصهيونية وارتباطها العضوي بالاستعـمار وبـالتـالي استمـدادهـا أكـبر قسط من قوتها من الاستعمار نفسه، وخاصة لم يفهموا امكانيات الأمة العربية، لم يفهموا أن في الأمة العربية امكانيات غزيرة وضخمة اذا ساروا في طريق التـوحيـد، التوحيد بالنضال ليس بسياسة الدولة، لاوليس بوسائل المال والأجهزة وانما بالاعتماد على الجماهير التي تصنع الوحدة بالقتال والنضال، وبالتالي تصنع التنمية من خلال المعركة ومن أجل المعركة.

في المـاضي أيهـا الـرفـاق، كان هناك جهل، عجز عن تصور علمي شامل لطبيعة الاستعمار ولحقيقة الأمة العربية واستعدادها للثورة والنضال، أما اليوم فليس هناك جهل.

اليوم عندما يقال بأنه يمكن الوصول الى حل سلمي عادل وشريف وغير ذلك من هذه الألفـاظ، وانـه من أجل السلام ينطلق الشعب للبناء والتعمير، لم يعد هذا جهلا بل هو تضليل، لأن نكسة حزيران لم تترك شيئاً خفياً وشيئاً غامضاً، أنها أوضحت كل شيء اليـوم تقـدم رشـوة للأنظمـة لكي تخدع جماهـير الشعب فترة من الـزمن، بالازدهـار، بخلق المشـاريع الاقتصادية، بتشغيل الناس، ولاتلبث هذه الأنظمة حتى تجد نفسها بعد وقت قصير مطوقة ومستعبدة وأسيرة من قبل الاستعمار واسرائيل، وتجد انـه لامجـال للبنـاء وللتعمـير، طالمـا أن العـدو هو الـذي يرسم ويخطـط ويضع الحدود والسـدود وهـو قادر أن يمنـع ويـوقف كل حركـة بنـاء وكل تنمية. هذه التنمية اكثر من مشبوهة، هي تنمية مؤقتة لتمرير الاستسلام. . اشغال الناس بالكسب الوهمي الخادع في الفترة الأولى حتى يصحوا على العبودية.

الحـزب اذن كان دومـاً ضد هذه النظـرة، ضد هذا التصـور، النقص أين هو؟ النقص ان الحـزب لم يمتلك كل الامتـلاك مصـيره ومقدراته، لم يمتلك كما يريد ارادته ووسائله، حتى يحقق ما هو قانع به، وحتى ينفذ بأمانة أفكاره.

الحـزب اذا بقي، اذا أمضى عشـر سنـوات أخـرى تضـاف الى الثلاثين سنة من عمره، اذا أمضى عشر سنوات من أجل هذه الغاية فلن تكون سنوات ضائعة.

أن يسيطر على نفسه وعلى وسائله، أن تكون له قيادة أقرب من طبيعته ومن أفكاره، وأن تكون متجاوبة، متفاعلة مع قواعده ومع جماهير الشعب، فانه يستطيع أن يحقق أهدافه كلها.

المعركة الكبرى بالنسبة الى الحزب هي المعركة مع ذاته، ولكن هذا لايعني أن نترك النضال ونترك الأمة في محنتها. اننا نصل الى السيطرة على أنفسنا ووسائلنا بمشاركة شعبنا معركته وبالمزيد من الممارسة النضالية بين الجماهير.
القيادة تخرج من النضال والممارسة لامن النقاش. تفرض نفسها بشجاعتها، بوضوحها، بنضالها، بسلوكيتها.

**أيها الرفاق**

اليوم وقع بصري على عنوان كبير في جريدة «لوموند» الافرنسية، لم أقرأ كل المقال، ولكن فهمت ما هو المقصود منه، ثم ذهب فكري الى المقارنة مع حالتنا وأوضاعنا العربية.

عنوان المقال «من العظمة الى السعادة»، والمقصود فيه - لأنني كنت قد قرأت شيئاً بهذا المعنى من قبل -، الكلام عن الرئيس الفرنسي الحالي، الذي خلف ديغول والذي يتبع سياسة يصورها الكاتب اسعاد الشعب اسعاد المواطنين. سعادة بمعنى الرفاهية، مقابل السياسة التي كان ينتهجها ديغول، وهي سياسة العظمة، سياسة الرسالة، المصير الكبير، المصير التاريخي.

الدور الانساني لأمة من الأمم.. تساءلت - ولو ان الفوارق كثيرة وكبيرة بين وضعنا وبين وضع دولة من دول الغرب - هل مثلا هذه السياسة التي تطبق الآن في مصر أو يمنّى بها الشعب أو حتى من قبل عند القبول بالحل السلمي وبمشروع روجرز..
كم أسهبوا في وصف مغريات السلم، السلم والأمن والبناء والانصراف للعمل والانتاج وسعادة الأفراد والتعليم وشتى الصور الجذابة! قبل نكسة حزيران كان العرب وخاصة النظام في مصر، والرئيس عبدالناصر بالذات هو ممثل هذا النظام وهذه السياسة، سياسة العظمة، الدور الكبير، الدور الدولي، الدور التاريخي. ثم يأتون الآن ويضربون على وتر السعادة، سعادة المواطنين.. أمنهم.. رخاء معيشتهم.

فقلت في نفسي : حتى هذا لايصح علينا . بالنسبة لفرنسا نفسها هذا يمثل هبوطاً من ديغـول الى بومبيـدو، انـه هبـوط من الدور العالمي الى الانشغال بالداخل واهتمام بالـربـح وتحسـين المعيشـة ، ولكن هذا كلام صحيح . من بعد لعب الأدوار العالمية ربما يتعب الشعب ، ويحن الى الـراحـة ، الى الاستمتـاع ، الى الـربـح ، هنـاك انتقال من العظمة الى السعادة .

لكن بالنسبـة الينـا ، في ظروفنـا هذه ، لابـديل عن الدور التاريخي ، لأنه اذا تخلينا عنه لانهبط الى السعادة والرخاء بل الى الفقر والشقاء ، الى الذل والبؤس .

دور العظمة بالنسبة الى العرب هو دور النضال ، والصمود ، والاستمرار بمعركة التحرير .

لو كنا مستقلين ، لو لم نكن مطوقين ، لو لم نكن مجزئين ، لكان يصح أن نتعب فترة ونميـل الى الـرخـاء والـراحـة والعيش في ظل الأمن وتحسين المعاش والأحوال ، ولكن العـدو سيتغلب علينـا ويفـرض شروطـه اذا تخلينا عن دور النضال والصمود والمقاومة . نتخلى عن لقمـة الخبـز لأن هذه اللقمـة لم يعد ممكناً كسبها الا بالنضال ، واللقمة التي تأتي بدون نضـــال هي رشـوة مؤقتـة لكي ينفـذوا مآربهم في ترويض هذا الشعب وفي فرض العبودية عليه .

وبعـد هذا ، أي الفضـائـل ستمنـع الاستعـمار من نهب أراضينـا ، واسرائيل عن استغـلال خيراتنـا؟ أم أن بقـاءهم رهن بأن نبقى فقـراء وضعفاء عاشين في الانحلال الخلقي وحكم العصابات وحالة الانحطاط والجرائم والتناقضات التي تمنع الشعب من أن يتوحد ويقاوم .

هذه ظاهرة لها علاقة بموضوعنا : ليس لنا خيار، ليس صحيحاً أن الرخاء ممكن ، وأن الأمن ممكن ، وأن التنميـة ممكنـة ، هذا جهـل وتضليـل . صحيـح انه لاتزال توجد كمية غير قليلة من الجهل ، لكن التضليل أوسع وأكبر .

**أيها الرفاق**

عن موضـوع الاتحـاد الـذي طرحتـه ونشـر في «الأحرار» ، اني أضيف شيئاً جديداً على التوضيح الذي قدمته والذي وصلكم ، ولكني بهذه المناسبة أكرر بأن الدعوة كانت

موجهـة الى الجـماهـير ولم تكن موجهة الى الأنظمة، ثانياً الاتحاد الذي اقترحته كبداية لدخول معركة التحرير وبداية لوحدة أوسع قد تشمل الوطن العربي أو أكبر جزء منه، هذه البداية لم أقترحها دون أن أقترح معها ما يمهد لها حتى تصبح ممكنة وتصبح بداية سليمة وليست بداية مصطنعة تفشل عند أول صدمة.

قلت: يجب أن نعيـد النظـر في السنـوات العشـر المـاضيـة ومـا افتعله الاستعـمار والرجعية وأعداء الأمة العربية من انقسامات في داخل صفوف الثورة العربية.

يجب أن نعيـد النظـر في ذلـك بالتحليـل العميق والنقـد الـذاتي النـزيه الصريح ومصارحة الجماهير لنجد بعدها أن تلك الانقسامات كانت مفتعلة، وأنها كانت مخططاً استعمارياً مقصوداً، وأن بعض الفئات الوطنية سارت بها دون وعي لنتائجها، واننا اذا مشينـا في هذا الطـريق، طريق المصـارحة والنقد الذاتي والارتفاع الى مستوى المعركة والاهتـمام بالتنـاقض الأسـاسي الـذي هو تنـاقضنا مع الاستعمار والصهيونية والرجعية نستطيع أن نشكل بداية للوحدة التي تقاتل وتدخل معركة التحرير.

وقلت أيضاً أن هذا أقرب الى الحلم والتمني منه الى الواقع، ولكن يجب الا نقنع بهذا الـواقـع الكسيـح، ويجب أن نطمـح دوماً الى المستوى التاريخي في ظرف يتقرر فيه مصيرنا جميعاً ولعشرات السنين.

طبعاً أنا قانع بأن هذه هي البداية السليمة وهي على صعوبتها ممكنة، ولن تجدب أمتنـا ولن تعـدم من يمثـل فيهـا هذا الطمـوح وهـذا السمـو والارتفـاع فوق الأنانيات والمصالح الآنية.

لذلك أردت أن أربط الحديث عن هذا الموضوع بالحديث عن مصر. وكنا نتكلم عن مصر.

ليس ثمـة حاجـة الى تكـرار القـول الذي جاء في المقال بأن كل اتحاد لايكون فيه العـراق ركنـاً أسـاسيـاً هو اتحاد فاقد للجدية، غير جدي، ولكن يجب أن نوجه انتباهنا الى شيء هو في هذا الظرف خطير في نتائجه.

هنـاك المخطـط الاستعـماري الصهيـوني القديم الذي يحاول وينجح أحياناً، وقد نجح بالفعل في عزل الأقطار العربية بعضها عن بعض. وفي ايجاد الانقسام بين القوى

الثورية في البلاد العربية، وخاصة بين حزب البعث وبين مصر.

**أيها الرفاق**

لو سارت الوحدة عام ١٩٥٨ دون انحراف لتغير وجه التاريخ كله، لأنه بالتقاء حزب البعث بمصر، بالتقاء حزب البعث الذي كان منتشراً في سوريا والأردن والعراق ولبنان انتشاراً قوياً، هذا اللقاء مع القوة التقدمية الحاكمة في مصر كان يمكن أن يحقق الوحدة العربية والتحرر العربي الكامل.

لكن كان هناك مخطط، ومع الأسف الشديد كان في النظام المصري استجابة لهذا المخطط، بأن يضربوا حزب البعث، فأدى ذلك الى انتكاسة الوحدة والى الانفصال والى كل النكسات التي حصلت فيما بعد. هل نتفرج على مصائبنا وهزائمنا دون أن نعتبر ونستفيد من الدروس؟

تميز حزبنا، والاتجاه الأصيل في حزبنا وهو معروف، تميز بتقدير أهمية مصر وانه لاشيء يمكن أن يتم، لاشيء جدياً يمكن أن يتم في الوطن العربي من دون مصر، هي في موضع القلب والرأس. لاأريد التشبيهات القائمة، ولكن أقول: أي انتقاص من أهمية مصر هو مكابرة وانحراف وبعد عن الخط الثوري.

ولكن ماالعمل والذين بيدهم المقدرات في مصر يرفضون هذا اللقاء وهذا التقدير منا، لأن هناك المخطط الاستعماري، ويفعل فعله باستمرار ليمنع لقاء هاتين القوتين. فما هو جواب الحزب الثوري السليم الحكيم البعيد النظر؟ هل اذا رفضونا نرفضهم، واذا ابتعدوا عنا نبتعد أكثر، أم نعتبر أننا مسؤولون عنهم كما نحن مسؤولون عن أنفسنا وحزبنا؟ هل مصر بشعبها الكبير، بامكانياتها، بمستواها الحضاري، هل هي بالضرورة هذا الشخص أو ذاك من الحكام، هذا الجهاز أو ذاك من الأجهزة الذين ساروا في تنفيذ مخطط الاستعمار في الانقسام؟ يجب أن ننظر الى مصر في امكانياتها، في ما يمكن أن يخرج منها، في التطورات المقبلة.. يجب أن نساعد على تطويرها على الأقل بأن لايكون موقفنا منها موقف رد الفعل وموقف الانفعال نتيجة تصرف حاكم أو جهاز في الحكم.

سأروي لكم شيئاً عن مقال كتب هذا الأسبوع في مجلة «الحوادث»، لعلكم

اطلعتم عليه أو لعل بعضكم اطلع. الخلاصة أن هذا المقال، وهو في يقيني من وضع الاستعمار وعملاء الاستعمار والمخطط الاستعماري، يستعرض تاريخ علاقة مصر بالعروبة، وبتيار القومية العربية ويقول بأن مصر زمن الانكليز، أي عندما كانت محكومة من قبل الانكليز، كانت تنظر باشتباه، بارتياب، الى التيار العروبي لأنه كان ممثلا، كان يمثله أشخاص لهم صلات بالغرب بالمستعمرين الانكليز أو الافرنسيين، هذا في بداية القرن، وان هذا التيار ظهر في بلاد الهلال الخصيب التي كانت محكومة من الدولة العثمانية كرد فعل على الحكم العثماني، وانه أي هذا التيار، كان يدعو الى عزل مصر، والى استبعادها من حظيرة البلاد العربية والى آخر هذا الكلام.

ثم يغمز الكاتب من الحزب وينسب الى الحزب أنه هو الممثل لهذه الخطة، خطة عزل مصر، مع أن الواقع أيها الرفاق أنه لم توجد حركة أعطت لمصر ما أعطاه حزبنا من اهتمام ومن قيمة ومن دور في الثورة العربية وفي حركة الوحدة العربية.

حتى أن انشقاقاً كبيراً حصل في الحزب نتيجة لهذا الخلاف، زمن الانفصال يوم ظهرت القطرية في فئة كانت في الحزب وأرادت أن تحمّل مصر وشعبها تبعات أخطاء الحكم الذي كان زمن الوحدة. وهذا يلتقي مع المخطط الاستعماري الذي يريد عزل البلاد العربية بعضها عن بعض لتسهيل مهمة اسرائيل وتوسعها. فالشواهد اذن على أن الحزب كان دوماً مدركاً، وفي أعلى مستوى الادراك، المسؤولية القومية في ترفعه عن كل ما أصابه من النظام المصري من افتراءآت وحملات ظالمة من أجل ألا يدع مجالا لأحقاد تنشأ ولحواجز نفسية وعاطفية تنتصب بين جماهير الحزب، وهي منتشرة في سورية والعراق ولبنان والأردن بصورة خاصة، وبين الجماهير العربية في مصر.

رغم ذلك والاستعمار في هذا الظرف بالذات مع الرجعية العميلة والمأجورين من الكتاب يحاولون باستمرار أن يثبتوا في أذهان الجماهير هذه الافتراءآت، هذا التزوير الفاضح، بأن حزب البعث يعزل مصر عن ساحة العروبة، والعكس هو الصحيح تماماً، لذلك أيها الرفاق أقول بأن حزبنا اذا لم يتمسك بالمستوى التاريخي المترفع عن الخلافات والأحقاد ولعبة السياسة الحقيرة، بالمزايدات وردود الأفعال، اذا لم يتمسك بدوره التاريخي وأنه فوق المخططات الاستعمارية وأنه يفضحها ويعرف مراميها ويتغلب

عليهـا ببعـد النظـر وبالتجرد وبالمبادرات التي ياخذها لمكافحة هذا المخطط الانقسامي ولفضـح هذه المـؤآمرة الطويلة التي افترت على حزب البعث شتى الافتراءآت ولازالة الرواسب التي تراكمت منذ وحدة ١٩٥٨ الى الآن، اذا لم يحتفظ الحزب بهذا المستوى التـاريخي ، ـ والمقـال الـذي كتبته ينطلق من هذا المستوى ـ ويطرح مبادرة باسم الحزب فنكون وكأننا نسهل للاستعمار والصهيونية مهماتها وأغراضهما.

هذان المستـويـان المتنـاقضـان موجـودان ، ووجـدا دوماً في الحزب ، وبينهما صراع دائم ، وجـدا في الحـزب من بعـد السنوات الأولى القليلة بعد أن أصبح للحزب مكانة ووزن سيـاسي ، عنـدهـا ظهـر المستوى العادي الذي يريد أن يسخّر الحزب لأغراض السياسة العادية وهذا لايكون الا على حساب رسالة الحزب التاريخية.

**أيها الرفاق**

أنتم تعـرفـون وتـدركون أن هناك مستويين ، ولايجوز أن يبقى هذا التشويه لحقيقة الحـزب ، لايجـوز أن يتحـول حزبنـا الى حزب سياسي عادي . فاذا نظرنا اليوم الى ما يجري في مصر، ولخصناه بكلمات ثم تساءلنا : كيف يجب أن يكون موقفنا؟

ان ما حدث في مصـر هو بدايـة وفصل من فصول التغييرات المنتظرة العديدة التي كان لابـد أن تعقب غيـاب الـرئيس الـراحـل جمال عبـدالنـاصـر. هناك قوى خارجية وداخلية ، قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية ، تحاول أن تسيطر على هذه التغييرات وتوجهها لمصلحتها ، وتبقيها في الحجم والحدود التي تريدها لها ، أي في حدود التنفيس عن الكبت الذي صنعته أجهزة القمع طوال سنين ، وفي حدود انفراج مؤقت ظاهري يلهي عن الهدف الأساسي . ولكن الجماهير العربية هي التي سيكون لها الدور الفعال في احـداث التغيـير باتجاه الصمود للهجمة الاستعمارية الصهيونية الرجعية وتعبئة جميع القوى من أجل الدخول في معركة التحرير.

ثمـة مقـارنـة تفرض نفسها على التفكير بما يحدث في مصر، وما حدث في سورية قبـل بضعـة أشهـر، وبـالرغم من الفروق الهامة البارزة بين الحالتين ، فان قانوناً واحداً ينتظم هذه الأحـداث والظـواهر. فصحيح أن العهد الذي صفي وأبعد في سورية كان حكماً مزيفاً بغيضاً معزولا عن الشعب عزلة رهيبة ، في حين أن التصفية التي تجري في

مصر هي لأقرب الفئات والأشخاص الى الرئيس عبدالناصر. لكن هذه الفروق تبقى في حقيقة الأمر نسبية وأهميتها قليلة في مقياس الظروف الجديدة.

اذ أنه بعد غياب عبدالناصر الذي كان لشخصيته وزن كبير مؤثر، لم يعد اهتمام الجماهير منصرفاً الى المفاضلة بين درجات الاستسلام لمخططات الاستعمار الأميركي واسرائيل، مادام جميع أهل النظام قد قبلوا بالحل السلمي، وانما القضية أصبحت في نظر الجماهير بين القبول بالحل ورفضه، الرفض الفعلي الفعال الذي يوجه جميع الامكانيات والطاقات وكل العقول والمشاعر في طريق صاعد، في اتجاه المعركة المصيرية المحتومة، وفي الطريق الذي يضمن لها النجوع والنصر، أي طريق الوحدة العربية وتسليح الجماهير الشعبية.

والتحول من طريق الاستسلام على اختلاف درجاته الى طريق الصمود والاعداد والقتال لايكون في التعلق بأذيال الماضي والتشبث بأشكاله الفارغة الجوفاء. التغيير أصبح حاجة ملحة عميقة محتومة.

ولن يأتي دفعة واحدة ولن يتوقف عند حد. المهم معرفة القوى التي ستفيد من التغيير. فالاستعمار والصهيونية والرجعية تتدخل بشتى الحيل والأساليب لتوجه هذا التغيير لمصلحتها، أي لتصفية القوى الثورية وارجاع قوى الرجعية والاستغلال والاستسلام الى مراكز القيادة والحكم.

فواجب القيادات الثورية أن تحبط مخططات الأعداء وأن تتقدم تيار التغيير لتوجهه لمصلحة الجماهير الكادحة واعدادها للصمود ومعركة الوحدة والتحرير.

**أيها الرفاق**

ان الظروف مواتية لكي يبادر الحزب ويتقدم بجرأة ويرفع صوته. واذا أراد حزبنا أن يكون له دور تاريخي قومي فلا يجوز أن يتصرف بردود الأفعال، ويجب أن نضع دوماً نصب أعيننا أهمية مصر ودور مصر في كل معركة قومية، وفي هذه المعركة بصورة خاصة.

**أيها الرفاق**

أشعر أني أطلت عليكم مع اني كنت مصمماً على الاختصار لضرورات خاصة

تضطرني أن أعود الى بيروت، ولكن هذا الزمن الطويل الذي كنت أشعر فيه بالحاجة الى لقائكم وعدم توافر الظروف لتحقيق ذلك جعلني أسترسل وأرتاح في التحدث اليكم باسهاب، وأنا أدرك أيضاً أنني لم أستطع تناول كل النقاط التي طرحها الرفاق في أسئلتهم، ولكن أرجو أن يتاح ذلك في لقاء آخر والسلام.

**حزيران ١٩٧١**

# كلمة في الحفل التأبيني للشهيد صلاح الدين البيطار

**أيها المناضلون الاحرار**

أحييكم تحية العروبة والنضال وارحب بكم باسمي وبأسم رفاقي في الحزب لمشاركتكم في هذا الحفل القومي لتأبين شهيدنا العزيز صلاح الدين البيطار.

لقد جئتم الى بغداد من أقطار العروبة من مصر ومن المغرب العربي ومن لبنان ومن أقطار اخرى، وهذه المشاركة تجسد المعنى الذي نشأ على أساسه الحزب وأستشهد من أجله صلاح الدين البيطار فيه استذكار لمعان وقيم عميقة في نضالنا القومي، وفيه مراجعة صادقة وموضوعية لمسيرة تاريخية أمتدت عدة عقود من الزمن، وفهم لحقائق أساسية في واقعنا العربي، كما فيه ذلك الالهام والتحفيز للانطلاق في المعركة التي استشهد فيها صلاح الدين البيطار والقضايا التي عاش ومات من اجلها.

فالاستشهاد أشبه شيء بالانفجار يضيء ويحرق كل ما حوله، هو هزة عنيفة تسلب الراحة وتقضي على الحذر وتعصف بالطمأنينة والاستقرار وتشيع في النفوس القلق المقدس، هو نور يشق ظلمات اليأس ويفتح للامل نافذة بعرض السماء ومهما يمعن القتلة المتسلطون في ارهاب الشعب بارتكاب المذابح والكبائر والمنكرات تبقى الكلمة العليا للحق والشرف والمبادىء عندما يقدم انسان حي الضمير أبي النفس على التضحية بحياته فداء لهذه القيم والمبادىء.

وكما ان الاستشهاد تركيز عنيف لانتباه الناس وهز لضمائرهم حول موضوع خطير

لم يكونوا يقدرون خطورته بينما يعتبره الشهيد جديرا بان يقدم حياته ثمنا للدفاع عنه، فهو ايضا تسليط لضوء ساطع على حياة الشهيد نفسها ليس في خاتمتها فحسب وانما رجوعا الى الوراء من هذه الخاتمة الى الماضي الطويل الذي سبقها والذي كان التمهيد الطويل والبناء المترابط الموصل الى تلك الذروة.

لقد أراد له القدر كما أراد هو لنفسه وهو المناضل الشيخ الذي ملأ حياته بالفكر والعمل ان يضيف صفحة أخيرة متألقة الى صحائف سفر طويل جليل كان يمكن ان يختتم ويظل محتفظا بقدره وقيمته حتى بدون هذه التضحية الاخيرة.

لقد اراد ان يضع حياته ثمنا لانتصار الفكرة واحقاق الحق وبهذا الحدث سوف يبدأ تاريخ جديد بالنسبة الى نضال الشعب في القطر السوري وبالنسبة الى موقف الرأي العام العربي والعالمي من قضية سوريا ونكبة شعبها بحكامها المتسلطين. كانت عروبته محور تفكيره وشعوره يعيشها بوجدانه حبا وحنانا لكل العرب ويعيشها بعقله تحليلا ونقداً وتخطيطاً من اجل تغيير الواقع العربي المتخلف وبناء المستقبل الحضاري للامة.

عاشت الامة العربية في وجدانه بهمومها ومشاكلها وتطلعاتها بماضيها وحاضرها ومستقبلها مثلما سيعيش هو بعد اليوم في وجدان أبنائها وأجيالها المقبلة. أعد نفسه للقيادة والحكم كمن يتوفر على دراسة علم من العلوم او فن من الفنون بكل ما تتطلبه الدراسة من جدية وجهد ونزاهة وشغف ورغبة في النجاح والتفوق وجعل مقاييسه حضارية لا سياسية وعالمية لامحلية وبلغ في ثقافته السياسية مستوى كبار الساسة في العالم وكان عارفا قدر نفسه وواثقا من كفاءته لايرضى الا ان يضعها في خدمة امته ووطنه وفي المكان اللائق بها وكان منشأه البعثي النضالي وتربيته العربية الاسلامية يضفيان على ثقافته السياسية وكفاءته القيادية عنصراً روحياً خاصاً يمتاز به عن رجال السياسة في الدول الاجنبية فهو عربي وأمته أمة الرسالة والشهادة.

والحكم عنده رسالة او شهادة وقد راهن الرهان الاخير عندما واجه مسؤوليته امام محنة شعبه في سوريا اما ان ينقذ الشعب بحضوره الحسي الفكري والعملي او

يذهب شهيداً للحق ويخلد في ذاكرة الشعب ويصبح مشعلا هاديا لطريق الحق والثورة والفداء.

قبول الشهادة لايتاح الا للصفوة من المناضلين المؤمنين الذين أينعت فيهم الصفات والكفاءآت العالية التي تحلى بها الشهيد والتي كانت صورة حية للحركة الثورية التي شارك في بنائها، هوليس قبولا للشهادة بقدرما هو اقبال عليها ووصول ارادي اليها وبلوغ لها يساوي تبليغ الرسالة بكمله ويتوّجه. موقف من الحياة هو نفسه موقف من الموت. الموت كجزء أصيل من الحياة ومرآة لها. ان حدث استشهاد صلاح الدين البيطار يطرح في آن واحد محنة سوريا والمأساة التي يعيشها شعبها، كما يطرح ماضي (٤٠) سنة من تاريخ حزب البعث العربي وتداخل هذا التاريخ مع تاريخ سوريا والقضية العربية في هذه الحقبة من الزمن.

في كل عمل من المستوى التاريخي يكون ثمة عنصران، الشخص والقضية. وقد كانت للاخ الحبيب والرفيق العزيز صلاح الدين البيطار مساهمة اساسية في تكوين حزب البعث كفكر وكحركة، وقد سبق تأسيس الحزب ما يقارب الـ (عشر) سنوات من العلاقة الشخصية والفكرية والرفقة اليومية التي خلقت نوعاً فريداً من التفاعل والتكامل بين شخصين ظلت لكل منهما شخصيته المستقلة المتميزة.

كان بدء التعارف في ديار الغرب أثناء الدراسة الجامعية ولم يلبث التعارف ان أصبح التقاء حميماً وصميمياً على جملة افكار ومواقف ووجهات نظر سلوكية ووطنية ونظرات متوافقة في الادب والفن والاخلاق، وبعد أنتهاء مدة الدراسة وعودتنا الى الوطن للتدريس ابتدأت مرحلة جديدة عملية.

وقد كنا مصممين على جعل مهمتنا في التعليم مجالا للتبشير بافكارنا الوطنية والقومية، وبالاتجاه التحرري الاشتراكي الذي آمنا به، وان نجسد ذلك في سلوكنا ومواقفنا مع الطلاب وضد السلطة الاجنبية المستعمرة والاجهزة المحلية الموالية للاجنبي او المستسلمة له.

كما كنا مصممين على اتخاذ الكتابة وسيلة للتبشير بتلك الافكار. كانت

السنوات العشر التي سبقت تأسيس الحزب سنين خصبة عميقة الاثر وقد كانت تجمع الى الشعور بالمسؤولية والالتزام بخط مبدئي شعوراً ثميناً بالحرية والرحابة.

لا اقول اننا كنا نتلمس الطريق، فمنذ النصف الثاني من الثلاثينات كانت طريقنا واضحة الى حد كبير في تحديد أهداف الامة في الوحدة العربية وفي الحل الاشتراكي بالاسلوب الثوري والمنطق الجذري الحاسم والرفض التام للواقع السياسي العربي والدعوة الى الانتفاض على مرحلة وعقلية وطبقة اجتماعية. ولكننا كنا نتلمس مدى استعدادنا للاضطلاع بالتزام يقرر منهج العمر بكامله. وعندما حزمنا امرنا في بداية الاربعينات وجدنا في الوسط الطلابي وفي الاوساط الشعبية فيما بعد، تجاوبا عفويا قوياً دل على نضج المرحلة لتقبل حركة في المستوى الفكري والسياسي والتنظيمي الذي كنا نطمح اليه، فالشيء الجديد بالنسبة الى المجتمع لم يكن جدة الافكار بقدر ما كان المستوى الذي طرحناه لوضع تلك الافكار موضع التطبيق في النضال الشعبي.

ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم كانت مسيرة حزب البعث هي التمسك بالخط القومي الثوري الاشتراكي الذي اخترناه ورفض اي تفريط بحق من حقوق الامة وعدم الرضوخ لاي اغراء معنوي او نفع شخصي، وكان الحزب يختار أصعب المهمات والمعارك القومية بارادته وكان دوما في طليعة المعارك القومية وفي قلبها وصميمها.

وكان هناك دائما لدى البعثيين الحقيقيين شيء ثمين في الشعور وفي الفكر، وذلك ان بينهم وبين الامة عهداً يربط حياتهم كلها، لهم طريق ينبع من وجدانهم ولايمكن ان يتراجعوا عنه او يحيدوا. كل مغريات الدنيا لاتكفي ولاتغني عن خيانة المبدأ، هذا الطريق هو ايضا طريق الشعب، ولايمكن ان يسير البعثيون في طريق والشعب في طريق أخرى.

اما المستحيل في نظرهم وما يعادل الكفر فهو ان يقفوا ضد الشعب وأن يوجهوا اسلحتهم الى صدور أبنائه خير لهم ان يكونوا مظلومين من ان يكونوا ظالمين.

هذا هو الخط التاريخي، الخط الاصيل، الخط الاخلاقي، خط الوحدة العربية، خط النضال الشعبي والشعب المناضل، خط الحرية والكرامة والانسان العربي الحر، خط رفض التفريط بأي حق من حقوق الامة مهما يكن النضال شاقاً وطويلا، وكان هذا خط الاستاذ الشهيد صلاح الدين البيطار.

فكرة ثمينة واستعداد خالص واندفاع فتي لحملها وتجسيدها في حركة، ولكنها تصطدم بواقع قاس منذ خطواتها الاولى، وكانت كلما تقدمت ودللت على قابليتها للنمو والانتشار تتضاعف الافتراءآت ومحاولات التشويه ليس من الاستعمار وأعداء الامة فحسب بل من بعض تلك الاوساط المحسوبة على القومية والتقدمية ايضا.

تريد عزلها عن الجماهير العربية الواسعة والحد من قوتها وانتشارها، وكان هذا الصراع من اجل البقاء بينها وبين محاولات العزل والتشويه احد مقومات ثوريتها ومحرضا ودافعاً لكي تزداد التصاقا بالشعب وتفانيا في الدفاع عن حقوقه.

وقد انتشرت هذه الحركة القومية الثورية في عديد من الاقطار العربية وحمل شعلتها مناضلون مؤمنون واجهوا الظروف الصعبة والتحديات الخطيرة وصنوف الظلم والتعسف، ومنذ عهد مبكر وجدت الحركة في العراق أرضاً خصبة وشباباً عربياً مؤمناً ومقداماً حمل لواء فكرة البعث وناضل تحت رايتها نضالا رائعا وباسلا، وكانت ظروف العراق القاسية وموحيات تاريخه المجيد منذ أيام الرسالة العربية الاسلامية تدفعه الى النفاذ الى جوهر فكرة البعث والى الرسالة التي يمكن ان تؤديها في هذا العصر الى العرب والعالم، فتصدى للمسؤولية على عظمها وحمل الامانة رغم جسامتها، وجاءت ثورة (١٧) تموز فنقلت هذه العلاقة بين البعث والعراق الى مستوى جديد.

**أيها المواطنون الاحرار**

**أيها الاخوة الكرام**

وتمر السنون وينتقل البعث من نضال الى نضال محققا الانتصارات الكبيرة المتتابعة من المساهمة في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ضد إقامة الكيان الصهيوني،

الى محـاربـة النفـوذ الاستعمـاري وسياسة الاحلاف العسكرية والنضال ضد العهود الـرجعيـة والدكتاتورية ، الى العمل الجماهيري من أجل الديمقراطية والوحدة وحتى قيـامهـا في ٢٢ شبـاط عام ١٩٥٨ متمثلة في الجمهـوريـة العربية المتحدة مع القطر المصري بقيادة البطل القومي جمال عبدالناصر.

وكـان البعث يقـدم التضحيـات ويخـوض المعـارك من اجل الجماهير الشعبية والقضـايـا القـوميـة ، دون ان ينتظـر مكـافأة او تثمينـا لذلـك سوى نيـل شرف خدمة الجمـاهيـر العـربية والتعبير عن إرادتها. وكان الاستاذ صلاح الدين البيطار مجليا في كل هذه المعـارك. كان حاضـرا في حرب فلسطين وفـارس الـدفاع عن الديمقراطية والحـريـات العـامـة في مقـالاتـه الخـالدة في جريدة «البعث» وركناً أساسياً في بناء وحدة سوريا ومصر تلك الوحدة التي كان يوم اعلانها بالنسبة لكلينا احلى ايام العمر على الاطلاق.

**أيها الاخوة والاصدقاء .. أيها الرفاق**

لقـد ولـد الحزب في مناخ قومي انساني حضاري ، وقاوم منذ البدء كل النزعات اللاقومية والمتخلفة كالاقليمية والعشائرية والطائفية ودعا ، الى وحدة ابناء الامة على اساس الرابطة القومية ذات المحتوى الانساني والثوري. وبعد قيام حركة ٨ آذار سنة ١٩٦٣ في سوريـا بدأنـا نسمـع النـاس يتحـدثون عن حالة شاذة وغريبة عن الحزب وعقيـدتـه وممـارسـاتـه تلك هي نزوع عدد من الضبـاط الـذين شاركوا في حركة آذار ووصلوا الى مراكـز قيـادية فعالة تحت غطاء الحزب نحو تكتيل عدد من الاعوان على اسس طائفيـة وتـوجية الاحداث في البلاد على هذه الاسس البغيضة وفي البداية كنا نرفض ان نصدق ذلك.

وتصورنا ان في ذلك محاولة من الاعداء للتشهير بالحزب والثورة لان (٢٠) سنة قد مرت على الحـزب قبـل انقـلاب آذار ولم تنشأ فيـه مثـل هذه الظـاهرة ، وكان بين البعثيين من أبنـاء سوريـا من المنتمين الى الطائفة العلوية ، قادة ومناضلون بارزون ، وشيئـا فشيئـا صرنـا نلمس حقيقة هذه الظاهرة التي نشأت ابان حل تنظيم الحزب في

القطر السوري وفشل تجربة الوحدة مع مصر التي خلقت أوضاعاً سلبية ومريضة لدى بعض الحزبيين، وفي سوريا عموما، فاستغلها هذا النفر من العسكريين المتآمرين والمغامرين لانتهاج هذا السبيل المنحرف والعمل من خلاله للاستيلاء على الحزب والبلاد.

ولما لم تُجدِ كل وسائل الحوار والاقناع والردع بالعقوبات الحزبية ضد هؤلاء وتأكدنا من تصميمهم على تنفيذ مخططهم الخبيث وقفنا في وجههم بشكل حاسم لايقبل الالتباس ولا التردد، حرصا على سلامة خط الحزب وانقاذاً لمستقبله وصيانة لمصير البلاد من هذا الخطر المزدوج، خطر الطائفية السياسية البغيضة والتسلط العسكري. ولجأت هذه الفئة الى التآمر واغتصاب السلطة، وضرب الحزب بقوة السلاح، وصار واضحا لاصغر مناضل في الحزب ولاوساط واسعة من الشعب ان السلطة في سوريا أمست في قبضة فئة عسكرية ومدنية ذات نهج طائفي تستغل طائفة معينة في البلاد استغلالا خبيثا لبسط تسلطها وتحقيق مآربها مستفيدة من نفر من الاتباع المنتفعين الذين لايملكون من حقيقة السلطة الا القشور، ورغم ذلك فقد عزّ علينا ان نشير صراحة الى هذه البدعة في تاريخ سوريا وفي تاريخ حزب البعث، فسمّينا انقلابيي (٢٣) شباط بالقطريين. وقد كانوا بالفعل كذلك لانهم تآمروا على وحدة سوريا ومصر وتآمروا فيما بعد على كل مشروع وحدوي سنحت فرصته، وكان آخر تآمر لهم على الوحدة قبل أقل من عامين عندما اقتضت ظروف مقاومة المؤآمرة التي تمخضت عن اتفاقية كامب ديفيد، ان تجمع اكبر عدد من الدول العربية في موقف موحد رافض لخيانة السادات وإقدامه على عقد الصلح مع العدو الصهيوني.

وكان الميثاق القومي بين ثورة العراق والنظام السوري، ثم مشروع توحيد القطرين، فاعتبرنا ان فرصة ثمينة عرضت لذلك النظام لكي يخرج من المأزق التأريخي الذي يحاصره ويصحح ما فيه من أمراض وانحرافات ويكسب شرف المساهمة في أنبل وأعلى انجاز وحدوي هو امنية الجماهير العربية في كل مكان.

وجاءت الصدمة عنيفة مبدِدة للاحلام والاوهام كاشفة مرة اخرى عن الطبيعة

التـآمـرية لهؤلاء الاشخاص وتضحيتهـم بالمبادىء والاهداف القومية العليا في سبيل سلطتهم الشخصية، وتأمين مصالحهم الخاصة ولو على حساب دور سوريا القومي، ولو ضد إرادة الشعب الصريحة الواضحة.

وكـان طبيعيـا ان يكـون فشـل مشـروع الوحدة عاملا جديداً أضيف الى عوامل عديـدة للاستيـاء الشعبي الـذي اخـذ يعبـر عن نفسـه بجـرأة متزايدة ضد هذا النظام المتسلط والمنحـرف. ورد النظـام المتسلط والمعـزول بالقمـع الـوحشي والمـذابح الجمـاعيـة في المدن والقرى بشكل لم تعرفه سوريا في أحلك العهود الاستعمارية، وقد توجّ هذا النظام المجرم اجرامه باغتيال الشهيد صلاح الدين البيطار لان الشهيد كان في الاشهـر الاخيـرة الصـوت المـدوي الـذي فضح جرائم ذلك النظام والضمير الحـر الـذي انتصـر للشعب في محنتـه الـرهيبـة. لقـد أراد النظـام السوري من وراء جريمته الاخيرة النكراء ان يقول ويفهـم الجميع بانه لن يتورع عن ارتكاب اي شيء في سبيل المحافظة على بقائه في كراسي الحكم ومغانمه التي يتمتع بها، ولكننا كنا نعرف ذلك عنه منذ مؤامرة ٢٣ شباط لانه بتآمره على الحزب قد ارتكب كبيرة الكبائر.

ومنـذ ذلـك الحين لم نعد نستغرب شيئا مما يصدر عنه، لاتسليم القنيطرة بدون قتـال للعـدو الصهيـوني في حزيران عام ١٩٦٧، ولا ذبح المقاومة الفلسطينية في تل الزعتر، ومناضلي الحركة الوطنية اللبنانية عام ١٩٧٦، وقد برهن هذا النظام انه فاقد لابسـط الضمـانـات الـوطنيـة والاخلاقية، فمن أجل أي المثل والمبادىء وفي سبيل تحقيق اي البـرامـج والاصـلاحـات يجيـز رئيس النظـام السوري لنفسه ان يبقى في الحكم رغم رفض شعب سوريا لحكمه ونظامه؟ ومن اجل أي الاهداف القومية يجيز رئيس النظـام لنفسـه ان يقـوم بالمـذابـح الجمـاعيـة للشعب وان يرتكـب جنـوده كل المحرمات والكبائر وهو ما لم يقدم عليه مستعمر غاشم في أحلك عهود الاستعمار؟

اربع عشرة سنة في الحكم منذ ٢٣ شباط ١٩٦٦، اربع سنوات كان فيها وزيراً للدفـاع وركنـاً اسـاسيـاً في الحكم الشبـاطي ثم السنـوات العشر الاخيرة هو الحاكم المطلق، فهل هذه المدة لاتكفي لكي يطبق الحاكم أفكاره ومشاريعه لكي يظهر من

خلال هذه المدة ما عنده وما هو قادر عليه وما هو عاجز عن تحقيقه؟

فهل استطاع خلال هذه السنين العشر التي كان فيها الحاكم المطلق ان يكسب ثقة الشعب؟ واذا لم يستطع كسب ثقة الشعب فما عساه يستطيع تحقيقه دون هذا الشرط الاساسي؟ هل الحاكم المقبول من الشعب بحاجة لوضع نصف جيشه لمحاصرة المدن والقرى في بلده ودك أبنيتها بالمدافع على سكانها؟ هل يخاف الحاكم ان هو ذهب على وطنية الشعب العربي في سوريا، وهل يخشى فعلا على شعب سوريا ان يمشي في سياسة كامب ديفيد، ام ان اصرار هذا الحاكم على البقاء في الحكم هو الذي يعرض سوريا للانقسام والتقسيم والحرب الاهلية التي هي شرط من شروط نجاح كامب ديفيد والصلح مع الكيان الصهيوني وسيطرة هذا الكيان على المنطقة كلها؟ اننا نخاطب اولئك الذين يستغلهم النظام استغلالا خبيثا ضد مصلحتهم الحقيقية وضد مستقبلهم ومصيرهم وضد إرادة شعبهم وامتهم من اجل تأمين التسلط والانتفاع لافراد قليلين من أتباعه كما نخاطب الذين لايزالون يماشون هذا النظام ويسكتون عن جرائمه بدافع الخوف او عدم تقدير مسؤوليتهم الوطنية والقومية، ألم يحن الوقت لكي يكون لهم موقف جريء ينقذون به وطنهم وكرامتهم؟

واننا نقول لشعبنا الابي في سوريا العربية اننا لن نتركه وحده في مواجهة هذا النظام الشعوبي الحاقد، ونعاهده على ان نجعل من تحرير سوريا بداية لنضال جماهيري متصاعد يصحح الاوضاع في الاقطار العربية ويقضي على خيانة السادات ويرجع مصر الى ساحة النضال القومي.

**أيها الاخوة والرفاق المناضلون**

هدف عزيز على كل حركة ثورية أصيلة هو ان توصل عن نفسها اصدق صورة الى جماهيرها، وان تنتصر على التشويهات والافتراءآت التي يصنعها اعداؤها ويلصقونها بها، كما تسعى ان تتغلب على التشويهات والالتباسات الناجمة عن أخطائها او تقصيرها او غفلتها او عدم سيطرتها على نفسها او على منتسبيها.

وقد أردنا ان يكون حكم الحزب في العراق الصورة المشرقة للبعث في وجه

الصـورة القـاتمـة المـريضـة المشوهة التي يمثلها المتسلطون في سوريا . . أردنا ان تتجمع في حزبنا في العراق وفي ثورته المظفرة كل السمات العربية التي ميّزت حركة البعث منذ ولادتها، وان تتعزز ثقة جماهير الامة العربية بهذه الحركة التاريخية، وتميز بين الاصيـل والـدخيل وبين المنشأ الشرعي الصادق والادعاء المزيف الملفق، اردنا ان يجسد حزبنا في العراق هذه الحقيقة الناصعة الجوهرية التي قام عليها الحزب، وهي ان البعث لايمكن الا ان يكون مع الشعب مدعوما بارادة الشعب ومحاطا بحب الشعب، وان البعث بالتـالي لايمكن الا ان يكـون ديمقـراطيا مؤمنا بالحرية وبكرامة الانسـان وبـروح الامـة وأخلاقها ورسالتها. وقد كان على حزبنا ان يرفع صرح الحق ليدحض بنيان الباطل، ان يبرهن على كل ما في البعث من قدرة على البناء ليفضح العجـز والفـراغ والـزيف في عمل المفترين على البعث المنتحلين لاسمه، ان نقدم البـديـل القـومي الحضـاري الاخلاقي ليس للاوضاع المتردية في سوريا فحسب بل صورة مصغـرة عن المستقبـل العـربي وهي ما تمثله اليوم تجربة الحزب في العراق، تجـربـة حزب أصيـل منـاضـل وقائد تاريخي هو الرفيق العزيز صدام حسين. ان في بعض أقطـارنـا العربية وفي القطر السوري بخاصة حالات متفجرة تقتضي من جميع الحـركـات والفئـات والقيـادات العـربيـة تعميق وتطوير التشاور والتعاون وصولا الى العمـل النضالي المشترك، كما تقتضي تحكيم المصلحة القومية العليا، والمقاييس القـوميـة التقـدمية، والنظرة العقلانية التي تستبق مخططات الاعداء من الامبرياليين والصهـاينـة وعمـلائهم وأدواتهم لتقطـع عليهم طريق استغـلال هذه الحالات وتنفيذ مخططاتهم الاجرامية في زيادة تمزيق قوميتنا وأواصر مجتمعنا.

**أيها الرفاق الاعزاء**

**أيها المناضلون العرب الاحرار**

لقد خسرنا باستشهاد صلاح الدين البيطار رفيقاً عزيزاً ومناضلا صلباً ومفكراً كبيراً وقـائـداً بارزاً من قادة النضال القومي، واذا كانت خسارتنا باستشهاده فادحة الى ابعد الحـدود فان متطلبـات الـوفـاء لشخصه وللقضية التي استشهد من اجلها تحتم علينا

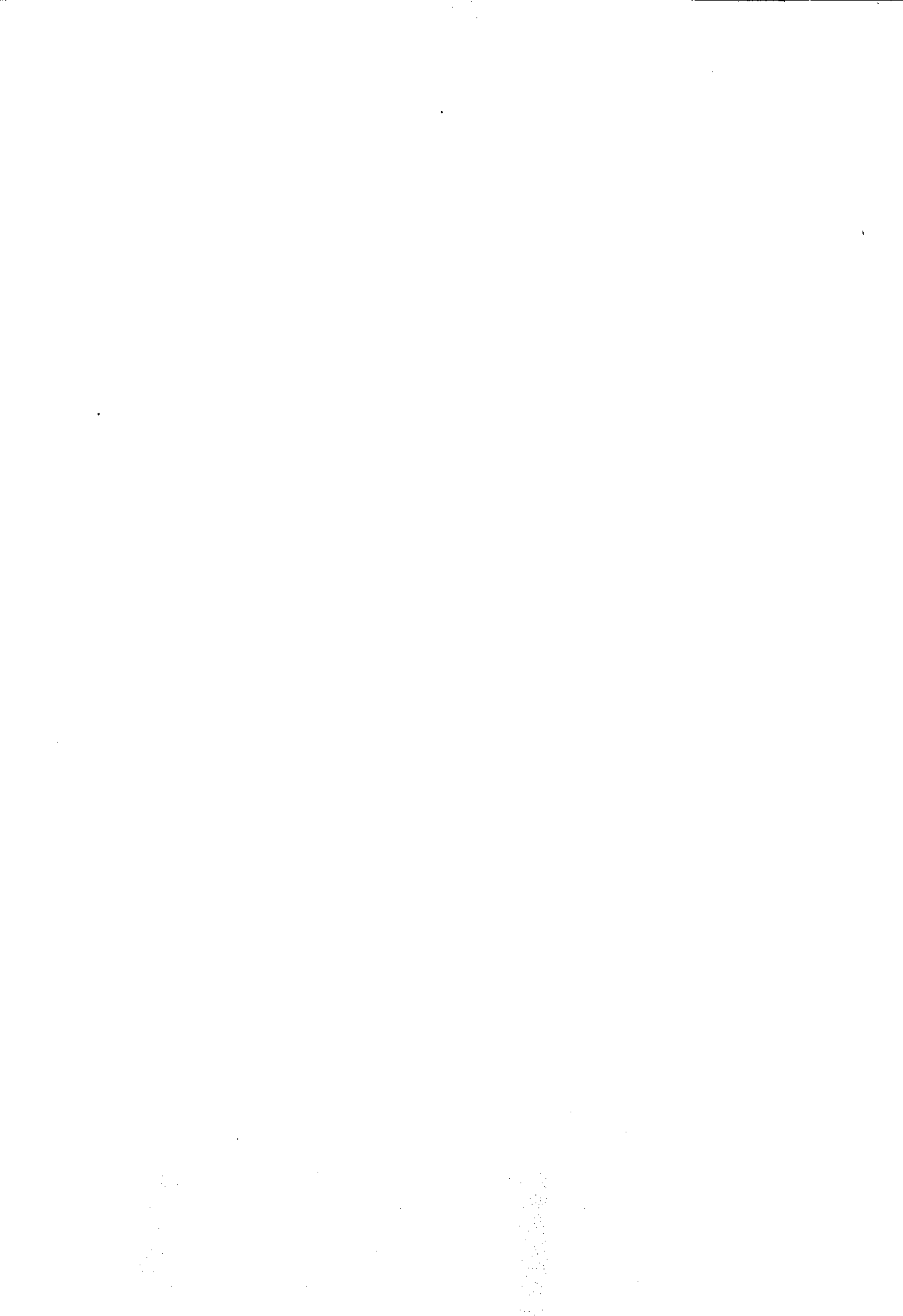
مواصلة العمل والنضال بدون تردد وبدون كلل من اجل القضية القومية، قضية تحرر الامة ووحدتها ونهضتها الحضارية وتحرير أرضها المغتصبة.

لقد عمل صلاح الدين البيطار من أجل كل العرب وقد ناضلت سوريا وضحّت كثيرا في سبيل العروبة، ومن حق صلاح الدين البيطار ومن حق سوريا على العرب أن يتحملوا مسؤوليتهم ازاءها وهي تعيش محنتها القاسية.

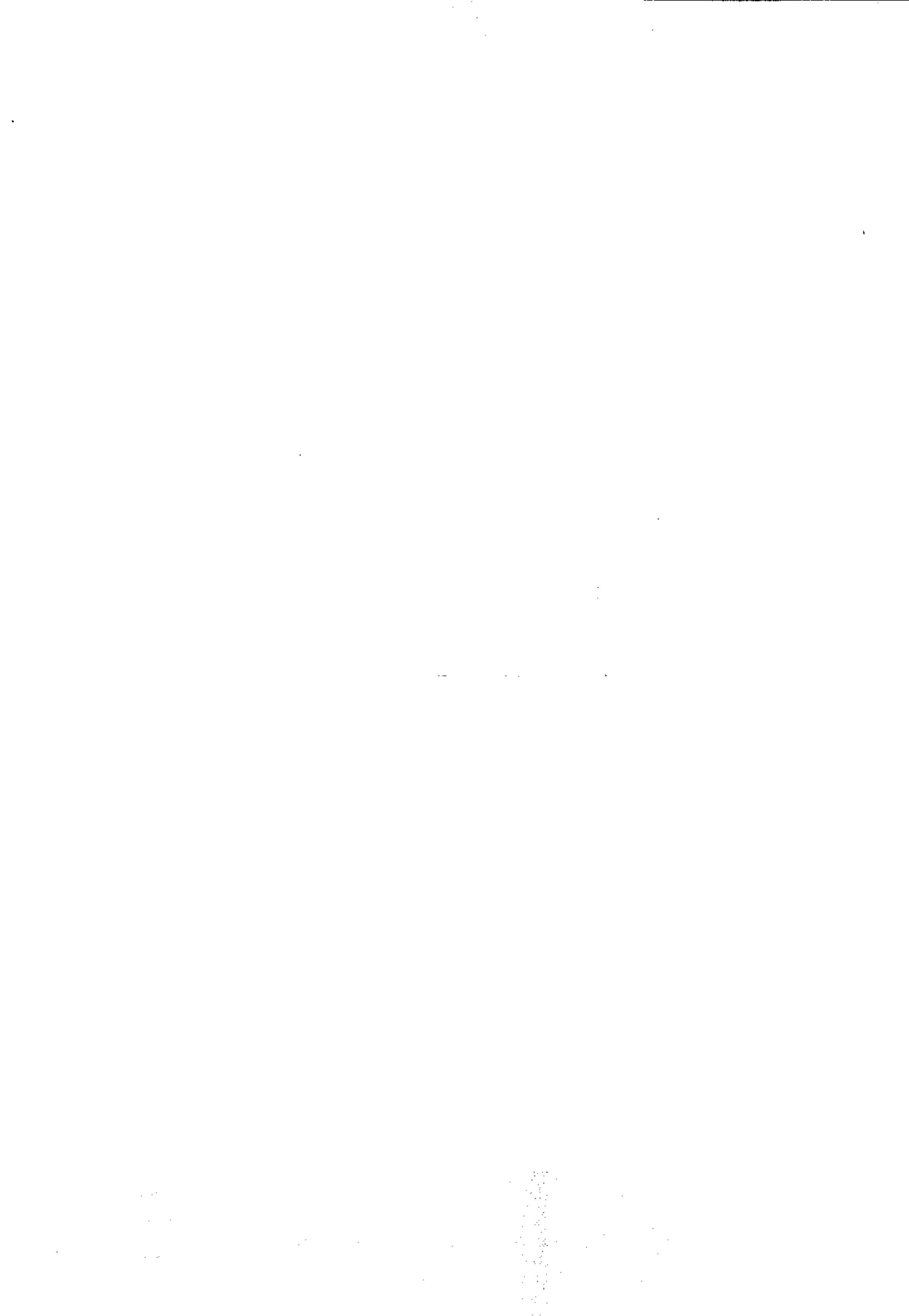
أن مايجري في داخل سوريا ليس قضية حزبية، وليس صراعا بين تيارات سياسية، بل قضية شعبية، قضية قومية، تهمّ كل الاحرار من العرب، كل الشرفاء من أبناء الامة الذين يرفضون الانحراف والتسلط والخيانة والذين يؤمنون بالانسان والشعب والامة. اننا ندعوكم الى الانتصار لسوريا العربية التي انتصرت لمصر وللجزائر ولتونس وللخليج العربي ولكل جزء عزيز من أجزاء الوطن العربي، ندعوكم الى الوقوف بجانب شعبها الجريح، اننا لاندعوكم الى موقف حزبي اوموقف سياسي معين، انما ندعوكم الى موقف قومي عربي نابع من ضميركم ومن وجدانكم، من حرصكم على امتكم وعلى سمعتها ومكانتها ومستقبلها.

والسلام عليكم.

٤ أيلول ١٩٨٠



# ٱلْفَهَرِسُتْ



الباب الاول

رسالة البعث

## الباب الثاني
## في السلوك الحزبي



## الباب الثالث
## الشعب العربي في معركة التحر ر

## الباب الرابع
## الشعب العربي والفئة الحاكمة

الباب الخامس

النضال ضد تشويه حركة الثورة العربية

دار الحرية للطباعة